

مدينة قفط

منذ الفتح العربي الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجري

د. صلاح سليم طايح أحمد



مدينة قفط

منذ الفتح العربي الإسلامي
حتى نهاية القرن الخامس الهجري

مدينة قفط

منذ الفتح العربي الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجري
دراسة سياسية وحضارية

دكتور

صلاح سليم طايح احمد

الطبعة الأولى

٢٠٠٧ م

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس : ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وفوق كل ذي علم عليم

صَلَّى
الْعِظَمِ

سورة يوسف

الآية (٧٦)

إهداء

إلى والدي.....

إلى والدتي.....

إلى أخي الأكبر....

إلى زوجتي وأولادي....

تصدير

بقلم أ.د. صابر أبا زيد

أستاذ الفلسفة الإسلامية

وكيل كلية الآداب بقنا

الكتاب الذى بين أيدينا اليوم يمثل أهمية خاصة فى حقل الدراسات السياسية والحضارية خلال فترة تاريخية من أخص فترات التحول السياسى والحضارى فى العالم الإسلامى، وذلك منذ الفتح الإسلامى لمصر على يد الصحابى الجليل عمرو بن العاص وحتى نهاية القرن الخامس الهجرى من خلال دراسة مدينة من أقدم مدن مصر التى تمتد حضارتها إلى آلاف السنين وهى مدينة قفط التى تقع فى صعيد مصر على مقربة من الشاطئ الشرقى لنهر النيل الخالد.

وقد أحسن الزميل السيد الدكتور/ صلاح سليم طابع مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة بكلية الآداب بقنا - الاختيار لدراسة هذا الموضوع الهام وإلقاء الضوء على مدينة قفط منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى فى دراسة سياسية حضارية، ولم يترك لنا شاردة ولا واردة إلا وتطرق إليها رغم صعوبة الموضوع وندرة المصادر والمراجع التى تتحدث بشكل مباشر عن هذه المدينة العريقة، ولأن معظم مؤرخى العصور الإسلامية ركزوا جل اهتمامهم على الأحداث التى تدور فى العاصمة، ولم يتعرضوا للأحداث التى دارت فى المدن التابعة للديار المصرية إلا عندما تمس تلك الأحداث نفوذ السلطة المركزية فى العاصمة!!

ولقد أوضح الباحث د. صلاح سليم أهمية موقع مدينة قفط تجارياً وعلمياً وسياسياً وحضارياً ولقد أدى الفتح الإسلامى لقفط إلى ازدهار العلوم

العربية، فقد ظل جامع قفط يؤدي دوره كمدرسة ومركز من مراكز الإشعاع الحضارى فى ربوع الصعيد.

ولم يغفل د. صلاح سليم دراسة الحياة الاقتصادية فى مدينة قفط فتناول بالشرح والتحليل النواحي الزراعية ونظام الري وأشهر المحاصيل والصناعات الغذائية وغير ذلك من النواحي الاقتصادية والتجارية، وكذا أهم الأسواق والطرق التجارية سواء للنهرية أو البرية وغيرهما.

كما تناول فى فصل مستقل الحياة الاجتماعية فى مدينة قفط فتحدث عن عناصر السكان فى دراسة أنثولوجية / سوسيولوجية / أنثروبولوجية غاية فى الدقة.

وحتم د. صلاح سليم كتابه القيم بدراسة النهضة الثقافية فى المدينة خلال تلك الفترة التاريخية شارحاً لنا عوامل النهضة الثقافية ومراكز الثقافة (المساجد - الكنائس - الأديرة - المدارس) ثم عرج لتوضيح أهم العلوم النقلية وكذا العقلية مثل: القراءات السبع - التفسير - علم الحديث - علم الفقه - علم الأدب واللغة والشعر - التاريخ - الفلسفة وعلم الكلام والتصوف الإسلامى وظهور آراء لكبار الصوفية بالمدينة فكونوا حلقة من أهم حلقات العلم والروح والعمل فى مدينة مازالت تؤدي دورها إلى اليوم.

والله نسأل السداد والتوفيق لزميلنا النابه صاحب هذا السفر الحضارى الهام لخدمة مصرنا الحبيبة .

والحمد لله أولاً وأخيراً،،،

تحريراً فى : ٢٣/٧/٢٠٠٦

أ.د. صابر أبانير

المقدمة

المقدمة

ترجع أهمية الموضوع أنه يلقي الضوء على مدينة قفط وما لها من تاريخ حافل في مختلف العصور هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن ما كتب عن هذه المدينة في حقل الدراسات التاريخية يعتبر شذرات مبعثرة وقليلة للغاية ومن هنا أثرت على اختيار هذا الموضوع دون سواه .

تعتبر مدينة قفط من المدن المصرية التي حفظ لنا التاريخ دورها كحاضرة هامة من حواضر الصعيد ، ظلت تؤدي دورها الريادي والقيادي في العصرين الفرعوني والبطلمي وأمتد دورها إبان العصر الإسلامي ، فقد ساعد موقعها في منتصف نية قنا على أن تكون أقرب إلى البحر الأحمر من النيل فلا تتجاوز المسافة من قفط إلى البحر الأحمر أكثر من ٨٠ كيلو متر ، الأمر الذي أكسبها شهرة ونبوغاً حتى صارت محط القوافل التجارية الوافدة والمقيمة خلال عصور التاريخ .

ولعل موقعها ومناخها ونشاط أهلها أكسبها أن تعمر فترات طويلة من فترات التاريخ ، وازدهرت في العصر الإسلامي ويحفظ التاريخ دورها كفسطاط أمامى لإقليم الصعيد ، ساعدت العرب في استكمال فتح هذا الإقليم وبصفة خاصة مملكة النوبة المسيحية .

هذا بالإضافة إلى الهجرات العربية التي عرفت طريقها إلى هذه المدينة منذ فترات باكرة ، حتى أن الجغرافى الشهير استرابون عند ذكره لفظ (قبطوس) يصفها بأنها مدينة نصف عربية ، ومن هنا فإن عروبة قفط أقدم من الفتح العربى ، و لا نبالغ إذا اعتبرنا أن هذه المدينة استطاعت أن تتشر العربية خلال سكانها في إقليم الصعيد .

ساعد موقع قفط على أن تحتل مكانتها التجارية المرموقة بفضل طريقها إلى البحر لقطع الأحجار واستخلاص الزمرد والوصول إلى مناجم الذهب بوادي العلاقي هذا فضلاً عن ارتياد الحجاج لهذا الطريق في العصر الإسلامي .

أدى الفتح الإسلامي لقفط إلى ازدهار علوم العربية ، فقد ظل جامع قفط يؤدي دوره كمدرسة ومركز من مراكز الإشعاع الحضاري في ربوع الصعيد ، كما شهدت هذه المدرسة حركة علمية نشطة بفضل طلاب الرحلة ، وعلماء الصعيد الذين وفدوا من مستاجدها لنشر العلم والمعرفة .

وقد أثرت أن أبحث في موضوع " مدينة قفط منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجري " وذلك لموقع عملي بالنسبة لهذه المدينة ، كما أنني من أبناء هذا الإقليم ، فأثرت أن أخدم أبناء إقليمى بإزاحة النقاب عن تاريخ هذه المدينة في العصور الإسلامية ، وقد واجهتني عدة صعاب في دراستي هذه ، منها بعد المسافة بين موقع عملي في مدينة قنا ، وموقع المكتبات الرئيسية في القاهرة ، وقد تكبدت كثيراً من المشاق للإطلاع على المصادر الرئيسية في مكتبات جامعة القاهرة ودار الكتب المصرية ، والمكتبات الرئيسية الأخرى بالقاهرة ، هذا بالإضافة إلى استعانتى بمكتبات فرعية في المدن التالية قنا وسوهاج والمنيا وأسيوط .

ومن الصعاب التي واجهتني في دراستي لهذا الموضوع قلة المصادر التي تتحدث مباشرة عن هذه المدينة ، لأن معظم مؤرخي العصور الإسلامية ركزوا كل اهتماماتهم على الأحداث التي تدور في العاصمة ، ولم يتعرضوا للأحداث التي دارت في المدن التابعة للديار المصرية إلا عندما تمس تلك الأحداث نفوذ السلطة المركزية في العاصمة ، مما جعل الأمر يتطلب منى قراءة كثيرة في المصادر ولم أجد شيئاً بها إلا إشارات قليلة تخدم بحثي ،

ورغم الأعباء الطائلة إلا أنني تمكنت قدر استطاعتي من الوصول إلى إتمام هذا البحث .

هذا وستتناول دراستي هذه " مدينة قفط منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجري " وقد قمت في بحثي بدراسة تاريخية وحضارية لمدينة قفط وقسمته إلى فصول أبواب وخاتمة بدأتها بتمهيد .

أما في التمهيد فتحدثت فيه عن أهمية موقع قفط ودورها في العصور القديمة كحاضرة هامة من حواضر مصر ، هذا فضلاً عن الهجرات العربية التي عرفت طريقها إلى قفط قبيل الفتح الإسلامي.

لذا تحدثت في الفصل الأول عن الحياة السياسية في مدينة قفط منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجري ، فرصدت فيه الفتح الإسلامي لإقليم الصعيد ، وكيف أن قفط كانت بمثابة الفسطاط الأمامي الذي ساعد على فتح هذا الإقليم دون إراقة دماء ولم يفتن أن أميط اللثام عن الالتحام بين العرب والبجة الذين كانوا يهددون هذه المدينة في عصر الولاة ، فالعصر الطولوني والإخشيدي ، ثم العصر الفاطمي الأول متبوع أحداث كل عصر على حده ، ومن ذلك أبرزت دور أهالي مدينة قفط حول هذه الأحداث والنتائج التي ترتبت على ذلك .

وفي الفصل الثاني تحدثت عن الحياة الاقتصادية في مدينة قفط منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجري فتناولت بالشرح الأحوال الزراعية مبيناً نظم الري ولزراعة لمدينة قفط في الفترة التي عالجها موضوع البحث ، وتعرضت بالإشارة إلى أشهر المحاصيل الزراعية في المدينة كذلك أشرت إلى الحرف والصناعات الغذائية والمعدنية ، كذلك بعض الحرف اليدوية البسيطة التي انتشرت في المدينة ، وقد اعتمدت في كتابة هذا الجزء على كثير من شواهد القبور التي أسفرت عنها جبانة أسوان ، إذ نقش على شواهد القبور اسم المتوفى وصنعتة ، وتاريخ وفاته ، مما أفادني كثيراً

فى هذه الناحية ، ثم تناولت الناحية التجارية فى هذه المدينة وأهم الأسواق ، والطرق التجارية سواء للنهرية والبرية فيها ، وقد تناولت فى هذه الدراسة أهم المعاملات التجارية والمالية من صكوك وموازن ومكايل ونقود مستخدمة فى التعامل التجارى .

أما فى الفصل الثالث فقد تناولت الحياة الاجتماعية فى مدينة قفط منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى وتحدثت عن عناصر السكان من عرب هاجروا إليها من شبة الجزيرة العربية واستقروا بها ومن أقباط سكان البلاد الأصليين . وتناول ذلك دراسة لهجرة القبائل العربية ومراكز استقرارها بمدينة قفط .

كذلك تحدثت فى هذا الفصل عن الحياة العامة فى المدينة فتعرضت لدراسة الأخلاق والعادات لأهالى المدينة ، وأهم الأعياد والمواسم التى أقبل عليها أهالى قفط ، وهذا إلى جانب دور المرأة فى مدينة قفط .

أما الفصل الرابع والأخير فجعلته بعنوان النهضة العلمية فى مدينة قفط منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى ، فتناولت فيه النهضة العلمية فى هذه المدينة ، وانتشار المذاهب الأربعة بها كذلك انتشار علم القراءات على يد ورش القفطى، وحركة التصوف على يد ذى النون الأخمىمى فيها ، ثم أهم علماء وشعراء مدينة قفط

وأرجو من اللئام الأئمة قروفتى فى كتابة هذا البحث

وأخراجه على هذا النحو.

دراسة تحليلية عن أهم المصادر والمراجع

دراسة تحليلية عن أهم المصادر والمراجع

لعبت مدينة قفط دوراً في تاريخ مصر السياسى والاقتصادى والثقافى خلال العصر الإسلامى لما تمتعت به من مزايا جعلتها عاصمة الصعيد فى ذلك العصر .

ولا يخفى على باحث التاريخ أن علاج أى موضوع سياسى أو حضارى لمدينة مثل مدينة قفط يختلف عنه لمدينة أخرى مثل : الفسطاط ، أو القاهرة عاصمة الديار المصرية فى العصور الإسلامية.

ففى العاصمة تتركز الجيوش والسلطة المركزية ومن السهل على أى مؤرخ قطن بالقرب من الأحداث أن يدون ما شاهده أو سمع عنه ، ثم يأتى بعده من ينقل عنه النص أو مضمونه كما هو الحال فى معظم المراجع التاريخية التى تركها لنا مؤرخو مصر الإسلامية.

أما بالنسبة لمدينة قفط ، فإن مهمتى كانت صعبة ، فمدينة قفط تبعد عن السلطة المركزية فى مصر حوالى ستمائة كيلو متراً . لذ تطلب الأمر الإطلاع على كثير من المصادر والمراجع بكافه اجزائها أبحث فى بطونها عن أى معلومة أو إشارة تمس موضوع البحث من قريب أو بعيد .

وعلى الرغم من أن معظم المصادر التى وقعت تحت يدى لم تتحدث بصورة مباشرة عن مدينة قفط ، إلا أننى استقيت من تلك المصادر فى القاء الضوء على مكانة قفط ومشاركتها فى أحداث مصر فى العصر الإسلامى وبخاصة ما تعلق منها بمصر العليا.

لذلك سوف يقتصر الحديث على أهم المصادر التى تتصل اتصالاً مباشراً بموضوع البحث والتى برزت أهميتها من خلال معالجتي لهذه الرسالة.

أولاً : المخطوطات :-

اعتمد البحث على عدة مخطوطات منها ميكرو فيلم بدار الكتب المصرية ، أو بمعهد أحياء المخطوطات العربية كما اعتمد البحث فى الاطلاع على بعض المخطوطات بمكتبه رفاعة رافع الطهطاوى ومن أهم المخطوطات التى تم الاطلاع عليها فى هذه المكتبات والتى أفادت البحث نذكر منها على سبيل المثال مخطوط "عيون المعارف وفنون أخبار الحلايف" لسبر الدين محمود العينى (المتوفى فى سنة ٨٥٥ هـ / ٤٥١ م)، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٧٧٩ تاريخ ، وهو يتناول الأحداث بإيجاز وتلخيص حتى سنة (٤٢٢ هـ / ١٠٣٠ م) ونعتقد أنه مخطوط مختصر لكتاب آخر لم يصل إلينا لأنه موجز للغاية .

كذلك من المخطوطات الهامة التى تعرضت لبعض أحداث تتصل بموضوعى مخطوطة "مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان" وهو مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٩٢٧٦ ح أجزاء ٨ ، ٩ ، ١٠ ، لسبط بن الجوزى توفى ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م .

وكذلك مخطوطة أخرى باسم "الوحيد فى سلوك أهل التوحيد" لعبد الغفار بن نوح الأقصرى ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م ، مخطوط من جزئين بالهيئة العامة للكتاب بشارع كورنيش النيل - دار الكتب المصرية رقم ٢٢٥ ، ٢٢٦ تصوف تناول ابن نوح فى مؤلفه كثيراً من النواحي الاجتماعية لمدينة ققط . فروى عن طبقاتها المختلفة من التجار والعلماء والصوفية ، ووصف أسواق مدينة ققط .

ثانياً : كتب الرحلات :-

ومن أهم هذه الكتب كتاب البلدان لليقوبى المتوفى بعد عام ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م نكر فيه أهم مناطق ومواضع المعادن فى مدينة ققط والصعيد

الأعلى وكما أشار إلى القبائل العربية التى باشرت العمل فى التنقيب عن هذه المعادن .

وأظهر دورها فى استخراج معادن الذهب والزمرد من مناجمها بالصحراء الشرقية ، وأظهر أهم هذه القبائل التى سيطرت على حقول المعادن هناك .

وكذلك كتاب المقدسى (المتوفى ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) "أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم" ليدن ١٩٦٧م فقد وصف لنا الكثير من الكور تتحدث عن الأسواق والصناعات فى مدينة قفط .

وجاءت كتب ابن حوقل المتوفى بعد (سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٧ م) خلال القرن الرابع الهجرى وخاصة " كتاب المسالك والممالك " وكتاب " صورة الأرض " فأعطيا صورة واضحة فى معركة تنقل القبائل العربية من مدينة قفط إلى بلاد البجة والنوبة وعلاقة كل منهما بقبائل العرب بالصعيد الأعلى وكانت أهمية كل من اليعقوبى والمقدسى وابن حوقل أنهم كانوا معاصرين للأحداث التى وصفها كل منهما .

وكان لكتاب ناصر خسرو الذى قام برحلته (٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ - ٤٤ هـ / ١٠٥٢م) " سفرنامه " فائدة كبيرة فى معرفة أحوال مصر الاقتصادية والاجتماعية والطرق وأحوال المعيشة وأهم المنتجات وصناعات مدينة قفط والصعيد الأعلى .

وفى كتاب للمسعودى (المتوفى ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) "مروج الذهب ومعادن الجوهر" أشار أيضاً إلى مناطق الذهب والزمرد وإلى شعب البجة والقبائل العربية التى سكنت الصحراء الشرقية .

كما أمدنا من ابن خرداذبه (المتوفى ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) فى كتابه " المسالك والممالك " والأصطخرى (توفى أواخر القرن الرابع

الهجرى / العاشر الميلادى) ، وابن الفقيه الهمدانى (المتوفى أواخر القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى) فى كتابة مختصر كتاب البلدان بمعلومات قيمة عن أحوال مدينة قفط وأهم قراها وطرقها .

وأمدنا كتاب " فتوح البلدان " للبلاخرى (المتوفى ٢٧٠ هـ / ٨٩٢ م) أهمية كبيرة فى ذكر أحداث الفتح لمدينة قفط وعلاقة المسلمين بالمصريين وشروط الصلح بين المسلمين والمصريين ، كما عرض للنواحي الحضارية والنظم الاجتماعية والدواوين والخراج والسكة وغيرهما من المسائل الاقتصادية .

وكان لكتاب سيرة أحمد بن طولون للبلى المتوفى فى أواخر القرن الرابع الهجرى قد أمدنا بمادة علمية غزيرة أفادت نوع الدراسة فى مرحلة الحديث عن مصر الطولونية ويعتبر هذا الكتاب سجلاً وافياً للعصر الطولونى فظهرت التطورات السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية وأظهر مدى احتكاك قبائل العرب بمدينة قفط .

وكان لكتاب ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) " معجم البلدان " أهمية كبرى فى التعريف بمواقع البلاد وما تمتاز به ، بالإضافة إلى معلوماته التاريخية والاقتصادية الهامة عن البلاد المصرية .

ثالثاً : المصادر التاريخية المطبوعة :-

ويأتى فى مقدمة هذه المصادر مجموعة أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية والتي نشر نصوصها وعلق عليها الدكتور أدولف جروهمان وهى فى سنة إجذاء القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٧٤ م وقد أمدتنا بتفاصيل على قدر كبير من الأهمية فيما يتعلق بالحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مصر عامة، ومدينة قفط خاصة، وأوراق البردى العربية، فقد أعطتنا صورة واضحة عن تعامل العرب مع الأقباط، وأيضاً عن تعامل العرب مع بعضهم البعض، فى

البيع والشراء للعقارات، وأظهرت المعاملات التجارية وعقود الزواج، وكيفية إبرامها وعقود الإيجارات بين أهل النمة والعرب ، والمعاملات التجارية بين الفريقين ، وطريقة حفظ الأموال بالكتابة عليها. وكان يوقع عليها الشهود. وقد أعطت هذه البرديات صورة عظيمة عن النشاط الاقتصادي في مدينة قفط وبلدان الصعيد الأعلى.

ومن المصادر التي اعتمدت عليها للدراسة "كتب فتوح مصر وأخبارها" لابن عبد الحكم المتوفى (٢٥٧ هـ / ٨٦٢ م). تحدث المؤرخ عن موضوعات مختلفة في تاريخ مصر وعن الفتح الإسلامي، وما ارتبط بهذا الفتح من الأخبار، فقد جمع الأحاديث التي تتعلق بمصر وأخبارها، وأهتم بسير بعض المحدثين الذين نشئوا في مصر أو مكثوا فيها فترة من الزمن، وبالصحابة الذين نزلوا مصر، كما لقي الضوء على نشاط القبائل العربية في مدينة قفط منذ الفتح حتى مطلع القرن الثالث الهجري.

وكان "كتاب القضاة والولاة" للكندى (المتوفى ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) من المصادر الهامة التي أمدتنا بالمعلومات الوافرة ، وهو أول من أفاد من ابن عبد الحكم وكان لاتباعه للولاة والقضاة ، أكبر الفائدة ، في معرفة أحوال البلاد ، وهو يتتبع الولاة حتى وفاة الإخشيد سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م ، وقد أمدنا بمعلومات صافية عن الهجرات العربية إلى مصر وبداية استقرارها واستيطانها في مدينة قفط وبين الثورات والفتن المختلفة التي قام بها الأقباط والعلويون والأمويون وموقف الولاة والحكومة الإسلامية من هذه الثورات، كما أمدنا كذلك بآراء القضاة ومواقفهم فيما كان يدور من معاملات .

ومن المصادر الهامة التي اعتمدت عليها، كتاب "تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية" المعروف بسير البيعة المقدسة نشره يسى عبد المسيح وعزيز سوريال عطية ، للقاهرة ، جمعية الآثار القبطية ١٩٥٩-١٩٧٤ لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونيين توفي أواخر القرن الرابع الهجري /

أواخر القرن العاشر الميلادى، والمطبوع فى باريس ، ١٩٠٧ م وما بعدها ، ج ١ ، ٢ وذلك فى تتبع أحوال مصر قبل الفتح الإسلامى وبعده ، ومعرفة أحوال المصريين فى مدينة ققط حينذاك ، وكذلك أحوال مصر الاقتصادية والاجتماعية ، وتعاون المصريين مع المسلمين الفاتحين بالمدينة ثم ثورات الأقباط ، وخاصة فى زمن الخليفة المأمون ، وقد أسهب فى ذكر هذه الثورة وهى آخر ثورات الأقباط - ودهاء المأمون فى القضاء على هذه الثورة سنة ٢١٧ هـ / ٨٣٢ م ، وكذلك أمدنا بمعلومات قيمة عن انتشار اللغة العربية والإسلام ، كما أمدنا بصورة عن موقف الولاة والحكومة الإسلامية ، خاصة فيما يتعلق بهجرة الفلاحين وتركهم لقراهم .

ومن المصادر الهامة أيضا "تاريخ الكنائس والأديرة" لأبى المكارم عاش فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى الجزء الأول إعداد وتعليق الراهب صمويل السريانى (القاهرة ١٩٨٤م) اعتمادا على نسخة باريس. نشر الراهب صمويل هذا الكتاب اعتمادا على صورة المخطوطة ، والجزء الثانى تحقيق B.TA. - Evets لندن ١٨٩٥م، عندما نشر الجزء الثانى اعتمادا على نسخة خطية مؤرخة فى ١١٩١م. كانت فى ملك أو فى حوزة أحد أقباط طنطا ، أطلع عليها على مبارك بنفسه واستفاد منها كثيرا فى الجزء السادس من خطته وهو يتكلم عن كنائس القاهرة .

وثبت هذه النسخة أن مؤلف الكتاب هو أبو المكارم سعد الله ، وقد نشر هذا الكتاب الراهب صمويل اعتمادا على صورة من هذه المخطوطة التى أخرجت خارج مصر وهذه النشرة التى كتبها ناشرها بخط يد لا تتناسب مع قيمة هذا السفر العظيم وأهميته الكبيرة ومما لا شك فيه أن هذا الكتاب القيم فى حاجة ماسة إلى إعادة نشره بمنهج علمى والحقيقة إننى استفدت كثيرا من هذا الكتاب فى كل فصول الرسالة فقد أمدنى بمادة علمية وفيرة

وظفتها فى مراحل الفتح العربى لمصر بصفة عامة ومدينة قفط بصفة خاصة.

وكذلك فى الثورات التى ظهرت فى عصر الولاة ، هذا فضلا عن استفادتى به فى العصر الفاطمى والناحية الاجتماعية والاقتصادية .

كما كان لكتاب ابن ممتى (المتوفى ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) "قوانين الدواوين" فائدة كبيرة فى معرفة أحوال مدينة قفط الزراعية وتنظيماتها وأنواع الزراعة والمحاصيل وطرق المساحة ، وعلاقة التقويم القبطى بالزراعة وأنواع الأراضى المصرية .

وكانت لكتب المقرئى (المتوفى ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) فائدة كبيرة، فهى حافلة بالمعلومات الهامة والوفيرة عن أحوال مصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية وهو يتتبع فى كتابه "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" كافة نواحى مصر ومدنها وريفها منذ بداية الفتح وكذلك استقرار العرب بها ونزولهم إلى إقليم الصعيد الأعلى وعملهم بالزراعة واختلاطهم بالمصريين ، كما تتبّع الثورات والفتن المختلفة فى المدينة وموقف الولاة من أحداثها .

وكان لكتاب "البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب" أهمية بالغة فى معرفة القبائل العربية فى مصر ومواطن استقرارها فى كافة أنحاء البلاد، وتطور هذا الاستقرار إلى أن شمل معظم أنحاء الصعيد الأعلى.

كما كان لكتاب أبى المحاسن (المتوفى ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) "النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة" فائدة كبيرة خاصة فيما يتعلق بتتبع الولاة وحياة مصر فى عهدهم وبداية الفتح الإسلامى ووفود القبائل العربية، والفتن والثورات التى قامت فى مصر وكيفية القضاء عليها، كما أنه أمدنا بثبت لمقياس النيل طوال الفترة التى نحن بصدد دراستها.

كما اعتمد البحث على كتب القلقشندي (المتوفى ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) "صبح الأعشى فى صناعة الإنشا" وكتاب "تهاية الأرب فى معرفة قبائل العرب" وكتاب "قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان" فقدمت هذه الكتب دليلاً واضحاً لأسباب العرب بالصعيد الأعلى، وأماكن هذه القبائل فى كل مدينة، وذكرت كثيراً من الأحداث التى شاركت فيها القبائل فى مصر والصعيد الأعلى .

كما أفدت كثيراً من كتب التاريخ العام، وخاصة كتاب الطبرى (المتوفى ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) .

"تاريخ الأمم والملوك" وخاصة فيما يتعلق بأحداث الفتح والمعاهدة التى وقعها المسلمون مع المصريين وباقى أحداث مصر للسياسية، وكذلك أفدت من كتاب ابن الأثير (المتوفى ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م) "الكامل" وخاصة فيما يتعلق بمعاملة المتوكل لأهل الذمة وسياسته المتشددة فى هذا السبيل.

كما استفدت من كتب السيوطى (المتوفى ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) "حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة" وكتاب "بغية الوعاة فى طبقات النحويين واللغة" فأظهر كثيراً من العلماء العرب فى مدينة قفط الذين برعوا فى علوم الدين واللغة والنحو، وأفادنا كتاب "حسن المحاضرة" إفادة عظيمة فى معرفة العلماء العرب من أهل المدينة.

وجاء كتاب الأندلس (المتوفى ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) "الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد الذى أفاض بذكر كثير من علماء الصعيد شتى العلوم والعصور ومن بلدان الصعيد المختلفة ، كما ألقى الضوء على أحوال الصعيد الاقتصادية والاجتماعية وأنواع الزراعات والحياة فى هذا الإقليم .

رابعاً : المراجع العربية الحديثة

وجاءت المراجع العربية التى فى أهمها كتاب الدكتور سيدة إسماعيل الكاشف "مصر فى فجر الإسلام " و"مصر فى عصر الإخشيديين" و"مصر فى عصر الولاة" وقد كانت من أهم المراجع التى رسمت المعالم الرئيسية للنشاط السياسى والاجتماعى والاقتصادى المبكر لإقليم الصعيد الأعلى ومدينة قفط .

ومن أبرز المراجع كتابا " القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة " والقرآن الكريم وعلومه فى مصر (٢٠ - ٣٥٨ هـ) والكتابان تأليف الدكتور عبد الله خورشيد البرى ، وقد كان من أهم المراجع التى رسمت المعالم الرئيسية للبناء الاجتماعى والنشاط العلمى فى مدينة قفط وكانا الأساس الذى قادنا إلى الدراسة التفصيلية لهذا البحث .

ومن المراجع الحديثة التى اعتمدت عليها كتابا "أسوان فى العصور الوسطى " للدكتور محمود محمد الحويرى وكتاب "دور القبائل العربية فى صعيد مصر للدكتور ممدوح عبد الرحمن عبد الرحيم الربطى عند بحث الحياة السياسية والاقتصادية ودور القبائل فى الصعيد الأعلى.

كذلك من أهم المراجع الحديثة التى اعتمدت عليها كتابا "الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى" الحركة العلمية فى جامع عمرو فى عصر الولاة "للدكتور السيد طه أبوسديرة وقد كان كتابه الأول من أهم المراجع التى رسمت لى المعالم الرئيسية لنواحي الاقتصادية، وكان الأساس الذى تتبعتة فى دراسة هذا الفصل، وكتابته الثانى من أهم المراجع التى رسمت المعالم الرئيسية للنهضة العلمية فى مدينة قفط وكان الأساس الذى تتبعتة فى دراسة الفصل الخاص بالنهضة الفكرية بالمدينة.

ومن المراجع الحديثة التي أفدت منها كتاب " الحضارة الإسلامية " في القرن الرابع الهجري للأستاذ : أدم مئز وقد حوى هذا الكتاب كثيراً من مظاهر الحضارة في المدن وبه معلومات وفيرة عن النواحي الاقتصادية وأحوال المدن في الصعيد الأعلى.

ومن المراجع الحديثة التي اعتمدت عليها كتاب "رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان" الذي ترجمه إلى اللغة العربية فؤاد أندراوس فاستفدت منه عند بحث طرق التجارة المتفرعة من قفط إلى بلاد السودان والصحراء الشرقية في العصر الإسلامي بالإضافة إلى ذلك السلع التي ترد من السودان إلى مصر. وعلى أية حال ، فإن هذا الكتاب لاغنى عنه لباحث عند دراسة أى موضوع يخص بلاد السودان.

هذا فضلاً عن عدد آخر من المراجع العربية الحديثة التي ذكرناها في قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.

خامساً : المراجع الأجنبية التي اعتمدت عليها :-

Heyde : Histoire du Commerce du Levant au moyen age Z
Vols, Leipzig, (1885)

وقد أمدنا هذا المؤلف بمعلومات وفيرة عن تجارة مصر الخارجية وطرق التجارة والمواصلات.

كذلك كتاب " الطولونيون " للدكتور زكى محمد حسن الذى نشر في باريس سنة ١٩٣٧م بالفرنسية.

D. Zaky Hassan : Les Tulunides. etudes L,Egypte
Musulmane ala Fin du Lxesiacle (Paris, 1937)

أمدنا بمعلومات عظيمة عن العصر الطولونى ، وعن حياة العرب السياسية والاجتماعية ، فى هذا العصر.

ومن أهم المراجع الإفرنجية التي أفادني في هذا البحث :

Jean Cloud Garcin : Un Centre Musulman de La Haute Egypt Medievale, Qus (Lecaire, 1976)

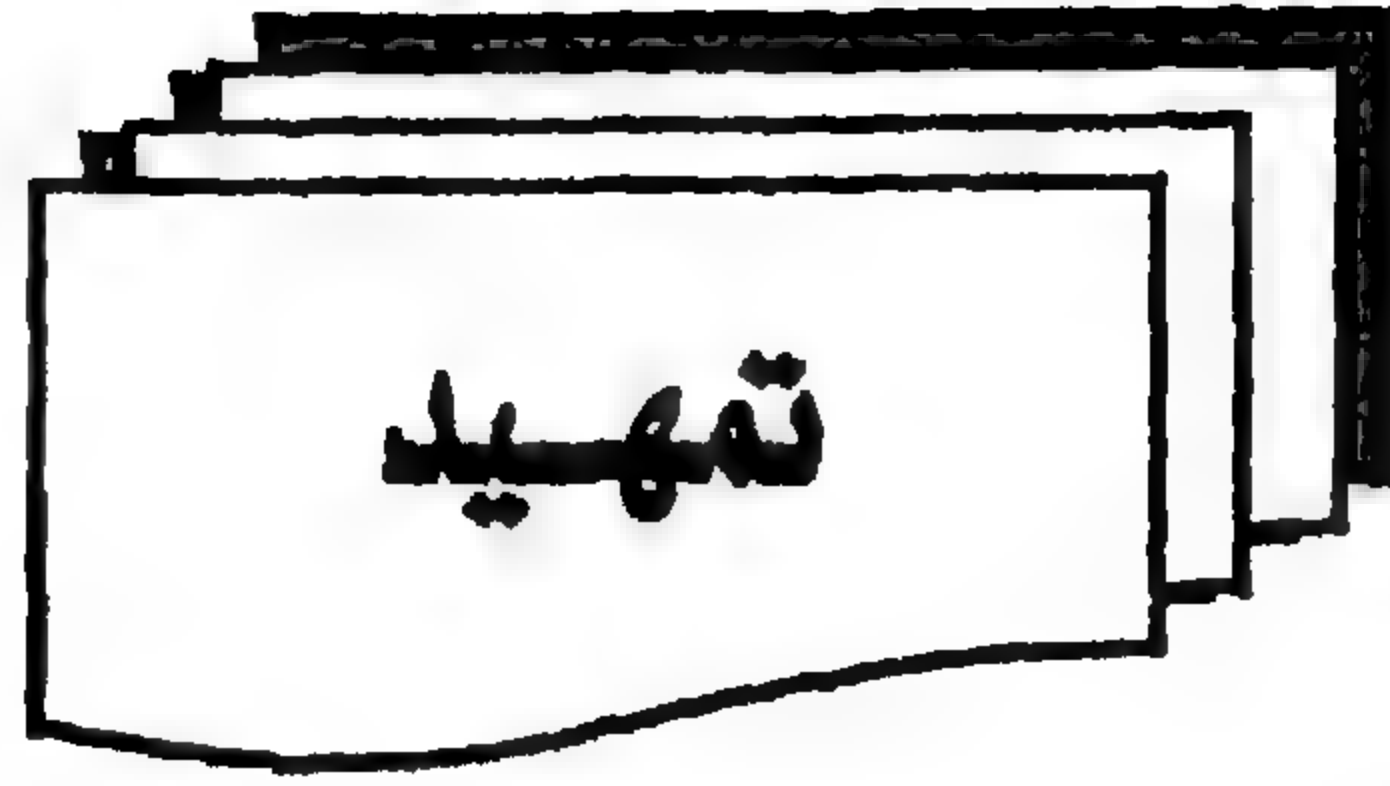
لمؤلفه جان كلود جارسان فقد توجه هذا المؤلف إلى مدينة قوص وقضى بها وقت لإعداد كتابه الذي يتناول تاريخ قوص عبر العصور المختلفة وفي الحقيقة أفادني هذا الكتاب إلى حد بعيد إذ ألقى الضوء على كثير من الموضوعات البحث حيث أفراد في المقدمة جزءا بالشرح عن جغرافية الصعيد الأعلى وبيان أهمية ذلك الموقع وأفادني معالجة كثير من فصول البحث.

ومن أهم المراجع :

Johnson & West : Byzantine Egypte Economic Studies, (printon 1949)

وقد أفادني وأمدنا بمادة وفيرة عن نظام المال والزراعة والتجارة والصناعة في مصر قبل الفتح العربي.

* * * * *



- موقع قفط قبيل الفتح الإسلامي لمصر .
- علاقات العرب بمدينة قفط قبيل الفتح الإسلامي .
- عناصر السكان وأحوالهم الدينية والاقتصادية والثقافية بالمدينة .

تمهيد :-

موقع قفط قبيل الفتح الإسلامى :-

تقع مدينة قفط ^(١) فى صعيد مصر، على مقربة من الشاطئ الشرقى لنهر النيل فهى لا تبعد عنه أكثر من ٢ كيلو متر، كما تبعد عن من البحر الأحمر من الشرق بحوالى ٨٠ كيلو متر بفضل وقوعها عند وادى زيدون ^(٢)، وهى بذلك أقرب ما تكون إلى ساحل البحر الأحمر، وساعد هذا الموقع على اختصار المسافة بين النيل والبحر الأحمر ^(٣)، بواسطة الأودية الصحراوية والدروب القديمة التى استخدمت كطرق حيوية عبر الصحراء الشرقية ^(٤)، كما ساهمت فى مد طريق التجارة البحرى إلى بلاد بنت وفى الوقت نفسه عملت على استغلال موارد الصحراء الشرقية المعدنية ^(٥).

وتتصل قفط من الغرب بالوحدات الخارجة ، وماوراءها من دروب ومسالك الصحراء، الأمر الذى زاد فى أهمية النشاط التجارى فى هذه المنطقة، ومن هذا اكتسبت قفط أهميتها ، وقدر لها أن تؤدى دوراً بارزاً قبل الفتح الإسلامى للديار المصرية.

(١) قفط : مدينة فى صعيد مصر ، من أعمال محافظة قنا ، وتقع فى منتصف ثنية قنا ، عند أقرب نقطة لانحناء النيل على طول ضفتى امتداد النيل ، وتقع على 'الضفة اليسرى من النيل'، فهى تبعد عن مدينة القاهرة حوالى ٦٤٠ كيلو متر جنوباً ، وشمال مدينة أسوان بحوالى ٢٥٠ كيلو متر ، وتبعد عن الأقصر بحوالى ٤٠ كيلو متر ، وتبعد عن مدينة قنا بحوالى ٢٥ كيلو متر جنوباً محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ج ٤ ، ص ١٧٧ ، سليم حسن : أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى (القاهرة ١٩٤٤) ص ٣٤ .

(٢) وادى زيدون هو أحد أودية الصحراء الشرقية الجافة التى بالموارد المعدنية محمد صبرى محسوب : جغرافية الصحارى المصرية ، الصحراء الشرقية (القاهرة ١٩٩٠) ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

T.A Tergenza: The Red Sea Mountains Of Egypt, London, (New york 1995) pp.42-44.

(٣) سليمان حزين : حضارة مصر . (الهيئة العامة للكتاب) ص ٤٢ .

(٤) محمد صبرى محسوب : المرجع السابق والجزء ، ص ٢٦ - ٢٧ .

The Encyclopaedia of Islam art (kift)

(٥) محمد صبرى محسوب : المرجع السابق والجزء والصفحة .

وكان لاعتدال مناخها وطيب هوائها أثراً فعالاً منذ القدم ، فقد اتخذها المصريون القدماء قسبة لإقليم مصر العليا الواقع فى أقصى جنوب مصر^(١).

واستخدمت النظم المالية والإدارية البيزنطية فى إقليم فقط كغيره من الأقاليم أو الولايات المصرية قبل الفتح الإسلامى، حيث كان هذا الإقليم يعد الولاية الثالثة التى تشمل مصر العليا ، وكانت مصر كلها مقسمة إلى ثلاث ولايات أساسية^(٢) كان حاكم الإقليم يحمل لقب Praeses ، ثم تحولت مصر إلى نوقية فاستعادت بذلك وحدتها الإدارية ، وأصبحت تخضع لحاكم عام واحد هو الوالى الأوجستالى Praefectus ' augustails^(٣) .

ونتيجة للتقسيم الإدارى فقد كان يحكم مدينة فقط والذى كان يدعى "Logistes" حيث كان مجلس المدينة ينتخبه ، وقد صارت له سلطات متعددة مثل إعداد ميزانية المدينة والإشراف على نقابات العمال والتجار، وتقدير الضرائب ، والإشراف على الأمن وتموين المدينة^(٤) .

اشتمل النظام الإدارى المالى على موظفاً آخر يسمى حامية المدينة ، وكان واجبه الأساسى حماية دافعى الضرائب من جامعها، وكان له سلطة اعتقال أى شخص أوضعه تحت المراقبة أو تحديد إقامته بالمدينة إذا كان متهماً بإضرار شخص آخر^(٥) .

(١) حسن خضيرى أحمد: مدينة فقط وتطورها السياسى من الفتح العربى حتى منتصف ق ٤هـ، مجلة كلية الآداب، جامعة جنوب الوادى ، العدد الرابع ، ١٩٩٥ ، ص ٢١١ .

(٢) السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، (القاهرة ١٩٦١م) ، ص ٨٠ .

(٣) مراد كامل : من دقلديانوس إلى دخول العرب فى تاريخ الحضارة المصرية ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ .

(٤) مصطفى العبادى : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ، (القاهرة ١٩٩٢م) ، ص ٣١٥ .

(٥) السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، ص ٨١ ، مصطفى العبادى : المرجع السابق والصفحة

كذلك كان فى إقليم قفط وظيفة الموظف المالى Exaetar الذى تولى أهم وظيفة بالنسبة للحكومة المركزية وهى جمع الضرائب . ولكن يبدو أن هذا الموظف كان قاصراً على مدن الإقليم (١) .

كما توجد بإقليم قفط المجالس المنتخبة boule والتي استمرت تحمل المسئوليات الإدارية ، ولكن بمرور الوقت فقدت كل معانى الحكم المحلى إذ أصبح أعضاء هذه المجالس يكونون طبقة وراثية هى الطبقة الثرية فى كل مدينة (٢)، أدى هذا التقسيم إلى تفاقم الظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة، وترتب على ذلك اضطراب الإدارة وضعف الحكومة المركزية ضعفاً شديداً جعلها عاجزة عن تحمل أعبائها ، ولذلك تحملت الكنيسة وكبار الملاك (٣) وظهرت الضياع الأوتوبراجية (٤) .

أما عن تسمية قفط بهذا الاسم الذى تحمله فقد ذكرها جوتيه (٥) فى قاموسه باسمها العربى قفط ، والرومى Koptos ، ويرجح أحد

(١) السيد البار العرنى : المرجع السابق ، ص ٨٢ ، ناصر الأنصارى : المجلد فى تاريخ مصر النظم السياسة والإدارية ، (دار الشروق الطبعة الثانية ١٩٩٢ م) ، ص ٩٢ .

(٢) مراد كامل : من دقلديانوس إلى دخول العرب فى تاريخ الحضارة المصرية ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ ، مصطفى العبادى : المرجع السابق والصفحة .

(٣) مصطفى العبادى : المرجع السابق والصفحة ، ناصر الأنصارى : المرجع السابق ص ٩٢ .

(٤) الضياع الأوتوبراجية : هى الأبعاديات التى تتمتع بحق دفع الضرائب مباشرة للحاكم العام دون تدخل المشرفين على الإدارة المحلية فى المدينة . دانييل دينيت : الجزية والإسلام ، ترجمة فوزى فهم جاد الله (بيروت ١٩٦٠ م) ص ١١٥ .

Johnson : Byzantine Egypt Economie Studies, (1949) pp.74-75 .

(٥) فقد ذكر أن اسمها المصرى Qeptu ، Qebti والتبطنى KEPTW أو KEPTOU ومنه اسمها العربى قفط والرومى Koptos أو Koptou " كيبوتس "

H. Gouthier : Dictionnaire des noms geographiques Contenus dans le Textes, le Cairo , 1928, p. 178.

وكلمة قفط تعنى بالهيراوغليفية جيبيتوى Gbtyw ومعناها دليل القافلة أو الكيس أو الجمال وذلك لوجود المخصص الذى يشبه الكيس أو الصرة ومن هنا أطلق عليها بلد القوافل

عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وأثارها ، (القاهرة ١٩٦٢) ، ج ١ ، ص ٣٥ ، سليم حسن : أقسام مصر الجغرافية ، ص ٤٦ . وكلمة قفط بالرومانية Sp. T. ntr ومعناها مقاطعة الإلهين ست وحورس

Henery George Fischer : Inscriptions From the Coptit , p.1

الباحثين^(١) إن اسم قفط يعنى بالهيروغليفية بلد القوافل ، بينما يشير ابن عبدالحكم إلى أن سبب التسمية إنما يرجع إلى قفط ابن مصر ، وأن الفرعون ملك مصر ، أقطع إينه قفط هذا المكان فسكنها وبه سميت قفط ، وما فوقها إلى أسوان ، ومادونها إلى الأشمونيين الواقعة إلى الشمال من (مينة بنى الخصيب)^(٢) .

ويتضح لنا من رواية المسعودي^(٤) وغيرها من روايات المؤرخين حول التسمية بقفط إنما تدل على إقامة الأقباط بها منذ العصور القديمة، حيث كانت العاصمة للمقاطعة الخامسة بالوجه القبلي^(٥)، كما كانت مرتبطة باستغلال المعادن من التلال التى تقع بين النيل والبحر الأحمر^(٦)، حيث كان ملوك مصر القديمة يسخرون الأسرى للعمل فى استخراج الذهب من هذه

(١) اسماعيل عبدالفتاح محمد : طريق قفط القصير عبر العصور القديمة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى ، جامعة الزقازيق ، ١٩٩٣ ، ص ٣٠ .

(٢) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها (القاهرة ١٩٩١ م) ، ص ٩ مينة بنى الخصيب المنيا حالياً

(٤) يورد المسعودي أنه كان لمصر أربعة أولاد وهم قبط ، وأشمون ، وأريب ، وصار ، فقسم الأرض بينهم أربعاً . أرض مصر وعهد إلى الأبن الأكبر منهم وهو قبط ، وأقباط مصر يضافون فى النسب إلى أبيهم قبط بن مصر ، وأضيفت هذه المواضع إلى ساكنيها وعرفت بأسمائهم . المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، (طبعة بيروت ١٩٨٢ م) ج ٢ ، ص ٢١ فى حين يذكر لنا المقرئى فينقل لنا عن ابن وصف شاه صاحب كتاب مختصر العجائب أن هذه المدينة عرفت " بقفطيم بن قبطيم بن مصرام بن يصر بن حام بن نوح عليه السلام وكانت مدينة الإقليم " ويستورد المقرئى بقوله : " وكان قفطيم أكبر أولاد أبيه وكان جباراً ، وهو الذى وضع أساسات الأهرام الدهشورية وغيرها ، وهو الذى بنى بلدة دندرة ، وهلك عاد بالريح فى آخر أيامه ، وعمل من العجائب شيئاً كثيراً وبنى مناراً عالياً على جبل قفط يرى منه البحر الشرقى " المقرئى : الخطط المعروفة بالمواضع والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، (القاهرة ١٩٩٠) ، ج ١ ، ص ٢٢٢ ، ابن دلقاق : الانتصار بواسطة عقد الأمصار ، ج ٥ ، ص ٢٣ .

(٥) سليم حسن : أقسام مصر الجغرافية فى العهد الفرعونى ص ٤٢ - ٤٣ .

(٦) Enc. , of Islam ort (Kift)

المناجم فى وادى الحمامات، وقطع الأحجار من المحاجر الموجودة فى الصحراء الشرقية، وكان الإله "مين" هو معبود قفت (١) .

ازدهرت مدينة قفت تجارياً خلال حكم البطالمة لمصر ، حتى أنه يقال أن بطليموس فيلادلفوس — أحد حكام البطالمة أول من سار بجيشه عبر طريق قفت البحر الأحمر، وأنشأ فيه المحطات كما لو كانت خصيصاً للقوافل (٢)، وقام بإصلاح ميناء ليكوس ليمون Lecus limen الميناء الأبيض وهو ميناء القصير الحالى (٣)، وأنشأ أيضاً العديد من الموانى على طوال ساحل البحر الأحمر ، ولم يهمل طريق قفت — القصير ، فنشط هذا الطريق لرعاية مصالحهم التجارية مع بلاد الجزيرة العربية واستغلال المناجم والمحاجر بالمنطقة (٤) ويمكن القول أن البطالمة بذلوا جهوداً كبيرة لجذب المرور نحو وادى النيل (٥).

استخدم طريق قفت القصير فى الوصول إلى الهند (٦)، وجلب منتجات أسيا الجنوبية الشرقية بسفنهم الخاصة (٧)، وأهتموا باستثمار الموارد المعدنية من مناجم الزمرد ، وكذلك قطع الأحجار من المحاجر الرخامية والتى كان يتم شحنها عبر النيل إلى قنا ، وكانت الملاحة تتم فى النيل إلى قفت (كيبوتس Koptos) عن طريق استخدام الرياح (٨).

(١) Jean Cloud Garcin : Un Centre Musulman Dela Hute Egypt Medievale Qus , (Le Caire , 1976) pp -19 -20

(٢) استرابون (٦٦ قدم -٢٤م) إسترابون فى مصر ، نقله من اليونانية ، د . وهيب كامل (القاهرة ١٩٥٣م) ، ص ١١١ .

(٣) عطية القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر (القاهرة ١٩٧٦م) ، ص ٢١ -20 -19 . Garcin : Ibid , pp .

(٤) Garcin : Ibid -20- 21.

(٥) إبراهيم دسوقي محمود : الطرق التجارية القديمة وأثارها الحضارية ، (المنيا ٢٠٠٠م) ص ١٩٢ -١٩٣
Murray : The Roman roads And Stations in the Eastern desert of Egypt in the Journal of Egypt Ar chaeology, V.xl III, (1959), p.56.

(٦) إبراهيم دسوقي : المراجع السابق ، ص ١٦٤ . W M Finders Petrine : Koptos , London , 1896 , p .7

(٧) Johnson : Byzantine Egypt Economic Studies (princeton 1949) p107

(٨) إسترابون : استرابون فى مصر ، ص ١١١ ،

**** علاقات العرب بمدينة قفط قبيل الفتح الإسلامي :-**

نزح العرب إلى مصر من شبه الجزيرة العربية منذ عهود سحيقة
ففى سنة ٣٥٠٠ ق . م جاءت أقوام سامية من عرب آسيا من شمال شبه
الجزيرة العربية ، وغزوا وادى النيل، وأحدثوا بعض المتغيرات على الشعب
الحامى - شعب مصر ما بين أسوان والبحر المتوسط^(١) وكانت شبه جزيرة
سيناء الطريق الأول لقدم العرب إلى مصر، أما الطريق الثانى فهو طريق
البحر الأحمر^(٢) ونتيجة لذلك قطنت أقوام منها فى الصحراء الشرقية
المتاخمة لحدود مدينة قفط^(٣).

ومن القرن الأول الميلادى فان حركة التجارة من قفط إلى البحر الأحمر كانت رالجة كما يصف ذلك
استرابون (٦٦ ق . م - ٢٤ م) فى قوله : " وكان تجار القوافل يسرون ليلاً مهتدين بالنجوم ، وكانوا
كالملاحين يحملون الماء على ظهور الجمال ، أما الآن فقد أعدوا الأبار بأن احتفروا على عمق بعيد ،
وصنعوا صهاريج للأمطار مع أنها نادرة " ، كما كانت مسافة الطريق حفر قنوات عميقة فى باطن
الأرض . استرابون : استرابون فى مصر ، ص ١١٢ ، ابراهيم دسوقي محمود : المرجع السابق ،
ص ٢٢٠ . كما كان من أهم السلع التى كانت تستورد فى العهد الرومانى من جنوب الجزيرة العربية اللبان .
المر ولقد كانت إبان العهد الرومانى تصدر عبر طريق قفط القصير بعض السلع إلى بلاد اليمن وعمان والهند
والبرونز مما يوضح أنه كانت آنذاك صلات تجارية بين مصر وعمان والهند ، وكان هناك تأثيرات
ومؤثرات حضارية هامة . نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم (القاهرة ١٩٦٦ م) ،
ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

Steven Side Botham : Roman Economic Policy in Erythra Tha- La-ssa , pp 13- 15 .

(١) برستد : تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسى ، ص ١٧ .

(٢) برستد : المرجع السابق والصفحة .

(٣) سليم حسن : مصر القديمة (مطبعة الكوثر بمصر) ج ١ ، ص ١٤٢ ، ولقد عثر فى أنار الأسرة
الفرعونية الأولى على رسوم تمثل البدو ، وكانت كلمة " عمو " معناها بدوى أو أترى ، ووجدت أيضاً
علاقات تجارية بين عرب حضرموت ، وعمان ، واليمن مع بلاد مصر ، وكانت كلمة " بولت " تشمل
هذه البلاد مع الصومال . محمد كامل حسين : أدب مصر الإسلامية ، ص ١٢ . وكان قدوم الهكسوس
إلى مصر ، فى أثناء عصر الأسرة الثالثة عشرة الفرعونية يمثل إحدى حلقات موجات العرب القادمة
إلى مصر ، لأن بعض المؤرخين وجدوا أدلة تثبت على عروبة الهكسوس . عبدالمجيد عابدين : البيان
والإعراب (القاهرة ١٩٦١ م) ، ص ٧٩ ، ٧٨ . ولدمت أيضاً هجرة عربية من قبائل حمير ، بعد عبورهم
البحر الأحمر إلى وادى النيل ، وكانت تمثل حملة على بلاد النوبة ووادى النيل . عطية القوصى : تاريخ
دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٢٧ .

نزحت بطون عربية من شبه الجزيرة العربية عن طريق البحر الأحمر واستقرت في مدينة قفط^(١) مما يدل على ذلك ما أورده استرابون (٦٦ ق . م - ٢٤م) في وصف مدينة قفط بقوله: "وهي مدينة مشاع بين المصريين والعرب"^(٢) ويأتى ذكر العرب عنده في أكثر من موضع في هذه الفترة الباكرة ، فقد ورد أسم العرب عند حديثه عن مناجم الزمرد والأحجار النفيسة عن طريق قفط البحر الأحمر، حيث يذكر أن العرب هم الذين يحتكرون استخراج هذه المعادن دون سواهم^(٣).

ونزحت بطون عربية إلى مدينة قفط، عبر البحر الأحمر ومعهم تجارتهم، كذلك بلغوا بعض بلدان مصر العليا، مثل طيبة وغيرها من المدن، وكان العرب يحملون التجارة على الجمال في قوافل تجارية من ميناء القصير إلى مدينة قفط ومنها عن طريق نهر النيل إلى مدينة الإسكندرية^(٤). في ضوء ذلك يمكن القول أن طريق قفط البحر الأحمر كان معبراً هاماً لتلك الهجرات العربية إلى جنوب وادى النيل منذ القدم، ونتيجة لذلك نزح العرب إلى مدينة قفط^(٥)، كما أن التجار العرب لم يتخذوا من مدينة قفط طريقاً يعبرون منه إلى مناطق أخرى من صعيد مصر فحسب بل عملوا على

(١) محمد عزة دروزة : عروبة مصر قبل الإسلام وبعده (القاهرة ١٩٦٣)، ص ٣، ووجدت نقوش ترجع إلى العصر الفرعوني موجودة على صخرة قرب مدينة إدفو التابعة الآن لمحافظة أسوان ونقش عليها حاكم الأسرة الثالثة الفرعونية وهو يرسل كتائب من جيشه لصد هجوم هؤلاء العرب . محمد عزة دروزة : المرجع السابق والصفحة

(٢) استرابون : استرابون في مصر، ص ١١١-١١٢ Garcin : Un centre Musulman , p. 24

(٣) استرابون : استرابون في مصر، ص ١١١، ١١٢ .

** توجد كتابات سبئية بالخط المسند على صخرة في وادى النيل .

Goleniseheff: Exeursion dans Le Ou a'di Hammamat ,Text russe Saint peter's bourg 1988 , p.1

(٤) مصطفى مسعد : البجة والعرب في العصور الوسطى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد الحادى والعشرون ، الجزء الثانى ، ديسمبر ١٩٥٩ م ، ص ١١ ، عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية في مصر خلال القرون الأولى للهجرة ، (القاهرة ١٩٩٢ م) ص ٣٦ .

(٥) عبد المجيد عابدين : دراسات في تاريخ العروبة في وادى النيل ، (الإسكندرية ١٩٨٩ م) ص ٧٧ .

الاستقرار حيث أصبحت لهم دورهم وحوانيتهم التجارية ومعابدهم في هذه المدينة^(١) حتى غدت فقط مدينة نصف عربية ، وذلك بعد أن استقر بها التجار العرب وأقاموا بصفة دائمة فيها.^(٢)

كما توافد على مدينة قفط من عرب الجنوب القحطانيين حيث خلفت تلك الجماعات العربية آثارها في البلاد وذلك قبل ظهور الإسلام، كما أمكنهم التواجد في تلك المنطقة المحصورة فيما بين النيل والبحر الأحمر.^(٣)

**** عناصر السكان وأحوالهم الدينية والاقتصادية والثقافية :-**

تعرضت مدينة قفط لموجات من الهجرات العربية منذ أقدم العصور، فضلاً عن أنها كانت ممراً للقبائل العربية والتجار العرب الذين يفدون من شبه الجزيرة العربية ، ثم يسلكون طرق واديان الصحراء الشرقية المتاخمة لحدود مدينة قفط^(٤)، ولقد أثبتت الحفريات أن بعض عرب الجنوب في

^(١) Garcin : Un Centre Musulman . pp. 22-23 .

^(٢) إبراهيم نصحي وآخرون : تاريخ الحضارة المصرية ، (طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة) ص ٣٦ . W.M. Flinders petrie : Koptos, pp. 8. 9

Briggs (L.C) : Tribes of Sahare, (London) 19 60, pp. 91.

^(٣) هيردوت : هيردوت يتحدث عن مصر ، ترجمة محمد صقر خفاجة ، (دار القلم ، القاهرة ١٩٦٦) ص ١٢٩ ، جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام (طبعة بغداد ، ١٩٥٢ م) ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ ،

Hassan (Y.F) : The Arabs and the sudan form the seventh to the early sixteenth-century (Edilutgh) pp.15 9.

مصطفى محمد سعد : البجة والعرب ، ص ٢٢ ، عبدالله خورشيد البري : القبائل العربية ، ص ١٠ Hassan : The Arabs and the Sudan , pp 1-5 .

^(٤) فقد أفادت النقوش أن مجموعة من عرب الشمال " الأنباط " من بلاد الشام قد استقروا في إقليم قفط ، ونشر Littman هذه النقوش التي بلغت ثلاثاً وثلاثين نقشاً أو خريشة عام ١٩٥٣ - ١٩٥٤ وتفيد بأن عرب الشمال من شبه الجزيرة العربية من الأنباط قد استقروا في مواضع كثيرة في منطقة قفط ، ومنطقة المعادن بالصحراء الشرقية . المقرئزي : البيان والإعراب عما بأرض مصر من الإعراب (القاهرة ١٩٦١ م) تحقيق عبدالمجيد عابدين ، ص ٧٩ ، ٨٢ ، ولقد استطاع الأنباط أن يؤسسوا لهم مستعمرة في إقليم قفط منذ القرن الثالث قبل الميلاد ، كما كان البعض منهم يجوبون تلك المنطقة كبذور حل ولم يختلطوا كثيراً بالمصريين .

جمال حمدان : شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان (القاهرة ١٩٨١ م) ، ج ٢ ، ص ٤٨٦ .

Littman (E) : Nubatacen inserptions from Egypt, (London 1960) pp.5-17.

الجزيرة العربية قد استقروا في هذه المدينة ، وشاركوا إخوانهم من عرب الشمال " الأنباط " في هذه المدينة ومنطقة المعادن^(١) ، وكانت تلك العناصر تأخذ طريقها عبر وادي الحمامات^(٢) ، وأشارت الحفريات إلى أن هؤلاء العرب كانوا يعملون بالتجارة لأن المواضع التي قطنوها بوادي الحمامات كانت عبارة عن ممرات تجارية تمر من خلالها قوافل التجار ببضائعهم المحملة على ظهور الإبل حتى تصل إلى أسواق الديار المصرية^(٣) ، ونظراً لأن هؤلاء السكان من العرب قد اتخذوا في تلك الكهوف مسكناً لهم فقد عرفوا بسكان الكهوف Trlodytiea^(٤).

ومن الجدير بالذكر أن تجار الأنباط وهم من عرب الشمال كانوا يحملون الأطياب ، والمر ، والتوابل ، والعطور ، والبخور ، والمنسوجات الحريرية من دمشق والصين ، والحنا العسقلاني ، واللؤلؤ من الخليج العربي ، هذا بالإضافة إلى بعض المنتجات المحلية كزيت السمسّم والذهب والفضة ، ومن ناحية الصناعات كانت صناعة الأواني الفخارية أهم ما كانوا يشتغلون به^(٥) ، هذا فضلاً عن القار الذي كان يستخدم في التحنيط في قوص^(٦) ،

(١) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ العرب قبل الإسلام ، (الناشر مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية) ص ١٦٨
عبدالفستاح التميمي : عبّروا مصر قبل الإسلام ، (القاهرة ١٩٩٣) ص ٢٦ ، ٦ ،
Littman (E) : Op. Cit, p. 7

(٢) محمد بيومي مهران : دراسة حول العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة ، مجلة اللغة العربية
جامعة الإمام السعودية العدد السادس سنة ١٩٧٦ م ، ص ٣٠١

(٣) بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٣٠١ ، ٣٠٢ . Hassan : The Arabs and Sudan, P.50
Hassan : Ibid , p.52

(٤) عبدالله خورشيد البري : القبائل العربية ، ص ٢٨ ، ٣١ ؛
(٥) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، نعيم زكي فهمي : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (القاهرة ١٩٧٣ م) ، ص ١٩١ ، ٢٢٨ ، محمد حسن عبدالكريم : التجارة وطرقها في الجزيرة العربية بعد الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٨٤ م ، ص ٣٦٦ .

(٦) يذكر جرسان أن لسم قوص " كوس " يعني التحنيط ، وكان رجال من هذه المدينة مهمتهم تحنيط الملوك
Garcin : Un Centre Mulman , p. 17 .
الفراعنة قبل دفنهم

بالإضافة إلى ذلك كان هناك عرب مدينة تدمر^(١)، استقروا في مدينة قفط منذ القرن الثاني الميلادي أما عن البقية من عرب قفط فمن المرجح أنهم أو معظمهم على الأقل من قبيلة بلى القحطانية^(٢)، يقول الهمداني^(٣) : " وما خلف الفرما إلى مصر للقط ، وأما تياسر نحو من بلد القبط فهو يمانى فيه بلى " ويفهم من هذا القول أن أرضهم امتدت إلى برزخ السويس ، ويبدو أن جماعات منهم قد تجاوزت إلى الصحراء الشرقية المتاخمة لحدود قفط^(٤)، فالمعروف أنهم بادية ، واختلطهم بقبائل البجة^(٥) الشماليين عن طريق الزواج مما يساعد على أن يحتفظوا ببدائنتهم وأنسابهم " ^(٦) .

وأشارت بعض المصادر إلى أن البيلين هم أحفاد البليميين ، وهم من قبيلة بلى القحطانية والتي كان يعمل منها عدد غير قليل في نقل التجارة

(١) تدمر: مدينة قديمة بالشام ، سميت بملكة من العمالقة بنتها وهي تدمر ابنة حسان ابن أذلية ابن السيمدع ابن هوثر بن عريب بن مآرب. نشوان الحميري : ملوك حمير وأشيال اليمن ، ص ٨٢-٨٣ ، السيد عبدالعزيز سالم ، المرجع السابق ، ١٧١ ، وبلغت مملكة تدمر ذروة مجدها في القرن الثالث الميلادي بفضل تملكها لناصية التجارة بين المشرق والبحر المتوسط ، وأهل تدمر عرب كالأنباط ولكنهم يكتبون بالأرامية . جورجى زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص ٩٨-١٠٠ ، سعد زغلول عبد الحميد : محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، (جامعة بيروت العربية ، الإسكندرية) ص ٨٧ ، ٩٢ وللمزيد من الدراسة راجع د. حسن خضير أحمد : مدينة قفط ، ص ٢١٦-٢١٩ .

(٢) بلى بن عمرو بن الحاف من قضاة الهمداني : الاكليل (المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٦٨هـ) ج ١٠ ، ص ٣

(٣) : صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن على الأكويع (بيروت ١٩٨٣) ص ٢٤٤ .

(٤) مصطفى العبادي : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ، (مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٢م) ص ٣١١-٣١٧

(٥) البجة : قبائل حامية تسكن الصحراء الشرقية المتاخمة لحدود قفط جنوبى مصر ، وتشمل أوطانهم الحالية الأراضى الواقعة بين البحر الأحمر شرقاً إلى النيل الأكبر ، ونهر المطيرة جنوباً . وحدد الإدريسي مناطق انتشار البجة تحديداً دقيقاً بقوله : " وتجاور أرض الحبشة في جهة الشمال أرض البجة وهي بين الحبشة والنوبة وأرض الصعيد " * نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج ١ ، ص ٤٦ . وهم أصحاب أخبية شعر ، وألوانهم أشد سواداً من الحبشة ، ولا قرى لهم ولا مدن ولا زرع إلا ما ينقل إليهم من مدن الحبشة ، ومصر والنوبة وأنسابهم من جهة النساء يورثون ابن البنت وابن الأخت دون ولد الصلب ، ولم يكن لهم عهد ولا صلح . المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

(٦) الهمداني : الاكليل ، ج ١٠ ، ص ١١ .

على طريق قفط البحر الأحمر ، وكان يعتمدون عليهم في التجارة الهندية^(١) ، ولعل بعضهم ظلوا على بداوتهم وعاشوا مع قبائل البجة ، كما استطاعوا أن يفرضوا سلطانهم على معظم هذه القبائل عن طريق الزواج^(٢) ، وكان منهم عدد كبير في مصر في القرن الثاني الميلادي ، وكان مواضعهم ما بين القصير وقنا^(٣) ، ويبدو أنهم استقروا في قفط حيث كانت ملائمة لبيئتهم^(٤) . كما كانت تلك الهجرات العربية للمتلاحقة والتي نزلت إلى مدينة قفط تمثل المرحلة الأولى في التأثير عربياً في جنوب الوادي بحكم أن مدينة قفط كانت قسبة الإقليم في ذلك الوقت ، ولم تكن المدينة الصغيرة التي نعرفها الآن^(٥) ، يدعم هذا الرأي اللوحة الأثرية الموجودة بوادي الحمامات ، وكتب عليها باللغة العربية كلمة للتوحيد بالخط الكوفي^(٦) .

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٢٧ ، ابن السودي : خريدة العجائب (القاهرة بدون تاريخ) ص ٢٢ ، ٢١ ، ١٧ ، جورجى زبدان : العرب قبل الإسلام ، ص ١٧٣ ، وتشير الدراسات الحديثة إلى أن البليميين من العرب في مدلول لفظ بليميين أو بليين ، في اللغة البداوية أى لغة البجة ، وذلك أن البجة يطلقون على العرب في لغتهم البداوية هذه اسم Belawye ومن هذا يمكن القول أن البليين هم أحفاد البليميين وانتهى الأمر بترجيح بعض الباحثين إلى أن البليميين كلهم أو معظمهم ينتهون إلى قبيلة بلى العربية حتى أن كلمة Blemmyes تعدل في اللغة البداوية كلمة عرب . مصطفى محمد سعد : البجة والعرب ، ص ١٣ Hassan : The Arabs and the Sudan, p.14

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٢٧ ، جورجى زبدان : العرب قبل الإسلام ، ص ١٧٤ .

(٣) عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (بيروت ١٩٩١ م) ، ص ١٠٧ .

(٤) والواقع أن العرب لم يجهلوا ثروة مصر حينذاك خصوصاً وقد جاء كثير منهم للتجارة في أيام الجاهلية تذكر منهم عمرو بن العاص وعثمان بن عفان والمنيرة بن شعبة ولا بد أن كثيراً من الأعراب والتجار ويبدو أن العرب كانوا يفتدون إلى الصعيد ولرى ومدن الإقليم كله بطريق البحر الأحمر ووديان الصحراء الشرقية المتاخمة لحدود مدينة قفط حتى قيل أنها نصف عربية . ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٣ ، ٥٥ ، الكسندى : السولاة والقضاة ، ص ٧ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٩٩ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١١٣ ، سيدة الكاشف : مصر في فجر الإسلام ، (الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٩ م) ص ٩ ، ١٠ .

(٥) عبدالمجيد عابدين : دراسات في تاريخ العروبة ، ص ٩١ .

The Coptic Encylopedia, Aziz, S. Atiya, New Yourk, V.7 . art (Qift)

(٦) هذه اللوحة تحمل مجموعة من الكتابات القديمة المصرية والتبعية والسبئية العربية .

Goleniseheff : Exeur Sion dans Leouc di Hammamati p.1

وبطبيعة الحال فقد كان يقطن مدينة قفط العنصر القبطى وهم سكانها الأصليين كما كان يطلق عليهم الأقباط ^(١) ، حيث كانوا يعملون بالزراعة والتجارة وقد اتخذت الدولة البيزنطية فى بداية عهدها سياسة عدم تجنيد المصريين فى الجيش ولكنها غيرت سياستها التى اتبعتها فى أول الأمر ^(٢) ، إذ دلت أوراق البردى على أن معظم الجنود فى هذا الجيش قبيل الفتح كانوا من الأقباط وأنهم كانوا يجندون إما بالاقتراع أو بالتطوع أو بالوراثة ^(٣) ، وكانت مهمة هذا الجيش فى مدينة قفط هى مساعدة الموظفين فى أعمالهم والقضاء على قطاع الطرق وإخماد الثورات الدينية والمشاركة فى جباية الضرائب ^(٤) .

أحوال العرب والأقباط فى مدينة قفط قبل الفتح الإسلامى :-

كانت مصر من البلاد التى انتقلت إليها المسيحية منذ القرن الأول الميلادى حيث أخذت فى الانتشار فى سائر أنحاء الديار المصرية ^(٥) ، وكانت منطقة قفط فى طليعة البلاد المصرية التى تسربت إليها المسيحية، فقبط قفط يعتقدون أن المسيح كان بالبهنسا ثم عاد منها إلى القدس ^(٦) ، كما أجمع

(١) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٢٨٦ . Munier: L'Egypte ByZantine, pp.77-78

(٢) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام، ص ٩-١٠ .

(٣) Munier : Op-Cit pp 77-78 .

** حافظت قفط على مكانتها الحضارية وأهميتها كبوابة شرقية خلال العصر البطلمى والرومانى (٣٣٢ ق م، ٢٨٤ م) وازدهرت خلال هذه الفترة "كوبتوس Coptos" وهو اسمها الذى عرفت به طوال هذه المرحلة ، وكانت خلالها المدينة المشاعة لكل المصريين والعرب ولذا أطلق على المدينة نصف العربية ، حسب وصف استرابون ، وبلغت قفط فى العصر البطلمى (٣٢٣-٢١٠ ق م) درجة انزوت معها كل مدن ثنية قنا حيث لم تكن كينا بوليس Cainpolis (قنا) قد أخذت وضعها كمدينة كبرى ولم تلعب دوراً حضارياً داخل إقليمها سوى ارتباطها بالميناء البحرى على ساحل البحر الأحمر وكذلك الحال أبوللو Apollo (قوص) والتى لم تشكل سوى قرية صغيرة تابعة لقفط . استرابون : استرابون فى مصر، ص ١١٣

(٥) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام، ص ٣ .

(٦) المقرئى : الخطط، ج ١، ص ٢٣٢ .

البعض على أن السيد المسيح انتقل إلى الأشمونيين ، ثم لم يلبث أن عاد منها إلى الشام ^(١) .

على أن الأباطرة الرومان الوثنيين ناصبوا المسيحية العداء ولقى الأقباط في مصر اضطهاداً قاسياً في عهد دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) ^(٢) ، الذي أسرف في قتل الأقباط وأقام الحراس والحفظة في كل مكان في صعيد مصر ^(٣) ، ومن بين من نالهم الاضطهاد نصارى مدينة قفط ورجال الدين فيها في عهد دقلديانوس ، ويذكر أحد المؤرخين من بين هؤلاء الأسقف " بيزنتيوس Pisentios ، الذي رأى أنه من الأفضل أن يلجأ إلى الجبال بعيداً عن نير الرومان وذلك بعد أن تحمل على تنظيم شئون أسقفية بمدينة قفط ووزع كل ممتلكاته على الفقراء والمحتاجين وترك أهله وخرج في صحبة تلميذه حنا ولاذ بجبل جيمي Gumi ^(٤) أحد جبال الصحراء الشرقية .

لم تلبث المسيحية أن أحرزت نصراً في عهد قسطنطين الأول (٣٢٣-٣٣٧م) الذي اعترف بالمسيحية ديناً مسموحاً به ضمن الديانات الأخرى في الدولة الرومانية ^(٥) ، وذلك بعد أن سعى لعقد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ^(٦) والذي حضره مجموعة من الأساقفة المصريين من بينهم أسقف مدينة قفط ^(٧) .

وفي عهد الإمبراطور ثيوديس (٣٧٩-٣٩٥م) أصبحت المسيحية الدين الرسمي الوحيد في جميع أنحاء الإمبراطورية البيزنطية ^(٨) ، على أن

(١) أبو المكارم : تاريخ الكنائس والأديرة إعداد وتعليق الراهب صمويل السرياني اعتماداً على نسخة باريس

(القاهرة ١٩٨٤م) ج ١، ص ١٦، ١٧ .

(٢) المقرئى : الخطط، ج ١، ص ٤٨٤ .

(٣) ساويرس : سير الآباء البطارقة ، تعليق الراهب صمويل السرياني (١٩٨٤) المجلد الأول ، ج ١، ص ٥٤

(٤) Amelineau : Un Eveque de Koft au VII Siecle, pp. 299-300

(٥) المقرئى : الخطط ، ج ٢، ص ٤٨٥ .

(٦) المقرئى : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٧) Munier : L'Egypte Byzantine, pp. 38-39 .

Munier : Op-Cit, pp 38-39 .

(٨) ساويرس : سير الآباء البطارقة ، ج ٢، ص ٢٦ .

مصر المسيحية لم تنعم بهذا النصر الذى أحرزه الدين المسيحى ، إذ ثار النزاع والجدل فى حكم قسطنطين الأول بين المسيحيين والحديث عن صفات المسيح وطبيعته ، وكان لهذا النزاع رد فعل عنيف فى مصر حيث هبت الكنيسة المصرية إلى القول بأن المسيح طبيعة واحدة Monophysite ، أما كنيسة القسطنطينية فقالت أن للمسيح طبيعتين ، وقد عقد الإمبراطور ماركيا Marcian (٤٥٠-٤٥٧م) من أجل ذلك مجمع دينى فى " خلقدونية " بآسيا الصغرى سنة ٤٥١م ، فأقر ذلك المجمع مذهب الطبيعتين ، وقرر أن مذهب الطبيعة الواحدة خروج على الدين الصحيح^(١) .

ونتيجة لذلك فقد تعرض المصريون القائلون بالطبيعة الواحدة بمنطقة إقليم فقط لاضطهادات الأباطرة ، وعلى الرغم من ذلك فإنهم أقاموا الكثير من الكنائس والأديرة فى الإقليم كما يحدثنا بذلك أبو المكارم الذى عاش فى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى^(٢) ، ولما تولى هرقل (٦١٠-٦٤٠)^(٣) عرش الإمبراطورية البيزنطية رأى أن يضع حداً للخلاف الدينى فى إمبراطورية ، فأصدر صورة توفيق تقضى بأن يمتنع الناس عن الكلام فى طبيعة المسيح وصفته ، وأن يعترفوا جميعاً بأن له إرادة واحدة^(٤) ، ورفض المصريون مذهب هرقل^(٥) ، وتمسكوا بعقيدتهم فى المسيح الأمر الذى عرضهم لاضطهاد البيزنطيين وخاصة بعد أن عهد " هرقل " بالرئاسة الدينية والسياسية لشخص واحد هو قيرس Cyrus وهو الحاكم الدينى أما المقوقس

(١) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٨٨ .

(٢) أبو المكارم : تاريخ الكنائس والأديرة ، ج ١ ، ص ١٩ .

(٣) هرقل : أعلن خروجه على حكم فوكاس وانحازت إليه مصر ، وكان والياً على افريقية ، وبعث بأسطول إلى القسطنطينية ، ولقى ترحيباً من جميع الناس ، وتولى الحكم فى الفترة من (٦١٠-٦٤١) بعد أن تلقى التاج من يد البطريرك . ساويرس : سير الآباء البطارقة ، ج ١ ، ص ١٠٦-١٠٧ ، الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ١٠٠-١٠٢ .

(٤) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٩ .

(٥) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ١٥٥ .

Mukaukes وهو الحاكم السياسى فقد سعى فى اضطهاد الأقباط^(١) ، وأقام أساقفته فى سائر بلاد مصر حتى إقليم قفط^(٢) وكان بطرك الكنيسة المصرية فى الإسكندرية آنذاك هو الأب بنيامين^(٣) .

وكان محبوباً من المصريين إذ نظم الكنيسة وأصلح أحوالها ، ورفض المشروع الدينى الجديد ، وينسب ساويرس رفضه إلى رؤيا صادقة أمر فيها بترك الإسكندرية عند قدوم المقوقس إليها ، والاختفاء طوال عشر سنوات حتى تتغير الأوضاع^(٤) كما طلب من الأساقفة مغادرتها ، فقد أدرك بنيامين أن الشعب المصرى سيقف فى وجه تنفيذ مشروع " هرقل " ، وتوقع ماينتج عن هذا الرفض من الاضطهاد والظلم ، ثم خرج بنيامين من الإسكندرية إلى الصعيد الأعلى وانتهى به المطاف إلى الاختفاء بمنطقة مدينة قفط^(٥) .

ولعل حاكم قفط ويدعى إقراقيس هو الذى شجع البطرك بنيامين على الهرب والاختفاء بالقرب منه حتى يصبح فى مأمن من بطش واضطهاد

(١) ساويرس : سير الآباء البطارقة ، ج ١ ، ص ١٠٧ ، كلمة قبط Kibt يقال أنها التسمية العربية لأهل مصر نسبة إلى ملك مصر القديم ، قبط بن نوح بن سام . ويعتقد بعض المستشرقين أن كلمة قبط مشتقة من كلمة Coptos اسم أحد المدن المصرية فى الصعيد الأعلى وهى مدينة قفط واسم القبط يطلق على أهل مصر من المسيحيين اليعاقبة

The Encyclopedia of Islam, v.2, Art Kibt, p. 990

(٢) أبو المكارم : تاريخ الكنائس والأديرة ، ج ١ ، ص ١٨-١٩ .

(٣) بنيامين : والأب بنيامين من ضيعة تسمى برشوط فى إقليم البحيرة ولما شب رغب فى التمسك والزهد فيما تركه والداه وكل ما يملك ، وفضل حياة الرهبة ، فلجأ إلى الشيخ تاوذا بدير يسمى دير فيريوس فألبسه هذا الشيخ اسكيم الرهبة ورباه على خوف الله وحفظ الكتب المقدسة ، ثم رسمه البطرك أندريكو بطرك الكنيسة المصرية قسيساً ، وجعله مساعداً فى أعمال الكنيسة وأوصى بأن يكون البطرك من بعده ساويرس : سير الآباء البطارقة ، ج ١ ، ص ١٠٤-١٠٥ .

(٤) ساويرس : المصدر السابق والجزء ، ص ١٠٦ ، ويقول : " فلما وصل إلى الإسكندرية - يعنى المقوقس أعلم بنيامين ملاك الربابة ، وأمره أن يهرب . فقال له الملاك : اهرب أنت ومن معك ها هنا لان شدائد عظيمة تنزل عليكم ، لكن تعزى . فما يقيم سنا الجهاد إلا عشرة سنين واكتب إلى جميع الأساقفة الذين فى كرسياك يختفوا حتى يجوز غضب الرب " ساويرس : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٥) أبو المكارم : تاريخ الكنائس والأديرة ، ج ١ ، ص ١٨-١٩ .

المقوقس ، والظاهر أن حاكم مدينة قفط كان يتمتع بنفوذ قوى فى الإقليم مما جعل بنيامين يلوذ بالفرار إليه (١).

كان للاضطهاد الدينى وماتعرض له الأقباط فى مصر من التعذيب والتكيد بهم ومن هؤلاء الأب مينا - أخو البطريرك بنيامين (٢)، وكان للاضطهاد أثره الواضح فقد سعت بعض العناصر فى صعيد مصر للقيام بحركة دينية يترعها الكاتب القبطى بشندى Picendi أسقف قفط (٣) حيث لانوا بالجبال بعيداً عن المذابح والاضطهاد البيزنطى وذلك بعد قيامه بتوزيع سائر ممتلكاته على الفقراء والمحتاجين وعزمه على ترك أهله (٤).

وكان من نتائج ذلك أن عم الشعور بالاستياء والسخط من جانب أقباط قفط تجاه المقوقس حاكم مصر آنذاك وباتوا يتطلعون إلى من يخلصهم من تلك الأوضاع والاضطهادات الدينية القاسية (٥).

لم يقتصر الأمر عند حد اضطهاد المصريين الأقباط فى الصعيد الأعلى وغيرها من سكان الولايات المصرية بل سعى حكام بيزنطة إلى إرهاب المصريين بالضرائب ولم يجد غالبية السكان مخرجاً سوى الفرار إلى المعابد والأديرة ، وكانت منطقة مدينة قفط من بين المناطق التى هرع إليها المصريون للخلاص من الحكم البيزنطى (٦).

(١) the Coptic Encyclopediadia , Aziz , S.Atiya New york V.7 art " Qift "

(٢) * ويذكر أن المقوقس أمر بإشغال النيران فى الأب ميتا كما أمر بخلع أسنانه وأضراسه وضربه ضرباً شديداً قاسياً ، ثم أمر بوضعه فى جوال ، مسك بطرفيه وهو فى البحر وعرض عليه الاعتراف بمذهب الخلق دونيه ثلاث مرات ولكنه رفض وأصر على رأيه وألقى به فى البحر - ساويرس : سير الآباء البطارقة ، ج ١ ، ص ١٠٦-١٠٧ .

(٣) Amelineau : Un Eveque De koft Au VII Siecle , pp. 299-300 .

(٤) Amelineau : Op- cit , p.300

(٥) Munier : L'Egypte Byzantine, pp.89-92-93

(٦) Munier : Op-Cit, p.76

ومما ترتب على اضطهاد البيزنطيين للمصريين فكر بعضهم فى تدبير مؤامرة قتلهم من حكم المقوقس فاجتمعوا فى كنيسة دفاشير Defachire بالقرب من مريوط ، واتفقوا على قتل المقوقس ، وعلم ضابط بيزنطى يدعى أودليانوس بهذه المؤامرة وكان عدواً شديداً للقبط فبعث بجندة لقتل المتآمرين وبذلك أخفقت المؤامرة ونجا المقوقس - بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

ولقد عانى أقباط مدينة قفط كثيرهم من المصريين من الضرائب الباهظة المفروضة على الرؤوس والصناعات والأراضي والماشية وأثاث المنازل بل على الموتى أيضاً. وكان القبط في منطقة قفط وقراها ملزمين بإيواء من يمر بهم من الموظفين المدنيين والعسكريين البيزنطيين وتوفير حاجاتهم وأيضاً تقديم الغذاء للجنود^(١).

كانت قفط تضم الوحدة الأساسية للإدارة المحلية لشئون جمع الضرائب فهي تضم عدداً من الموظفين وملاك الأراضي ، ورجال الدين والأعيان وكان هؤلاء عليهم انتخاب موظف يسمى جابياً - أو محصلاً، يكون مسئولاً عن الشئون المالية^(٢)، أما القرى فكانت صورة مصغرة لما كانت عليه المدينة ويحكمها رئيس القرية ويدعى ماذون^(٣).

وكانت الظاهرة الشائعة في ذلك العصر هي تركز النفوذ السياسي والاقتصادي في أيدي فئة قليلة من الأسر البيزنطية ، الذين كانوا إلى جانب امتلاكهم للأراضي الواسعة أو الأبعاديات يشغلون وظائف رؤساء المقاطعات ورؤساء المديریات ورؤساء الأقاليم^(٤)، على حين نجد سكان البلاد يخدمون في أملاكهم ، وعليهم أن يحققوا لهؤلاء الإقطاعيين ما يرغبون من رفاهية العيش والترف^(٥).

وأشارت المصادر إلى أن المصريين في ذلك الوقت صاروا يعانون من جراء سياسة هؤلاء الحكام وقسوتهم في جباية الضرائب وسوء معاملتهم

(١) Johnson – West : Byzantine Egypt, Economic studiies, pp.19-20 ,39

(٢) فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الدمة في مصر الإسلامية ، (الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٠م) ج ١ ، ص ٤٧

(٣) Johnson – West Oc-Cit , p.119

(٤) دانييل دينيت : الجزية والإسلام ، ص ١١٦

ومن أوضح الأمثلة على ذلك أن دوقية مصر العليا the baid كانت وراثية في أسرة أيون Apion كما كان أيون الأول حاكماً عاماً للبلاد في سنة ٥١٨م وكان ابنه حاكماً لمصر سنة ٥٢٣م . ثم وزيراً للمالية من ٥٢٣م إلى ٥٢٨م . كما شغل أفراد آخرون منهم عدداً عظيماً من الوظائف المهمة في مصر والقسطنطينية . فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الدمة في مصر الإسلامية ، ج ١ ، ص ٦٢ ، هامش (٨١) .

(٥) Johnson : Byzantine Egypt Economic Studies' (1949) p. 119.

لهم مما أدى إلى تدهور الزراعة والفنون الاقتصادية الأخرى وإلى تدهور قيمة العملة إلى حد كبير ، ومن ثم ساد القحط القرى والمدن التابعة لإقليم قفط التي كانت عامرة^(١)، وعليه اتسعت الهوة بين ملاك الأراضي وأصحاب الإقطاعات من البيزنطيين وبين القبط^(٢) .

ووصف دانييل دينيت^(٣) كيفية تقدير الضرائب وجبايتها في مدينة قفط وإقليمها آنذاك، حيث كان حاكمها يرسل موظفاً إلى كل مدينة ، ورئيس كل قرية بحصصهم من الضرائب ، وكان مراقب جمع الضرائب ومعاونوه يجمعون الضرائب من الأقباط داخل المدينة ، كما يجمعون أيضاً قيمة ضريبة الأرض التي يملكونها خارج المدينة ، أما رؤساء القرى فيجمعون ما عليهم من الضرائب ويؤدونها مباشرة إلى حاكم الإقليم^(٤) .

وانقسمت الضرائب يومئذ إلى نوعين هما ضريبة الرأس وكانت تجمع من المدن والقرى ، أما الضريبة الثانية فهي الضريبة المقررة على الأراضي التي يملكها هذه الأجناد كلها. وكان حاكم الإقليم يعمل على تزويد القائمين بجمع الضرائب بقوة عسكرية لضمان تحصيل الضرائب كلها^(٥) ، وكانت هناك ضرائب عينية مثل ضريبة الملح وكانت ترسل مباشرة إلى القسطنطينية والمسئول عن ذلك حاكم الإقليم ، فكان يرسل المساح لفحص الأرض وخصوبتها وحالة الري وذلك من أجل تقدير هذه الضريبة^(٦) ، وتحت وطأة تلك الضرائب الفادحة والقسوة في تحصيلها ، اضطر كثير من

(١) Johnson : Idid ; p.256.

(٢) Johnson : Idid ; p.119.

(٣) الجزية والإسلام ص ١١٢ ، ويذكر أيضاً أنه في شهر يونيو وأغسطس من كل عام يصدر حاكم الشرق منشوراً محدداً فيه تقدير الضرائب وما يترك للتفقات المحلية ، وما يرسل إلى خزانة الدولة ، وخزانة الحاكم العام. ويصدر هذا المنشور إلى حاكم المديريات ، وهؤلاء بدورهم يذيعون المنشور في سبتمبر أو أكتوبر ، وكانت لهم السلطة المباشرة على الضياع الإتبراجية . المرجع السابق والصفحة.

(٤) Johnson : Lbid p.111

(٥) فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية ، ج ١ ، ص ٤٩ .

(٦) دانييل دينيت : الجزية والإسلام ، ص ١١٨ - ١١٩ .

أهالى الإقليم إلى ترك أراضيهم مثل كثير من المصريين ، وأعمالهم والهروب إلى الأديرة والكنائس ، ووضع أنفسهم تحت حماية ملاك الأراضي وأصحاب الضياع^(١) ، ولكنه كان فى الواقع كالمستجير من النار بالرمضاء فبمضى الزمن صارت الأرض إلى المالك الكبير الذى وضع نفسه تحت حمايته وهكذا تحول الفلاح الصغير إلى مجرد عامل أجير لدى هذا المالك^(٢). أما من الناحية الثقافية فكان الأقباط فى مدينة قفط شأنهم فى ذلك شأن الأقباط فى الكور ، والأقاليم المصرية حيث كانت اللغات السائدة فى ذلك العصر هى اللغة اليونانية واللغة القبطية^(٣) ، وكانت اللغة اليونانية حتى الفتح العربى هى اللغة الرسمية للحكومة والكنيسة والعلاقات الخارجية ، أما اللغة القبطية فقد تفرعت إلى لهجات متعددة وتكلم بها غالبية المصريين القبط الذين يعملون فى الزراعة ويجهلون اللغة اليونانية وهى اللغة الرسمية آنذاك^(٤).

ويبدو أن النشاط الفكرى فى مدينة قفط كان قاصراً على أبناء الأغنياء دون الفقراء ، وقد تركزت مراكز النشاط الفكرى فى الأديرة القبطية وأشهرها دير الشهداء بجوار مدينة قفط ، كما كان يوجد فى الشمال الدير الأبيض بسوهاج ، ودير آخر إلى الجنوب منها يدعى دير مارى جرجس بأسوان ، وذلك بالإضافة إلى ما كان يدور من مجالس للوعظ والتعليم فى كنيسة قفط^(٥) ، وكانت هذه الأديرة وغيرها^(٦) تضم مكتبات تحتوى على الكتب الدينية بصفة خاصة^(٧) ومنها رسالة مكتوبة على ورق البردى وقد

(١) Munier : L' Egypt Byzantine, p.93

(٢) سيدة الكاشف : مصر فى عصر الولاة ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨م) ص ١٢ .

(٣) Johnson : Byzantine Egypt Economic p.39

(٤) Dimitri Meeks Et Autres: Egypt Libaire Hachette (paris 1971) PP. 22,25
Munier : Op-Cit, p.87

(٥) فاطمة عامر : تاريخ أهل الدمة ، ج ١ ، ص ٥٠

(٦) أبو المكارم : تاريخ الكنائس والأديرة ، ج ١ ، ص ١٧-١٨ .

(٧) الأديرة القبطية الأخرى وأشهرها دير سنت ميخائيل بالفيوم ، ودير سنت مقار فى وادى النطرون
Munier : Ibid, P.87

(٨) Munier : Ibid, p. 87.

كتبها بطريك فقط ويدعى بشندى Picendi أسقف فقط جاء فيها أن الأقباط قد يمتلكون ذهب مرسوم عليه صورة الصليب وصورة السيد المسيح وكان هذا الذهب على هيئة عملات مربعة الشكل يوجد بكل عملة صورة الصليب وعلى الوجه الآخر صورة السيد المسيح^(١).

بالإضافة إلى ذلك كانت توجد مؤلفات في الطب والفلسفة والتاريخ وغيرها من العلوم، وقام الرهبان بترجمة الكتب اليونانية إلى القبطية إلى جانب كتاباتهم في التاريخ وجغرافية بلادهم ، والأدوية الطبية فقد عثر بعض الفلاحين في الصعيد على بردية صغيرة مكتوبة باللغة القبطية الصعيدية ، ويرجع تاريخها إلى القرن السابع/ الثامن الميلادي وتشتمل هذه البردية على أسماء عقاقير طبية كانت شائعة الاستخدام في القرن السابع ، الثامن الميلادي والتي استعملها المصريون القدماء طوال تاريخهم وخاصة النباتية منها مثل السمسم وحصرم العنب والبابونج والسنب والجميز والشعير ، بالإضافة إلى الكبريت وبعض المواد الكيميائية الأخرى^(٢) ، وفي موضع آخر يشير أحد الدارسين أنه قد عثر في منطقة جرجا - بالصعيد الأعلى على بردية طبية مكتوبة باللغة القبطية الصعيدية أيضاً كسابقتها ، وتعتبر هذه البردية من أهم المراجع في علوم العقاقير والعلاج في العصر القبطي بمصر^(٣).

كذلك كانوا يكتبون سير القديس والبطاركة ومؤسسى المذاهب الدينية والقواعد الديرية وغيرها من نواحي النشاط الفكرى^(٤).

(١) Quetemere : Memoires geographiqu es et Historiques Sur L'Egypte, T.L, p.343,(paris 1811
Sauraive : Materiaux (Journd Asiatique . Septieneserie T . x17 (1879) pp. 456-457

سيدة اسماعيل الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٦٩

سعاد ماهر : مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه (القاهرة ١٢٧٩هـ - ١٩٦٠م) ص ١٦٢

(٢) سمير يحيى الجمال : تاريخ الطب والصيدلة ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م) ج ٣ ، ص ٢١، ٢٢

(٣) سمير يحيى الجمال : المرجع السابق والصفحة .

Munier : L, Egypt Bzantine, p. 87

(٤) فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الدمة ، ج ١ ، ص ٥٠

وقد تزامن مع ما أشرنا إليه من أحوال مصر الداخلية في تلك الفترة من وقوع أحداث في شبه الجزيرة العربية ، كان لها أهميتها وأثارها البعيدة المدى في تطور التاريخ البشري ، إذ ظهر الإسلام يدعو الناس إلى وحدانية الله ونبذ عبادة الأوثان^(١).

أرسل الرسول الكريم إلى المقوقس يدعو إلى الإسلام ، وأعلن المقوقس ترحيبه باعتناق الإسلام إلا أنه كان يخشى معارضة القبط لهذه الدعوة ، ثم طلب منه ألا يخبر أحداً من أهل مصر بما دار بين سفارة الرسول وبينه من حديث وألا يشير إلى رغبة المقوقس في الإسلام^(٢)، ويبدو أن خبر سفارة الرسول الكريم إلى مصر^(٣) قد بلغت إقراقيس حاكم مدينة

(١) على حسنى الخربوطلى : الحضارة العربية الإسلامية ، ص ١٣٦ ، الإسلام وأهل الدمة ، ص ٦٥ ويذكر ابن عبدالحكم فقد بعث محمد نبي الإسلام إلى المقوقس عظيم القبط في مصر بسفارة على رأسها حاطب ابن أبى بلتعة اللخمي - لكي يدعوهم والأقباط المصريين للدخول في هذا الدين الجديد ، حيث بلغت مصر سنة ٢ هـ / ٦٢٨ م ، وقد جاء في كتاب النبی : " بسم الله الرحمن ، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى فأما بعد ، فإلى أدعوك بدعاية الإسلام فأسلم تسلم يوثق الله أجرك مرتين ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا : أشهد بأن مسلمين " ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤١-٤٢ ، إبراهيم أحمد العدوي : مصر الإسلامية درع العروبة ورباط الإسلام ، (مطبعة الآثار المصرية ١٩٩٢ م) ص ١٩

كما أحسن المقوقس في استقباله لحاطب بن أبى بلتعة رسول النبي صلى الله عليه وسلم ، ويشير ابن عبدالحكم إلى ما دار بينهما من حديث بشأن النبي وصفاته ، وإنه كان يعلم مسبقاً بظهور نبي جديد ولكنه كان ينتظر ظهور دعوته في أرض الشام أرض الأنبياء لا في شبه الجزيرة العربية . ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ - ٨٤٥ م) : الطبقات الكبرى ، أعدد فهرسها : سهارياض ، عبد الله عبد الهادي (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان) ١٩٩٦ م ، ج ٣ ، ص ٦٠ ، ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤٣ ، ٤٤ ، ويقول ابن سعد أن المقوقس لما وصله كتاب النبي قرأه ثم وضعه في خف من عاج وختم عليه ، وطلب من بعض جواريه أن تحفظه له ، وقال لحاطب خيراً المصدر السابق والجزء والصفحة

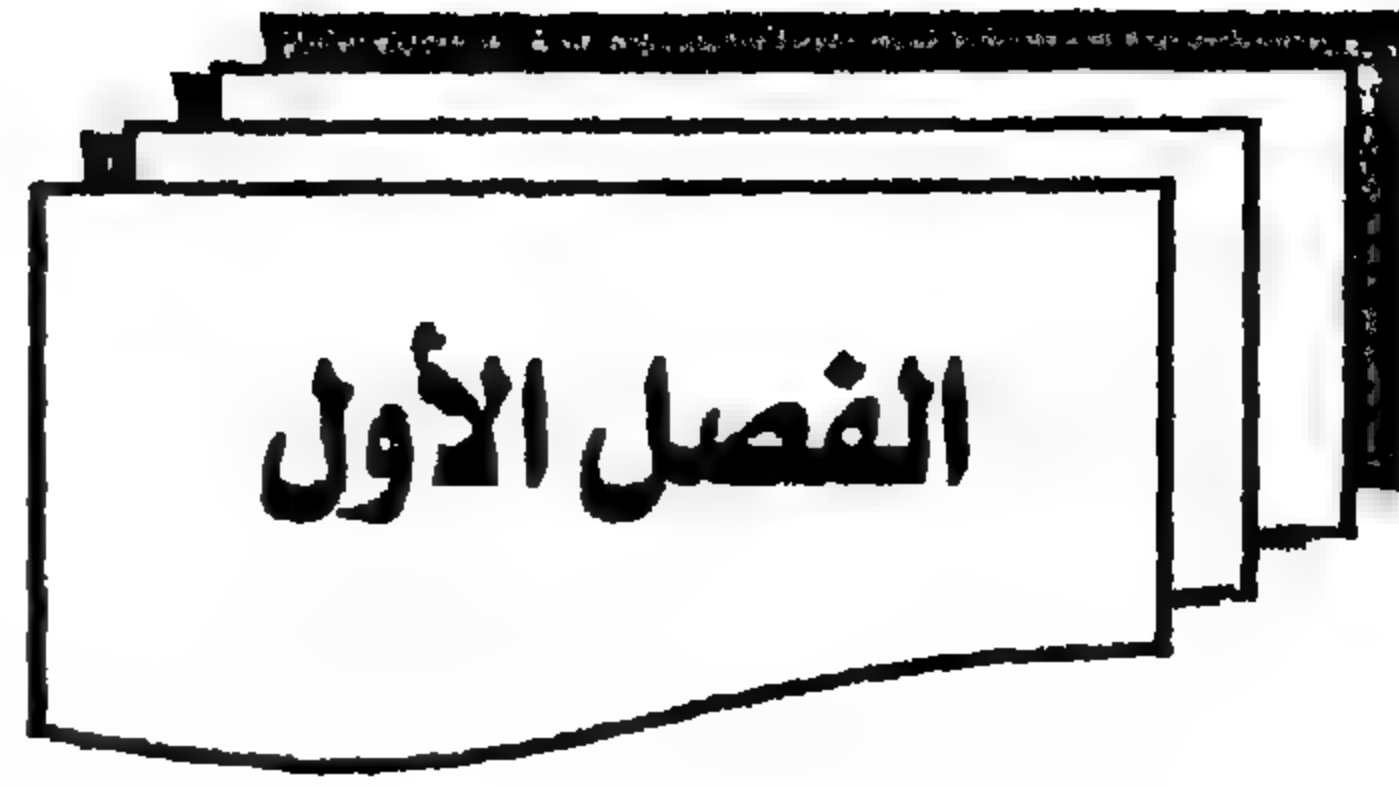
(٢) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤٢

(٣) ولقد بعث المقوقس كتاباً إلى النبي رداً على كتابه ، جاء فيه " لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت ، وما تدعو إلي به وقد علمت أن نبياً قد بقى ، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمنا رسولك ، وبشت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام " ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٣ ، ص ٦٠ ، ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ٤٣ ، ٤٤ .

قسط ، وربما اطلع عليها كذلك البطريك بنيامين الذي كان على مقربة منه آنذاك .

وخلاصة القول أن الظروف كانت مهيأة لنجاح الفتح العربى لمصر ، وترحيب الأقباط فى سائر الأقاليم بهؤلاء الفاتحين العرب المسلمين ، حيث رأوا فى ذلك الفتح العربى مخلصاً لهم من اضطهاد البيزنطيين ، ومحققاً لهم الأمن والسكينة والعدل حتى يستطيعوا ممارسة عقائدهم الدينية فى حرية وطمأنينة وسلام .

=ويقول ابن سعد إحدى هاتين الجاريتين هى مارية القبطية والثانية سيرين التى وهبها النبى لشاعره حسان بن ثابت ، كما كان من بين الهدايا ثياب قبطية وبنلة بيضاء وحمار أشهب ومال وصدقة ، الطبقات الكبرى ، ج ٣ ، ص ٢٦٠ ، وابن عبدالحكم : المعصر السابق والصفحة ولقد أوصى النبى صلى الله عليه وسلم بقبط مصر خيراً فى عدة أحاديث منها " إذا افتتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم رحماً وذمة " وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً ، فإن لكم فيهم صهراً وذمة " السيوطى : حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة ، ج ١ ، ص ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .



الأحداث السياسية في مدينة قفط منذ الفتح الإسلامي

حتى نهاية القرن الخامس الهجري

أولاً : الفتح الإسلامي لمدينة قفط (٢٢ هـ / ٦٤٢ م)

١- مراحل الفتح العربي الإسلامي لمدينة قفط .

٢- مدينة قفط ودورها في محاولة فتح بلاد النوبة .

٣- انتشار الإسلام في مدينة قفط بعد الفتح الإسلامي .

ثانياً : الأحداث السياسية في عصر الولاة " الأمويين والعباسيين "

(٢١-٢٥٤ هـ / ٦٤١-٨٦٨ م)

ثالثاً : الأحداث السياسية في عصر الطولونيين والإخشيديين .

(٢٥٤-٣٥٨ هـ / ٨٦٨-٩٦٦ م) .

رابعاً : الأحداث السياسية في العصر الفاطمي (٣٥٨-٤٨٧ هـ / ٩٦٦-١٠٩٤ م) .

١- موقف أهالي قفط من ثورة أبي ركة على الحاكم بأمر الله الفاطمي

(٣٨٦-٤١١ هـ) .

٢- دور أهالي قفط في القبض على كنز الدولة التاجر ضد الفاطميين في عهد

المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) .

أولاً : الفتح الإسلامي لمدينة قفط

١- مراحل الفتح العربي الإسلامي لمدينة قفط :-

استولى عمرو بن العاص ^(١) على بيت المقدس ، بعد أن شدد الحصار عليها ، وفر قائدها أرطبون إلى مصر ، ورأى بطريقها " صفر ونيوس " أن المقاومة لا تجدى ، وعرض على العرب أن يأتي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس حيث يقرر بنفسه شروط تسليمها ، فخرج عمر بن الخطاب من المدينة والتقى بقواده في الجابية ^(٢) بالقرب من دمشق ثم سار إلى بيت المقدس وتسلمها سنة ١٥ هـ / سنة ٦٣٦م ^(٣).

ولعل عمرو أدرك الضرورة الحربية التي تقتضى على العرب بعد أن تم لهم فتح بلاد الشام أن يولوا وجوههم شطر مصر ، وذلك لتأمين حدود الشام من الخطر البيزنطى فى مصر ^(٤) ، فاقترح على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يسيره إلى مصر ^(٥).

(١) عمرو بن العاص : من قبيلة قريش من بنى أمية ، وقد أرسلته قريش إلى الحبشة ، للتفاوض مع النجاشي ملكها لتسليم المسلمين المهاجرين إليها. وقد أسلم عمرو فى وقت متأخر من البعثة النبوية الشريفة قيل أسلم فى عام خير وقيل أسلم عند النجاشي. ابن مسعود : الطبقات الكبرى ، ج ٤ ، ص ٤٤٧ ، ج ٧ ، ص ٢٩٢ ابن الأثير : أسد الغابة فى تميز الصحابة ، ج ٤ ، ص ٢٤٤ وما بعدها.

(٢) الجابية : قرية من أعمال دمشق من ناحية الجولان ، وفيها خطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه خطبته المشهورة - ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٩١ .

(٣) ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ٨٠ ، ٨١ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٤٩ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ص ٢٨٨-٢٨٩ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ عمرو بن العاص ، (مديولى ١٩٩٦) ص ١٠٣-١١٠ .

(٤) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٧٩ .

(٥) ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ٨٠ ، ٨١ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٤٩ ، وفى ذلك يقول بئر ولعل عمراً أفضى إلى عمر برأيه فى فتح مصر منذ كانا فى بيت المقدس ، ولكن الخليفة رأى أن وقت ذلك الفتح لم يحن بعد ، فلما ظهر العرب وانتهت الحرب أو كادت ، عاد عمرو بن العاص إلى عرض رأيه .

بئر: فتح العرب لمصر ، ص ١٧٢ ، جمال الدين سرور: الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية ص

كان الجيش الإسلامي في ذلك الوقت مشغولاً بمحاربة الروم في بلاد الشام فرأى الخليفة أنه ليس من الحكمة توزيع قواته بشكل لا يحقق الهدف المنشود، ولم يمض على ذلك ثلاث سنوات، حتى أعاد القائد عمرو على الخليفة عمر بن الخطاب اقتراحه^(١) ويذكر ابن عبدالحكم^(٢) أنه حين قدم عمر إلى الجابية خلا به عمرو بن العاص، فاستأذنه في المسير لمصر وكان عمرو قد دخلها في الجاهلية^(٣) وعرف طرقها ورأى كثرة ما فيها حيث كان يختلف كما يقول الكندي^(٤) "بتجارته إلى مصر وهي الأثم والعطر".

وعلى الرغم من انشغال جيش المسلمين فقد أذن الخليفة عمر بن الخطاب لقائده عمرو بن العاص بالمسير إلى مصر لفتحها فكان ذلك القرار في مؤتمر الجابية سنة ١٧ هـ / سنة ٦٣٨ م^(٥)، فسار عمرو بن العاص من قيسارية بفلسطين إلى مصر على رأس جيش يتكون من أربعة آلاف مقاتل^(٦) في سنة ١٨ هـ / سنة ٦٣٩ م^(٧)، ووصل العريش في أواخر تلك السنة، ومنها اتجه إلى الفرما^(٨) في أوائل عام ١٩ هـ / ٦٤٠ م^(٩)، وواجه مقاومة من الجنود البيزنطيين استوقفته شهراً، وتغلب عليها وهزمهم، وواصل السير

(١) السيد طه أبو سديرة: القبائل اليمنية في مصر، (القاهرة ١٩٨٨ م) ص ٩-١٠.

(٢) فتوح مصر والمغرب، ص ٢٦، حسن إبراهيم حسن: تاريخ عمرو بن العاص، ص ١١٠-١١١.

(٣) كان بعض الصحابة يسترددون على مصر للتجارة، ويعرفون كل بقاعها أو طرقاتها، سيدة الكاشف: مصر في فجر الإسلام، ص ٥.

(٤) الولاة والقضاة، ص ٧، حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص ٤٣.

(٥) ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ص ٨٠.

(٦) ابن عبدالحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٨١، المقرئ: الخطط، ج ١، ص ٢٨٨.

(٧) ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ص ٨٥، المقرئ، المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

(٨) الفرما: مدينة مصرية في أقصى شمال شرق دلتا النيل على مقربة من بحيرة تينيس، يذكر العرب أنها كانت مدينة السيدة هاجر أم النبي إسماعيل عليه السلام، عبدالحكيم العفيفي: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، (الدار العربية للكتاب الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠ م)، ص ٣٦٠ وهي الآن شرقي بور سعيد الحالية

(٩) البلاذري: فتوح البلدان، ج ١، ص ٢٤٩.

متغلباً على ما يصادفه من مقاومة، ولما بلغ أم دنين^(١) نشب قتال شديد، وتغلب العرب على أعدائهم وفي ذلك يقول الكندي^(٢) "فقاتلوه بها قتالاً شديداً، وكتب إلى عمر بن الخطاب يستمده".

كتب عمرو إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يطلب منه المدد من الجند، فأمدّه بأربعة آلاف على رأسهم أربعة من مشاهير القواد، وصف الواحد منهم بأنه كان يعادل ألف جندي، وهؤلاء هم الزبير بن العوام، وعبيدة بن الصامت، والمقداد بن عمرو الأسدي، ومسلمة بن مخلد^(٣)، والتقت جنوده بجنود المقوقس الحاكم البيزنطي على مصر في ذلك الحين، حيث نشب قتال شديد بين العرب والروم وأرغمهم عمرو على التحصن بحصن بابليون^(٤) فحاصروه وشددوا عليه الحصار على أن البيزنطيين قاوموا الفاتحين بكل ما أوتوا من قوة، بل انسحبوا من كافة الحصون الفرعية ليركزوا الدفاع عن حصن بابليون^(٥)، ولما شعر عمرو ابن العاص بصعوبة فتح الحصن لمناعته وقلة جنده، بعث إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يطلب منه سرعة إرسال إمدادات عسكرية تمكنه من التغلب على الصعاب التي تواجهه^(٦).

(١) أم دنين : موضع ورد ذكره في أخبار الفتح وهي قرية كانت بين القاهرة والنيل - ياقوت : معجم البلدان ج ١، ص ٢٥١، وهي تقع شمال حصن بابليون ، وقد ذكر لها يوحنا النقيوسي اسماً آخر وهو تندونياس Tendounya
سيدة كاشف: مصر في فجر الإسلام، ص ١١، هامش (٢)، محمد رمزي: القاموس الجغرافي، القسم الأول، ص ١٢٨ - ١٢٩. وموقعها اليوم في قلب القاهرة على وجه التحديد حديقة الأزبكية: بتلر: فتح العرب لمصر، ص ١٩١.

(٢) الولاة والقضاة ، ص ٨، حسن إبراهيم حسن: تاريخ عمرو بن العاص ، ص ١١١ .

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ٨٧، ٩١.

Lane - poole : A history of Egypt in the Middle Ages, p.15 .

(٤) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٩١، السيوطي: حصن المحاضرة ، ج ١، ص ١٠٢ .

(٥) أيقن " تيودور " قائد القوات البيزنطية أن هذه الحرب لم تكن من غارات البدو ، بل كانت غزواً منظماً ، فأسرع " تيودور " وثيرس إلى حصن بابليون ، وجمع فيه الجند ، لذا كان في استطاعة الجيش البيزنطي أن يهبط على العرب في أي وقت شاء . بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ١٩٢ .

(٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٨٥، المقرئزي ، الخطط ، ج ١ ص ٢٨٩ .

رأى عمرو بن العاص بعد أن طال حصار الحصن أن يعهد إلى فريق من جنده بحصار الحصن ، بينما يتجه على رأس الفريق الآخر إلى إقليم الفيوم^(١) ، فسار بمجموعة إلى الفيوم ، وشن عليها عدة غارات وقاومته القوات البيزنطية المتمركزة بالفيوم للدفاع عنها^(٢) ، فرأى عمرو بن العاص ضرورة التحرك السريع ، بعد أن نمت إلى دومينتانوس الحاكم البيزنطي عليها بزحف قوات المسلمين نحو بلاده ، فأقام التحصينات حول المدينة ، فلما سمع عمرو بن العاص ذلك، عدل عن مهاجمة الفيوم وولى وجهه شطر الصحراء وواصل السير حتى بلغ البهنسا^(٣) وهنا يشير يوحنا النقويسى أن العرب شددوا هجماتهم عليها ، وتكلوا بكل من اعترضهم من الجند المدافعين عنها الأمر الذى جعل قائدهم يفكر فى العودة إلى موضع يسمى أبويط^(٤)، ولكن ذلك لم ينج من عمرو بن العاص فقد باغته على حين غفلة منه وقتله^(٥) .

عاد عمرو بن العاص أدراجه وهاجم حصن بابليون بعد أن أمده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بمدد عسكرى، ونشبت معركة ضارية بين العرب والروم، أظهرت تفوق المسلمين على أعدائهم فاضطر المقوقس الحاكم البيزنطى لمصر إلى مفاوضة العرب فى الصلح حيث تمكن من عقد معاهدة

(١) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٩١-٩٢ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٤٩-٢٥١

Garcia : un Centre Muslman dela Houte . Egypt Medievale Qus P.34

(٢) Garcia : Op - Cit ; PP. 34-35 .

(٣) البهنسا : هنا بكورة الفيوم -- وليست مدينة البهنسا حاضرة كورة البهنسا بالصعيد الأوسط . بتلر : فتح

العرب لمصر ، ص ١٩٧ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ عمرو بن العاص ، ص ١١٢-١١٩ .

(٤) أبويط : هناك بلدتان فى مصر يحملان هذا الاسم ، أحدهما أبويط قرب بوضير قوريندى فى مصر السفلى

وهى التى دارت فيها هذه المعركة ، والأخرى أبويط بكورة أسيوط ، ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ،

ص ٩٦ ، يوحنا النقويسى : تاريخ مصر ، ترجمة د. عمر صابر عبد الجليل . (الطبعة الأولى القاهرة ٢٠٠٠ م) ،

ص ١٩٤ وتقع اليوم بمركز الواسطى بمديرية بنى سويف ، محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ج ٣ ، ص ١٢٥ .

(٥) يوحنا النقويسى : تاريخ مصر ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ١٩٦ .

بابلليون الأولى فى أكتوبر سنة ٦٤٠م وجاء فيها يكفل للمصريين حرية العقيدة وتأمينهم على حياتهم وأموالهم مقابل دفع الجزية للعرب^(١).

وعندما سمع "هرقل" أعلن رفضه لهذا الصلح فى نهاية عام ٦٤٠م، فعاد العرب إلى شن حملاتهم على البلاد المصرية، فدخلوا الفيوم، وأبويط، وطوقوا حصن بابلليون تطويقاً كاملاً واقتحموه فى أبريل عام ٦٤١م^(٢) وسيطر العرب على أكثر قاعدة تمكنهم من فصل الدلتا عن الصعيد، وشجعت هذه الانتصارات المسلمين على مواصلة الفتح فى البلاد المصرية^(٣).

بعد أن تمكن العرب من دخول حصن بابلليون بدأت المرحلة الثانية من مراحل الفتح، وهى الزحف إلى الإسكندرية وكانت ظروف إمبراطورية الروم فى ذلك الوقت، هيأت الفرصة أمام العرب لفتحها، وكان الروم يعلمون مدى أهمية هذه المدينة التجارية والحربية والبحرية، حيث بذلوا كل ما فى وسعهم فى سبيل الدفاع عنها وفى أثناء ذلك توفى الإمبراطور هرقل فى ١١ فبراير سنة ٦٤١م الموافق ٢٠هـ^(٤)، وبعد موته انقسم القادة بالمدينة على أنفسهم، وفضل الكثير منهم الصلح مع المسلمين بعد محاصرتها أربعة عشر شهراً^(٥)، وطلب قيرس الصلح من عمرو بن العاص بعد أن ذهب إلى بابلليون، ولذلك عرفت هذه المعاهدة بمعاهدة بابلليون الثانية تمييزاً لها عن المعاهدة الأولى وأطلق عليها أيضاً معاهدة الإسكندرية، وكانت هذه المعاهدة فى ٩ نوفمبر عام ٦٤١م الموافق ٢٠هـ^(٦)، وأهم بنود هذه الاتفاقية جلاء

(١) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٩٠-٢٩١ ، لين بول : سيرة القاهرة ، ص ٥١-٥٢ .
Mac Mechael : A history of Arabs in the Sudan, vol,1,p.156 .

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٢ ، أحداث سنة ٢٠هـ .

(٣) يوحنا النقيوسى : تاريخ مصر ، ص ١٩٨-١٩٩ .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٩١ ، ٩٢ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٤٩ ، ٢٥١ .

(٥) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ١١٢ .

(٦) يوحنا النقيوسى : تاريخ مصر ، ص ٢٠٤ ، الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص ١٩٥ .

حامية الروم عن الإسكندرية، وعدم عودتها إليها مرة ثانية وتعهد المسلمون بترك الكنائس للمسيحيين، يقيمون فيها شعائرهم الدينية بحرية تامة، في مقابل دفعهم الجزية للعرب، كما سمح للعرب لليهود بالإقامة في الإسكندرية^(١)، وعقدت هدنة بين الطرفين العرب والروم لمدة أحد عشر شهراً، وكان نتيجة لهذا أن اتجهت أنظار العرب بعد ذلك لفتح صعيد مصر فأرسل عمرو بن العاص بعض سراياه إلى كورة البهنسا^(٢).

كان على العرب ضرورة اجتياز أكبر عقبة تعترض أهدافهم الرامية إلى فتح صعيد مصر،^(٣) وذلك، بمحاولة فتح مدينة البهنسا أقوى حصون الصعيد الداخلية لما لها من جدران عالية وأبراج حصينة^(٤).

أعد "البطليوس" العدة للدفاع عن المدينة ودرء الغزو عن دياره، وكان أول مسالك اتخذه أن استشار خواصه في الإقامة في المدينة أو الخروج إلى ظاهرها، فاجمعوا الرأي على القتال خارج الأبواب، وجعل المدينة خلف ظهورهم على أن تصل إليهم المساعدة من فوق الأبراج^(٥) أدرك البطليوس حاكم البهنسا خطورة الموقف فأرسل حينذاك بالرسائل للبطارقة في أنحاء الصعيد، وفيها يأمرهم بأن يعدوا العدة للوقوف إلى جانبه في دفع العرب عن بلاده، ويأتوا إليه في البهنسا، ومن هؤلاء حاكم مدينة قفط ويدعى

(١) ابن عبد الحكم المصدر السابق، ص ١١٢، السيد عبدالعزیز سالم: تاريخ الدولة العربية، (الإسكندرية ١٩٧٦) ج ٢، ص ٢١٧.

(٢) البهنسا: مدينة بصعيد مصر ومركزاً لأعمال البهنساوية بجوار الأشمونيين. ابن الجيعان: التحفة السنية، ص ١٥٩، قرية بكورة الفيوم وهي ليست كورة البهنسا المعروفة في مصر الوسطى. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢١٦.

(٣) الواقدي: فتوح الشام، ج ٢، ص ٢٢٥، والنويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ١٩، ص ٣٢٩ بئر: فتح العرب لمصر، ص ٣١٠، السيد طه أبو سديرة: القبائل اليمنية في مصر، ص ٢٦-٢٧.

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٩٤.

(٥) الواقدي: فتوح الشام، ج ٢، ص ٢٦٩.

"أقرايس"^(١) كان يتمتع بشخصية قوية ونفوذ عظيم في الصعيد الأعلى فاعد
العدة وكان ذلك بإيعاز من الراهب القبطي راهب مدينة قفط ويدعى " يعقوب
بن نسطورس"^(٢) هذا بالإضافة إلى أنه أرسل إلى صاحب النوبة والبجة
المسمى الكبلج ليعلمهم بقدم القوات العربية نحو بلاده^(٣).

استطاع ملك النوبة حشد قواته حينذاك ، وسيرها إلى منطقة أسوان
حيث بلغوا مدينة قفط ومنها إلى البهنسا ، وانضموا إلى قواتها التي احتشدت
للدفاع عنها وهكذا شاركت قوات من أهل النوبة في العمليات العسكرية ضد
القوات العربية التي كانت تعمل على فتح تلك الجهات في منطقة مصر
الوسطى^(٤).

بدأ العرب نشاطهم بحصار فرضوه على البهنسا، وكانت فرق منهم
تحاصر المدينة وكان قائد القوات العربية القيس بن الحارث، وبدأت المعارك
بجانب الأسوار، وضم جيش العرب ثلاثمائة فارس ثبتوا في القتال مع قوات
البطليوس سبعة أيام^(٥)، وأثاروا الرعب في قلوب أعدائهم، ففكروا في
الهروب جنوباً فلتقاهم جيش "القيس بن الحارث"، فأعمل فيهم العرب السيف
كيف شاموا ولم ينج منهم إلا الشريد ، ولما نمت ذلك إلى علم "البطليوس"

(١) أقرايس : ولد من أسرة قبطية محافظة على التعاليم الروحية المجيدة ، فدفعه تطلعه إلى أن يعجز بيت
أبيه ويذهب إلى وادي النطرون وعول حفظ سفر المزامير وأسفار الأنبياء الأثنى عشر الصغار وأنجيل
القديس يوحنا البشير. The Coptic Encyclopaedia, Aziz. S, Atiya, V,7 art (Qift)

(٢) يعقوب بن نسطورس : ينتمي هذا الراهب إلى دلندرة وهي مدينة قديمة وكان يطلق عليها Tentera في
العصر الفرعوني ثم الروماني وكان مقيماً في مدينة قفط حيث كانت قصبة الأقليم آنذاك .
The coptic Enc. art Qift

(٣) الواقدي : المصدر السابق والجزء ، ص ٢٣٤ .

(٤) يؤكد الدكتور مصطفى محمد مسعد عدم اشتراك أهل البجة في العمليات العسكرية في بلاد البهنسا بقوله
غير أن عدم الإشارة إلى البجة في عقد الصلح الذي تم بين المقوقس وعمرو بن العاص ، يدل على عدم
اشتراك البجة في أي عمليات عسكرية ضد العرب أثناء فتحهم لمصر الوسطى ، بل يشر فقط إلى اشتراك
أهل النوبة . البجة والعرب في العصور الوسطى ، ص ٢٢ .

(٥) الواقدي : فتوح الشام ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

رأى أن يتجه إلى الحلول السلمية ، فأرسل يطلب مصالحة العرب، غير أنه لم يفلح^(١)، وهكذا أدرك حاكم البهنسا مدى ضعف موقفه أمام جحافل الجيش العربى حيث أصبحت القوات العربية تطوقه من جميع الجهات، هذا فضلاً على أنه أراد ألا يقحم نفسه فى معركة غير محمودّة العواقب.

استمر العرب فى القتال وكان البطليوس قد خرج إليهم بجنوده، والسّتح معهم وكانت مقتلة عظيمة تفوق فيها العرب على قوات البطليوس واضطر على أثرها إلى العودة إلى قصره واستمر العرب فى تقدّمهم وحاصروا قصر "البطليوس" ودارت بين الفريقين رحى المعركة وانتهى الأمر بمقتل البطليوس.^(٢)

كان لدخول العرب الفاتحين مدينة البهنسا نتائج بالغة الأهمية، إذا اطمئن العرب إلى تأمين مواصلاتهم شمالاً وجنوباً، كما مهد هذا الفتح لضم منطقة مصر الوسطى إلى حوزة العرب، وواصل العرب السير جنوباً يفتحون القرى والمدن دون مقاومة غير أن العرب طافوا أرجاء المنطقة فيما بين أواخر عام ٦٤١م وأوائل عام ٦٤٢م عام ٢٠-٢١هـ^(٣).

سار أحد القواد العرب ويدعى خارجه بن حدافة^(٤) إلى مدينة أخميم^(٥)، وذلك بعد الانتهاء من فتح بلاد البهنسا، وكما تشير المصادر فقد

(١) الواقدي ، المصدر السابق والجزء ، ص ٢٧٤-٢٧٨ .

(٢) الواقدي : المصدر نفسه والجزء ، ص ٢٩٨-٢٩٩ .

(٣) محمد أحمد محمد أحمد : المنيا فى العصر الإسلامى ، رسالة ماجستير - غير منشورة ، كلية الآداب جامعة المنيا سنة ١٩٧٨م ، ص ٢٩ ، ٣١ .

(٤) خارجه بن حدافة السهمى : من قبيلة قريش ، أرسله الخليفة عمر بن الخطاب كمدد للمسلمين فى مصر ، أثناء محاصرة حصن بابلين ، وقد شهد خارجه فتح مصر ، وقد ولى الشرطة فى عهد عمرو بن العاص وأصبح صاحب الشرطة ، ابن الأثير : أسد الغابة فى تميز الصحابة ، ج ٢ ، ص ٨٤ . وقد عاش خارجه حتى شهد الفتنة التى أدت إلى مقتل الخليفة عثمان بن عفان ، كما شهد مقتل الخليفة على بن أبى طالب ، وقد قتل خارجه خطأ على يد أحد الخوارج الذين انتدبوا لقتل عمرو بن العاص ، فقتل أثناء الصلاة بالمسلمين ، وكان يظن قاتله أنه عمرو بن العاص . ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٤ ، ص ٤١٥ .

(٥) أخميم : تقع شرق النيل بالصعيد ، وهى بلد قديم به الآثار والمباني القديمة وسميت باسم الملك أخميم ، حيث يوجد بها البرابرة عجائب الدنيا ، فيبدو أن ذى النون الأخميمى أو النبوى قرأ الكتابة المكتوبة على حوائطها . ابن دقماق : الانتصار ، ج ٥ ، ص ٢٥ .

أختلف الأمر فى فتح منطقة مصر العليا عما حدث حين فتحهم مصر الوسطى، حيث لم يلق العرب مقاومة تذكر على الرغم من صعوبة مسالكها، التى يصعب معها العمليات العسكرية على القوات المهاجمة^(١).

ولعل السبب يرجع فى ذلك لما سمعه أقباط الصعيد الأعلى حينذاك عن سماحة الإسلام، فكان قواد المسلمين العرب بعد انتصارهم يعطوا الأمان لأهالى البلاد المفتوحة عقداً بالصلح يتعهدون بمقتضاه بالتأمين على أرواحهم وممتلكاتهم^(٢)، لذا بادر الأقباط بالدخول فى الإسلام، ومدوا يد العون للعرب الفاتحين ورحبوا بقدمهم^(٣)، ورأوا فيهم خلاصاً من نير البيزنطيين وظلمهم ومصدقاً لرؤيا الأب بنيامين بطريق الكنيسة المسيحية المصرية^(٤).

واصل خارجه بن حذافة سيره إلى إخميم ورحب أهلها بمقدمه، مما أدى إلى فتحها صلحاً^(٥)، وهكذا دخل العرب المدينة دون إراقة دماء^(٦)، وكانت إخميم من أهم مدن مصر العليا فى هذه الفترة، حيث تركزت فيها معظم صناعات الصعيد بها فى العصر البيزنطى، وخاصة صناعة النسيج التى تركزت فى يد الأقباط المصريين^(٧).

سار خارجه بن حذافة بعد فتحه مدينة إخميم إلى مدينة قفط^(٨) وكانت ذات الحصون والأسوار العالية والأبراج الحصينة^(٩)، فهى من أقدم المدن

(١) الواقدي : فتوح الشام ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ .

(٢) الواقدي : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٣) الواقدي : نفس المصدر السابق والجزء والصفحة ٠ بئر : فتح العرب لمصر ، ص ٣٥ .

(٤) ساويرس بن المقفع : سير الأباء البطارقة ، ج ١ ، ص ١٠٦ .

(٥) ابن الزيات : الكواكب السيارة فى ترتيب الزيادة ، ص ٩ عبدالباسط محمد حسين : دور القبائل الحجازية فى الفتوحات الإسلامية ، ص ٧٣ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب بسوهاج ، سنة ١٩٨٤ .

(٦) Garcin : Un Centre Muslman; p. 34 .

(٧) زكى محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية فى الفنون الإسلامية ، ص ٩٣ .

(٨) عبدالباسط محمد حسين : دور القبائل الحجازية فى الفتوحات الإسلامية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب بسوهاج ، جامعة أسيوط ، ١٩٨٤ ، ص ٧٣ .

(٩) ويذكر الدكتور محمد عبد الستار عثمان أنه يتحكم فى اختيار موقع المدينة الإسلامية ، ما يتمتع به الموقع من تحصين يعين على دفع الأخطار التى تحدث عند هجوم الأعداء عليها ، وبرزت الحاجة إلى تحصين المدن منذ عهد قديم ، عندما نشأت المدينة وزاد عمرائها وثراؤها ، وبدأت تتعرض لهجمات الأعداء ، مما أدى إلى

المصرية فى الصعيد الأعلى^(١) ، ولما وصلت الأخبار إلى إقرايس حاكم مدينة قفط بقرب وصول الجند العرب، أدرك حينذاك أنه لا قبل له بمواجهة هؤلاء ففكر فى تسليم المدينة للعرب وذلك حقناً للدماء خاصة بعد مقتل البطاليسوس حاكم البهنسا^(٢)، وقد شجعه على ذلك أساقفة المدينة يعقوب بن نسطورس وبشندى Picendi^(٣) اللذان أوضحا له أن العرب هم قوم منقذون ومحررون لهم من نير الرومان^(٤).

وهكذا استقر رأى إقرايس حاكم مدينة قفط والأساقفة على تسليم المدينة فخرجوا خارج الأسوار لاستقبال العرب الفاتحين بقيادة خارجة بن حذافة والترحيب بهم ، كما رحب العرب القاطنون فى قفط ببني جلدتهم بدافع القرابة وصلة الدم^(٥)، وهكذا فتحت قفط صلحاً على أن تدفع الجزية للعرب الفاتحين^(٦) وضع العرب أيديهم على ما احتوته كنيسة قفط، ودير أبو سنده بها من ذخائر وذهب وفضه وأعمدة رخامية^(٧) ومما يدل على ذلك فيما بعث

= تحصين المدينة بالأبراج والقلاع : المدينة الإسلامية ، دار الآفاق العربية ، (الطبعة الأولى ١٩٩٩ م) ص ١٠٦-١٠٧ ، ولمزيد من التفاصيل راجع : محمد عبدالستار : المرجع السابق من ص ٩٥ : ١٢٥ .

(١) محمد رمزي : القاموس الجغرافى ، ج ٤ ، ص ١٧٢ .

(٢) الواقدى : فتوح الشام ، ج ٢ ، ٢٩٨-٢٩٩ .

(٣) سيدة الكائف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٦٩ .

(٤) فقد كانوا ينقضون الرومان بنضاً شديداً لما قاسوه على يد أعوان المقوقس . فاطمه مصطفى عامر : تاريخ أهل الدمة فى مصر الإسلامية ، ج ١ ، ص ١٠٠-١٠١ .

(٥) The coptic Enc, art "Qift " Quatrmere : Memoires geographiques et Historiques Sur L'Egypte T.1, P.343 , Sauvaire : Materioux journal Asiatique Septieme Serie T.x 17, PP. 456 – 457 .

(٦) Notices et Extvaits Des Manuserits, Cophth, p.450

فرضت ضريبة على سكان البلاد المفتوحة ، تعرف بالجزية وتكول بدفع المال على الرؤوس ، وذلك للدلالة على عزة الإسلام ، وقد ذكرت هذه الضريبة فى القرآن الرسول وجباها الرسول (ص) وكانت بسيطة فى أول الأمر ، وحسب أحوال المفرضة عليه . ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٦٨ . الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ١٢٦ .

(٧) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٦٩ .

Quatrmers : Op – Cit, P.343

Suvaire: Op-Cit, P45b - 457

به بشندى Picendi أسقف ققط إلى أساقفة أمته وما ورد فى كتابه لهم أن العرب أخذوا الذهب والنفائس.^(١)

وقد أبقى العرب الفاتحون على النظم الإدارية السائدة فى البلاد ، وهكذا ظل حاكم ققط آنذاك فى منصبه دون تغير ، وأصبح مسئول مباشرة أمام والى البلاد^(٢)

أما موقف البجة من الفتح العربى لمدينة ققط فإنهم لاذوا بالفرار تجاه الجنوب^(٣) ولعل السبب فى ذلك هو خوف البجاه على مصالحهم الاقتصادية فى أرض المعدن والتى تقع شرق مدينة ققط^(٤) ، هذا بالإضافة إلى العلاقات العدائية التى كانت تربطهم بجيرانهم النوبيين ولهذا السبب لم يمدوا يد العون لجيرانهم ضد الفاتحين العرب^(٥)

ومن ناحية أخرى كان موقف ملك النوبة "الكبلاج" من الفتح العربى لمدينة ققط فقد أراد أن يحصن مملكته ، ويعد العدة للدفاع عن بلاده ، ودرء الغزو العربى عن دياره ولذا لم يرسل قواته للتصدى للفاتحين العرب ومناصرة أهالى ققط كما فعل من قبل مع البطليوس حاكم البهنسا، هذا بالإضافة إلى أن ملك النوبة كان يتمسك بالمسيحية الأرثوذكسية وينصب من نفسه حامياً لها^(٦) ، كما كان لدخول الفاتحين العرب مدينة ققط نتائج بالغة الأهمية ، إذ اطمئن العرب إلى تأمين طرقهم شمالاً وجنوباً ، بالإضافة إلى نشر الإسلام فى تلك المناطق^(٧) ، وقد ترتب على هذا الفتح ضم مدن وقرى

(١) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٢٠ .

(٢) سيدة الكاشف : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

Stanley- Lane- Poole : A history of the Bega; pp 24-25
Badgia, p. 450 Notice et Extrait; AL

(٣) الهمدانى : البلدان ، ص ٢٨ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٧٤ .

(٤) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ٢٨٢ ، Notices, AlBadgia p.393

(٥) أبو المكارم : تاريخ الكنانى والأديرة ، ج ١ ، ص ٢٥-٢٦ ، Notices, Al Nouba, Oula Nabie P.396

(٦) المسعودى : مروج الذهب . ج ٢ ، ص ٢٤١ .

الصعيد الأعلى بأكمله حيث ترك العرب طائفة من الجند بها أصبحت كحامية لهم ومركزاً لإمدادهم في فتح باقى مدن وقرى الإقليم^(١) .

وقد واصل خارجة بن حذافة القائد العربى بعد فتحه لمدينة قفط سيره إلى الجنوب وذلك لفتح بقية مدن وقرى الصعيد الأعلى، متجهاً إلى إسنأ^(٢)، فلم يجد أدنى مقاومة لدى فتحه للمدينة^(٣)، وقد ساعد ذلك على نزول العرب فيما بعد والاستقرار فيها^(٤).

وواصلت القوات الإسلامية فتوحاتها فى الصعيد الأعلى فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب بقيادة عبدالله بن سعد بن أبى السرح^(٥)، الذى سار ناحية أسوان وتمكن من إخضاع أهل تلك البلاد دون أدنى مقاومة، وساعد ذلك على نزول العرب، واستقرار بعض البطون العربية ولا سيما قبيلة قريش التى وجدت مناخاً مشابهاً لمناخ إقليم الحجاز من شبه الجزيرة العربية^(٦)، وبهذا تم للعرب فتح مصر فى سنة ٢١هـ / ٦٤١م^(٧) .

(١) Garein : Un Centre Musulman: PP. 35 - 36

(٢) إسنأ : وهى إحدى البلدان التى بالصعيد الأعلى وتابعة لإقليم قفط .

ابن الجيعان : التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، ص ١٩ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١، ص ٤٢٨ ، عبدالباسط محمد : دور القبائل الحجازية فى الفتوحات الإسلامية، ص ٧٣ .

(٤) الأدقوى : الطالع السعيد، ص ٢٧ .

(٥) عبدالله بن سعد بن أبى السرح : هو من قبيلة قريش ، أسلم قبل فتح مكة وهاجر إلى المدينة المنورة وكتب للوصى بها - ابن الأثير : أسد الغابة، ج ٢، ص ٢٥٩ ، وقد قام ابن أبى سرح بغزو إفريقية وفتحها ، وانتصر على الروم فى موقعة ذات الصواري ٠ ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج ٧، ص ٢٣١ .

(٦) عبدالله خورشيد البرى : القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، ص ٨٨-٨٩ .

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٦ .

Garcin: Un Cenare Musulman; pp. 37 - 45

”مدينة قفط ودورها في محاولة فتح بلاد النوبة”

أطلق المؤرخون المسلمون اسم النوبة على أرض وادى النيل الممتدة على جانبي هذا النهر العظيم بين مدينتى أسوان والخرطوم الحالية على وجه التقريب^(١) وكانت بلاد النوبة على صلة تجارية ودينية بمدينة قفط ، ولهذا رأى المسلمون ضرورة تأمين الطريق التجارى الهام بين مصر العليا وبلاد النوبة ، بالإضافة إلى ذلك تأمين حدود مصر الجنوبية من أى غارات من جانب النوبة المسيحية^(٢).

كانت المحاولة الأولى من جانب العرب المسلمين لفتح مملكة النوبة فى ولاية عمرو ابن العاص الأولى (٢١١هـ - ٢٥٠هـ / ٦٤١-٦٤٥م) وكان ذلك بعد فتح مدينة قفط التى أصبحت مقراً لإمدادات الجيوش العربية التى تصل من الفسطاط وراحتهم بها، ثم المسير نحو النوبة ، وواصلت الجيوش الإسلامية بقيادة عقبة بن نافع الفهري حملتها على بلاد النوبة^(٣) إلا أن تلك الحملة لم تستطع عمل شئ إزاء مقاومة النوبة حيث صورها

(١) Hudud Al Alam (The Reigon of world per sian Geogra phy 312 A-H 982 A-D Translated and explained by v. minorsky E. J.W Gibb Memor al series. New seriesx:(london 1937) P. 475 .

(٢) المسعودى :مروج الذهب، ج ١، ص ٣٤١، مكى شيكة: السودان عبر القرون، ص ٢٩ . عطيه القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، (طبعة دار المعارف ١٩٨١) ص ٤١، ٤٢، ٤٣، P. 476 ، OP- Cit, Hudud Al Alam :

(٣) البلاذرى :فتوح البلدان، ص ٢٣٢، ابن عبدالحكم :فتوح مصر، ص ٢٢٨، الطبرى :تاريخ الأمم والملوك، حوادث سنة ٢٠هـ ،سيدة الكاشف :مصر فى فجر الإسلام، ص ١٥ ومن الملاحظ أن القرى يذكر أن الذى قام بقيادة هذه الحملة هو عبدالله ابن سعد ابن أبر سرح وليس عقبة بن نافع المقرئى :الخطط، ج ١، ص ٢٠٠. وهذا يخالف ما ذهب إليه كل من البلاذرى وابن عبدالحكم والطبرى، ويرى المقرئى أن هذه الحملة، كانت فى عام ٢٠هـ أو فى عام ٢١هـ الخطط، ج ١، ص ٢٠٠، ويقلب الظن أن خروج هذه الحملة ، كان فى عام ٢١هـ .

البلاذري بقوله " فقد لاقوهم فرشقوهم بالنبل حتى جرح عامتهم، فانصرفوا بجراحات كثيرة وحدثت مفقودة "حتى أطلق عليهم حينذاك رماة الحدق"^(١).

لم تكن المحاولة الأولى ناجحة ولكنها أدت إلى توقيع معاهدة صلح بين الطرفين وفيها تعهد للنوبيون بتقديم عدد من العبيد لولاية مصر، وفتح بلادهم للتجار المسلمين^(٢)، وقد سبقت تلك المعاهدة "معاهدة البقط" التي تم توقيعها في عهد الخليفة عثمان بن عفان^(٣) ومن المرجح أن عقبة بن نافع الفهري ترك طائفة من الجند في مدينة قفط قبل رجوعه إلى مدينة القسطنطينية^(٤).

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان أصبح عبدالله بن أبي سرح والياً على مصر، وأرسل ملك النوبة المسيحية قواته لتهديد حدود مصر العليا، لهذا بدأ عبدالله ابن سعد بن أبي سرح يعد العدة للسير إلى بلاد النوبة ودرء خطرهم فزار الجيش العربي بقيادته في عام ٣١هـ/٦٥١م، وكانت تلك هي الحملة الثانية على بلاد النوبة، حيث واصلت سيرها حتى بلغت مدينة قفط للإمداد والتموين اللازم للجيش الإسلامية^(٥)، وخاصة بعد أن أصبحت القاعدة الحربية وحاضرة إقليم الصعيد الأعلى^(٦)، وبعد التجهيز والتعبئة

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٣٢.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجواهر، ج ١، ص ٣٤١، ٣٣٢، مكي شبكة السودان عبر القرون، ص ٢٩.

(٣) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٢٠٠، يقول المقرئزي عن البقط "البقط ما يقبض من سبي النوبة في كل عام، ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم" الخطط، ج ١، ص ٢٠٠، ولما تمت تلك المعاهدة وعدم نجاح الحملة رجع عقبة بن نافع الفهري إلى مدينة القسطنطينية. البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٣٢، ابن عبدالحكم فتوح مصر، ص ٢٢٨، الطبري: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ٢٠هـ، شوقي الجمل: تاريخ السودان وادي النيل، ج ١، (مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٩م)، ص ٢٣٠.

(٤) الأدفوي: الطالع السعيد، ص ١٢، Enc, of Islam, art (Kift)

(٥) أبو المكارم: تاريخ الكنائس والأديرة، ج ١، ص ٢٥-٢٨.

The Copticyclopedia, Azoz. S Atiya New york v. 7 art (Qipt)

(٦) الأدفوي: الطالع السعيد، ص ١٢، ابن دقماق الانتصار بواسطة عقد الأمصار، ج ٤، ص ٣٣٠.

المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٢٣٢، Enc., of Islam, art (kift)

واصل عبدالله بن سعد القائد العربى سيره إلى بلاد النوبة^(١)، ووصلت حملته إلى دنقله ، واشتدت فيها وطأة القتال بين الجانبين ، وأصيب أعين عدد كبير من الصحابة ومنهم أعين حيويل بن ناشرة ، وعبدالله بن شمر بن أبرهه بن الصباح ، معاوية بن حديج وغيرهم من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم^(٢)، وكان ذلك لمهارة النوبيين فى الرمي بالنبال والسهام بقيادة عبدالله ابن سعد بن أبى السرح فى عام ٣١هـ / ٦٥١م وكانت تلك هى الحملة الثانية على بلاد النوبة وبعد عناء شديد من الجانب العربى تمكن عبدالله بن سعد من حصارهم ورميهم بالمنجنيق ، وأشعل فى بلاد النوبة النار وأحرق كنيسهم واقتحمها ، ولذا بادر ملكهم قليدروث فى طلب الصلح من المسلمين^(٣) .

وافق عبدالله بن سعد على الصلح ، تعهد فيه النوبيون أن يقدموا للمسلمين أربعمئة رأس من عبيدهم كل سنة إلى ولاء مصر^(٤)، وإن كانت رواية المسعودى^(٥) ترى أنهم أقل من ذلك فى العدد حيث يورد : "أن ما اتفق

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٣٨ ، شولى الجمل : تاريخ السودان وادى النيل ، ج ١ ، ص ٢٣١ * بلاد النوبة قال أبو عبدالله الأسوانى أن أول بلاد النوبة بلدة تعرف بالقصر وبينها وبين أسوان خمسة أميال وهى قرية مسلحة من جانب ملك النوبة ، وبها جماعة من المسلمين لم ينطق أحدهم بالعربية الفصحى ، ولها وال من قبل ملك النوبة يعرف بصاحب الجبل - المقرئى : الخطه ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

(٢) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

Macmechael : A history of Arabs in The Sudan: Vol. pp. 155- 15b

(٣) Arkell : A history of the Sudan p. 188 (London 1955) pp 188- 189

بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٣٨٧ . محمد عوض محمد : السودان الشمالى مكانه ، ص ٦٢ * وقال الشاعر العربى فى تلك المعركة

لم تر عينى مثل يوم دمقلة والخيل تغدو بالدروع مثقلة

الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٢ ، على إبراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى (الطبعة الرابعة القاهرة ١٩٥٤ م) ، ص ٢٤ .

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢١٧ ، الشاطر بصيلى عبدالجليل : معالم تاريخ السودان وادى النيل (القاهرة ١٩٥٥) ص ٤٢-٤٣

(٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ١ ، ص ٣٢٧ .

عليه ثلاثمائة وخمسة وستين رأساً ، وذلك فى مقابل أن يرسل المسلمون لهم كميات من القمح والعدس والمنسوجات (١).

ظلت هذه المعاهدة سنة جارية حيث كان على ملك النوبة فى كل سنة أن يقدم السبى المقرر عليهم إلى مدينة أسوان باعتباره أقرب حاكم إسلامى إلى بلادهم ، وكان تسليم هذا السبى بحضور إثني عشر شاهداً من أبناء مدينة أسوان ثم لا يلبث أن يقوم حاكم أسوان بإرسال هذا السبى إلى حاكم الفسطاط (٢).

وكان على حاكم إقليم فقط إرسال هذا السبى بدوره إلى الفسطاط فى مقابل قيام والى الفسطاط بإرسال قدر معلوم من الحبوب والغلال والمنسوجات إلى ملك النوبة سنوياً وذلك وفقاً لما تضمنته المعاهدة (٣).

وقد عرفت هذه المعاهدة فى تاريخ العلاقات بين مصر وبلاد النوبة فى العصر الإسلامى الأول باسم "معاهدة البقط" (٤)، ولكن ابن عبدالحكم أشار إلى هذا الصلح بأنه ليس عهداً ولا ميثاقاً ، وإنما هدنة أمان بعضاً من

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدا والخبر ، ج ٢ ، ص ١١٥ .

(٢) حسن خضيرى أحمدج : مدينة فقط ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٠-٢٠٢ .

Enc, of Islam art (Kift, The coptic Enc, art (Qift)

(٣) المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٣٣٢ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٠ .

(٤) البقط : ما يقبض من سبى النوبة فى كل عام ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم فإن كانت هذه الكلمة عربية فهى إما من قولهم فى الأرض بقط من بقل وعشب أى لبذ من مرعى فيكون معناها على هذا نبذة من المال أو يكون من قولهم إن فى بنى تميم بقطاً من ربيعة أى فرقة أو قطعة فيكون معناها على هذا فرقة من المال أو قطعة منه ، ومنه بقط الأرض ، بمعروفة منها وبقض الشئ فرقه والنقط أن تعطى الحبة على الثلث أو الربع ، والبقط أيضاً ما سقط من التمر إذا قطع فأخطأ المحرف ليكون معناها هنا بعض ما فى أيدي النوبة . المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٩-٢٠٠ ، ولكن الأرجح أن كلمة بقط هذه من كلمة pactum اللاتينية ومعناها عقداً أو اتفاق .

Becher C. H: Islam studien leipz, (1924) I. P 150 .

نقلًا عن الدكتور عطية القوصى : تاريخ دولة الكنوز ، ص ٢٨ .

بعض^(١) وبهذا القول فإنه ينفي تبعية النوبة للديار المصرية ، بتحديد نوع هذا الصلح على أنه هدنة لا يجوز فيها الحرب بين الطرفين^(٢)، حيث تعهد النوبيون فيها بحماية وحفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون وكنسه وإسراجه^(٣)، ولا شك أن حاكم قفط كان عليه مراعاة تنفيذ بنود هذا الصلح .

انتشار الإسلام في منطقة الصعيد الأعلى :-

انتشر الإسلام بين المصريين " الأقباط " بعد أن توطدت علاقاتهم بالعرب المسلمين وكان لصلوات العرب بالأقباط في مدينة قفط أثره في تعلم اللغة العربية ، وخاصة بعد تعريب الدواوين في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، وفي ولاية عبد الله بن عبد الملك عام ٨٧ هـ - وإلى مصر حينذاك^(٤)، وذلك بإحلال العرب محل الأقباط في أعمال الديوان واتخاذ اللغة العربية لغة رسمية في المكاتب ، هذا بالإضافة إلى أن اللغة العربية هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم ، فكان لابد من تعلمها للذين أسلموا حديثاً من القبط خاصة وأن الغالبية المسلمة تتخذها لغة للحديث لذا بدأ الأقباط في تعلم اللغة العربية^(٥) .

كما نتج عن فتح العرب لمدينة قفط نزوح العرب الفاتحين إلى تلك المدينة وخاصة بعد أن بقيت هناك حامية من الجند العرب بها والذين كانوا يخرجون إلى الجهات المجاورة للإرتباع في فصل الربيع ، وفيه يكتب لكل

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٥٣ .

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١٢-١٣ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢١٢ ، سيدة الكاشف : مصر في

فجر الإسلام ، ص ١٥-١٦ ، عطية القوصي : تاريخ دولة الكنوز ، ص ٢٨-٣٠ .

(٣) المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٠ .

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

Hardy : Christion Egypt; Church sand people , New yourk 1955, p189

(٥) حسن أحمد محمود : مصر في عهد الطولونيين ، ص ٢٢ .

قوم من العرب بربيعهم فيسيرون إلى مناطق الرعى والكلا في الإقليم حتى إذا ما انتهى عاد العرب مرة أخرى إلى عاصمتهم واستقروا فيها^(١).

كما ساعد على انتشار الإسلام في منطقة قفط ما كان من وصول عدد كبير من الفقهاء المسلمين إلى هذه المدينة واستقرار أكثرهم فيها ، ومن هؤلاء بنو الأشج مولى ، ولم يقتصر الأمر على هؤلاء الفقهاء الذين وصلوا إلى مدينة قفط بل وصول بعض الفقهاء من المدن القريبة منها والتي تقع في شمال المدينة ومن هؤلاء الليث بن سعد الوهمي ، وعبدالله بن وهب ، ونون الإخميمي مولى قریش^(٢) ، وفي شواهد القبور التي اكتشفت في جنوب مدينة قفط كثير من أسماء الأشخاص التي تحمل لفظ " فقيه " فهناك شاهد محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، يرجع إلى حوالي نهاية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي يحمل اسم " يحيى ابن سلام الفقيه"^(٣) ، وشاهد آخر يرجع إلى منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي باسم " محمد ابن الجراح الفقيه"^(٤) وهذا يؤكد على وجود عدد كبير من فقهاء القرآن والسنة في منطقة قفط ، وقيامهم بتعليم المصريين الذين أسلموا حديثاً تعاليم الدين الإسلامي ، ومنهج العقيدة بعد هدايتهم للإسلام ، مما نتج عنه دخول كثير منهم في الإسلام .

وقد سعى الفاتحون العرب إلى إنشاء المساجد^(٥) لتأدية الصلوات الخمس ، بحيث أصبحت هذه المساجد أماكن للفقهاء ومناراً للعلم ومركزاً لنشر الدين الإسلامي ، ومكان يتدارس فيه المسلمون أمورهم الدنيوية^(٦).

(١) ابن عبدالحكم : فتح مصر والمغرب ، ص ١٨٩ ، ١٩٢ .

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٩٥ .

(٣) حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ج ٢ ، ص ٨٢٢ .

(٤) الواقدي : فتوح الشام ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ .

(٥) ومن هذه المساجد : جامع قفط والجامع العمري بمدينة قفط ، كما أنشئ العديد من المساجد في القرى المحيطة بشمال وجنوب قفط ومنها الجامع العتيق بإسنا ، ومسجد المطاعنة بإسنا بناحية أصفون ، والجامع العمري بقوص ، وجامع النوبة الذي عقدت فيه معاهدة الصلح بين عبدالله بن سعد بن أبي السرح وملك النوبة " قليدرورث " وغيرها . حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية في مصر ، ج ١ ، ص ٦٦ ، معاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ج ١ ، ص ٥٧ ، زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٢٢ .

(٦) Gaicin : Un Centre Musulman; p.37

وكان تشجيع الحكام للدخول فى الإسلام والعمل على رفع راية المسلمين من العوامل التى ساعدت على انتشار الإسلام فى قفط ، ومن أمثلة ذلك ما اشترطه الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٩هـ / ١٠١م) على الأقباط بأن يتخلوا عن أعمالهم فى الدولة ماداموا على دينهم^(١) وقد ساعد هذا القرار على دخول الكثير من القبط فى الإسلام ، بالإضافة إلى ذلك تشجيعه على الدخول فى الإسلام ما أمر به بأن يعفى من اعتنق الإسلام من الجزية المفروضة عليه^(٢).

وكان من أثر فتح العرب لمدينة قفط استقرت بعض القبائل العربية فى منطقة الصعيد الأعلى كله ، فقد استقرت قريش ، وبلى وجهينة بصعيد مصر^(٣)، واستقر بها " خلق كثير من العرب من قحطان ونزار ومضر ، وخلق كثير من قريش ، وأكثرهم ناقلة من الحجاز"^(٤) فقد هيا جو منطقة قفط المتشابه لمناخ الحجاز مما ساعد ذلك على استقرار العرب به .

وكان لنزوح تلك القبائل وتوطنها فى قفط أثره فى انتشار الإسلام بين الأقباط ، وخاصة منذ بداية القرن الثالث الهجرى، عندما أصبح العرب لا يميزون عن أهل البلاد، بعد قرار الخليفة المعتصم العباسى بإسقاط الجند العرب من ديوان العطاء، مما اضطر العرب إلى النزوح إلى مدن وقرى الصعيد الأعلى والاختلاط بالمصريين والتزاوج من بناتهم، والاستغلال

(١) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٩٦ .

(٢) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٧٧ ، ٧٨ * فرضت ضريبة على سكان البلاد المفتوحة ، تعرف بالجزية وتكون بدفع المال على الرؤوس ، وذلك للدلالة على عزة الإسلام ، وقد ذكرت هذه الضريبة فى القرآن الكريم ، وجباها الرسول ، وكانت بسيطة فى أول الأمر وحسب أحوال المفرضة عليه .

الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ١٢٦ ، البلادى : فتوح البلدان ، ص ٦٨

(٣) المقرئى : البيان والأعراب عما دار بارض مصر من الأعراب ، ص ٣٦ - ٣٨ .

(٤) المسعودى : مروج الذهب : ج ١ ، ص ٣٣٢ .

بالتجارة والزراعة والصناعة مما ساعد على انتشار الإسلام بين المصريين^(١).

وهكذا كان انتشار الإسلام ، فى صعود منذ الفتح الإسلامى لمصر ، وتزايد عددهم، ومن هنا تطبع المجتمع القبطى فى إقليم فقط بالطابع الإسلامى الواضح من العادات والتقاليد الاجتماعية التى اختلفت عن المجتمع القبطى القديم ، ونعمت مدينة فقط كغيرها من المدن المصرية بالمساواة ، فى ظل الإسلام^(٢).

وقد أبقى العرب الفاتحون على النظم الإدارية السائدة فى البلاد ، وكان إقطاع مصر مقسماً بين عدة عمال يديرون شئونه المالية والإدارية والقضائية^(٣)، كما أنه فى ذلك الوقت لم يكن أصحاب الكور^(٤) فى البلاد خاضعين خضوعاً مطلقاً للسلطة المركزية بالفسطاط ، بل غير ملزمين ، ولعلمهم كانوا يتلقون التأييد من صاحب الإقطاع مباشرة ، ولم يكن هناك ما يلزمهم الخضوع لنائب الأمير بالفسطاط^(٥).

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ ، شكرى فيصل : المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ١٥١ ، على حسن الخربوطلى : مصر العربية الإسلامية ، ص ٢٩-٣١

(٢) حسن أحمد محمود : حضارة مصر الإسلامية ، العصر الطولونى ، (القاهرة ١٩٦٠م) ص ٤٥ ، شكرى فيصل : المرجع السابق ، ص ١٥٦

(٣) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٢٤٦ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٢

(٤) ظلت مصر تنقسم إلى أقسام ، يعرف كل منها باسم كورة وعلى رأسه حاكم يسمى صاحب الكورة ، وله اختصاصات تشبه إلى حد ما اختصاصات المحافظين حالياً ولكن أصحاب الكورات ، كانوا مسئولين أمام البلاد مباشرة ، وكانت الكور تصغر وتكبر ، بحسب ظروف الزمان والمكان ، وتفاوت الحضارة والعمران ، وكانت مصر مقسمة إلى ثمانين كورة فى فترة عصر الولاة . محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ج ١ ، ص ٢٨-٢٩ ، سيدة كاشف : مصر فى عصر الإخشيدين ص ٧٩ .

(٥) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

على أية حال فقد انقسمت مصر العليا في عصر الولاة إلى عدة كور^(١)، ومراكز وقرى، بينما يذكر المقرئى أن عدد قرى أخميم ثمان وثمانون قرية ، ووزع هذه القرى على المدن التابعة لها كالتالى : فقط ضمت اثنتين وعشرين قرية ، هو ضمت عشرين قرية ، وفاو ثمان قرى ، وقنا سبع قرى والأقصر خمس قرى ، وإسنا خمس قرى ، وأرمنت سبع قرى ، وأسوان ضمت سبع قرى وأن لكل كورة من كور مصر مدينة^(٢) .

وقد كان يحكم إقليم فقط في عصر الولاة كما أشارت وثيقة من أوراق البردى العربية، مؤرخة بسنة ١٣٧هـ / سنة ٧٥٢م هو يزيد بن عبدالله صاحب الأمير^(٣).

وكذلك استمرت النظم الإدارية بإقليم فقط في عصر الولاة نظماً ثابتة ثم أخذت في التنوع منذ أيام الطولونيين والأخشيديين حيث اختصت كل إدارة بأعمال معينة^(٤) ، وكان حاكم الإقليم حينذاك يدعى " أبو النصر غليون بن سعيد " واستمر بحكم الإقليم حتى تم عزله في عهد كافور الإخشيدي^(٥).

أما في العصر الفاطمى ، فقد تغير تقسيم مصر العليا الإدارى ، وأعيد تنظيمها إدارياً في العصر الفاطمى " فقد قسمت إلى ثلاثة أعمال الأسيوطية والأخميمية والقوصية.^(٦)

(١) ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٢ : ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٣ ، ص ٧٩ .

(٤) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٩٤ ، عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٥) ابن ميسر : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٦) ابن الجيعان : التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، ص ٥ .

وضمت قوص : فرج بن هميم ، وقصر ابن شادى ، ودشنا ، وقنا ، وإبيزيد ، وقط ، ودمامين ، والأقصر ، وطود ، وأسوان ، وفرشوط ، والبليتا وسهود ، وهو ، وقمله ، وأرمنت ، والدمقران ، وأصفون ، وإسنا ، بينم ا ضفت أخميم ساقية قلته ، والبيارات ، وسلامة ، وسوهاى ، وجزيرة شندويل وسمنت ، وقلقا ، والمنشية ، والمراغة لضممت أسيوط . السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٢ .

وقد أورد أبو صالح الأرمني ^(١) نفس هذا التقسيم في الجدول الخاص بضريبة الخراج في عهد المستنصر بالله الفاطمي ، فقد ذكر كلمة عمل بدلاً من كلمة كنورة وقرية ، كما ذكر الثلاثة أعمال الأسيوطية والأخميمية والقوصية من ضمن النواحي التي تؤدي الخراج ، فصار العمل وحدة إدارية للبلاد.

ويتبين لنا من تطور النظام الإداري الإقليمي لمنطقة قفط في العصر الذي نتحدث عنه أنها لم تتشقق عن السلطة المركزية في العاصمة ، ولم يقدّم فيها نفوذ سياسي مستقل.

الأحداث السياسية في عهد الولاة (٢١-١٣٢هـ/٦٤١-٧٥٠م)

عانى إقليم قفط من جراء تلك القلاقل والثورات التي نشبت في الصعيد الأعلى فكان مرتعاً خصباً للمعارضة السياسية، ومأوى لكل من يريد إشعال ثورة، ومعبراً طبيعياً للفارين من الضغط السياسي، بفضل الطرق الصحراوية التي تسمح بالالتفاف حول العاصمة " الفسطاط " في سهولة ويسر ، هذا فضلاً عن دخول بلاد المغرب والجزيرة العربية في وحدة سياسية مما عزز من مكانة الصعيد ، وكفل لثواره عنصر الحماية ، خلال العصر الإسلامي الأول ^(٢).

وأصبحت المدن التابعة لهذا الإقليم في تلك الفترة منبع القلق والاضطراب السياسي لسلسلة من الأحداث المتوالية تلك التي بدأت مع عصر الولاة سنة (٢١-٢٥٤هـ/٦٤٢-٨٦٨م) ، وظلت كذلك حتى نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وأسهمت تلك المدن إسهاماً واضحاً في إزعاج السلطة بالفسطاط وكانت هذه الكور التابعة لإقليم قفط وهي: إسنا

(١) تاريخ أبو صالح الأرمني ، ص ١٠، ١١.

Garcin: un Centre Musulman : p.60.

(٢) حسن خضيري : مدينة قفط ، ص ٢٢٠-٢٢١

وأرمنت، وهو، وقوص، ودشنا، حتى مدينة أسوان حيث أصبح هذا الإقليم
مثار قلق واضطراب، وعلى الرغم من أن تلك المدن كانت تابعة لإقليم قفط،
وكانت قفط قسبة الإقليم في ذلك الوقت^(١).

كانت القبائل العربية في مصر تتأثر بأحداث الخلافة الإسلامية منذ
قيامها ، وكانت ثورات القبائل في عهد بني أمية بالصعيد الأعلى قائمة على
العصبية القبلية^(٢)، حيث قامت حركات ضد الخليفة عثمان بن عفان كان لها
صددها في مصر، ومن هذه الانتفاضات حركة "عبدالله بن سبا"^(٣)، وكان
يهودياً اعتنق الإسلام، وطاف في البلاد الإسلامية يدعو إلى أحقية علي بن
أبي طالب في الخلافة من عثمان بن عفان ، وتطرق في دعوته^(٤).
حازت دعوة "ابن سبا" قبول القبائل العربية في مصر^(٥)، وترجمها
"محمد بن أبي حذيفة ، الذي فكر في إرسال جيش من مصر إلى عثمان بن

(١) الأدلوي : الطابع السعيد، ص ١٢، ابن دلقاق: الانتصار، ج ٤، ص ٣٣، المقرئ: الخطط ج ١، ص ٢٣٢.
The coptic Ency clopeadia, Aziz s, Atiya Qift , The Enyclopeadia of Islam art "Kift"
(٢) رأت أفراد القبائل العربية من بينهم بعض الصحابة المجاهدين الذين استقروا في مصر فرصة للقيام ضد
الخلافة ، وهم في ذلك لم يقصدوا عثمان نفسه ، وإنما زعزعة سيادة قريش فلقد كرهوا تلك السيادة ،
التي زادت منذ ظهور الإسلام، على أنه وجد أيضاً في عصر بعض القرشيين الذين ثاروا ضد الخليفة
عثمان وعلى رأسهم محمد بن حذيفة ، ولا يستبعد أن يكون هؤلاء من طمعوا في الخلافة نفسها .
سيده الكاشف : مصر في فجر الإسلام، ص ١١٤ .

ممدوح عبدالرحمن الريطي : دور القبائل العربية في صعيد مصر ، ص ١٢٨ .

(٣) المقرئ: الخطط ، ج ١ ، ص ١٣٦ .

(٤) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١٥ ، حسين محمد نصار: الثورات الشعبية في مصر الإسلامية، ص ١٣-١٤

(٥) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١٧ ، المقرئ: الخطط ، ج ٢، ص ٣٣٥. سأل وفد مصر الخليفة
عثمان بن عفان عزل عبدالله بن سعد بن أبي سرح وتوليه محمد بن بكر ولاية مصر ، فأجابهم عثمان
على ذلك ، فلما رجع الوفد ، إذا هم براكب فآخذه وقتلوه وفتشوه فوجدوا معه كتاباً إلى عبدالله بن سعد على
لسان عثمان بقتل محمد بن أبي بكر وجماعة معه فأخذوا الكتاب ورجع الوفد مرة ثانية إلى المدينة المنورة
وقرأوه على من فيها من الصحابة ، وقد انكر الخليفة عثمان علمه بذلك الكتاب، وحلف لهم أنه لا يعلم من
أمره شيئاً فظن الوفد أن الكتاب كتبه مروان بن عبدالحكم. ابن عم عثمان وكاتبه فطلبوا تسليمه إليهم،
فلم يجبههم عثمان إلى ذلك ، وذلك لقسم مروان بعدم علمه بهذا الكتاب لما كان من الوفد إلا أن طلب من
الخليفة فأبى وتمسك بحقه في الحكم فتناولوا عليه وتكلموه.

الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١٥-١٨ ، سيده الكاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ١٢٣ .

عفان، فسار الثوار إلى المدينة المنورة سنة ٣٥هـ بقيادة عبدالرحمن بن عديس البلوي، وأشعلوا نار الفتنة، وانضم إليهم فريق من عرب الأمصار وانتهى الأمر بمقتل الخليفة عثمان، حيث خلفه من بعده علي بن أبي طالب، وترغم معاوية بن أبي سفيان حركة المعارضة ضد خلافة علي بن أبي طالب وطالب بدم عثمان الذي قتل مظلوماً^(١)، وكانت مصر مسرحاً للنزاع بين علي ومعاوية، وكان إقليم ققط من بين الأقاليم التي ظهر فيها النزاع^(٢).

بمايع أنصار الحزب الأموي في مصر " معاوية بن حديج " على المطالبة بدم عثمان ، فسار بهم إلى الصعيد فالتقوا في البهنسا^(٣) ، ودارت رحى معركة كبيرة انهزم فيها أصحاب ابن أبي حذيفة^(٤) ، الأمر الذي رفع من شأن الحزب الأموي ، وأضعف للفريق الآخر، والدليل على ذلك أن معاوية بن حديج وهو على رأس الحزب الأموي تمكن بعد انتصاره في البهنسا من هزيمة جمع آخر لأبي حذيفة بالقرب من الأسكندرية في خربنا في رمضان سنة ٣٦هـ^(٥) ولعل انتصار العثمانية في البهنسا يرجع إلى أعوانهم من أهالي إقليم ققط ومن المرجح أن هناك اتصالاً بين حاكم البهنسا وحاكم مدينة ققط لمعاونة الحزب الأموي، وليس أدل على ذلك مما أشار إليه أبو المحاسن^(٦) من وجود أعوان من العثمانية بصعيد مصر وعلى رأسهم عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان الذي توفي سنة ٩٦هـ، لذا يمكن القول بأن هؤلاء الأمويين مهدوا السبيل لانتصار معاوية بن حديج على خصومه، ومهما يكن من أمر فإن النزاع بين أنصار عثمان وأنصار علي انتهى في

(١) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ٢٣٥ .

(٢) المقرئى : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٨ ، المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

(٤) الكندى : المصدر السابق والصفحة ، المقرئى : المصدر السابق والصفحة والجزء .

(٥) الكندى : المصدر السابق والصفحة ، المقرئى : المصدر السابق والصفحة والجزء .

(٦) النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .

صالح معاوية بن أبي سفيان، وأصبحت مصر بذلك تابعة لمعاوية الذي تولى الخلافة في سنة ٤١هـ^(١).

ظهر النزاع على الخلافة عندما أخذ معاوية قبل وفاته البيعة بولاية العهد لابنه يزيد وقد عارض في تلك البيعة نفر من أهل المدينة منهم عبدالله بن الزبير^(٢)، فقام ودعا لنفسه بالخلافة وكان لخروج ابن الزبير على الخلافة صده في مصر فقد ظهرت دعوته في مصر عقب وفاة الخليفة معاوية (سنة ٦٠-٦٢هـ / ٦٨٠-٦٨٢م) ، وفي ولاية سعيد بن يزيد عليها ، وقد قام بتلك الدعوة الخوارج، وأرسلوا وفداً إلى ابن الزبير يعلنون ولاءهم وطاعتهم له ويطلبون منه إرسال والي من قبله إلى مصر^(٣)، فأرسل ابن الزبير عبدالرحمن بن عتبة بن جحدم الفهري إلى مصر، وقدم إليها في نفر من الخوارج، وغادر سعيد بن يزيد البلاد^(٤)، ومن ثم بدأت ولاية عبدالرحمن بن جحدم في شعبان سنة ٦٣هـ ، وأصبحت مصر بذلك ولاية تابعة لعبد الله بن الزبير، على أن حكم ابن الزبير بمصر لم يدم طويلاً فقد تمكن مروان بن الحكم من القضاء عليه^(٥)، وأعاد مصر إلى حظيرة الدولة الأموية .

وقد نعم إقليم ققط بالهدوء، وذلك حتى قيام قبائل البجة^(٦) بالهجوم على مدينة ققط سنة ١٠٧هـ / ٧٢٥م، ويبدو أن ولاية الأمور في مصر في

(١) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ١، ص ١١٠، آلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان بعد أن تمكن نصيره عمرو بن العاص من القضاء على أنصار الحزب العلوي في مصر وانتصر على محمد بن أبي بكر في سنة ٢٨هـ. محمد الخضري: الدولة الأموية، ج ٢، (دار المعرفه الطبعة الثانية سنة ١٩٩٦) ج ٢ ص ٣٠٠-٣٠٧.

(٢) ابن طباطبا: الفخرى في الآداب السلطانية، ص ٩٨.

(٣) سيدة الكاشف: مصر في فجر الإسلام، ص ١٣١.

(٤) الكندي: الولاة والقضاة، ص ٤٠، المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٢٣٢.

(٥) الكندي: المصدر السابق، ص ٤٣-٤٤، السيد طه أبو سدرة: القبائل اليمنية في مصر، ص ١٠٢: ١٠٨.

(٦) البجة: كلمة محرفة من كلمة البجا المشتقة من كلمة المناجولي، وهي تعني في القرون الحارس أو المحارب، وقد أطلق المصريون القدماء على القبائل الحامية "البجة" التي تعيش بين النيل والبحر الأحمر، اسم المازوي الماچوي - مصطفى مسعد: البجة والعرب في العصور الوسطى، ص ٢، ٥، محمد عوض محمد: السودان الشمالي وسكانه وقبائله، ص ٢٤ والبجة قبائل منفصلة يتكلمون من عدة بطون مختلفة الكحدراب والحجاب، والعمائر، والكوفر، والمناسة، والرسقة، والفريزفة، والزناخج، وكانوا يعبدون الأصنام. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢١٧.

أعقاب الفتح الإسلامى لمدن وقرى إقليم فقط لم يهتموا كثيراً بهذه القبائل، ولم يكثرثوا بهم ولم يتعرضوا لهم، وليس أبل على ذلك مما ذكره ابن عبدالحكم حين قال "أن القائد العربى عبدالله بن سعد بن أبى سرح بعد أن غزا مملكة النوبة سنة ٣١هـ/٦٥٢م بادر بالرجوع إلى مصر، وفى أثناء عودته شاهد حشداً من البجة على شاطئ النيل فسأل عنهم ، ولما أخبر بمكانهم هان عليه أمرهم وتركهم وشأنهم ولم يكن لهم عقد ولا صلح".

ولعل عدم اكتراث ابن سعد بهم كان مرده إلى أنه نظر إليهم على أنهم قبائل بدوية لا تشكل خطورة على الفتح العربى وأن ديار البجة ليست بدار حرب^(١)، وكانت تربطها علاقات وطيدة بأهالى فقط قبل الفتح الإسلامى، حيث كان معبدهم^(٢) الخاص بتلك المدينة كما كثر بها رجال الدين المسيحى والأساقفة الذين يقطنون فى كنيستهم بمدينة فقط، لأن عدداً غير قليل من البجة اعتنقوا المسيحية، وظلوا على مسيحيتهم بعد الفتح الإسلامى لهذه المدينة وانتشار الإسلام بها.^(٣)

وعندما أحس حاكم مدينة فقط بتقدم قبائل البجة للغارة على بلاده أعد العدة للدفاع عن المدينة ودرء الهجوم عن دياره، وأرسل رسله إلى عبيد الله بن الحباب السلوى والى خراج مصر حينذاك، للوقوف بجانبه وصد هذا الهجوم، فقام "عبيد الله" بنصرته وصد الهجوم عن إقليم الصعيد الأعلى^(٤)، وعقد معهم صلحاً، يعتبر أول عقد بين المسلمين والبجة فى أعقاب الفتح الإسلامى^(٥)، وقد نص هذا العقد على الشروط التالية :

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٤٦-٤٧، Garcin : Un Centre Musulman; p 51

(٢) وقد عبد البجا الأصنام - ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٥٠، مصطفى مسعد: البجة والعرب ص ٢٢.

Inc, of Islam art kift, The coptic Enc, art qift

(٣) أبو المكارم: الكنائس والأديرة، ج ١، ص ١٩.

Inc, of Islam art (kift) , The coptic Enc art (Qift)

(٤) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٨٩.

(٥) ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ص ١٨٩.

أولاً : أن يقدم البجة لسكان مصر ثلاثمائة من الإبل الصغيرة سنوياً ، فى مقابل أن يدخلوا بلادهم للتجارة دون الإقامة^(١) .

ثانياً : ألا يقتلوا مسلماً أو زنبياً ، وألا يؤذوا عبيد المسلمين ويظل وكيلهم فى الصعيد الأعلى رهينة فى أيدي المسلمين ضماناً لوفائهم ببنود هذا الاتفاق للديار المصرية.^(٢)

وكان من أهم النتائج التى أسفرت عن هذه المعاهدة إنها ساعدت على وضع حد لهجمات البجاه، كما فتحت بلادهم للنفوذ العربى، الأمر الذى أدى إلى هجرة بعض القبائل العربية إلى أراضيهم، كما عملت على تنشيط التجارة، هذا فضلاً عن إشاعة الأمن والأمان الذى تتطلبه طرق التجارة فى المقام الأول، وهياً بدوره سفر الكثير من الحجيج المصريين إلى الحجاز عن طريق بلاد البجة^(٣).

ومما نتج عن هذه المعاهدة الاتفاق بين حاكم مدينة قفط ورئيس البجة أن يسمح له بالدخول إلى تلك المدينة ، حيث كان يحظى بالحفاوة من جانب أهالى قفط^(٤) وقد استمر الحال على ذلك طيلة قرن إلى أن عمد البجة على نقض شروط الصلح مع العرب^(٥).

فى سنة ١٢١هـ/سنة ٨٣٨م، قامت ثورة فى إقليم الصعيد الأعلى ضد ولاية بنى أمية فى مصر، قام بها الأقباط ضد صاحب الخراج" وأكد على

(١) المقرئى : الخطط، ج ١، ص ١٩٥ .

(٢) ابن عبدالحكم : فتوح مصر، ص ١٨٩، والمقرئى : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٣) مكى شبكية : السودان عبر القرون ، ص ٢٦، ٣٠ ، مصطفى محمد مسعد : : البجة والعرب ، ص ٢٤ ،

محمود الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى (دار عين ١٩٩٦م) ، ص ٦١-٦٢ .

وللمزيد من الدراسة راجع الدكتور / حسن خضيرى أحمد : مدينة قفط ، ص ٢٢٣ - ٢٣٠ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٦، ٥١ .

(٥) ابن حوقل : المصدر السابق والصفحة ، ص ٧٠ .

ذلك المقرئ بقوله "حارب القبط عمالهم"^(١) وكان حاكم إقليم فقط هو يزيد بن عبدالله^(٢)، ومن الطبيعي أن يتصدى والى مصر "حنظلة بن صفوان"^(٣) لهذه الثورة التى امتدت إلى معظم الديار المصرية^(٤) حينذاك ، وكانت هذه الثورة نتيجة لما فرضه عبيد الله بن الحبحاب - والى خراج مصر - على الأقباط من زيادة الخراج المقرر على أراضيهم فقد كتب ابن الحبحاب إلى الخليفة هشام بن عبدالمك: "أن أرض مصر تحتل الزيادة ، فزاد على كل قيراط دينار"^(٥).

وهكذا يمكن القول بأن الأقباط لم يتدخلوا فى الحياة السياسية فى مصر عامة ومصر العليا خاصة ، إلا بعد ما زالت عليهم قيمة الضريبة ، ولعل قيام هذه الثورة ربما كان لتشدد عمال الأقاليم مع الأهالى فى تحصيل الجزية والخراج، أو لسوء سيرتهم فيهم، وعنتهم معهم .

وفى عهد الخليفة مروان بن محمد (١٢٨-١٣٢هـ) آخر الخلفاء الأمويين، وقد تزعمت القبائل اليمينية هذه الثورة التى نشبت بصعيد مصر وحملت لواء المعارضة ضد الأمويين وملأت الصعيد سخطاً عليهم، وكانت أن تنفرد بحكم الصعيد^(٦)، إلا أن مروان بن محمد أرسل إليهم جيشاً من

(١) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ ، سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٢٣٥ .

(٢) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٢ ، ص ٧٠ .

(٣) حنظلة بن صفوان : تولى حنظلة إمرة مصر مرتين ، الأولى من سنة ١٠٢هـ - ١٠٥هـ ، والثانية من ١١٩ - ١٢٤هـ - أبو المعاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ ، ٢٨٠ - ٢٨١ .

(٤) قامت ثورة فى دمياط فى سنة ١٠٧هـ / ٧٢٥م وثورة فى سمنود فى سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م وثورة فى رشيد سنة ١٥٠هـ / سنة ٧٦٢م وكل هذه الثورات نشبت فى مصر السفلى - ساويرس بن المتق : سير الأباء البطارقة ، ج ١ ص ١٩١ ، الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٩٣ - ٩٦ المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٧٩ .

(٥) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ ، مصطفى مسعد : الإسلام والنوبة ، ص ١١٦ .

(٦) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٨٤ ، وممدوح عبدالرحمن الريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر ، ص ١٣٢ - ١٣٣ م

القبائل القيسية، وعلى رأسه حوثة بن سهيل الباهلي والى مصر^(١) الذى دخل مصر فى سبعة آلاف محارب من أهل حمص والجزيرة، وقنسرين، واشتبك معهم بالصعيد فى معركة حامية سنة ١٢٨هـ، واستطاع أن يهزمهم خلالها^(٢) ويمثل بهم بعد أن تمكن من قتل زعمائهم، ونتيجة لذلك أظهرت اليمانية عداها لبنى أمية فناروا عليهم فى صعيد مصر، فى الوقت الذى أظهروا فيه مناصرتهم للعباسيين^(٣).

لما انهزم مروان بن محمد أمام العباسيين فى موقعة الزاب فى جمادى الآخر سنة ١٣٢هـ^(٤)، فوجد أن أهل الحوف الشرقى قد سوتوا العباسيين، ولم تلبث الأمور أن أصبحت على تلك الحال فى الإسكندرية، فنار بها الأسود بن نافع ابن أبى عبيده بن عقبة بن نافع الفهرى، وفى صعيد مصر دخل عبد الأعلى ابن سعيد بن عبدالله بن مسروق الجيشانى فى طاعة العباسيين^(٥) وحذا حذوه يحيى بن مسلم بن الأشج مولى بنى زهره فى أسوان^(٦)، وأظهروا موالاتهم للعباسيين كذلك، كما اشترك أقباط إقليم قفط مع سائر أقباط مصر فى الوقوف ضد الخليفة مروان بن محمد الأموى، وكان أقباط قفط لهم دور ملموس فى ذلك الأمر، نتيجة لما حاق ببطرك الأقباط الأنبا ميخائيل حينذاك، والذى رفض إعطاء مروان الأموال التى فرضها عليه^(٧).

(١) محمود توليق حفاوى: مصر والعرب عبر العصور، (ط دار الفكر العربى القاهرة) ص ٥٢.

(٢) الكندى: الولاة والقضاة، ص ٨٤-٨٥، وممدوح عبدالرحمن الربيعى: دور القبائل العربية فى صعيد مصر، ص ١٣٢-١٣٣.

(٣) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٣٠٥.

(٤) الكندى: الولاة والقضاة، ص ٩٥.

(٥) الكندى: الولاة والقضاة، ص ٩٥، سيدة الكاشف: مصر فى فجر الإسلام، ص ١٤٤.

(٦) الكندى: المصدر السابق والصفحة، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٣١٦.

(٧) أبو المكارم: تاريخ الكنائس والأديرة، ج ٢، ٩: ١١.

وقد بذل كل من عبد الأعلى بن سعيد بن عبد الله بن مروان الجيشاني ، ويحيى بن مسلم بن الأشج جهداً واضحاً في استمالة أهالي إقليم الصعيد الأعلى في رفع الرايات السود " شعار العباسيين " ^(١) ومن هنا يتضح انضمام الصعيد الأعلى إلى الدعوة العباسية .

على أن مروان بن محمد تمكن من إخضاع الإسكندرية والصعيد ^(٢)، إلا أنه لم يجن ثمار هذا النصر ، وذلك أن والي العباسي في مصر صالح بن علي ، ولجأ مروان إلى بوصير ^(٣) من الأشمونيين ، كما تتبع العباسيون مروان بن محمد في الصعيد حيث التقوا بجمع لمروان ، وجرت بينهم معركة انتصر فيها العباسيون ^(٤) ، وتفرغوا بعد ذلك لملاقاة جمع آخر لفرسان مروان في موضع يقال له ذات الساحل بالأشمونيين ^(٥) وظفروا بهذا الجمع وتمكنوا بذلك من القضاء على جنود مروان ، فوجدوه بإحدى كنائس بلاد الأشمونيين ^(٦) ، فقبضوا عليه وصلبوه وقتلوا وزيره ^(٧) ، وكانت لهذه الحروب صداها في بلاد إقليم الصعيد الأعلى فقد اضطرب أهلها أمام هول

(١) يوليوس فلهوزن : تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية (القاهرة ١٩٥٨م) ص ٥١٨ ، ٥١٩ .

(٢) أبو المعاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٣١٦ .

(٣) القضاعي (ت ٤٥٤ هـ) : عيون المعارف وفتون أخبار الخلفاء ، مخطوط رقم ١٧٧٩ . تاريخ ، بدار الكتب المصرية ، ورقة ٥٩ ، أبوالمكارم : المصدر السابق والجزء ، ج ٢ ، ص ١٠ . بوصير : اسم لأربع قرى في مصر ، هي بوصير قوريدس في كورة الفيوم ، وهي التي قتل بها الخليفة مروان بن محمد ، وبوصير السدر في كورة الجيزية ، وبوصير قدنو في كورة الفيوم أيضاً ، وبوصير نبا في كورة السمودية . ياتوت الحموي معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ .

(٤) ابن مسكويه : كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق (نشر دي جويه ليدن ١٨٦٩م) ج ٣ ، ص ٢٠٤ .

(٥) ابن مسكويه : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٦) أبوالمكارم : تاريخ الكنائس والأديرة ، ج ٢ ، ص ٩ - ١١ .

(٧) أبوالمكارم : المصدر السابق والجزء والصفحة ، ويذكر ساويرس أن العباسيين ألقموا بالصعيد ثلاثة أيام وثلاث ليالي يتواصلوا القرى حتى تمكنوا من الإيقاع بمروان . سير الآباء البطارقة ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٥ .

المعارك وهجر الكثير من الناس قراهم^(١)، أعقب العباسيون انتصارهم على مروان بقتل من ظفروا به من بنى أمية^(٢).

تمكن أبناء مروان عبيد الله وعبد الله من الزحف تجاه الجنوب قبل وفاة أبيهما مروان بعدة أيام ، وتبعهم بعض الجنود الأمويين ، وساروا جميعاً إلى منطقة إقليم قفط، ومنها إلى بلاد النوبة^(٣)، وقد نتج عن هذه الحروب أن قتل عبيد الله بن مروان، وتمكن أخوه عبدالله من العبور إلى اليمن ومنها إلى مكة المكرمة، حيث تمكن واليها من القبض عليه " فقدم به على الخليفة المهدي العباسي ووضع في السجن ببغداد حتى توفي"^(٤).

على أن سقوط الخلافة الأموية لم يكن معناه انتهاء المقاومة الأموية في مصر ذلك أن البقية الباقية من أنصار بنى أمية لم تر غضاضة من الوقوف في وجه العباسيين ، كذلك كان العباسيون في نظر العلويين وشيعتهم مختصين للخلافة^(٥)، لذا قاموا يدعون لأنفسهم ومن ثم طرأت على مصر مرحلة جديدة جاءت بعد نهاية حكم الأمويين في مصر، وهي مرحلة اتسمت بعدم الاستقرار شهدت البلاد خلالها ثورات أنصار البيتين الأموي والعلوي في وجه العباسيين، وقد لبلاد منطقة قفط أن تشهد أعظمها خطراً^(٦).

إلا أنه كما تشير المصادر فقد بقي كثيرون من الأمويين في إقليم قفط وأصبحت ملاذاً لهم من تعسف العباسيين واضطهادهم، ففر عاصم بن أبي بكر الأموي إلى مدينة قفط، ومعه أخوه عمرو وأولاده الثلاثة عبدالملك،

(١) أبوالمكارم: تاريخ الكنانس والأديرة، ج ٢، ص ١١.

(٢) سيدة كاشف: مصر في فجر الإسلام، ص ١٤٢.

(٣) المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٢٨٥ - ٢٨٦، مصطفى مسعد: العرب والبجة، ص ٢٦.

(٤) حسن خضيرى أحمد: مدينة قفط، ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٥) سيدة الكاشف: مصر في فجر الإسلام، ص ١٤٨ - ١٤٩.

(٦) سيدة الكاشف: المرجع السابق والصفحة .

وإيمان، ومسلمة ، واستقروا فيها^(١)، حيث أنصارهم من أهالي قفط المواليين لهم، ولما وصلت أخبارهم إلى والي العباسي صالح بن علي ماكان من خبرهم بعث إلى حاكم إقليم قفط ويدعى أحمد بن دعيم^(٢) ، طالباً القبض عليهم وإرسالهم له فأعطاهم الأمان ، ومن ثم قدموا إلى القسطنطينة سنة ١٣٣هـ / ٧٥١م ، حيث قبض عليهم وأرسلهم إلى الخليفة السفاح العباسي، فقتلوا في الطريق في مدينة قلنسوة بفلسطين^(٣) كما تخلص صالح بن علي والي مصر حينذاك من محمد بن زياد ، والطفيل بن زيات ، ومروان ابن الأصبع بن عبدالعزيز في الصعيد الأعلى^(٤) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن عبدالله بن مروان قد خلف من ورائه بعض الأمويين ومواليهم ومن تبعهم من العرب والموالي في بلاد البجة والنوبة^(٥)، والدليل على ذلك ما ذكره أحد المستشرقين من وجود مقابر أولئك الأمويين على طول الطريق الذي سلكوه من بلاد النوبة حتى ميناء باضع ، فقد هربت جماعة من بني أمية إلى بلاد النوبة والبجة ، واستقر بعضهم في ميناء باضع وقد دلت الأبحاث الأثرية على وجود شواهد قبور إسلامية ، وعلى مسجد في سنكات ، ويستنتج أنها طريق الفارين من الأمويين^(٦).

(١) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٩٨-٩٩ ، الإدلسي : الطالع السعيد ، ص ١٢ ، ابن دلقاق : الانتصار ،

ج ٤ ، ص ٢٣ ، المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٢٢ Enc, of islam art (kift)

(٢) سيدة الكاشف : أحمد بن طولون ، ص ١٦٨

(٣) حسن خضير أحمد : مدينة قفط ، ص ٢٣١-٢٣٢ .

(٤) ومن أمثال من تكل بهم من الأمويين ، عبدالملك بن مروان بن موسى بن النضر ، ومعاوية بن مروان

ومواس بن المهدي بن داود بن نصير ، وضرب عتق حسان بن عتاهيه

الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٩٨ . Garcin : un Centre Musulman , p.60

(٥) المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص ٢٨٥-٢٨٦ .

(٦) مكى شبكة : السودان عبر القرون ، ص ٢٢ * لقد عثر على شواهد قبور إسلامية يرجع تاريخها إلى

منتصف القرن الثامن الميلادي حوالي سنة ٧٦٠م وهو تاريخ يتفق إلى حد كبير وهجرة الأمويين إلى

بلاد البجة ، عطية القوصي : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

والواقع أن الأمر لم ينته عند هذا الحد بل أقطع الوالى العباسى على مصر وهو "صالح بن على" القبائل العربية التى ساعدت العباسيين فى زوال دولة بنى أمية والقضاء عليها إقطاعات كثيرة ، فأقطع عبدالأعلى بن سعيد الجيشانى إقطاعات فى مصر السفلى^(١)، أقطع لشرحبيل بن مذ يلفة الكلبى، والأسود بن نافع الفهرى ، أملاكاً فى مختلف أنحاء مصر مكافأة لهم على مساعدتهم ، وكانت هذه الإقطاعات أملاكاً لأسرة بنى أمية فى مصر ، كما رفع العباسيون الضرائب عن الكنائس ، وأطلقوا سراح البطريرك القبطى الذى سجنه مروان أثناء وجوده قبل سنة ١٣٢هـ^(٢)، ويبدو أن العباسيين قاموا بذلك الأمر ، بهدف استمالة القبائل العربية والأقباط القاطنين بالصعيد الأعلى معاً لتقبل الدولة العباسية ومناصرتها.

لم يكن زوال الخلافة الأموية معناه انتهاء المقاومة الأموية نهائياً ، فقد ظهر من وقت لآخر بعض أنصار البيت الأموى أو أفرادهم ، الذين أثاروا الفتن والقلاقل والثورات ضد الخلافة العباسية . وفى عهد الخليفة العباسى المهدى (١٥٨-١٦٩هـ / ٧٧٥ - ٧٨٦ م) خرج دحية بن مصعب^(٣) بالصعيد، ودعا لنفسه بالخلافة، وكان والى مصر حينذاك ابراهيم بن صالح^(٤) والذى تباطأ فى أمر دحيه حيث لم يهتم بمحاربته، فكان أن استفحل أمر دحيه وملك أغلب بلاد الصعيد فسخط المهدى على واليه ولم ير بداً من عزله فى ذى الحجة سنة ١٦٧هـ^(٥).

(١) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٠١ .

(٢) ساويرس : سير الآباء البطارقة ، ج ١ ، ص ٧٦-٧٨ ، عبدالمعنى سلطان : مصر بين عهدى سقوط الدولة الأموية ، وقيام الدولة العباسية ، ص ٢٨٥ ، مجلة كلية الآداب بسوهاج .

(٣) هو دحية بن مصعب بن الأصم بن عبدالعزيز بن مروان . أبوالمحسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٤٩ .

(٤) هو ابراهيم بن صالح بن على بن عبدالله العباسى الهاشمى . سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٥) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٢٤ ، أبوالمحسن : المصدر السابق ج ٢ ص ٤٩ .

ولى مصر بعد ذلك موسى بن مصعب بن الربيع الخثعمي (١٦٧-
١٦٨هـ) فأرسل جيشاً بإمرة عبدالرحمن بن موسى بن علي بن رباح
الخمى إلى الصعيد وذلك فى طلب دحية ابن مصعب النائر الأموى ، وكان
دحية فى ذلك الوقت فى الجهة الشرقية من النيل^(١)، غير أنه لم يلبث أن
استخلف على تلك الجهة يوسف بن نصير بن معاوية بن يزيد، وعبر هو
النيل إلى الغرب، وملك أكثر البلاد به ، لكن موسى بن مصعب، أرسل من
جانبه عبدالرحمن بن موسى إلى جهات الشرقية، فأغار عليه يوسف ، الأمر
الذى أدى بعبدالرحمن أن يترك الصعيد، ويستخلف على الجيش بكار بن
عمرو^(٢).

على أن موسى بن مصعب لم يلبث أن قتل فى شوال سنة ١٦٨هـ
أثناء محاربته القيسية واليمانية الذين ثاروا ضده فى الحوف ذلك أن الجند
أظهروا الكراهية لموسى ، وعقدت قيس واليمانية حلفاً فيما بينهم ، وولوا
عليهم معاوية بن مالك الجزامي، وتحالف أهل القسطنطين معهم ، وتمت بينهم
العهود والمواثيق على أن لا يقاتلوا مع موسى بن مصعب^(٣)، ويبدو أن هذه
الأحداث أرغمت بكار بن عمرو إلى العودة إلى مصر، وترك دحية وشأنه
بالصعيد^(٤)، وليس من المستبعد أن وقوع تلك الهزيمة كان بسبب انضمام
أهالى ققط والقبائل القيسية والقبائل اليمانية إلى جانب دحية مما قوى عزمه
فى الوقوف ضد هذا القائد وكانت هذه القبائل تقطن منطقة ققط كما ذكرنا
أنفاً^(٥)، ولا شك أنه كانت هناك عوامل أخرى أدت إلى تشدد والى مصر

(١) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٢٦ ، سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٤٩-١٥٠ .

(٢) كان بكار أخاً لأسامة بن عمرو الذى ولى مصر بعد موسى بن مصعب . الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٢٦ .

(٣) الكندى : المصدر السابق والصفحة ، حسين نصار : الثورات الشعبية ، ص ٣٣ .

(٤) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٤٩-١٥٠ ، حسين نصار : الثورات الشعبية ، ص ٣٣ .

(٥) الكندى : المصدر السابق والصفحة ، حسين نصار : المرجع السابق والصفحة .

حينذاك فى معاملة الأهالى، وزيادة الضرائب عليهم، حيث زاد على كل فدان ضعف ماكان يتقبل منه، مما أدى إلى سخط الأهالى عليه، ووقوفهم إلى جانب دحيه خاصة بعد فرضه ضرائب كثيرة على أهل الأسواق والدواب وقبوله الرشوة فى الأحكام^(١) ومن ثم كرمه العامة والجند وناصره العداء^(٢). لما ولى عسامة بن عمرو مصر بعد مقتل مصعب أرسل أخاه بكار لقتال دحيه مرة أخرى بالصعيد^(٣)، فواجه بكار يوسف بن نصير الذى كان لايزال على الجهات الشرقية من الصعيد ، على أن تلك المواجهة بين الجيشين لم تسفر عن شىء يستحق الذكر^(٤).

لكن عسامه بن عمرو لم يستمر فى الولاية ، وتولى من بعده الفضل بن صالح بن على العباسى^(٥) ، فأتى إلى مصر فى جند من الشام^(٦)، فوجدها تشتعل بنار الثورة من أهل الحوف وخروج دحيه الأموى بالصعيد، لذا كان من الطبيعى عليه أن يقضى على دحيه الذى استفحل خطره، خصوصاً وأن كثيراً من الناس كانوا قد كاتبوه ودعوه إلى دخول الفسطاط وكان ذلك فى سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م^(٧).

(١) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٣٠٧-٣٠٨.

(٢) سيدة الكاشف: مصر فى فجر الإسلام، ص ١٤٩-١٥٠.

(٣) أبوالمحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٥٢، سيدة الكاشف: المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٤) أبوالمحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٦٠.

(٥) الكندى الولاية والقضاة ص ١٢٩، أبوالمحاسن: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٦) جند الشام: أهل قنسرين وعليهم عتبة بن سعيد ومن أهل حمص وعليهم جهم بن عبدالعزیز البهرالى، ومن

أهل دمشق وعليهم عاصم بن محمد بن سعيد، ومن أهل الأرون وعليهم قطبة بن سعيد ومن أهل فلسطين

وعليهم زياده بن قائد اللخمى. الكندى الولاية والقضاة، ص ١٢٩.

(٧) الكندى: المصدر السابق والصفحة.

شهدت بلاد الصعيد نهاية ذلك الصراع ذلك أن الفضل عقد لأحد قواده ويدعى "سفيان" على الجند فالتقى هذا الأخير دحية ببويط^(١) من الأشمونيين ، وكان قائد جيش دحية هو " فتح بن الصلت بن المغيرة بن ناشد الأزدي " ^(٢) لم يتمكن من مقاومة الجند العباسي ، وانتهى الأمر بقتله ، فتقهقر أصحابه بما فيهم دحية ومضوا في حامية إلى طريق الواحات وبعثوا إلى أهلها يدعوهم إلى الانضمام إليهم^(٣) وقد نجح دحية في استمالة أهل الواحات إلا أنه أثار سخطهم لإثارة العرب على الوالى ، وتقديمهم على البربر فضلاً عن أنه لم يرض أن يتبرأ من عثمان بن عفان^(٤)، فمهد الطريق بذلك أمام العباسيين، لذا أرسلوا إليه عبدالله بن علي، فتمكن من أسر دحية وأتى به إلى القسطنطينية، وهناك ضربت عنقه وأرسلت إلى الخليفة الهادي في جمادى الآخرة سنة ١٦٩هـ^(٥).

(١) بويط : ذكرها ياقوت قرب بوصير من الأشمونيين- معجم البلدان ، ج ١، ص ١٩٦ . وذكرها ابن دقماق أحد نواحي الأعمال الأسيوطية بالصعيد، الانتصار، ج ٥، ص ٢٩ .
(٢) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١٣٠ .
(٣) الكندي : الولاة ص ١٣٠ . وأسهم رجال بنى أمية ونساؤها وخاصة نعمة زوجة دحية حتى قال شاعرهم فيها :

فلا ترجى يا نعم عن جيش ظالم	تعود جيوش الظالمين وتجنب
وكسرى بناطروا على سباح	إلينا بالمنايا الكافرين يقرب
ك يوم لنا لا زلت أذكر يومنا	بفناو ويوم ببويط عصب
ويوم بأعلى الدير كانت نجوسه	على فنة الفضل بن صالح تغلب

* وفاء : تابعة لأعمال أسيوط - ابن دقماق : الانتصار . ج ٥، ص ٢٥، الدير تابعة لأعمال الأشمونيين ، الانتصار، ج ٤، ص ٢١٩ .

(٤) سيدة الكاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ١٥٠ .

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢، ص ٦١ . سيد الكاشف : مصر في فجر الإسلام . ص ١٥٠ .

أن القضاء على أمر نحيه بن مصعب بمثابة النهاية لكل مقاومة أموية داخل مصر عامة ، وصعيد مصر خاصة، حيث عاد الهدوء إلى تلك المناطق بعد أن زعزع الحكم العباسي^(١).

وقد تعرضت مصر كغيرها من الولايات التابعة للخلافة العباسية ، وذلك على أثر وفاة هارون الرشيد الخليفة العباسي ونشوب النزاع بين الأمين وأخيه المأمون ، وما لبث تطور هذا الخلاف إلى حرب بين الأخوين وانتهى الأمر بهزيمة الأمين وأسرهم وقتله عام ١٩٨ هـ على يد قائد المأمون طاهر بن الحسين^(٢) ، وكان لمقتل الأمين أثره السيئ في نفوس أهل بغداد ، فاشتدت معارضتهم للمأمون ، وزاد أهل بغداد معارضة للمأمون حين بايع لعلي الرضا بن موسى الكاظم^(٣)، بولاية العهد ، وضرب اسمه على العملة ، وأمر الناس بلبس الخضرة شعار العلويين بدلاً من السواد شعار العباسيين^(٤)، لذلك بايعوا إبراهيم بن المهدي ولقبوه بالمبارك^(٥) في المحرم سنة ٢٠٢ هـ^(٦) وقيل سنة ٢٠٣ هـ^(٧) وأجمعوا على خلع المأمون فأعلم على الرضا المأمون بذلك^(٨).

لم تكن مصر بمعزل عن أحداث الخلافة ، فكتب الخليفة المأمون في المحرم سنة ٢٠٢ هـ إلى السري بن عبدالحكم يأمر ببيعه على الرضا في

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٦١ .

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الإسلامية الكبرى ، (دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٧٦م) ، ص ١٢٩-١٣٠

(٣) طاهر بن الحسين : هو علي بن مهدي بن جعفر بن علي بن أبي طالب. القاضي: عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف - مخطوط ، ورقة ٦١ .

(٤) عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الإسلامية ، ص ١٢٩-١٣٠ .

(٥) ابن مسكويه : كتاب العيون والحدائق ، ج ٢، ص ٢٥٣ .

(٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٨، ص ٥٥٤ .

(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢، ص ٢ .

(٨) ابن مسكويه : المصدر السابق والجزء ٠ ص ٣٥٥-٣٥٦ .

مصر^(١)، على أن السرى لم يجد الطريق أمامه ممهداً ، فقد كتب إبراهيم بن المهدي إلى قادة الجند في مصر يأمرهم بخلع المأمون وولى عهده ، والثورة ضد السرى^(٢) ، وكان من السهل أن يلقي إبراهيم بن المهدي أنصاراً له في مصر ، لا حباً في خلافته وإنما طمعاً في الجاه والنفوذ أو لتذرهم من ولاية السرى^(٣).

قسام بالدعوة لإبراهيم بن المهدي في مصر " الحارث بن زرعة بن قحزم " بالفسطاط وعبد العزيز الجروى بالدلتا ، وسلامة الأزدي الطحاوي^(٤) بالصعيد ، وسليمان بن غالب بن جبريل ، وكان إذ ذاك مع الجروى وعقدوا الولاية لعبد العزيز بن عبدالرحمن الأزدي^(٥) .

ووقفت القبائل اليمنية القاطنة مدينة قفط إلى جانب بني جلدتهم، وعلنوا جميعاً بيعتهم لإبراهيم بن المهدي ، وبذلك عمت الثورة أرجاء مصر السفلى والصعيد الأعلى^(٦) ، وقتل الطحاوي على يد أحد قادة السرى ويدعى "داود" يوم السبت في ٩ من المحرم سنة ٢٠٤هـ^(٧) وبمقتله أصبح الجروى وحيداً ، ولم يجد له نصيراً آخر وانتهى الأمر بقتله^(٨) فيما بين سنتي

(١) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١٦٨ .

(٢) الكندي : المصدر السابق والصفحة .

(٣) سيدة الكاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ١٧٢ .

(٤) نسبة إلى طحا وهي تابعة لأعمال الأشمونيين من صعيد مصر . ابن دقماق : الانتصار ، ج ٢ ، ص ٢٠ .

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٧٨ .

(٦) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١٤٩ : ١٧١ ، والمقرئزي : الخطط ، ج ١ ، ص ١٧٩ ، ويذكر الكندي أن ثورة القبائل العربية ترجع إلى عهدها بهارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) أي قبل عهد المهدي وكانت هذه القبائل تنور لمجرد أي ظلم يقع عليها . المصدر السابق ، ص ١٤٢ .

(٧) الكندي : المصدر السابق ، ص ١٧٠ ، المقرئزي : الخطط ، ج ١ ، ص ١٧٣ .

(٨) المقرئزي : المصدر السابق والجزء والصفحة .

٢٠٤هـ ، ٢٠٥م كذلك تمكن السرى أن يكون لنفسه ولاسرتة من بعده ملكاً شبه مستقل سيطر به على العاصمة والصعيد الأعلى^(١).

وفى تلك الأثناء تعرض إقليم ققط فى جنوب البلاد لغارات البجة من جديد فى سنة ٢٠٤هـ / ٨١٩م ، وذلك بسبب غدر رئيس البجة المسمى "محا" برئيس أهل ققط المسمى "إبراهيم الققطى" ويرجع السبب فى ذلك أنه حينما رغب إبراهيم الققطى فى الحج هو وأهله، وكان من الضرورى عبوره عينونا - أحد مدن البجة فى طريقه إلى عيذاب^(٢) حيث صحبه فى هذه الزيارة محا رئيس البجة وجماعته^(٣) ، الذين صحبوهم فى الصحراء كأدلاء لخبرتهم بمسالكها ، كما كان إبراهيم الققطى على معرفة بأرضهم ومسالكها ، وعندما رأوا ذلك ثاورهم الشك وأردوا الغدر به والتخلص منه ، فقالوا لزعيمهم " لا بد من قتل هذا المسلم لمعرفته بديارنا ومقارنا ومظان مياهنا ولسنا نأمنه"^(٤) .

لم يوافقهم محا زعيم البجة فى بادئ الأمر ولكنهم غلبوه على رأيه، ولذا قاموا بتغيير الطريق لإبراهيم الققطى، كما منعوا عنه المياه حتى توفى إبراهيم الققطى ومن معه من شدة الجوع والعطش، ولم ينج من هذه الكارثة

(١) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٢٧ .

(٢) عيذاب Eizab مدينة مصرية وميناء هام على البحر الأحمر وكان لها شأن تاريخى كبير إبان محاولة الصليبيين السيطرة على البحر الأحمر لكى يهددوا الأماكن المقدسة فى مكة المكرمة وقد شهدت المدينة عصور ازدهار عديدة لموقعها التجارى الممتاز حيث كانت سفن الهند واليمن تحل فيها آتية بالبضائع أوحاملة إياها إلى مصر ، وقد كانت مع ذلك مدينة أمنة بلا أسوار علاوة على كونها مقراً لعبرى الصحراء من حجاج بيت الله الحرام المتجهين إلى الأراضى المباركة فى الحجاز .

عبدالحكيم العفيفى : موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية ، ص ٢٤٦ .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥١-٥٦ .

(٤) ابن حوقل : المصدر السابق والصفحة .

إلا طفل لإبراهيم القفطي رق له بعض البجاه وانقذوه إلى ناحية ادفوا من الصعيد^(١).

علم أهالي قفط بما فعلوه البجاة بزعيمهم فعولوا على الانتقام منهم ولم يلبث محا واتباعه من البجاة أن قدموا على عادتهم للتجارة وكما يذكر ابن حوقل فأسرع أهل قفط بانزالهم في معبدهم بالمدينة ، واعملوا السيف فيهم حتى قتلوهم جميعاً وقتل زعيمهم محا في عام ٢٠٤هـ / ٨١٩م^(٢).

وهكذا اشتد العداء بين البجاويين وأهل قفط نتيجة لهذه الأعمال العدوانية فسار البجاويون إلى قفط ، وهاجموها ، وقتلوا رجالها ، وسبوا منها أعداداً كبيرة^(٣)، وعلى الرغم مما حاق بالأهالي وما تعرضت له مدينة قفط، لم يتحرك والى مصر - السرى بن عبدالحكم آنذاك من أجل تأديب البجاة والانتقام منهم وذلك على الرغم من ذهاب وفد منهم إلى العاصمة القسطنطينية للشكوى بما فعله البجاة لهم^(٤).

والظاهر أن انشغال الأمير السرى بن عبدالحكم بما وقع في الإسكندرية وما صارت إليه الأحداث حينذاك قد حال دون تقديم العون لأهالي مدينة قفط ، فقد حدث أن وصل أهل الربض الأندلسيون إلى الإسكندرية وسرعان ما استطاعوا الاستيلاء عليها سنة ٢٠٠هـ^(٥) كما أن الصراع بين والى مصر وخصمه العنيد عبدالعزيز بن الوزير الجروى صار على أشده، هذا بالإضافة إلى ثورات الأقباط^(٦)، ولم تنته هذه الصراعات بقتل الجروى سنة ٢٠٥هـ / ٨٢٠م، وإنما ورث الأبناء النزاع حول الاستئثار بولاية مصر،

(١) حسن خضيرى أحمد : مدينة قفط ، ص ٢٢٥ .

(٢) حسن خضيرى أحمد : المرجع السابق والصفحة .

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ٥١ - ٥٦ .

(٤) ابن حوقل : نفس المصدر والصفحة .

(٥) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٥٨ .

(٦) الكندى : نفس المصدر ، ص ١٦١ - ١٧٢ .

وظل الأمر على ذلك حتى قدوم عبدالله بن طاهر والى الخليفة المأمون إلى مصر سنة ٢١١هـ/٨٢٦م ، الذى استطاع أن يقضى على الفوضى ويطرد الأندلسيين من الإسكندرية ويعيد مصر إلى حظيرة الدولة العباسية^(١).

وحدث أن كان فى الحوف الشرقى قبيله عربية تسمى قبيلة قيس عيلان وكان زعيمهم يدعى "الحكم النابغى" من بنى نصر بن معاوية - فاستجد به أهالى قفط وسار لنجبتهم^(٢). سار الحكم فى سنة ٢١٢هـ/سنة ٨٢٧م بعد أن أتوا إليه بكتاب القاضى وشيوخ قفط يطلبون نصرتهم ضد عدوهم ، فأعد للعدو وسار إلى أرض البجة ، وهاجم أوطانهم بجيش يقدر بألف رجل من قيس عيلان وغيرهم من القفطيين وسبى منهم الكثير وأقام ببلدتهم ثلاث سنين^(٣).

قضى الحكم النابغى على كل مقاومة البجاويين فى تلك الفترة وترتب على هجومه، استيطان عرب قبيلة قيس عيلان فى أرض البجة وأيضاً استقرار الحكم النابغى ببلدة الطود - بالقرب من مدينة قفط ، ويبدو أن الدافع الذى حمل حكم النابغى وقبيلته ونزوحهم من الحوف، وهو من أكثر الأماكن رخاءً فى مصر ماثرامى إليه من أنباء المعادن التى تحويها أرض البجة^(٤). على أية حال تم إعادة تحصين مدينة قفط مرة أخرى وأقيم حولها سور سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م لدرء أخطار البجة عن أهالى قفط^(٥)، وعلى الرغم من ذلك فإن البجة لم يتوقفوا عن الإغارة على إقليم منطقة قفط فى سنة ٢١٦هـ/سنة ٨٣١م، فقد أغارت البجاه على المنطقة الواقعة جنوب مدينة

(١) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٨٣-١٨٤ ، حسن خضيرى أحمد : مدينة قفط ، ص ٢٢٦ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٢ .

(٣) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٤) حسن خضيرى أحمد : المرجع السابق والمصححة .

(٥) يقع حصن قفط بالقرب من النيل عند مدخل مدينة قفط وما زالت أطلاله ماثلة للبيان إلى الآن .

ققط^(١) ، وحينذاك رفع الأهالى شكواهم إلى الخليفة العباسى المأمون ، وذلك بعد أن كثر أذاهم للمسلمين كما يذكر المقرئى^(٢) ، فجرد الخليفة المأمون حملة عسكرية بقيادة عبدالله بن الجهم وسار إلى بلاد البجة متخذاً طريقة من عينونا والخوراء، بأقصى جزيرة مصر بمعسكره ، فأثنى فى البجة ، قتلاً وسبياً وأوقف غارات البجة على مصر العليا كلها^(٣).

وعلى أثر ذلك عقد عبدالله بن جهم صلحاً مع ملك البجة ويدعى كنون بن عبدالعزيز^(٤) وكان هذا الصلح غير الذى كتبه ابن الحباب سنة ١٥٧هـ/٧٢٥م، وقد تضمن البنود التالية:

أولاً : أن تكون بلاد البجة ملكاً للخليفة العباسى ، وملكهم كنون بن عبدالعزيز والبجاه عبيد لأمير المؤمنين، على أن يبقى "كنون" ملكاً عليهم^(٥).

ثانياً : يؤدى ملك البجة الخراج كل عام ، وقيمته مائة من الإبل أو ثلاثمائة دينار لبیت مال المسلمين^(٦).

ثالثاً : احترام البجاه الدين الإسلامى ، ولا ينكروه بسوء ، وألا يقتلوا مسلماً أو نسياً حراً أو عبداً فى أرض البجة أو فى بلاد النوبة^(٧).

رابعاً : ألا يعينوا أحداً على المسلمين ، وإذا دخل أحد المسلمين أرض البجة للتجارة أو الإقامة أو للحج فيكون فى مأمن ، وإذا دخل البجة إقليم الصعيد الأعلى لا يحملوا معهم سلاحاً ، ولا يدخلوا المدائن والقرى^(٨).

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٢-٥٣ .

(٢) الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٥-١٩٦ ، مصطفى مسعد : الإسلام والنوبة ، ص ١١٦ .

(٣) ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٥٣-٥٤ .

(٤) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٥-١٩٦ .

(٥) المقرئى : نفس المصدر والجزء والصفحة . Arkell : A history of Sudan, pp.188-190 .

(٦) المقرئى : المصدر السابق والجزء والصفحة . Arkell : Op-Cit, pp. 190 - 191 .

(٧) يوسف فضل حسن : المعالم الرئيسية فى الهجرة العربية إلى السودان ، ص ١١٤، ١١٣ ، محمود الحويرى :

أسوان فى العصور الوسطى ، ص ٦٣-٦٤ .

(٨) عطية القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٢٩ .

خامساً: ألا يهدم البجاه شيئاً من المساجد التي ابتناها المسلمون في أراضيهم

وعلى كنون بن عبدالعزيز أن يسمح لعمال أمير المؤمنين بجمع صدقات من أسلم من البجة^(١)، كما اشتملت هذه المعاهدة من بين شروطها كذلك منح الحرية بتجوال المسلمين واستقرارهم في بلاد البجة^(٢).

وقد نستج عن ذلك أن شرع المسلمون في بناء المساجد ، وجمع الصدقات من البجه مما يؤكد أن العرب إنما دخلوا إلى أوطان البجاه للتمهيد والعمل على نشر الإسلام ، فضلاً عن استقرار بعض العرب بين ظهرانيهم حيث أثروا حينذاك الاستقرار في وادي العلاقي - جنوب أسوان بجوار مناجم الذهب^(٣) ومن اسم ملك البجه يتضح أنه مسلم ومن المعاهدة نستشف أن قطاعاً كبيراً من البجه ظلوا على وثيبتهم.

وحدث بعد ذلك أن ثار القبط في سنة ٢١٦هـ / ٨٣١م، وعمت ثورتهم أرجاء مصر حيث انضم إليهم العرب ضد الخليفة العباسي المأمون، كما أعلنوا عدم ولائهم للعباسيين في بلاد الصعيد ، ويرجع السبب في ذلك إلى سوء معاملة عمال الخراج وتشدهم في جباية الأموال^(٤). وكما يذكر صاحب كتاب النبراس فإنه عندما تفاقم خطرهم في سائر أنحاء البلاد مما

(١) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩٥ - ١٩٦.

(٢) مصطفى سعد: الإسلام والنوبة، ص ١١٦ - ١١٧.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٥٢ - ٥٣، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٧، أحداث سنة ٢٤١هـ.

* وما يجدر ذكره أن تلك المعاهدة ترجعها إلى البجاوية عريان أحدهما زكريا بن صالح المخزومي من سكان جدة، والآخر عبدالله بن اسماعيل القرشي وأنهما عاشا في تلك الديار حتى تعلمتا تلك اللغة.

المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩٦. يوسف فضل حسن: المرجع السابق، ص ١١٣.

(٤) ساويرس بن المقفع: سير الآباء البطارقة، ج ١ ص ٢٧٦ - ٢٧٩، الكندي: الولاة والقضاة، ص ١٩٠، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢١٦.

أدى ذلك إلى حضور المأمون بنفسه إلى مصر سنة ٢١٧هـ/٨٣٢م ، حيث عهد إلى قائد جيشه حاتم بن هرثمة - مهمة التصدي لهذه الاضطرابات ، فأعد هذا القائد جيشاً كبيراً وسار به ناحية الجنوب للقضاء على الثورة التي هددت الخلافة العباسية ، حتى انتهى به المطاف في مدينة قفط حاضرة الصعيد الأعلى ، وفي هذا الصدد يقول ابن دحية : وقدم المأمون مصر سنة سبع عشرة ومائتين ، فنزل فيه حاتم بن هرثمة التي على الجبل وتوجه إلى محاربة الذين خرجوا عليه ، وهزموا وقتلوا ، ثم خرج بنفسه إلى قفط وغيرها من بلاد الصعيد فقتلهم وسبى نزارهم^(١) وأكثر المقریزی ذلك بقوله " فحكم عليهم بقتل الرجال ، وبيع النساء والأطفال ، فبيعوا وسبى أكثرهم^(٢) . ويبدو أنه بعد قدوم المأمون مصر أن تم القضاء على ثورات القبط^(٣) كما أظهرت الأحداث أهمية مدينة قفط كقاعدة حربية وحاضرة لإقليم الصعيد الأعلى^(٤) .

ولطبيعة السبج وحبهم للقتال والحرب ما لبثوا أن هاجموا صعيد مصر مرة أخرى سنة ٢٣٨هـ/سنة ٨٥٢م^(٥) ، وذلك على الرغم من معاهدة الصلح التي وقعت بين ابن جهم وكنون ابن عبدالعزيز في عهد المتوكل على الله العباسي ، ولعل ما فرضه عليهم ابن جهم من شروط في عقد الصلح وبنوده جعلهم يؤدون فروض الطاعة والولاء للخليفة العباسي والعرب^(٦) .

(١) ابن دحية بن الحسين : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، (طبعة بغداد ، ١٩٤٦م) ص ٦٠ .

(٢) المقریزی : الخطط ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

(٣) ساويرس : سير الأبناء البطارقة ، ج ١ ، ٢٧٨-٢٧٩ ، الكندي : السيادة والقضاء ، ص ١٩٢ .

المقریزی : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ .

(٤) الأدلوی : الطالع السعيد ، ص ١٢ ، ابن دلقاق : الانتصار ، ج ٤ ، ص ٢٣ : المقریزی : الخطط ، ج ٢ ص ٢٣٢ .

(٥) ابن حوقل : المصدر السابق والصفحة ، ص ٥٢ ، مصطفى سعد : العرب والسبج ، ص ٣٠ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٣ ، وكان سبب هجوم السبج على صعيد مصر ، قيام خلاف بين رجلين من العرب والسبج وقد تطور الخلاف إلى سب النبي صلى الله عليه وسلم ، من البجاوى مما أدى إلى الهجوم على العرب بأرض المعدن . ابن حوقل : المصدر السابق والصفحة .

وعلى أثر ذلك أرسل يعقوب بن ابراهيم صاحب البريد في مصر إلى الخليفة المتوكل على الله العباسي في سنة ٢٤١هـ/٨٥٤م^(١) ، يخبره ما حدث في مصر العليا قائلاً في رسالته " أن البجة قد نقضت العهد الذي كان بينها وبين المسلمين ، وخرجت من بلادها إلى معادن الذهب هي على التخوم فيما بين أرض مصر وبلاد البجة بعض المسلمين ممن كانوا يعملون في المعدن ، وسبوا عدداً من ذراريهم ، ونسائهم ، ونكروا أن المعادن لهم في بلادهم"^(٢) وأنهم لا يسمحون للمسلمين على دخولها ، الأمر الذي كان يخشاه جميع من كان يعمل بالمعادن من المسلمين ، فانصرفوا عنها خوفاً على أنفسهم وذرارياتهم ، فانقطع بذلك ما كان يؤخذ للسلطان بحق الخمس من الذهب والفضة والجوهر ، الذي كان يستخرج منها^(٣).

اهتم الخليفة العباسي المتوكل بالأمر وعمل على غزو أرض البجة وذلك لدفع أذاهم عن المسلمين في الصعيد الأعلى ، ولكن قواده أخافوه من ذلك بقولهم: "إن البجة أهل إيل وشاة ، وإن بين بلادهم وبلاد المسلمين شهراً ، ولا بد فيها من الزاد ، وإن فنيت الأزواد هلك العسكر"^(٤)، وهكذا خشى الخليفة المتوكل على جنوده من محاربتهم وترك أمر البجة جانباً.^(٥) وقد نجم عن ذلك أن طمع البجاه في أقباط مصر العليا ، فبعد أن كان قتالهم من العرب العاملين بأرض المعدن، بدأت غاراتهم على إقليم قفط وأغاروا على كل من بلدة إسنا وأدفو، فنهبوا وطردوا سكانهما، وطمعوا في

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، أحداث سنة ٢٤١هـ .

(٢) الطبري : المصدر السابق والجزء ، أحداث سنة ٢٤١هـ .

(٣) الطبري : المصدر السابق والجزء ، أحداث سنة ٢٤١هـ .

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٣ ، ص ٢٧٧ .

(٥) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٣٣ ، مصطفى مسعد : الإسلام والنبوة ، ص ١٢٢ ، عطية القوصي :

تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٢٩ .

أهلها طمعاً كبيراً ، ومن ثم كتب والى مصر - عنبيه بن إسحاق الضبى^(١) إلى الخليفة المتوكل يعلمه بأمر هؤلاء البجه من جديد^(٢).

عهد الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٧-٨٦١م) إلى محمد بن عبدالله القمى^(٣)، بمحاربة البجه، وجعل إليه خراج مدن كثيرة بالصعيد مثل قفط والأقصر، وإسنا وأرمنت وأسوان^(٤) كما ولاه أمر الصعيد الأعلى كله يتصرف فيه كيف يشاء وأرسل بهذا إلى عنبيه والى مصر آنذاك، ومن المرجح أن يكون محمد بن عبدالله القمى قد أصبح حاكماً لإقليم منطقة قفط، واتخاذها مقراً له فى عملياته الحربية ضد البجه، وحتى يتسنى تعبئة الجيش بها^(٥).

ويؤكد هذا القول ما ذكره أبوالمحاسن^(٦) أن القمى - جمع الفرق المحاربة التى جاءت عن طريق النيل من العاصمة إلى قوص لقربها من النيل ومن ثم إلى مدينة قفط حيث يتم تجهيزها وذلك قبل توغلها فى الصحراء الشرقية.

سار القمى إلى مدينة أسوان بجيش كبير، ووصل أرض المعدن، حيث انضم إليه بعض قبائل ربيعة، ومضر واليمامة فوصل عددهم حينذاك ثلاثة آلاف رجل من كل بطن ألف رجل^(٧) وبذلك بلغ جيشه حوالى عشرين

(١) ولى عنبيه بن إسحاق مصر، سنة ٢٢٨هـ حتى سنة ٢٤٢هـ وكان آخر الولاة العرب على مصر.

عطيه القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ص ٢٩ ، هامش (٤)

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، أحداث سنة ٢٤١هـ ، أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٩٣

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٣ . Hassan : Op-Cit, pp. 57-58

(٤) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٣٣٣ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، أحداث سنة ٢٤١هـ .

(٥) الأذفوى : الطالع السعيد ، ص ١٢ ، ابن دلقاق : الانتصار ، ج ٤ ، ص ٣٣ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

(٦) النجوم الزاهرة : ج ٢ ، ص ٢٩٢ ، سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٢٨٤ .

(٧) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٣ ، مصطفى مسعد : العرب والبجه ، ص ٣٠ .

ألف فارس وكان ملك البجة يدعى "على بابا" لديه أضعاف ما لدى القمي من الجند والمؤن فبدأ القتال بينهما^(١).

وقد تكبد القمي ورجاله مشقة كبيرة في محاربة البجة ، مما جعله يفكر في حيلة تقيه مشقة قتال هذا العدد الكبير من البجة فكتب كتاباً بالذهب، وجعلها على أسنة الرماح ، ونادى عند طلوع الفجر هذه كتب أمير المؤمنين إليكم معاشر البجة^(٢)، فاجتمع عليه البجة ليقروها، ومن ثم حمل عليهم برجاله. وقد اتم حيلته بوضع الأجراس في أعناق خيله ، عندما رأى أن إبل البجة تنفر منها ، ولا تثبت، لصلصلة الأجراس^(٣)، وبهذه الحيلة تمكن القمي من الانتصار على ملك البجة ، وقتله في المعركة^(٤)، ولم يجد بداً ابن اخته الذي حل محله في طلب الهدنة والصلح فأمنه القمي، بعد أن أعطى الجزية عن الأربع سنوات، التي أمتنع فيها عن الدفع بمقدار كل سنة أربعمئة مثقال ذهب^(٥)، ولذلك أمر القمي ملك البجة أن يذهب معه ليلاً بساط الخليفة المتوكل على الله العباسي بسامراء سنة ٢٤١هـ / ٨٥٤^(٦)، ولما وصل بغداد أمنه الخليفة وعاد إلى بلاده بعد أن تعهد بمعاملة العرب معاملة حسنة وألا يمنعوا المسلمين من العمل في أرض المعدن دون المساس بهم وبمصالحهم^(٧) وهكذا أمكن للمسلمين العودة إلى أرض المعدن، كما عاد البجة إلى حظيرة الدولة الإسلامية، وولى الخليفة المتوكل سعد الخادم الإيتاخي على

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، أحداث سنة ٢٤١هـ .

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٣ .

(٣) المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٦ .

(٤) ابن حوقل : المصدر السابق والصفحة .

(٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، أحداث ٢٤١هـ . المثلث : لغة كل ما يوزن به قليلاً أو كثيراً وشرعاً قدر

مخصوص يزن $22 \frac{6}{7}$ قيراطاً ، فالمثلث درهم وثلاثة أرباع درهم ووزنه ٤.٤٤ جرام .

(٦) المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٦ ، عطية القوصي : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٣٠ .

(٧) البلاذري : فتوح البلدان ، ٣٣٥ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٣ .

بلاد البجة ، الذى ما لبث أن ترك الأمر للقمى ، لمعرفة القمى بالطرق التى تتخلل منطقة المعادن ، وبأساليب حرب تلك الجهات ، ومكث الإيتاخى " فى العاصمة ببغداد^(١).

لم يستمر القمى كثيراً فى الحكم لما حدث بينه وبين أشهب^(٢) رئيس قبيلة ربيعة حيث قبض عليه القمى ، وأودعه السجن كما جرده من سلطته على القبيلة ، فوَقَّت قبيلة ربيعة ضده ، وأوعز أشهب لأحد رجال قبيلته بقتل القمى ، فقتل فى سنة ٢٤٥هـ / سنة ٨٥٩م^(٣).

كان من نتائج حملة القمى على بلاد البجة كذلك أن توقفت غارات البجة على منطقة صعيد مصر لمدة طويلة من الزمن ، كما سمحت هذه الحملة لعدد من القبائل العربية الرجوع إلى أوطانهم ، ولا سيما النصف الأول من القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى ، وكانت هذه القبائل من مضر وربيعة وبنى حنيفة وجهينة، سعيًا وراء معدنى الذهب والزمرد، حيث تمكنت ربيعة من فرض نفوذها وسيطرتها على القبائل العربية الموجودة هناك بفضل تحالفها مع البجة وزواج أفرادها من بنات البجة، ومن ثم قوى نفوذها حتى عم أرض المعدن^(٤) وقد أقامت هذه القبائل بمناجم طريق

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٧ ، أحداث ٢٤١هـ * عثرت بعثة المتهد الفرنسى فى جبانة أسوان على شاهد قبر ابنة القمى هذا ، وكانت تسمى عائشة ، وورد فى هذا الشاهد أنها توفيت سنة ٤٧هـ ، أى بعد وفاة والدها بعامين ٠٠ عطية القوصى : تاريخ دولة الكنوز ، ص ٣١ ، حاشية رقم (٧) وكان القمى أول عربى ووال عربى يتم تعيينه من قبل الخليفة على بلاد البجة ٠ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٤

(٢) أشهب : هذا هو أشهب بن ربيعة بن حنيفة بن لجيم بن صعب ، ظل رئيساً لربيعة حتى قتله عبدالرحمن العمري سنة ٢٥٥هـ تقريباً ، وكان صاحب مدينة المحدثنة وهى المدينة التى اتخذتها ربيعة مقراً له تجاه مدينة أسوان ٠ ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٥٤

Hassan : Ibid, pp55

(٣) ابن حوقل : المصدر السابق والصفحة

(٤) المسعودى : مروج الذهب ، وسعدن الجواهر ، ج ١ ، ص ٢٩٥ ، (القاهرة ١٩٦٦م) ، المقرئى : الخطط

Hassan, I bid, p. 52

ج ١ ، ص ١٩٦

قفط^(١)، كما أدى انتشار العرب فى بلاد البجة ومصاهرتهم لهم إلى دخول أهل البجة فى الدين الإسلامى ومن ثم زال خطرهم على الصعيد منطقة قفط^(٢).

ولم تشر المصادر بعد ذلك إلى قيام البجة بشن غارات على مدينة قفط، ومما يؤيد ذلك ما أشار إليه للرحالة ناصر خسرو سنة ١٠٥٠/٤٤٢م حين عبر الصحراء الشرقية ماراً بطريق قفط إلى عيذاب حيث قال عن البجة: "وهم ليسوا أشراراً فهم لا يسرقون ولا يغيرون ، بل يشتغلون بتربية ما شيتهم..^(٣)".

ومن الجدير بالذكر أن الصعيد الأعلى شهد فى تلك الفترة نشاطاً بارزاً لثورات العلويين، ذلك أنه لم يكن قيام الدولة العباسية معناه انتهاء مطالبة العلويين بالخلافة، فقد كانوا فى نظرهم مختصين للخلافة ، كما كان الأمويون من قبلهم^(٤)، لذا نجد أنه كلما قام خليفة عباسى، قام علوى يدعو إلى نفسه بالخلافة^(٥)، ولقى العلويون الضرر والعنت على يد بنى عمومته العباسيين^(٦).

ويتجلى ذلك فى تمرد العلويين ونزوحهم إلى منطقة الصعيد الأعلى وخاصة مدينة قفط التى ذكر ياقوت^(٧) أنها أصبحت " وقف على العلوية من

(١) اليعقوبى: البلدان، ص ٣٣٢، ٣٣٤، والمقريزى: البيان والإعراب، ص ٢٢١ **ومناجم طريق قفط: خربة الملك، وجبل العروس، وجبل الخصوم، وكوم الصابونى، وكوم مهران، ومكابر، وسفيد، وجبل صاعد، والكلى، والشكرى، والعجلى، والعلاقى الأدنى والرفقة، ورحم - اليعقوبى: نفس المصدر السابق والصفحة، مصطفى سعد: البجة والعرب، ص ٢٢.

(٢) اليعقوبى: المصدر السابق والصفحة.

(٣) ناصر خسرو: سفرنامه، تحقيق يحيى الخشاب (القاهرة ١٩٤٥م) ص ١٣٤.

(٤) سيدة الكاشف: مصر فى فجر الإسلام، ص ١٤٨-١٤٩.

(٥) صالح الوردانى: الشيعة فى مصر، ص ٢٤.

(٦) أبو المعاسن: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢٨٣-٢٨٤.

(٧) ياقوت: معجم البلدان، ج ٧، ص ١٣٨-١٣٩.

أيام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وليس في ديار مصر ضيعة وقف ولا ملك لأحد غيرها " وأن أهلها شيعة^(١)، وليس أدل على ذلك مما ذكره ابن حوقل من أن أحد العلويين كان يعيش بمدينة قفط، وكان له نفوذه الشخصي، كما كان يحظى باحترام البجة وتقديرهم ، وتمكن هذا العلوي من استرجاع بعض السبي في حملة البجة على مدينة قفط في سنة ٢٠٤هـ/٨١٤م^(٢).

وكانت قفط أرضاً خصبة لنمو وتعدد المذاهب الشيعية للعلويين بها، مما فتح الطريق أمام المذهب الزيدي^(٣)، والذي انتشر بمصر إلى أن ورد كتاب الخليفة المتوكل إلى إسحاق بن يحيى (٢٣٥-٢٣٦هـ/ ٨٤٩-٨٥٠م) واليه على مصر ، يأمره بإخراج آل علي بن أبي طالب من مصر فأخرجوا من القسطنطينية ٢٣٦هـ/٨٥٠م إلى العراق ثم أخرجوا من هناك إلى المدينة^(٤)، واستقر من كان بمصر على رأي العلوية^(٥).

ويبدو أن الذين بقوا في مصر من العلويين، اضطروا إلى النزوح والتسلل إلى الصعيد ، خاصة قفط^(٦) التي تشير بعض المصادر إلى أن أهلها

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ١٢٨، الحميري: روض المعطار، ص ٤٧٢ .

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٥١-٥٢* ولم تذكر المصادر أو المراجع التاريخية شيئاً عن اسمه _ التي بين أيدينا _ .

(٣) تنسب الزيدية إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، الذي ظهر على المسرح السياسي في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م وكون اتباعاً يشايعونه سياسياً ومذهبياً عرفوا بالزيدية . حسن خضيري أحمد: الدعوة الزيدية في مصر، من منتصف القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) إلى منتصف القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، ص ١٨١، مجلة المؤرخ العربي، العدد الرابع، المجلد الأول، مارس ١٩٩٦م .

(٤) حسن خضيري أحمد: المرجع السابق، ص ١٩٤ .

(٥) المقرئزي: الخطط، ج ٢، ص ٢٣٩ .

(٦) مؤلف مجهول: كتاب الانتصار في عجائب الأمصار، نشر وتحقيق بسعد زخسول عبد الحميد (الإسكندرية ١٩٥٨م) ص ٨٧، الحميري: الروض المعطار، ص ٤٧٧ .

كانوا من الشيعة وذلك نظراً لكثرة وجود العلويين بالصعيد في القرن الثالث الهجري^(١) وهكذا يمكن القول أن العلويين والشيعة في مصر أصبحوا غير أمنين على أنفسهم من اضطهاد العباسيين منذ عهد الخليفة المتوكل^(٢).

كان الدافع الأول لثورات العلويين بالصعيد الأعلى لما لاقوه من تعنت الولاة الأتراك وقسوتهم وخاصة في ولاية أزجور التركي في رمضان سنة ٢٥٤هـ/ذو القعدة سنة ٢٥٤هـ^(٣)، الذي حكم مصر قبل ابن طولون، وتشدد في معاملة الأهالي وخاصة العلويين لإرضاء الخلافة العباسية^(٤).

”الأحداث السياسية في عصر الطولونيين والإخشيديين سنة ٢٥٤-٣٥٨ هـ/٨٦٨-٩٦٩م”

لم تهدأ بلاد الصعيد الأعلى في عهد الطولونيين والإخشيديين بل قامت بها عدة ثورات من جانب العلويين وذلك استمراراً لما كان عليه الحال خلال العصر العباسي نخص بالذكر منها ثورة ابن الصوفي العلوي ٢٥٣ هـ/٨٦٧م^(٥)، وكانت بداية الثورة ما بين بلاد الأشمونيين^(٦) وإخميم^(٧) حيث انتشرت دعوته العلوية في معظم أرجاء مصر العليا وانضم إليها كثير من أنصارهم العلويين كانت البطون العربية في بلاد الصعيد الأعلى وخاصة بمدينة قفط حيث إمتدت حركة ابن الصوفي العلوي إقليمها خاصة بعد أن

(١) حسن خضيري أحمد : الدعوة الزيدية في مصر، ص ١٩٤ .

(٢) سيدة الكاشف : مصر في عصر الولاة ، ص ٩٥ .

(٣) الكندي : الولاة والقضاء ، ص ٢٠٤ .

(٤) الكندي : نفس المصدر والصفحة .

(٥) هو إبراهيم بن محمد بن يحيى ابن عبدالله بن علي بن محمد بن عمر . الكندي : الولاة ، ص ٢١٣ .

البلوي : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٦٢ ، علي حسني الخربوطلي : مصر الإسلامية ، ص ٢٤ .

(٦) الأشمونيين : مدينة الأعمال الأشمونية وهي مدينة قديمة في البر الغربي من النيل . ابن دقماق :

الانتصار ، ج ٥ ، ص ١٥

(٧) إخميم : تقع شرق النيل بالصعيد - ابن دقماق : الانتصار ، ج ٥ ، ص ٢٥ ، وهي الآن إحدى مراكز

سوهاج .

تمكن من الاستيلاء على إسنا^(١) في ذى الحجة سنة ٢٥٥هـ / أكتوبر ٨٦٨م^(٢).

أرسل أحمد بن طولون جيشاً لمحاربته ولما علم ابن الصوفى العلوى
النائر حينذاك ، قام بنهب وقتل عدد كبير فى إسنا وتركها^(٣) وسار نحو
الشمال من قفط إلى قرية - هو^(٤) - حيث التقى بجيش ابن طولون بقيادة
"يزداد" الذى ما لبث أن هزم أمام قوات ابن الصوفى وقتل^(٥)، وقام ابن
الصوفى " بقطع يديه ورجليه وصلبه"^(٦).

وصلت أخبار هزيمة جيش ابن يزداد - إلى ابن طولون ، مما
اضطره إلى الاستعداد وإرسال جيش آخر فى سنة ٢٥٦هـ / سنة ٨٩٦م تحت
قيادة - جهم بن الحسين وذلك لمعرفة بطبيعة المنطقة، كما انضم إلى هذا
الجيش أحد القواد الطولونيين الأشداء ويدعى "ابن عجيف" حيث التقى بجيش
ابن الصوفى ودارت المعركة فى ربيع الأول سنة ٢٥٦هـ / يناير ٨٧٠م^(٧)،
وكان النصر حليف جيش ابن طولون فى هذه المرة فقد تمكن من قتل كثير
من أنصار ابن الصوفى العلوى وحصولهم على المغانم والأسلاب.^(٨)

(١) إسنا : إحدى البلدان بالصعيد: ابن الجيعان : التحفة السنية، ص ١٩، وهى الآن إحدى مراكز محافظة قنا
وتبعد عن مدينة قفط بحوالى ١٠٠ كيلو متر تقريباً نحو الجنوب.

(٢) الكندى : الولاة والقضاة، ص ٢١٣-٢١٤، المقرئى : الخطط، ج ١، ص ٣٠٩.

Lane-poole : A history of Egypt in Middle Age (London 1925) p.61.

(٣) ابن الأثير : الكامل، ج ٧، أحداث ٢٥٦هـ.

(٤) هو : تقع فى منطقة إقليم قفط وهى مدينة صغيرة على ساحل البر الغربى الجنوبى من النيل . محمد
رمزى : القاموس الجغرافى، ق ٢، ج ٤، ص ١٩٩، وهى الآن إحدى قرى مركز نجع حمادى وتبعد عن
مدينة قفط بحوالى ٧٥ كيلو متر شمالاً تقريباً.

(٥) البلوى : سيرة أحمد بن طولون، ص ٦٢.

(٦) المسعودى : مروج الذهب، ج ٢، ص ١٨، الكندى : الولاة، ص ٢١٣-٢١٤، المقرئى : الخطط، ج ١،
ص ٣٠٩.

(٧) ابن الأثير : الكامل، ج ٧، أحداث ٢٥٦هـ.

(٨) البلوى : سيرة أحمد بن طولون، ص ٦٢.

وعندما وصلت الأخبار إلى القطائع بانتصار جيش جهم - خلع عليه ابن طولون خلعاً كثيرة ، وطوقه بطوق ثقيل من الذهب ، وأجازه ، وقاد بين يديه خيلاً كثيراً - فكان جهم بعد ذلك إذا ركب في الأعياد والمواسم يركب بذلك الطوق^(١).

مضى ابن الصوفي منهزماً إلى الواحات^(٢)، وترك خلفه جميع رجاله، وفيها بدأ يدعو لنفسه وأخذ نجمه في الظهور من جديد حيث دعا الناس إلى نفسه فتبعه خلق كثير^(٣)، ثم لم يلبث أن اتجه إلى الأشمونيين في مصر الوسطى ، فعول ابن طولون على تسيير جيش لملاقاته بقيادة " ابن ابي المغيث "^(٤)، غير أنه لم يقع الاشتباك بين الفريقين وكان ذلك لتوجه ابن الصوفي إلى الصعيد الأعلى ، وهكذا انضمت إليه البطون القاطنة في تلك الإقليم من بلبي وجيهينه والعلويين لمناصرة ابن الصوفي لملاقاة قوات العمري^(٥) بها ، حيث وقعت بينهم معركة كبرى، نتج عنها هزيمة ابن الصوفي فكان أن عول على الانتقام من أهل أسوان والثار لنفسه فقطع لأهلها ثلثمائة ألف نخلة وأظهر فسادة بها^(٦).

(١) البلوى : سيرة أحمد بن طولون، ص ٦٢ .

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢١٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، أحداث سنة ٢٥٩هـ ، حسن إبراهيم حسن : الإسلام السياسي ، ج ٣ ، ص ٢٢١ .

(٤) البلوى : المصدر السابق والصفحة Zaki Hassan: Le Tulunides,, pp. 55-56

(٥) العمري : هو عبدالحميد عبدالعزيز ، قام بالهجوم على البجة ، وصد غاراتهم على مصر العليا ، وتمكن من السيطرة عليهم والحد من قواتهم وتوجه إلى قتال ابن الصوفي لما رأى فسادة في البلاد . ابن الأثير : المصدر السابق والجزء والصفحة . وهو شخصية إسلامية كبيرة يرجع نسبه إلى عمر بن الخطاب ويسمى أبو عبدالرحمن عبدالله عبدالحميد بن عبدالله الناسك بن عبدالعزيز بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولد بالمدينة ونشأ فيها ، جمع الجند ، وسار بهم إلى بلاد البجة ، لما كثرت غاراتهم على مصر العليا ، وتمكن من هزيمتهم عدة مرات ، وأن يجمع الجزية منهم ويكسر شوكتهم في سنة ٢٥٩هـ / ٨٧٢م في العصر الطولوني . ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، أحداث سنة ٢٥٩هـ ، عطية القوصي : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٣١ .

(٦) الكندي : المصدر السابق ، ص ٢١٤ .

ولاشك أن هذه من الأعمال التخريبية التي حلت بأسوان ، وذلك لقيامه بقطع النخيل وكان من أهم مصادر الثروة في بلادهم حيث كان التمر المحصول الرئيسى لهم آنذاك .

أرسل ابن طولون جيشاً آخر بقيادة رجل يدعى ابن سيحا ، إلى جانب قوات جهم بن الحسين للقضاء على ابن الصوفى ، مما ترتب عليه اضطراب قواته ، حيث اضطر إلى الهرب إلى ميناء عيذاب^(١) عبر البحر إلى مكة المكرمة ولكن حاكم مكة قد تمكن من القبض عليه وإرساله إلى أحمد بن طولون الذى أودعه داخل السجن ، ولم يلبث أن أطلق سراحه فأثر ابن الصوفى التوجه إلى المدينة المنورة وبقي بها حتى مات .^(٢)

وبذلك انتهت ثورة ابن الصوفى فى الصعيد الأعلى وقد ترتب على هذه الثورة العلوية أثراً ضاراً سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الدينية ، فمن الناحية الاقتصادية فقد تأثرت الأسواق فى المدن والقرى من جراء هذه الثورة ، كما أن أعمال ابن الصوفى التخريبية فى المحاصيل الزراعية أدت إلى ضياعها^(٣) .

أما من الناحية السياسية فقد تحول إقليم قفط إلى مسرح للقتال دار فيه عدة حروب بين قوات ابن طولون وقواد ابن الصوفى ، ونتج عن ذلك فقد كثير من أبناء الإقليم وخاصة تلك المعركة التى جرت فى كل من إسنا وهو^(٤) - مما أنهك كثيراً من الأهالى فى هذا الإقليم حينذاك .

Zaki Hassan : Op . Cit, pp 55-59

(١) الكندى : الولاة ، ص ٢١٤ ،

(٢) الكندى : نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، أحداث ٢٥٩ هـ .

(٣) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٦٢-٦٥ .

(٤) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢١٤-٢١٥ .

أما من الناحية الدينية فقد ازدادت روح التشيع في منطقة قفط وخاصة بلدة إسنا - مقر ابن الصوفي^(١) ، أضف إلى ذلك كان لظهور الدعوة الزيدية بين أهالي مدينة قفط سبباً في انتشار المذهب الشيعي فيها حتى غزو الفاطميين لمصر^(٢) .

على أن ثورات العلويين لم تقف عند هذا الحد ذلك أن بغا الأصغر^(٣) بدأ ثورته في شمال البلاد في مصر السفلى ، حيث قامت ثورته " فيما بين الإسكندرية وبرقة ، بموضع يقال له الكنائس^(٤) .

ولما فشل في إيجاد أنصار له في تلك المناطق، سار إلى مصر العليا^(٥)، حيث طبيعة سكانها الحربية ، ولبعد المسافة بينها وبين سلطان - ابن طولون - في العاصمة ، وهكذا تقدم بغا الأصغر إلى الصعيد في سنة ٢٥٥هـ/سنة ٨٦٨م ، وهناك كثر اتباعه المعارضين وبصفة خاصة في إقليم قفط وكسب تأييد القبائل العربية الموجودة ومنها على وجه الخصوص قبائل بلى وجهينة النائرة في وجه الكيان للعباسي^(٦).

وقد شجعه ذلك على إدعائه الخلافة بعد أن استقل أمره وزاد نفوذه آنذاك لا سيما بعد أن استولى على الموارد الاقتصادية في المنطقة ، وعلى خراجها وحول جميع مرافق الإقليم لصالح دعوته^(٧).

(١) يذكر الأدفوى قائلاً: " أن التشيع بها فاشياً والرفض بها ماشياً " الطالع السيد ص ٢٨ .

(٢) حسن خضيرى أحمد : الدعوة الزيدية في مصر ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢١٣ * بنا الأصغر : هو أحمد بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن طباطبا متصل بصلة النسب ببنا الأكبر . البلوى : المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(٤) الكندي : المصدر السابق ، ص ٢١٢ ، حسين نصار : الثورات الشعبية في مصر الإسلامية ، ص ٢٢ .

(٥) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ٦ .

(٦) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٦ ، والبيان والإعراب ، ص ٢٩-٢٠ ، القلقشندي : صبح الأعشى ،

ج ١ ، ص ٣١٦ ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ص ١٨٠ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام

السياسي ، ج ٣ ، ص ٢٢١ Aassan : The Arabs and the Sudan , p, 67

(٧) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٣ ، ص ٢٢١ .

أدرك ابن طولون خطورة الموقف فبدأ فى تجهيز جيش كبير للقضاء عليه وسير على رأسه القائد "جهم بن الحسين"، حيث التقى الجيشان على أرض الصعيد ، وقد انضمت إلى بغا الأصغر بطون من قبائل منلج وأغلب قبائل الصعيد ولا سيما القبائل العلوية المنضمة إليه فى هذا الإقليم^(١)، ونتج عن ذلك مقتل بغا الأصغر، والقضاء على أعوانه^(٢) والاستيلاء على ما معه حيث حزت رأسه وتم إرسالها إلى العاصمة القطائع وعرضها^(٣).

ولكن ما أن انتهت تلك الثورة حتى ظهر خطر جديد فى إقليم قفط أقلق ابن طولون أشد القلق تمثل فى ظهور العمرى فى بلاد البجة وأرض المعدن^(٤)، وتهديده مدن وقرى إقليم قفط ومحاويلته الاستيلاء عليها ، خاصة بعد نجاحه فى القضاء على خطر البجة وهجومهم المتكرر على الصعيد^(٥).

وقد سبقت الإشارة إلى حملة ابن الحبحاب سنة ١٠٧هـ على بلاد البجة ، وما انتهت إليه من عقد صلح فيما بينهم وكذلك حملة ابن الجهم سنة ٢١٦هـ ، وأسفر عنها من عقد صلح جديد ، بين ملكهم كنون بن العزيز وابن الجهم^(٦).

وتشير المصادر التاريخية إلى أن العمرى أراد الثأر من البجة لغاراتهم على إقليم قفط وخاصة بلدة إسنا^(٧)، وذلك عندما هاجم رئيس البجة

(١) المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٦٢ ، المقرئى : المقفى الكبير تحقيق محمد السعلاوى ، ج ١ ، ص ٤٢١ ، Zaki Hassan : Le Tuluindes, p. 55

(٢) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢١٢ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣١٩ ، المقفى الكبير ، ج ١ ، ص ٤٢١

(٣) الكندى : المصدر السابق والصفحة ، المقرئى : المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٤) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، أحداث سنة ٢٥٩هـ .

(٥) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٥ ، حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام فيما وراء الصحراء الكبرى ، ص ١١ .

(٦) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٦٦ .

(٧) ابن دقماق : الانتصار ، ج ٥ ، ص ٢٨-٣٣ ، ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص ١٩١-١٩٥ .

الذى كان يوصف بأنه "أعور مارد" فقد تقدم الرجل إلى إسنا "وكبسوا الناس فى مصلاهم عند بلدة إسنا وقتلوا منهم ونهبوهم" (١).

ونتج عن ذلك قيام العمرى بحملته على البجة - بغرض الثأر للمسلمين وتأديب البجة، ومنع غاراتهم المتكررة على هذا الإقليم (٢)، فعول على تجهيز حملة كبيرة انضم إليها وأيدتها القبائل العربية القاطنة بالإقليم من بلوى وجهينة وعرب ربيعة (٣) حيث كمن للجباويين فى طريق عودتهم من هجوم أهل إسنا (٤) فقتل منهم كثيراً وقتل زعيمهم الأعور وسار العمرى بجيشه سنة ٢٥٥هـ حتى وصل إلى بلاد البجة أرض المعدن (٥)، وأكثر فيهم القتل وألحق بهم الهزيمة، ويصف البلوى ما أصابهم فى تلك المعركة بقوله: "قتل فيهم مقتلة عظيمة وضيق عليهم حتى أدوا الجزية، استكفافاً له، وما أدوها لأحد قبيلة" (٦).

أدى انتصار العمرى على بلاد البجة إلى عظم شأنه وازدياد نفوذه حيث دخلت منطقة قفط فى نفوذه، كما قويت شوكة قبيلة ربيعة بعد اختلاطها بالبجة، وألفا معاً حلفاً قوياً تحت زعامة ربيعة وهكذا عمل كل طرف على تقوية الطرف الآخر، وأصبح لقبيلة ربيعة السيادة الكاملة على أرض المعادن أملاً فى الحصول على المزيد من ثروتها لا سيما بعد استيطانهم ديار البجة (٧).

(١) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، ص ٦٤، عطية القوصى: تاريخ دولة الكنوز، ص ٣٢.

(٢) البلوى: المصدر السابق والصفحة.

(٣) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٩٠، والبيان والإعراب، ص ٢٩-٣٠.

Hassan : The Arabs. and the Sudan p.b7

(٤) عطية القوصى: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ص ٣٢-٣٣.

(٥) مؤلف مجهول: تاريخ ملوك السودان وأقاليمه، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٤٢ تاريخ، ورقة ١٤.

(٦) البلوى: سيرة أحمد ابن طولون، ص ٦٥، ومصطفى سعد: الإسلام والنوبة، ص ١٢٥.

(٧) المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ١، ص ٢٤٥.

وهكذا أصبحت سلطة أحمد بن طولون معرضة للخطر بسبب قيام العمرى بمنطقة إقليم فقط وادعائه أنه يعمل على حماية مصر من خطر النوبة والبجة^(١)، كما ازداد خوفه حين بلغه أن قوات العمرى تزيد عن مائة ألف رجل من رجال القبائل المختلفة ، من ربيعة وبنى بكر وائل وجهينة^(٢). خشى أحمد ابن طولون على ملكه ودولته من هذا التأثير وحركته الاستقلالية فى إمارة وادى العلاقى التى أسسها عبدالرحمن العمرى ، وما كان من التقاف القبائل العربية المقيمة فى إقليم فقط حوله ، الأمر الذى يدعم سلطانه وملكه فى وادى العلاقى - جنوب أسوان فلم يجد ابن طولون مناصاً فى أن يعد الجيوش للقضاء على هذه الحركة فى دارها ، فأرسل جيشاً بقيادة "شعبه بن حركام البابكى" غير أن قوات العمرى تمكنت من إنزال الهزيمة بهذا الجيش^(٣)، وتقدم العمرى بقواته صوب الشمال حتى وصل إلى القرب من قوص ، ولكنه لم يلبث أن عاد إلى أرض المعادن دون أن يجنى ثمرة نصره على ابن طولون^(٤).

ولعل عدم مواصلة العمرى للحرب والرجوع إلى أرض المعادن كان مرده إلى خوف العمرى من هزيمته أمام قوات ابن طولون لعلمه بأن ابن طولون لم يستخدم ضده كل قواته آنذاك، ومن جهة أخرى فقد كان خوف العمرى كذلك من غدر القبائل التى معه ، وخاصة ربيعة أقوى هذه القبائل ورغبتها الشديدة فى الانفراد والسيطرة على مناجم العلاقى جنوب أسوان^(٥).

(١) المقرئى : المقفى الكبير، ج٤، ص ٤٠٦-٤٠٨ .

(٢) كان يرأس قوات ربيعة رجالان هما : أشهب بن ربيعة بن حنيفة بن لجيم بن صعب وإياس بن روح ، وكان على بنى قيس بن ثعلبة بن بكر وائل وحلفائهم : محمد بن صريح وكان على الجهينيين رجل يعرف بعثمان ابن سعدان وكان على الشاميين رجل من سعد الشيرة ، ورؤساء دون هؤلاء . عطية القوصى :

تاريخ دولة الكنوز ، ص ٢٤ ، هامش (١) .

(٣) المقرئى : التاريخ المقفى ، ج٤ ، ص ٤١٠-٤١١ .

(٤) عطية القوصى : تاريخ دولة الكنوز ، ص ٢٤ .

(٥) عطية القوصى : المرجع السابق والصفحة .

وقد تحققت مخاوف العمرى بعد أن طمعت ربيعه فى امتلاك مناجم الذهب^(١)، فسرعان ما خرجت وانضم البجاة إلى أصهارهم ربيعة^(٢)، وذلك على أثر مانشب من نزاع بين العمرى وربيعه، ويعزى ذلك النزاع كما يذكر المقرئى^(٣) إلى أن رجلاً من البجة قتل أخاً للعمرى من أمه يدعى إبراهيم المخزومى عند عيذاب، وطلب العمرى من ربيعة أن تسلمه القاتل فرفضت ربيعة الإذعان لمطلبه مما أدى لقيام الحرب بينهما^(٤)، وقتل فيها عدد كبير من الطرفين يقدر بآلاف الرجال، وانتهت الحرب بانتصار العمرى وهزيمة قبيلة ربيعة وحليفاتها البجاء^(٥).

وعلى أثر ذلك نشب خلاف بين أبناء ربيعة أنفسهم، فاستغل العمرى ذلك وقتل أشهب شيخ ربيعة، ولذلك عول محمد بن هارون^(٦) شيخ قبيلة مضر وغلمانه على التخلص من العمرى، فقتله غلمان شيخ قبيلة مضر بعد وقت قليل من قتله لأشهب، ومن ثم تفرق الجمع الذى كان مع العمرى، غير أن ابن طولون حزن لموته وعاقب من جاءوا برأسه^(٧).

(١) المقرئى : التاريخ المقفى، ج ٤، ص ٤١٢، ٤١٥ .

(٢) مصطفى مسعد : الإسلام والنوبة، ص ١٢٦ .

(٣) التاريخ المقفى، ج ٤، ص ٤١٣ .

(٤) المقرئى : نفس المصدر السابق والجزء، ص ٤١٣، ٤١٤ .

(٥) عطيه القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ص ٢٥ .

(٦) عطيه القوصى : المرجع السابق والصفحة .

(٧) فقد سأل ابن طولون النلمان، لماذا قتلوا صاحبهم؟ فعرف أنهم كانوا يريدون الجائزة فقط، فقال لهم أكان صاحبكما مسيئراً إليكما؟ قالوا لا : قال : يمنعكما رزقكما؟ قالوا لا : قال أركب بحضرتكم أنما استحللتم به قتله؟ قالوا لا : فلم قتلتماه؟ قالوا لا : أن أردنا بذلك الحظوة عند الأمير والقرب منه فقال : ذاك والله أبعدكما منى ومن الله عز وجل * البلوى : سيرة أحمد بن طولون، ص ٦٧ وأشار ابن الداية كذلك عاقبتهم " فأخذتهم السياط حتى سقطوا، وضربوا على رؤوسهم بالشدوخ - الحجارة حتى ماتوا جميعاً، وأمر بدفن رأس العمرى . ابن الداية : المكافاة، ص ٦٤ . المقرئى : الخطط، ج ١، ص ١٩٥ .

وهكذا لعبت الظروف دورها في الخلاص من العمرى في الصعيد الأعلى واسترد بن طولون نفوذه وسيطرته بعد أن باتت هذه الحركة تهدد أمن وسلامة ملكه^(١). على أن دولة الطولونيين لم تثبت أن آلت إلى الزوال وعادت مصر ولاية تابعة للخلافة العباسية في سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م على يد القائد العباسي - محمد بن سليمان الكاتب^(٢)، وبعد أن نجح في ذلك خرج من مصر في بداية شهر رجب ٢٩٢هـ، وأخرج معه كل من بقى فيها من أتباع ابن طولون ومواليهم وسار بهم إلى بغداد^(٣) ثم إلى دمشق^(٤).

**** الأحداث السياسية في العصر الفاطمي :**

رأى الفاطميون بعد أن امتد نفوذهم في بلاد المغرب أن هذه البلاد لا تصلح لتكون مركزاً لدولتهم حيث كان يسودها الاضطرابات فضلاً عن ضعف مواردها، لذلك اتجهت أنظارهم إلى مصر لوفرة ثرواتها وموقعها الجغرافي الهام وقربها من بلاد المشرق الإسلامي^(٥).

كان عبید الله المهدي يطمع في أن يتخذ مصر قاعدة يوجه منها حملاته إلى بغداد للقضاء على الخلافة العباسية المتداعية ، لذلك وجه نشاطه إلى وضع الخطط لغزو مصر فأعد في سنة ٣٠١هـ/٩١٣م^(٦)، جيش من المغاربة تحت قيادة ابنه وولى عهده أبي القاسم وقائدة حباسه بن يوسف

(١) حسن أحمد محمود : حضارة مصر الإسلامية في العصر الطولوني ، ص ١٢٣ .

(٢) الكندي : الولاة والقضاء ص ٢٤٧ ، ويذكر الكندي على أن محمد بن سليمان دعا الأمير المؤمنين المكتفي بالله وحده ، لأن الدعاء للخليفة على المنابر لم يبطل خلال الدولة الطولونية وإنما كان يدعى للأمير الطولوني منه . Zaky M. Hassan : Les Tulunides, pp 155-156

سيدة الكاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩ ، ص ١٧ .

(٣) أبوالمحسن : النجوم الزاهرة ، ج ٣ ، ص ١٣٩ .

(٤) الكندي : الولاة والقضاء ، ص ٢٤٨ ، المقرئزي : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٢٢ ، سيدة الكاشف : المرجع السابق ، ص ١٨-١٩ .

(٥) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامية ، (دار المعارف ٢٠٠٠م) ج ١ ، ص ١٣٧ .

(٦) المقرئزي : انفاذ الحنفا ، ج ١ ، ص ٩٨-٩٩ .

واستولى هذا الجيش على برقة في طريقة إلى مصر ، ثم واصل سيره. حتى تمكن من الاستيلاء على الإسكندرية والتوغل في بلاد الصعيد^(١)، ولدفع هؤلاء المغيرين على مصر أنفذ الخليفة العباسي المقتدر العباسي مؤنساً الخادم ، حيث اشتبك الفريقان في معركة على مقربة من الجيزة. وانهزم حباسه وعاد إلى بلاد المغرب حيث قتله عبيد الله المهدي على إثر رجوعه^(٢) بعث المهدي حملة أخرى وحملة ثالثة ، ولكن جاءت هذه الحملات بالفشل، إذ أسرع العباسيون بإرسال نجدات قوية إلى مصر ، تمكنت هذه النجديات العسكرية من هزيمة تلك الحملات الثلاث التي وجهها المهدي لمحاولة فتح مصر وانتزاعها من أيدي الإخشيديين.^(٣)

لكن هذه الحملات كشفت عن ميل كثير من المصريين إلى الدعوة الفاطمية بفضل الدعاة الذين اتبعوا في أوساطهم وذلك على الرغم من فشل حملاتهم الأولى على مصر، وقد اتجهت السياسة الفاطمية إلى إرسال نفر من الدعاة على أثر ذلك كان هدفهم التبشير بعقائد الإسماعيلية^(٤) وفضائل الأئمة وقرب الخلاص من ظلم الحاكمين وجشع الإخشيديين^(٥).

ويذكر المؤرخون أسماء بعض هؤلاء الدعاة الذين كان لهم شأن في مصر في ذلك الوقت منهم الداعي فيروز وكان كبير الدعاة آنذاك، ومنهم

(١) محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر، (طبعة القاهرة ١٩٦٢م)، ص ٦١.

(٢) محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق والصفحة .

(٣) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢٠٦، ١٩٩، ٢١١، سيدة الكاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ص ٣٤-٣٦.

(٤) الإسماعيلية: جعلت الإمامة في اسماعيل بن جعفر الصادق ثم في ابنه محمد بن اسماعيل ثم في الأئمة من بنيه ومنهم الخلفاء والفاطميون الذين أقاموا دولتهم في الفريجية أو المغرب الأدنى أولاً في سنة ٢٩٦هـ، ثم نقلوا دولتهم إلى مصر سنة ٣٥٨هـ، وظلوا يحكمونها إلى ٥٦٢هـ هذه الفرقة تعرف بالإسماعيلية نسبة إلى اسماعيل بن جعفر الصادق، وتعرف أحياناً بالباطنية إلى قولهم بالظاهر والباطن

جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، ج ١، ص ١٢٥.

(٥) الكندي: الولاة والقضاة، ص ٢٨٤-٢٨٢.

الداعي أبو علي صهر فيروز وابنه محمد أبو الحسين ابن الداعي أبي علي، والداعي أبو جعفر بن نصر الذي كان له مكانه: خاصة في نفوس المصريين، وكان من جلساء كافور الإخشيدي وكانت له داراً بالفسطاط صارت ملتقى العلماء والوجهاء من الناس^(١)، ولا شك أنه كان يبت فيهم آراءه وتعاليمه دون الخشية من بطش كافور الإخشيدي أو عيون الخلفاء العباسيين.

ومن المرجح أن وصول هؤلاء الدعاة إلى مدينة قفط كان له أثره وذلك لأنها تمثل أرضاً خصبة للشيعة^(٢)، كما سبقت الإشارة من قبل، وأنها كانت وفقاً على العلوية من أيام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وليس في ديار مصر ضيعة وقف ولا ملك لأحد غيرها^(٣) ولهذا لجأ هؤلاء الدعاة الفاطميون إليها يدعون أهالي إقليم منطقة قفط سراً وذلك خوفاً من بطش العباسيين والتكيل بهم.

وأثناء تلك الأحداث تكررت غارات أهل النوبة على منطقة إقليم قفط نتيجة لإهمال الإخشيديين^(٤) أمر ثغر أسوان، فأمر تلك الحامية التي وكلت لحراسه فقد بدأ النوبيون غاراتهم على الواحات، وخاصة الواحة الخارجة

(١) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ، ص ٢٣-٢٤ .

* وبدأت الخلافة العباسية في الضعف فاستبد الاكراك بشئون الحكم الفعلية حتى غدا الخلفاء كالدمى في أيديهم يحركونهم كيف شاموا ، وانطبق عليهم عند ذاك قول الشاعر:

خليفة فلى قفس	بين وصيف وبنا
يقول ما قاله	كما تقول البنا

جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامية، ج ١، ١٢٢ .

(٢) الإدريسي: صفة المغرب وأرض السودان والأندلس، ص ٤٨-٤٩، والحميري: العروض المعطار، ص ٤٧٧ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج ٢، ص ١٢٨-١٢٩، وحسن خضيري أحمد : الدعوة الزيدية في مصر، ص ١٩٤ .

(٤) تولى أمر مصر كما سبق أن أشرنا إلى ذلك عدة ولاء منهم محمد بن سليمان ، وعيسى النوشري ، وتكين بن عبدالله الحربي، وابن كيفلح ، الذي قام بحروب طويلة ضد محمد بن تكين الذي تولى حكم مصر بعده، ثم ولي محمد بن طبع بن خلف ، الذي دارت بينه وبين ابن تكين عدة حروب انتهت بالقبض على محمد بن تكين وإيداعه السجن ببلدة إخمتم في مصر العليا . أبو المحاسن : السجود الزاهرة، ج ٣، ص ١٧١ .

فى سنة ٣٤٠هـ/سنة ٩٥١م^(١)، وهاجموا مدينة أسوان فى سنة ٣٤٥هـ/سنة ٩٥٦م، " حيث قتل ملك النوبة جمعاً من المسلمين"^(٢) العاملين بأرض المعدن ونهب أموالهم وأحرق البلاد^(٣)، يضاف إلى ذلك نقص النيل حينذاك، وما ترتب عليه وقوع المجاعة فى معظم أرجاء البلاد^(٤). وهكذا عجز كافور الأخشيدى عن صد هجمات القرامطة الذين أغاروا على الشام سنة ٣٥٢/٩٦٣م، ولما عجز عن الدفاع عن تلك البلاد التى غزاها ملك النوبة وسيطر على إقليم قفط حتى وصل إلى إخميم، وذهب الأهالى وأحرق المدن وعاث فساداً فى أعمال الإقليم^(٥)، ولعل عدم وقوف حاكم مدينة قفط فى التصدى لملك النوبة، كان مرده إلى ضعف الخلافة العباسية فى العصر العباسى الثانى آنذاك^(٦)، ومن جهة أخرى فقد كان انخفاض مياه النيل وانتشار المجاعة بين الأهالى^(٧)، أضف إلى ذلك انتشار المذهب الشيعى بين أهالى قفط مما كان إيذاناً بزوال الحكم للعباسى عن مصر^(٨)، ومن ناحية الغرب

(١) المسعودى: مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٩-٤٠.

(٢) الأنطاكى: تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى " المعروف بصله تاريخ أوتياخا، (لبنان ١٩٩٠) ص ٢٩.

(٣) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٢٣٠، مصطفى مسعد الإسلام والنوبة، ص ١٣١.

(٤) قاسى إقليم قفط من جراء انخفاض مياه النيل، حيث أصيب الأهالى بالأوبئة، واشتد الغلاء وندره وجود القمح، وتفشى الموت بين الرعية، واستمرت هذه المجاعة حتى دخول الفاطميين مصر سنة ٣٥٨هـ مثلها فى ذلك مثل الديار المصرية. المقرئى: إغاثة الأمة، ص ١٢٠، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى، ج ٢، ص ٢٤١. لعل الغارات النوبية كانت نتيجة لدعاية فاطمية واسعة، الفرض منها إضعاف الإدارة المصرية وشغلها فى أكثر من جهة حتى لا تركز جهودها ضد الزحف الفاطمى من الغرب، وامتناع تلك النوبة عن دفع "البقط" الجزية المفروضة عليه - منذ الفتح العربى لمصر - نعمة على مرسى: مصر العليا منذ الفتح حتى سقوط الدولة الفاطمية، رسالة ماجستير، كلية الآداب سوهاج ١٩٨٠م، ص ٦٦.

(٥) نعمة على مرسى: المرجع السابق، ص ٦٦-٦٧.

(٦) جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، ج ١، ص ١٢٧-١٢٨.

(٧) نعمة على مرسى: المرجع السابق، ص ٦٦، ٦٨.

(٨) حسن خضيرى أحمد: الدعوة الزيدية فى مصر، مجلة المؤرخ العربى، العدد الرابع، المجلد الرابع،

مارس ١٩٩٦، ص ١٩٣-١٩٤.

هدد الفاطميون الديار المصرية أيضاً^(١)، وبفضل الدعاة الفاطميين دخلت
التعاليم الإسماعيلية إلى الصعيد الأعلى وبصفة خاصة مدينة فقط حيث كان
أهلها من الشيعة^(٢).

ويمكن القول بأن ذلك أدى إلى انتشار الدعوة الفاطمية في مدينة
قطن، لاسيما وأنها كانت تزخر بالكثير من العنصر العلوي الذين طاب لهم
المقام أثناء فرارهم من وجه العباسيين ولجؤهم إليها من قبل^(٣).
وقد شجع على ذلك أن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي أخذ يعد العدة
من جديد لفتح مصر قبيل وفاة كافور ، ففي سنة ٣٥٦هـ / ٩٦٧م حيث أمر
بإنشاء الطرق وحفر الآبار في طريق مصر وأقام المنازل على رأس كل
مرحلة ، ولما وصلت الأخبار بوفاة كافور سنة ٣٥٧هـ ، أخذ في إعداد
المال اللازم لتجهيز حملة لفتح مصر كما بعث إلى دعائه بالديار المصرية
أعلاماً وأمرهم أن يوزعوها على الجند الذين يؤيدونه لينشروها إذا ما
اقتربت عساكره من مصر^(٤).

عهد المعز لدين الله الفاطمي إلى قائده جوهر الصقلي^(٥) بقيادة
الحملة، وخرج لوداعه يوم رحيله من القيروان في الرابع عشر من شهر
ربيع الثاني سنة ٣٥٨هـ ، فسار جوهر على رأس جيشه حتى وصل برقة

(١) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٧ .

(٢) الإدريسي : صفة المغرب وأرض السودان والأندلس ، ص ٤٨-٤٩ .

(٣) الإدريسي : المصدر السابق والصفحة .

(٤) سيده الكاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، ص ٣٦٥ .

(٥) جوهر القائد : هو جوهر بن عبدالله المعروف بالرومى أو الصقلى ، أو عاش في صقلية عمل بالبلاط
الفاطمي ودواوينهم ، حتى عرف بالكاتب كما عرف أيضاً بالقائد ، وذلك لأنه كان من أكفأ القواد
الفاطميين ، وقد أسهم في إخضاع قبائل البربر في سنتي ٣٤٧-٣٤٩هـ / ٣٥٨-٩٦٠م ، واستطاع أن يدين
المغرب كله لطاعة الخليفة المعز ، وكان على رأس الجيش ، الذى قدم إلى مصر لفتحها . على إبراهيم
حسن : تاريخ جوهر الصقلى ، (القاهرة ١٩٦٣) ، ص ١٤-١٧ .

فقدم له صاحبها فروض الطاعة واحتفل بلقائه ثم مضى في سيره قاصداً الإسكندرية فدخلها من غير مقاومة ومنع جنده من التعرض للأهالي واستطاع أن يتألف عساكره بما أغدقه عليهم من الأرزاق^(١)، ولم يقاوم أهالي مصر هذه الحملة، لضخامة عدد جنودها المكون من مائة ألف مقاتل^(٢)، وللمناخ السياسي التي هيأته الدعاية الفاطمية في البلاد، قبل مقدم الحملة^(٣).

كما حظى العلويون بتكريم من الفاطميين منذ دخولهم مصر ، فقد كان الشريف أبو جعفر مسلم الحسيني على رأس الوفد الذي قابل جوهر الصقلي طالباً منه الأمان للمصريين ، وصحب معه في الوفد أبو إسماعيل الرسي الحسني^(٤).

ويبدو أن المصريين ظنوا أن أبا جعفر تساهل مع جوهر ولهذا دافع ابن الفرات عن الشريف أبي جعفر قائلاً " انتم سألتم الشريف هذه المسألة فلم يقنع حتى أخذ معه أبا إسماعيل وهو رجل حسنى - وأخذ معه قاضى المسلمين وأخذ معه رجلاً عباسياً " ولما هزم المصريون أمام جيش جوهر عباد المصريون يستصرخون للشريف ليسعى للحصول على أمان جديد من جوهر^(٥).

(١) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٤٧ .

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، ج ١ ، ص ١٣ .

(٣) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، ج ١ ، ص ١٥١ ، عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين ، ص ٩٨-٢٢٢ .

(٤) الرسيون : نسبة إلى جبل الرس الذى سكنه القاسم بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب وهو جد الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين .

رضوان البجنانى : القبائل العربية فى مصر خلال القرنين الثالث والرابع الهجرى رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٧٦ م ، ص ٧٦ .

(٥) المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٤٨-١٥٣ .

ولقد حظى الشريف أبو جعفر بالتكريم من الخليفة المعز وتوثقت علاقتهما ، وكان أبو جعفر يحضر مجالس المعز وكثيراً ما استشاره المعز في بعض الأمور الخاصة بحروبه^(١).

أما موقف القبائل العربية من الفتح الفاطمي لمصر فقد رحبت القبائل العربية بهم وكان من بين هذه القبائل قبيلة قريش^(٢) باعتبار أنهم ينتسبون إليها وكان الفاطميون^(٣) يعتزون بهذا النسب ووطدوا علاقتهم بالقريشيين والسيطون المتمركزة في الصعيد الأوسط^(٤) وبعد أن سيطروا على مصر قدموا لقبيلة قريش جزاء موقعها فقد شجعوها على الانفراد بالإقامة في بلاد الأشمونيين ، وحاربوا إلى جانبهم حتى تمكنت من طرد جبهة التي اتجهت جنوباً إلى الصعيد الأعلى^(٥).

أما عن القبائل المناوئة للدولة الفاطمية وإظهار روح العداء مثل قبيلة طي وبنو ربيعة بمنطقة إقليم قفط ، فقد انضمت إليها قبائل أخرى من قبائل الصعيد ضد الفاطميين^(٦).

وفي سنة ٣٥٩هـ/سنة ٩٦٩م ، بدأ جوهر يتجه بأنظاره إلى جنوب الوادي ، ففكر في صد غارات أهل النوبة على الصعيد ، ونشر الدين الإسلامي بين النوبيين والبجاويين ، الذين هددوا قبائل العرب في أرض المعدن المتاخمة لحدود مدينة قفط^(٧) ، لهذا أرسل جوهر برسول الدولة الفاطمية ويدعى أحمد بن سليم الأسواني إلى ملك النوبة ويدعى جورج ، لأخذ

(١) المقرئى : انعاظ الحنف ، ج ١ ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) رضوان الجنائى : القبائل العربية في مصر ، ص ٧٣ .

(٣) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٧٢ - ٧٤ .

(٤) الكندى : الولاة والقضاء ، ص ٢٧٧ .

(٥) ممدوح عبدالرحمن الريطى : دور القبائل العربية في صعيد مصر ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٦) السيد طه أبو سديره : الهلالية في صعيد مصر ، ص ٢٣ - ٢٦ .

(٧) Garcin : Un Center Musulman. p71

الجزية ولدعوة أهل النوبة إلى الإسلام ، وقد رحب ملك النوبة برسول الدولة الفاطمية، وببالغ فى إكرامه وقبل دفع الجزية ولكنه ظل على ديانته المسيحية^(١).

وبذلك عادت سيطرة مصر على النوبة مرة ثانية ودخلت فى النفوذ الفاطمى، كما قامت ثورة ضد الخلافة الفاطمية فى سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م بزعمارة عبدالعزيز بن هيج الكلابى بالصعيد ، ورغب فى إعادة مصر لنفوذ الخلافة العباسية من جديد ، وضم إليه معظم الصعيد ، ولكن محاولته باءت بالفشل، وتمكن جوهر من القضاء عليه عندما أرسل حمله بقيادة " بشارة النوبى " حيث تمكنت من القبض عليه ووضعته فى " قفص مغلول بالسلاح ، وطيف به وبمن معه"^(٢).

وقد تعرضت مصر العليا لخطر القرامطة^(٣) فى خلافة المعز لدين الله الفاطمى حيث " أنفذ القرامطة عبدالله بن عبيد الله إلى الصعيد ، فنزل فى نواحي أسبوط وإخميم"^(٤) ودخلوا مدن وقرى الصعيد ، وعاثوا فى الأرض فساداً واستخرجوا الخراج^(٥) ، وهناك حارب عبدالله العمال ، واستخرج الأموال ، وسرية أخرى قام بها الأعصم القرمطى نزل بها دبليس لكن الخليفة المعز تأهب لمنعه وردّه^(٦) ومن هذا يظهر كيف أن القرامطة ألقوا

(١) نعمة على مرسى : مصر العليا من الفتح العربى حتى سقوط الدولة الفاطمية ، ص ٦٨ .

(٢) المقرئى : أعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، حوادث سنة ٣٦٣ .

(٤) المقرئى : المصدر السابق والجزء ص ٢٠٣ .

• ومن الأدلة على بلوغ القرامطة حتى إخميم من بلاد الصعيد وسيطرتهم على تلك البلاد ، وجود إحدى

القرى التى تحمل اسمهم وهى قرية القرامطة ، وتقع إلى الشمال قليلاً من مدينة سوهاج .

السيد طه أبو سديرة : الهالية فى صعيد مصر خلال العصر الفاطمى الأول ، (طبعة ١٩٩٣م) ص ٢٦ ،

هامش (١) .

(٥) المقرئى : المصدر السابق والجزء ص ٢٠٣ .

(٦) نفس المصدر والصفحة .

بال خليفة المعز لما ارتكبه من جرائم ، وما استجمعه من أموال في شمال مصر وصعيدها. وهكذا تمكنت قوات المعز لدين الله الفاطمي من رد غارات سرامطة على مصر وإجبارهم على ارتدادهم نحو الشام قبيل وفاة الخليفة . معز سنة ٣٦٥هـ^(١).

**** موقف أهالي قفط من ثورة أبي ركة على الحاكم بأمر الله الفاطمي**

(٣٨٦-٤١١هـ) :-

كان أفراد الحاكم بالسلطة أمراً خطيراً بالنسبة لعرب بني قرة وغيرهم من الهلالية ، فقد عمد - الحاكم بأمر الله - إلى الإكثار من الإيقاع بهم فأكثر من قتلهم وتحريقهم بالنار ، فكان أن خلع بنو قرة - بالبحيرة طاعته وأعلنوا العصيان^(٢) وعملوا على مراسلة إخوانهم ببرقة في بادية بني هلال كما ينكر ابن خلدون^(٣) فما لبث الحاكم أن احتاط الأمر فبعث لهم بالأمان.

وفي تلك الأثناء ظهر أمر الداعية الأموي الأندلسي أبو ركة^(٤) وأخذ يدعو إلى القائم من بني أمية ، ولقب نفسه كما يقول ابن الأثير " الثائر بأمر الله ، المنتصر من أعداء الله"^(٥) ونزل من برقة فجمع له أهلها من بني هلال مالا ، وذلك بعد أن نجح في استمالتهم إليه بعد أن دعاهم إلى نفسه فاستجابوا .

(١) السيد طه أبو سديرة : اليلالية في صعيد مصر ، ص ٢٧ .

(٢) السيد طه أبو سديرة : المرجع السابق ، ص ٤٤ .

(٣) البر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٤ ، ص ١٢ .

(٤) أبو ركة : لقب بأبي ركة لأنه كان يجعلها لوضونه ، وهو الوليد بن هشام بن عبد الملك ابن عبد الرحمن الأموي قدم من الأندلس إلى القيروان ، ثم رحل إلى الحج وطوف بلاد اليمن والشام ، ونزل على برقة فأتى يعلم الصبيان ويؤمهم في صلاتهم . سبط ابن الجوزي : مراة الزمان في تاريخ الأعيان ، ج ٨ ، ورقة ١٤ ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٢٧٦ ، ع ، ابن عماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .

(٥) الكامل ، ج ٩ ، ص ٨٢ ، سبط الجوزي : مراة الزمان ، ج ٨ ، ورقة ١٦ .

له وبأيعوه^(١). وهكذا ذاع أمر أبي ركوه النائر الأموي وعظمت هيئته ،
خاصة بعد أن بايعه بنوقرة في البحيرة وزناته^(٢) آنذاك وقد ترددت سراياه
إلى الصعيد^(٣).

واصل أبو ركوه تحركاته وكان عماد جيشه بنوقرة وغيرهم من
عرب بني هلال يومئذ ، وفي ذلك الوقت كان الحاكم بأمر الله قد جهز جيشاً
آخر بعد هزيمته في الجيزة بلغت عدته أربعة آلاف فارس حيث عبروا النيل،
فسمع أبو ركوه بهم ، فوافاهم برأس البركة بالقرب من الفيوم، والتقى
الجيشان وعاودوا القتال ، ودارت معركة هائلة هزم فيها هذه المرة النائر أبو
ركوه وقتل وأسر كثير من رجاله وأحضرت رعوس القتلى من الفيوم إلى
الجيزة ومنها إلى مصر ، ويصف المقرئ^(٤) ما حاق بهؤلاء الأسرى
بالسيوف بعد ما لحقهم من أنواع البلاء بين الأمة ، يصفون أقيمتهم وينتفون
لحاهم ويضربونهم حتى تفتحت أكتافهم "

وهكذا تفرق بنوقرة وغيرهم من البطون الهلالية بعد هزيمتهم في
الفيوم ، حيث عاد الكثير منهم إلى مساكنهم بالبحيرة والظاهر أن زعيم
هؤلاء كما يذكر ابن خلدون استطاع القواد الفاطميون استمالته وكما يبدو فقد
نجح " الماضي بن مقرب " في هذه الواقعة من خذلان أبي ركوه حيث طلب
منه سرعة الهرب من أرض المعركة - ولم تكن الهزيمة حلت بهم - إلى
بلاد النوبة والنجاة بنفسه.^(٥)

(١) حسن خضيري أحمد : علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، ٤٩-٥٠ .

(٢) يبيرس الدوادار : زبدة الفكر في تاريخ الهجرة ، مخطوط ، ج ٦ ، ورقة ٢٩٣ .

(٣) محمد أمين صالح : تاريخ الجيزة في العصر الإسلامي ، ص ١٢٣-١٤ ، والسيد طه أبو سديرة :

الهلالية في صعيد مصر ، ص ٤٢ .

(٤) اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٢٠٣-٢٠٤ مكي شيك : السودان عبر القرون ، ص ٣٨-٣٩ .

(٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٨ ، يبيرس الدوادار : زبدة الفكر ، ج ٦ ، مخطوطة ، ورقة ٢٩٥ .

اضطر أبو ركوته للهرب إلى منطقة الصعيد الأعلى، فأرسل القائد الفاطمي الفضل بن صالح جميع الأسرى من جيش أبي ركوته إلى القاهرة^(١) وواصل سيره إلى بلاد الصعيد في تعقبه لأبي ركوته ، الذي قام بتخريب المباني والاستيلاء على أموال الأهالي بالقوة في منطقة قفط وقراها ثم لجأ إلى بلاد النوبة حتى وصل حصناً يعرف بحصن الجبل ، وأظهر أنه رسول الحاكم بأمر الله الفاطمي إلى ملكهم^(٢).

ويبدو أن هناك بعض القبائل العربية القاطنة إقليم قفط قد ناصرت أبي ركوته وثورته السنية ، ولكن خوفهم من بطش الفاطميين والتكيل بهم الأمر الذي كان مرده الترحيب بهم قفط ، وليس أدل على ذلك من مساعدة أبي ركوته في هروبه من الفيوم إلى بلاد النوبة ، وعدم التعرض له^(٣)، بل مهدوا له الطريق ، هذا فضلاً عن كره قبيلتي جهينة وبلى للقرشيين التابعة للفاطميين الشيعة^(٤).

لكن القائد الفاطمي الفضل بن صالح واصل سيره إلى بلاد الصعيد مستعيناً بزعيم إمارة ربيعة الكبرى في مصر تلك الإمارة التي اتسعت أطرافها وأصبحت تضم صعيد مصر الجنوبي من قوص إلى أسوان^(٥)، وتوقف الفضل بن صالح بجيشه عند حدود أسوان ، فسار أبو المكارم خلف أبي ركوته إلى منطقة الجبل وأمسك به^(٦)، وقبض عليه في بلاد النوبة وأرسل

(١) المقرئى : اتعاظ الحنف، ج ١، ص ٢٠٣، ٢٠٤ .

(٢) بيبس الدوادار : زبدة الفكر، ج ٦، مخطوطة ، ورقة ٢٩٥ ، الأنطاكي : تاريخ الأنطاكي ، ص ٢٦٢ .

(٣) عطيه القوصى : تاريخ دولة الكتوز الإسلامية ، ص ٥١-٥٤ .

(٤) المقرئى : البيان والإعراب، ص ٢٢-٢٣ ، ممدوح عبدالرحمن الربطى : دور القبائل في صعيد مصر ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٥) عطيه القوصى : تاريخ دولة الكتوز الإسلامية ، ص ٤٨ .

(٦) الأنطاكي : تاريخ الأنطاكي ، ص ٢٦٢ ، المقرئى : المصدر السابق والجزء ، ص ٣٠٥ .

Macimichel: History of Arab Tribes in The Sudan; p. 45 .

به إلى القاهرة ، حيث شهر به في شوارعها ، بعدما زيننت بالأعلام ، ووقف الجنود يحملون رعوس القتلى من رجاله^(١).

لم يلبث الحاكم بأمر الله أن عمد إلى الانتقام من هؤلاء الذين حاربوه في واقعتي الجيزة والفيوم من بنى قرة وغيرهم من العرب، فسلط عليهم الجيوش والعرب المناوشين لهم فأفنوا الكثير منهم ، وقد فر من بقى حياً في معركة الفيوم إلى بلاد المغرب غير أنهم سرعان ما استردوا نفوذهم في منطقة البحيرة وبلاد الصعيد حتى صار لهم بلاد أسوان وما تحتها من الديار المصرية.^(٢)

أما عن موقف العلويين بإقليم قفط تجاه دعوى ألوهية الحاكم بأمر الله الفاطمي (٣٨٦ - ٤١١ هـ) وقد كان الرفض من جانبهم بل أنهم سعوا في الخلاص منه وذلك قبل أن تفقد الدولة هيبتها في قلوب الناس^(٣) ، وليس أدل على ذلك مما ذكره المسبحي^(٤) أن رجلاً من العلويين بصعيد مصر من بنى الحسين بن علي ، قام بقتل الحاكم بأمر الله ، ولما سئل هذا الرجل عن سبب قتله قال: غرت لله وللإسلام ، ثم قتل الرجل نفسه بسكين

(١) الانطاكي: تاريخ الانطاكي، ص ٢٦٧ ، شهر بابي ركوة بعد أن أركب جمل، وطيف به أنحاء القاهرة، وكان هناك شيخ يقال - الأبراري - مهمته التشهير بالمشقين ، فيضع لهم طرطوراً، ويعمل منه الألوان ويجعل بين يديه قرداً ، وفي يد القرد عصا ، يعلمه كيف يضرب بها المشق، ومن ثم ركب أبو ركوة الجمل والبس الطرطور، وركب الأبراري خلفه ، ومع القرد ، وطيف به ، وفي نهاية الطواف أمر الحاكم بأمر الله بقطع رأسه وصلبه، وعندما أنزل من على الجمل ، وجد أنه قد توفي من أثر الضرب . الانطاكي : تاريخه ، ص ٢٦٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢١٧ .

(٢) القلقشندي : قلائد الجمان ، ص ١١٨ ، السيد طه أبو سديرة : الهلالية في صعيد مصر ، ص ٤٨ .

(٣) إبراهيم أحمد العدوي : مصر الإسلامية درع العروة ورياط الإسلام ، ص ١٣٠ .

(٤) أخبار مصر في سنتين ، ص ٤٨ ، تحقيق وليم ج. ملبورد. نشر الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٠ م انقرض المسبحي بروايته عن قيام رجل من العلويين بصعيد مصر بقتل الحاكم ، وهناك رواية أخرى نقلها المقرئ أن أخت الحاكم ست الملك هي التي دبرت أمر قتل الحاكم بأمر الله بالاتفاق مع سيف الدولة الحسين بن دواس الكتامي ، الذي كان وراء عملية اغتياله ، بعد أن اتهمها الحاكم في شرفها ولخوف ابن دواس على نفسه من الحاكم فاحضرت ست الملك عبيدين وحلفتها على كتمان الأمر ، ودفعت إليهما ألف دينار ليقتلا الحاكم ، ووقف العبدان له ، فضرباه حتى مات وطرحاه وشقا جوفه ولفاه في كساء ، وقتلا الصبي الذي كان معه ، وأغرقا حماره ، وحملوا الحاكم في كساء إلى أخته فدفنته. انما الحنفاج ٢ ، ص ١١٥ - ١١٦ . الانطاكي : تاريخ الانطاكي ، ص ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ .

وقطعت رأسه ، وسيرت إلى القاهرة وكان ذلك فى شهر المحرم ٤١٥ هـ ،
 بينما يرى أحد المؤرخين^(١) أن السبب فى قتله هو محاولة الحاكم بأمر الله
 الفاطمى تغيير أصل هام من أصول المذهب الاسماعيلى ، وذلك أن نظام
 الوراثة عند الشيعة الاسماعيلية يقضى أن تكون الإمامة فى نسل على بن أبى
 طالب دون غيرهم وأن تنتقل من الأب إلى الابن ، فحاول الحاكم مخالفة هذا
 المبدأ فأوصى بولاية العهد لابن عمه عبدالرحيم بن إلياس ، وأصدر أوامره
 بأن يضرب اسمه إلى جانب اسم الخليفة على السكه ، كما أمر أن ينوب ابن
 عمه وولى عهده عنه فى الخطبة والصلاة والنحر والنظر فى المظالم ، وأن
 يسايره فى المواقب^(٢).

وكادت هذه المحاولة أن تؤدى إلى انقسام خطير بين الشيعة
 الاسماعيلية، لأن فى تنفيذها هدماً لركن قوى من أركان المذهب ، لولا أن
 الحاكم قتل، وقضت ست الملك أخت الحاكم على هذه المحاولة فأرسلت إلى
 عبدالرحيم من قبض عليه وقتله وأجلست الظاهر بن الحاكم على عرش
 الخلافة^(٣).

وهكذا نرى أن سيدة الملك كانت امرأة واسعة الإدراك وكانت ترى
 فى تصرفات أخيها، التى تراوحت بين خروج على ما ارتضاه أباه وهتك
 لناموس الشريعة، بالإضافة إلى ادعائه الكوهمية وثورة المسلمين السنه عليه
 وخشيته أن يقتلوه وبقيته بيته ، رأت فى ذلك ما قد يخشى معه على ذهاب
 البيت الفاطمى وسقوط دولتهم^(٤).

(١) جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، ج ١، ص ١٥٥، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية فى

مصر، (الناشر الدار المصرية اللبنانية) الطبعة الأولى (١٤١٣ - ١٩٩٢ م)، ص ١١٠ - ١١١.

(٢) جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، ج ١، ص ١٥٥.

(٣) الانطاكى: تاريخ الانطاكى، ص ٣٦١، ٣٦٢، المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٣٥٤، أيمن فؤاد سيد: الدولة

الفاطمية فى مصر، ص ١١٢ - ١١٨.

(٤) أيمن فؤاد سيد: المرجع السابق والصفحة

دور أهالي قفط في القبض على كنز الدولة الثائر ضد الفاطميين في عهد المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧-٤٨٧هـ / ١٠٣٦-١٠٩٤م) :

وصل بدر الجمالي - أمير الشام إلى مصر لإنقاذها من الشدة المستتصيرية والاضطرابات الداخلية وذلك بعد استدعاء الخليفة المستنصر بالله كما بدأ في إعادة الأوضاع إلى نصابها ، وإعادة الأمن والطمأنينة إلى العاصمة ، ثم اتجه بعد ذلك إلى منطقة الصعيد في سنة ٤٦٩هـ / ١٠٧٦م ، وقضى على الجند السوداني، وجماعات من عرب جهينة والثعالبة والجعافرة^(١)، الذين أثاروا الشغب في منطقة طوخ العليا بالصعيد ، وانتهى الأمر بهزيمتهم شر هزيمة ، وبذلك تمكن من إعادة نفوذ الخليفة الفاطمي على هذه المنطقة.^(٢)

واصل القائد الفاطمي بدر الجمالي سيره إلى الجنوب حتى وصل إلى مدينة قفط لقتال قوات كنز الدولة بالصعيد الأعلى حيث التقى الجيشان عند بلدة إسنا ، ودارت معركة هائلة هزم فيها كنز الدولة ، وقتل وأسر كثير من رجاله ، الذي ما لبث أن فر إلى أسوان^(٣).

وهكذا وقفت البطون العربية القاطنة منطقة الصعيد الأعلى مع قوات بدر الجمالي ، نتج عنها هزيمة كنز الدولة وقواته وفراره من أمام قوات الفاطميين وكما يبدو فقد نجح بدر الجمالي في هذه الواقعة من استمالة القبائل العربية والوقوف بجانبه ، مما أدى إلى سرعة هروب كنز الدولة من أرض المعركة إلى أسوان^(٤).

(1) Lane-poole: A History of Egypt in the Middle Age, p29

(٢) عطية القوصي : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٥٨ .

(٣) أبو المكارم : تاريخ الكنائس والأديرة ، ج ١ ، ص ٢٧-٢٨ . وتخليدا لهذه الذكرى أمر بدر الجمالي قاضي المدينة الحسن بن علي ابن النصر ببناء جامع في مكان المعركة ، عرف باسم جامع النصر .

عطية القوصي : المرجع السابق والصحة .

(4) Lane- poole : Op- Cit , P. 29 .

أستأنف القائد الفاطمي بدر الجمالي مسيره إلى الجنوب في تعقبه
لكنز الدولة حيث دارت بينهما معركة ثانية، هزم فيها كنز الدولة أيضاً، مما
اضطره إلى الفرار إلى بلاد النوبة^(١). وقد تمكن ملكها من القبض على كنز
الدولة بمساعدة جند والى قوص حينذاك، خاصة وأن العلاقات كانت طيبة في
هذه الفترة بين ملك النوبة والفاطمين^(٢) وهكذا أرسل بدر الجمالي الشريف
سيف الدولة إلى ملك النوبة للقبض على كنز الدولة سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م
حيث قتله وصلبه على الباب الجديد فيما بين القاهرة ومدينة مصر^(٣).

وعلى الرغم من ذلك لم يخضع بنو الكنز للفاطمين ، بل ثاروا
عليهم في سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م أما في منطقة قفط ، وسيطروا على معظم
المدن والقرى فعظم شأنهم ، وكثر اتباعهم ، فسار إليهم بدر الجمالي، وقتل
أميرهم^(٤) وهذه آخر واقعة ، انصلح بها حال الديار المصرية في إقليم فقط
حيث أعاد بدر الجمالي نفوذ الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الفاطمي على
جميع أنحاء مصر العليا حتى منطقة أسوان^(٥).

وأصبحت قوص بعد ذلك عاصمة لسائر بلاد الصعيد، وليس لمنطقة
الصعيد الأعلى فحسب، بعد أن اتخذها الفاطميون عاصمة لهم آنذاك.

(١) عطية القوصي : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ص ٥٨ .

(٢) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر، ص ١٠٩* وذلك أن خرج ملك النوبة سنة ٤٧٢هـ/
١٠٧٩م لزيارة بعض كنائس أسوان، فسير إليه والى قوص عسكرياً فقبض عليه، وأرسله إلى القاهرة ، وقد أكرمه
بدر الجمالي هناك، وأعطاه الهدايا، ولكنه توفي في القاهرة ، ولم يعد إلى بلاده، ومن هذه المعاملة الحسنة
للملك الراحل ساد الود بين الطرفين. ابن ميسر : أخبار مصر، ج ٢، أحداث سنة ٤٧٢هـ، ص ٣٥ .

(٣) عطية القوصي : تاريخ دولة الكنوز، ص ٦٠-٦١ .

(٤) ابن ميسر : أخبار مصر، ج ٢، أحداث سنة ٤٧٢هـ، ص ٣٦، الجزء الثاني عنى بتصحيحه هنري
ماسيه (مطبعة المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة سنة ١٩١٩م .

(٥) Lane-poole : A history of Egypt in the Middle Ages p, 151 .

* انتهز بدر الجمالي استبداده بالسلطة في أواخر عهد المستنصر الفاطمي ، ومهد لابنه الأفضل الاستيلاء
على مقاليد الأمور في الدولة فجعله ولي عهده ولما توفي بدر في أوائل سنة ٤٨٧هـ خلفه ابنه الأفضل
في الوزارة ، فأصبح بيده الأمر كله ولم يعد للخليفة من السلطة إلا اسمها ومنذ ذلك الحين دخلت الدولة
عهد جديد اصطلح على تسميته بعصر الوزراء العظام وهو عصر انتقلت السلطة فيه إلى الوزراء -
ابن ميسر : أخبار مصر، ج ٢، ص ٣٠ ، محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر، ص ١١٠ .

الفصل الثانى

الحياة الاقتصادية فى مدينة قفط منذ الفتح الإسلامى وحتى نهاية القرن الخامس الهجرى

أولاً : الثروة الزراعية :-

* ملكية الأراضى

* نظم الرى والزراعة

* أهم المحاصيل الزراعية

ثانياً : الثروة الحيوانية :-

ثالثاً : الحرف والصناعات :-

* وصناعة الجلود •

* الصناعات الغذائية •

* استخراج المعادن •

* صناعة النسيج •

* الصناعات الخشبية •

* الصناعات الأخرى •

* صناعة الفخار والخزف - صناعة الحصر - حرفة الدباغة

رابعاً : النشاط التجارى :-

* مراكز التجارة الداخلية فى قفط .

* الأسواق فى مدينة قفط

* مراكز التجارة الخارجية فى قفط .

* النيل كطريق تجارى هام

* الطرق التجارية الأخرى

خامساً : المعاملات التجارية والمالية :-

* العملة (النقود) .

* الموازين والمكاييل .

* السفائح والصكوك .

أولاً : الثروة الزراعية :

نظم الري والزراعة :-

تعتمد الزراعة في مصر على النيل، وتنقسم أراضي مصر إلى أقسام كثيرة منها مرتفع لا يصل إليه الماء إلا من زيادة كثيرة، ومنها منخفض يروى من يسير الزيادة، ولقد تفاوتت أراضي مصر في الارتفاع والانخفاض تفاوتاً كبيراً ، لذا احتاجت بلاد الصعيد إلى خفر الترعر وعمل الجسور حتى يحبس الماء ليروى أهالي النواحي عند الاحتياج إليه^(١).

وقد اعتمد الأهالي في مصر العليا في ري أراضيهم على نظام ري الحياض وهو تقسيم الأراضي الزراعية إلى أحواض يصلها الماء في وقت الفيضان بواسطة شبكة واسعة من الترعر التي تسد ارتفاع النيل إلى حد معين لتغمر هذه الحياض بالمياه، ويبقى الماء في هذه الحياض عند بداية الفيضان في فصل الصيف إلى الخريف، ثم يصرف عنها المياه فيزرع ولا يسقى بعد ذلك^(٢).

وهكذا كانت الزراعة تعتمد خلال العصر الإسلامي اعتماداً رئيسياً على مياه الفيضان من النيل^(٣) سواء في مصر أو في غيرها من الأقاليم مثل إقليم قفط^(٤).

وقد تحدث الأصبطيخوي عن زرع إقليم قفط بقوله "وزروعهم على ماء النيل تمتد فتعم من حد أسوان إلى حد الإسكندرية وسائر الريف"^(٥) ويصف الإدفوي لماء إقليم قفط فيقول "إن ماء أشد عزوبة وحلاوة من سائر

(١) المقرئزي : الخطط ، ج ١ ، ص ٥٦ ، صلاح أحمد هريدي : دور الصعيد في مصر العثمانية ، (دار المعارف ١٩٨٤) ، ص ٢٤٨ .

(٢) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ، ص ٦٣ .

(٣) راشد البراوي : المرجع السابق والصفحة .

(٤) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ . Johnson (l-c) : l. Egypt Byzantione, p.6

(٥) الأصبطيخوي : المسالك والممالك ، ص ٤٠ .

أنهار الإسلام ويقول الإنفوى فإذا كان كما قال فماء إقليم قفط أجمع لهذه الصفات وسألت الحكيم الفاضل السيد الدمياطي عن ماء قفط كمدينة وبين ماء مصر في التفاوت قال " انتهيت في السفر في الوجه القبلى إلى هو^(١) وبين مائها وماء مصر كماء بسكر وماء صرف^(٢).

كما اعتمدت أراضي إقليم قفط في ربيها على السواقي، وذلك لأن أراضيها مرتفعة عن مستوى سطح النيل ، مما أدى إلى كثرة استخدام السواقي في الصعيد الأعلى، ومايدل على ذلك ماأشار إليه ناصر خسرو (ت ٤٧٦هـ)^(٣) بقوله "أهالى أسوان وهم يروون زراعتها بالسواقي" بينما يصف لنا أبو صالح الأرمنى (ت ٥٦٩هـ)^(٤) طريقة الري في مدينة قفط واعتمادها على السواقي بقوله " ومدينة قفط كانت عليها سواقي يزرع عليها وأن هذه السواقي كانت تدار بالأبقار، حيث كان قد أوقف للسواقي هذه أربعون زوج بقر " وقد كانت معظم أراضي الصعيد تروى عن طريق السواقي والدواليب المخصصة لرفع المياه، وخاصة وقت الجذب والحاجة^(٥).

أدرك ولاية مصر وأقاليمها أهمية الثروة المائية منذ العصر الإسلامى الأول واهتموا بمراقبتها لإحكام السيطرة عليها، وبذلوا عنايتهم لضبط مياه النيل والعمل على حسن توزيعها وتصريفها، ومراقبة مدى ارتفاع منسوب المياه، وكان التحكم في هذه المياه عن طريق إنشاء مقاييس النيل^(٦)، لذا اهتم

(١) هو: بلدة أزلية على تل بالصعيد بقرب النيل بالقرب من قفط (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤٢٠) .
(٢) الأدنفوى : الطالع السعيد ، ص ٢٥ يبين هنا درجة عدوية ماء إقليم قفط العالية لدرجة أنها تفوق عن غيرها في حلاوتها وعدوتها كماء بسكر وماء خالص ليس ممزوج بشىء .

(٣) سفر نامه ، ص ٥٧١

(٤) تاريخ الشيخ أبو صالح الأرمنى ، ص ٦٩ .

(٥) القلقشندي : جمع صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٣١٢ .

(٦) سيدة الكاشف : الأرض والفلاح في مصر الإسلامية من كتاب الأرض والفلاح في مصر على مر العصور ، الجمعية التاريخية المصرية ، (القاهرة ، ١٩٢٤) ، ص ١٧٦ .

مقاييس النيل : والمقياس عبارة عن عمود رخام مثبت في موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه ، وكان هذا العمود يقسم إلى إثنين وعشرين ذراعاً ، وكل ذراع تقسم أربعة وعشرين قسماً متساوياً ، =

ولاه السديار المصرية بفيضان النيل كل عام لأهميته بالنسبة لهم ولتقدير الخراج ومن أجل ذلك نشأ الاهتمام بفيضان النيل وقياسه^(١).

وقد عرفت مصر مقاييس النيل منذ أقدم العصور، وأبدت الحكومات المختلفة التي تعاقبت على حكم مصر عنايتها بهذه المقاييس، لأن الزراعة وهى عماد الحياة فى مصر معتمدة على الرى من مياه النيل ولم يكتف العرب بما وجدوه فى مصر عند فتحهم لها من مقاييس للنيل، بل تطلعوا إلى إقامة مقاييس جديدة للنيل، فبنى أول ولاية مصر - عمرو بن العاص مقياساً بأسوان، وآخر بمنطقة فقط ببلدة دندرة^(٢) ومقياساً ثالثاً فى حلوان^(٣).

ويبدو أن الذين قاموا ببناء هذه المقاييس هم القبط لعدم خبرة العرب ببناء المقاييس، وفى خلافة معاوية بن أبى سفيان أقيم مقياس آخر بأنصتا^(٤) واستمر القياس عليه حتى ولاية عبدالعزيز بن مروان، الذى نقل دار إمارته إلى حلوان، وأقام فيها مقياساً جديداً^(٥) وفى عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك بنى أسامة بن زيد والى الخراج بمصر مقياساً فى جزيرة الروضة فى سنة

= تسمى الأصابع، ماعدا الإثنى عشر ذراعاً الأولى، وكانت أفضل الزيادات فى مياه النيل وأعمها نفعاً للبلاد كلها هو سبعة عشر ذراعاً، ويكون فى ذلك كفاية لرى جميع الأراضى، وإذا زاد على ذلك القدر أغرقت كثير من الأراضى وتعرضت للضرر، ويقال أيضاً أن ست عشرة ذراع تكفى لرى أراضى مصر كلها عامرها وغامرها وخاصة لعناية المصريين بالجسور، وبناء مايلزم من القناطر، وتطهير الخلجان بصفة مستمرة. مما يجعل الاستفادة من مياه النيل تبلغ مداها ويعم الخير سائر البلاد المصرية. المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٠٣، هويدا عبدالعظيم رمضان: المجتمع فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى العصر الفاطمى، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م)، ص ١٥١ فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل الدمة، ج ٢، ص ٨٤.

(١) سيدة الكاشف: الأرض والفلاح فى مصر الإسلامية، ص ١٧٦.

(٢) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٠٣.

(٣) السيوطى: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٣٧٥.

(٤) المقرئى المصدر السابق والجزء، ص ١٠٣-١٠٤، وأنصتا: مدينة فى الصعيد شرقى النيل، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٦٥.

(٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص ١٤-١٥، المسعودى: مروج الذهب، ج ١، ص ٣٤٤.

ابن ممتى: قوانين الدواوين، ص ٧٥، المقرئى: المصدر السابق والجزء والصفحة.

٩٧هـ^(١). كما اعتمد المصريون على هذا المقياس الأخير في قياس زيادة النيل حتى عهد الخليفة العباسي المتوكل .

وفي القرن الثالث الهجري حينما بنى مقياس جديد في الجزيرة سنة ٢٤٧هـ ، وأمر الخليفة المتوكل والى مصر يزيد بن عبدالله التركي بصرف القبط عن العمل بمقاييس النيل واستخدام المسلمين بدلاً منهم^(٢). وقد عني الأمراء الطولونيون بمقاييس النيل ، فجدد أحمد بن طولون المقياس الجديد وهو المقياس المتوكلي وأنفق في تجديده مبالغاً كبيرة ، كما بنى مقياساً جديداً في الجزيرة^(٣) وزادت العناية بمقاييس النيل في عهد الخلفاء الفاطميين حتى صار للدولة رسوما معينة بتطهير مجارى الماء ، بلغ مقدارها ٥٠ ديناراً في كل سنة^(٤) ونرى القبط كانوا يقومون بأكثر نصيب في شق القنوات وإقامة الجسور، وبناء المقاييس فى مصر الإسلامية وذلك لارتباطهم الوثيق بالأرض والزراعة، كما كانوا أكثر الناس علماً ودراية بما تتطلبه أراضيهم الزراعية، كما أنهم أكثر خبرة بما يتفق وطبيعة بلادهم.

(١) ابن عبدالحكم : فتوح مصر وأخبارها، ص ١٤ - ١٥ ، المسعودى : مروج الذهب، ج ١، ص ٣٤٤ ، ابن مماتي : قوانين الدواوين، ص ٧٥ ، المقرئى : الخطط، ج ١، ص ١٠٣ .

(٢) ابن مماتي : قوانين الدواوين، ص ٧٥، وقد وجد هذا المقياس وقد كتب عليه السنة التى تم بناؤه فيها ، كما كتب عليه "بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين ، أمر عبدالله جعفر المتوكل على الله - أمير المؤمنين ، وأدام له العز والتمكين والظفر على الأعداء وتتابع الإحسان والنعماء وزاده فى الخير رغبة ، وبالرعية رافة ، وكتب أحمد بن محمد الحاسب فى رجب سنة سبع وأربعين ومائتين " وكتب فى موضع آخر أن الماء بلغ فى السنة التى بنى فيها هذا المقياس سبع عشرة ذراعاً وثمانى عشرة إصباعاً ، سيدة الكاشف: مصر فى فجر الإسلام، ص ٢٦٩ .

(٣) المسعودى : المصدر السابق والجزء والصفحة ، المقرئى : المصدر السابق والجزء، ص ١٠٣ ، ١٠٥ .

(٤) المقرئى : المصدر السابق والجزء والصفحة ، عندما تولى الخليفة المتوكل أمر بعزل الأقباط من ولايتهم للمقاييس وأن يتولاه مسلم فتم اختيار أبى الردار المعلم واسمه " عبدالله بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبى الرداد المؤذن وبقي حتى توفى سنة ٢٦٦هـ / ٨٧٩م ، وقد صار المقياس من بعده فى يد أولاده حتى نهاية العصر الإسلامى الأول ، وكانت لأبى الردار المعلم مقابل إشرافه للمقياس مائة دينار ، ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٥٦ .

اعتمد إقليم قفط على مياه النيل في ري أراضيها كما اعتمدت مدينة قفط على ماكان يعرف باسم الري الحوضي، وهذا النوع من الري كان من شأنه أن يحفظ للتربة قوتها وخصوبتها ونماء زراعتها، وصف الإدفعي^(١) هذا الإقليم قائلاً: ومن محاسن طيب أرضه "كما كان لموقع مدينة قفط على جانبي الوادي وفي منطقة "ثنية قنا" عما ترتب عليه زيادة الرقعة الزراعية في إقليم قفط، حيث كانت مساحة الأراضي الزراعية فيها متسعة، وليس أدل على ذلك مما ذكره ابن دقماق^(٢) قائلاً: أن مساحتها ألف وأربعمائة وعشرون فدان ونصف كانت عيرتها ثلاث آلاف ومائتين وثلاثون ديناراً، كما كانت زيادة النيل تترك في إقليم قفط قبل أن يبشر به أبو الرداد في مصر، وشهد إقليم قفط مطلع بشارة وفاء النيل، فكان يخرج من منطقة قفط مركب صغير تسمى "المفرد" وبها رجل يجذف وعليه أسابيط تظله من حر الشمس، حتى تصل فيبشر بوفاء النيل قبل أن يبشر أبو الرداد^(٣).

وكما كان للاحتفال بوفاء النيل تقليداً قديماً سابق الفتح العربي^(٤) وعندما فتح العرب مصر، احتفظوا بهذا التقليد، بعد إنخال التعديل الذي يوافق الدين الجديد^(٥) وقد اختلفت طريقة الاحتفال بوفاء النيل في العصر العربي من وقت لآخر، ففي أعقاب الفتح الإسلامي لمصر كان الاحتفال

(١) الطالع السعيد، ص ٢٨.

(٢) الانتصار بواسطة عقد الأمصار، ج ٥، ص ٢٣.

(٣) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ١٠٣، ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق ١، ص ١٥٧. ويذكر المقرئزي: "وما برح المفرد يخرج من مدينة قوص بشارة وفاء النيل وقد أولى عندهم ستة عشر زراعاً، فلا يوفي ذلك المقياس بمصر إلا بعد ثلاثة أيام ونحوها" - الخطط، ج ١، ص ١٠٣.

(٤) يذكر المؤرخون العرب أن يوم الوفاء هو يوم الزينة وعد فيه فرعون موسى بالاجتماع وقد ربط بعض مفسري القرآن بين قوله تعالى أخباراً عن فرعون "قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى" وذلك لأن الاحتفال بالوفاء يكون صفي. التنويري: نهاية الأرب، ج ١، ص ٢٦٤، المقرئزي: المصدر السابق والجزء، ص ٦٠.

(٥) محمد محمود أبوزيد: النيل ومصر، دار الهداية ١٩٨٧م، ص ٨٩-٩١.

يتمشى مع بساطة الدين الإسلامى والعادات والتقاليد العربية ، ويصف لنا ابن رسته من علماء القرن الثالث الهجرى صورة لهذا الاحتفال فيقول^(١) وقد اتخذت علامات تعرف بها زيادة الماء ونقصانه ووكل به جماعة يتعهدونه (أى زيادة الماء فى المقياس) ويثبتونه، فإذا زاد نظروا إلى بعض تلك العلامات فوقفوا على مقدار تلك الزيادة، لأن الزيادة فى الخراج على حسب الزيادة فى الماء فيصير هؤلاء الموكلون إلى المسجد الجامع بأيديهم الرياحين ويقفون على حلقة يرمون بها معهم من الرياحين إليهم وينادون أن الله عز وجل قد زاد فى النيل كذا وكذا فيستبشر الناس ويكثرون حمد الله والشكر له .

وكان هذا شأن الاحتفال فى بداية العصر الإسلامى ولكنه أخذ يتطور فيذكر المسعودى^(٢) أنه كانت توقد القناديل فى ليلة الوفاء من كل سنة، ويتخذون إشارة عظيمة كبيرة تنصب حولها القناديل وتغلق بالحبال وتوضع بمركب فتزف بالطبول فى ليلة يعم فيها الفرح والابتهاج .

ولاشك أن النيل وشواطئه كان من الأماكن المعروفة للاحتفال بعيد وفاء النيل وقد كان فى إحدى هذه الاحتفالات على النيل ألف مشعل وقد حضر الناس منهم فى الزواريق (نوع من المراكب) ومنهم فى الدور القريبة وسائر الشطوط^(٣) وكانت مدينة قفط من أكثر المدن المصرية آنذاك احتفالاً بعيد وفاء النيل فكانت تقيم الأفراح وتزين الشاطئ بالورود قبالة المدينة فتظهر الاحتفالات على شواطئ النيل ومنترهاته وفوق صفحته^(٤) وقد لجأ أهالى مدينة قفط إلى استخدام جسور من الطين عند حدوث كوارث

(١) ابن رسته : الأعلال النفيسة ، ص ١١٦ .

(٢) مروج الذهب : ج ١ ، ص ١٦٣-١٦٤ .

(٣) المسعودى : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٤) The Coptic Enc, Aziz, S,Atiya, art (Qift) .

الفيضان^(١) عندما يأتى الفيضان البلاد يسير الأهالى من قرية إلى أخرى بفضل هذه الجسور^(٢) لذلك كان أهالى مدينة قفط يقومون بتجهيز حاجاتهم الضرورية لدرء الخطر الناجم عن الفيضان ، فيعد كل شخص ما يحتاجه من الخبز خلال هذه الفترة ، وكان يقدوه حتى لا يفسد^(٣).

وقد اهتم الفاطميون بالإنتاج الزراعى، ورى الأراضى وإقامة الجسور فى عرض وادى النيل ، كما أقام الفاطميون جسراً يبدأ من أول الديار المصرية إلى آخرها وهو من الطين إلى إقليم الصعيد الأعلى ، وهذا الجسر من الطين ليسير عليه الأهالى ولنقل منتجات الأقاليم من خلاله إلى الديار المصرية ، وكانت لأهميته اعتمدت له الدولة عشرة آلاف ديناراً لصيانته وتجديد عمارته^(٤)، كما أقيمت عدة جسور لتسهيل عملية الرى وتقسم الجسور فى مصر إلى نوعين الجسور السلطانية ، وهى الجسور التى اختصت بها الحكومة المركزية ، وصيانتها عمل إجبارى على الأهالى ، ففرضت على الأهالى تقديم ١٢٠ ألف رجل لصيانة هذه الجسور منهم ٢٠ ألف فى الصعيد ، ٥٠ ألف رجل من أسفل الأرض^(٥).

أما النوع الثانى من الجسور، فهو الجسور البلدية، وهى الجسور الخاصة ببلدة دون غيرها ، يتولى إقامتها وعمارته المقتطعون بالنواحي^(٦)، وتخصص نفقات صيانتها من قيمة ضريبة الخراج المقدرة على تلك الناحية^(٧)

(١) ناصر خسرو: سفرنامه، ص ٤٣ . الجسر: بفتح الجيم الذى تسميه العامة جسراً عن بن دريد وقال الخليل الجسر والجسر لثتان ، وهو القنطرة ونحوها مما يعبر عليه وقال ابن سيدة والجسر الذى يعبر عليه والجمع القليل أجسر . المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ١٦٥

(٢) ناصر خسرو: المصدر السابق والمفحة

(٣) ناصر خسرو: نفس المصدر السابق والمفحة

(٤) المقرئى: المصدر السابق، ج ١، ص ١٠١ .

(٥) ابن الكندى: فضائل مصر، ص ٥٩، ٦٠ .

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٤٩ .

(٧) راشد البراوى: حالة مصر الاقتصادية، ص ٦٥ .

وكانت منطقة قفط تستخدم هذه الجسور في نقل صادراتهم إلى الفسطاط ،
والتي ساعدت كذلك على أعمال التنقل والترحال بين مدن وقرى الإقليم
والأقاليم الأخرى^(١) لهذا كانت العناية بالترع والقناطر والجسور من أول
الأمور لعمارة البلاد وتأمين ريعها وزراعتها.

وأشار المقرئى إلى أنواع الأراضي في مصر من ناحية الارتفاع
والانخفاض وطرق الري بها قائلاً " وأراضي مصر أقسام كثيرة ، منها عال
لا يصل إليه الماء إلا من زيادة كبيرة ، ومنها منخفض يروى من يسير
الزيادة ، والأراضي متفاوتة في الارتفاع والانخفاض تفاوتاً كبيراً ، ولذلك
أحتيج في بلاد الصعيد إلى حفر الترع وفي أسفل الأرض إلى عمل الجسور
حتى يحتبس الماء ليروى أهل للنواحي على قدر حاجتهم إليه عند الاحتياج^(٢)
ويقول " لولا اتقان ما هنالك من الجسور وحفر الترع والخلجان لظل الانتفاع
بماء النيل " ^(٣).

وهكذا كان مستأجرو الأراضي في إقليم قفط يقومون بالعناية بجسور
أراضيهم بالإضافة إلى أعمال ريعها وحفر ترعها^(٤) المقطعون والفلاحون
يستولون إقامتها من أصل أموال الإقليم لأنهم أصحاب المصلحة في الانتفاع
بهذه الجسور وقد أصبح من العادة أن المقطع إذا انفصل، وكان قد أنفق شيئاً
من مال إقطاعه في إقامة جسر لأجل عمارة السنة التي انتقل الإقطاع عنه
فيها فإن له أن يستعيد من المقطع الثانى نظير ما أنفقه من مال سنته في
عمارة سنة غيره ^(٥).

(١) جمال حمدان : شخصية مصر ، (طبعة دار الهلال ١٩٦٢م) ، ص ١٦٤ ، قاسم عبده قاسم :

النيل والمجتمع المصرى ، ص ٢٢ .

(٢) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٥٥ .

(٣) المقرئى : المصدر السابق والجزء ، ص ٦١ .

(٤) المقرئى : المصدر السابق والجزء ، ص ٨٤ .

(٥) ابن ممانى : قوانين الدواوين ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

أهم المحاصيل الزراعية :

تتقسم الفصول الزراعية إلى قسمين هما ، فصل الزراعة الشتوية وفصل الزراعة الصيفية ، ولكل منها مواعده ومميزاته وغلته المختلفة فتبدأ الزراعة الشتوية في ديسمبر وتمتد حتى مارس^(١) وكانت أهم المحاصيل الزراعية في العصر الإسلامي الأول هي :-

المحاصيل الزراعية الشتوية ، القمح ، الشعير ، الفول ، البصل ، البرسيم ، الجلبان ، الحمص ، والبرسيم ، الحلبة ، البصل ، الثوم^(٢) والزراعة الصيفية تبدأ بعد حصاد المحاصيل الشتوية بنوعيتها ، أى من أبريل حتى آخر يوليو ، ولم تكن المحاصيل الصيفية متوفرة إلا حيث يمكن توفير الماء ، لهذا اقتصرت زراعتها في الأماكن الواقعة على جانب النهر نظراً لجفاف الترع وفي هذه الحالة برفع الماء من النيل بالسواقي والقواديس^(٣).

ومن أهم المحاصيل الصيفية ، قصب السكر ، السمسم ، والقطن والأرز والذيلة والقلقاس ، والبطيخ وبعض الخضروات^(٤) ومن أهم المحاصيل الزراعية التي كانت في مدينة قفط الأترج^(٥) والليمون والنخيل ، ومما يؤكد على ذلك ما نقله ياقوت عنها حين قال " قفط كان حولها مزارع وبساتين كثيرة فيها النخل والأترج والليمون^(٦) .

(١) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية في عصر الفاطميين ، ص ٦٦ ، ص ٦٧ ، أحمد الحثه : تاريخ الزراعة المصرية ، ص ١٢٥ .

(٢) المقرئى : المصدر السابق والجزء ، ص ١٠١ ، ابن معاتى : المصدر السابق والجزء ، ص ٢٥٨ .

(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٤٣ ، راشد البراوى : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٤) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٠١ ، ابن معاتى : قوانين الدواوين ، ص ٢٦٥-٢٧٠ .

(٥) الأترج : شجر ثمره كالليمون ولونه ذهبى ذورائحة كريهة وعصيرها حامض ، ابن منظور لسان العرب ، ج ١ ، ص ٤٦ ، المعجم الوجيز ، ص ٤ ويقول عنه ابن جبير ، ليمون تسميه العامة الكبار ، الرحلة ص ٤٤ ، هامش (٤) ، ويشير الينغادى على زراعة الأترج والليمون وتعدد أصنائه بقوله " فيوجد منها بأرض مصر أصناف كثيرة لم أرها بالعراق من ذلك أترج كبار يعز وجود مثله ببغداد " الإفادة والاعتبار في المشاهد والحوادث والمعينة بأرض مصر ، ص ٨٨ .

(٦) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .

كما اشتهرت منطقة قفط بزراعة بعض المحاصيل الزراعية ، وبالذات الحاصلات التي تحتاج إلى درجة حرارة مرتفعة تتناسب مع مناخ الإقليم الحار كأنواع النخيل والأراك والدوم والقرظ، والفلفل، والخيار^(١)، ومزارع البقول كما يدل على ذلك قول الإدريسي^(٢) وبها مزارع كثيرة للبقول، وكثير من الخضروات كاللفت والخس والتي كانوا يجمعون بذورها ويطبخونها .

كما اشتهرت مدينة قفط بزراعة الفواكه والبساتين^(٣) كذلك كثرت زراعة البساتين في قرى ومدن الإقليم ومنها بلدة أرمنت^(٤) في إسنا وأسوان^(٥)، وكما تشير المصادر فإن أشجار الفواكه تبدأ زراعتها في شهر طوبة^(٦)، ومن أهم المحاصيل الليمون ومن أشهره نوع يسمى "ليمون التفاحي يؤكل بغير سكر، لقلة حمضه ولذة طعمه"^(٧)، كذلك اشتهرت منطقة الصعيد الأعلى بزراعة الكروم والعنب^(٨) حيث كان يزرع في شهر أمشير^(٩) وكان يكثر ويزداد نضوجه في شهر هاتور ويعبر عن ذلك ابن مماتي^(١٠) قائلاً: "وفي شهر هاتور كان يكثر العنب الذي يحمل من إقليم قفط" ويصف الإدريسي^(١١) عنب إقليم قفط بقوله "وفاكهة الصعيد شديدة الحلاوة حسنة المظهر".

(١) المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص ٢١

(٢) نزعة المشتاق ، ص ٢٩

(٣) ياقوت الحموي : المصدر السابق والجزء والمفحة

(٤) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٤٢ .

(٥) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ٤٢، ٤٣، ٤٤ .

(٦) الإدريسي : المصدر السابق ، ص ٤٨ .

(٧) ابن مماتي : المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .

(٨) الإدريسي : الطالع السعيد ، ص ١١ .

(٩) ابن مماتي : المصدر السابق ، ص ٢٧١ .

(١٠) قوانين الدواوين ، ص ٢٧٤ .

(١١) الطالع السعيد ، ص ٢٩ .

وقد اهتم أهالى إقليم قفط بزراعة العنب ومنها بلدة إسنا التى اشتهرت بالمزارع والبساتين، وبها أعناب كثيرة ، ولكثرته هناك كان يُعمل منه زبيب كثير، ويحمل إلى جميع ارض مصر كلها فيعمها وهو بالغ فى الطيب وجودة الحلاوة^(١)، كما انتشرت زراعته فى طيبة (الأقصر) "وعنبها فى غاية الحسن والكبر"^(٢) هذا بالإضافة إلى زراعته فى الواحات^(٣)، وكانت قمولة وهى إحدى قرى الإقليم بها أنواع مختلفة من الفواكه ويشير إلى ذلك الإدريسي فيقول ، ومن دماميل إلى قرية قمولا خمسة أميال وهى كالمدينة جامعة متحضرة مكتتفة ، لكل نعمة وفضيلة ، وأخبر بعض اللغات فى هذا العصر، فقال رأيت بها أنواعاً من الفواكه ، وضروباً من الثمر من جلتها حبة عنب ماتوهمت أن على الأرض مثله طيباً وحسناً وحجماً متى أنه دعتى نفسى إلى أن وزنت منه حبة فوجدت فى وزنتها إثني عشر درهماً^(٤).

ولقد عرف العنب بتعدد أنواعه فكان منه الأبيض والأسود ، وكثرت استخداماته فكان يستخرج منه الخل والنبيذ^(٥)، وكان يزرع العنب فى إقليم قفط وفيه بساتين كثيفة حتى لقد ذكر المقرئى الكم الهائل من البساتين بها قائلاً " أنه كان يزرع بها مائة وخمسون مغلقاً^(٦) .

وقد فرضت الحكومة العربية فى مصر ضريبة على زراعة العنب ويشير القلقشندي^(٧) إلى ذلك " أما القطيعة المستقرة عن خراج الشجر

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

(٢) الإدريسي : الطالع السعيد ، ص ٣٩ .

(٣) ابن دلقاق : الانتصار ، ج ٥ ، ص ١٣ .

(٤) الإدريسي : المصدر والجزء والمفحة .

(٥) الحنة : تاريخ الزراعة المصرية ، ص ٢٧٢ .

(٦) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

المغلق : هو البستان أو الحديقة التى تبلغ مساحتها عشرون فداناً ، وكانت تنزرع مساحة كل مغلق ،

وتروى أرضه بواسطة سائبة ذات أربع وجوه . المقرئى : المصدر السابق والجزء والمفحة .

(٧) صبح الأعشى : ج ٢ ، ص ٤٥٣ .

والكزرم، تختلف باختلاف سنينه ، وهو يدرك فى السنة الرابعة ، ويترتب على كل فدان ثلاثة دنانير "

وقد خضعت عملية بيع العنب فى كورة ققط إلى تعاليم وأوامر أصحاب الضياع وذلك لأهميته فى صناعة النبيذ ، يدل على ذلك فيما أشارت إليه إحدى أوراق البردى وهى عبارة عن تقرير من وكيل أحد المزارع إلى صاحب المزرعة يذكر فيها " وقد كتب إليك كتاب على يد يوسف، وهو واصل إليك عن طريق أسوان الداخلة ، أصبت المريسى وغلماك عمر، قد تصرفوا فى الكروم وفى القمح والشعير، وذكروا أنهم أنفقوه على يد المريسى عن أمرك ، فلم أدرك غير النخل^(١) الوثيقة عبارة عن تقرير من وكيل أحد المزارع إلى صاحب المزرعة، وقد كتبت فى القرن الرابع الهجرى، شرح الوثيقة عبارة عن خطاب من وكيل المزرعة إلى صاحبها يقول له أنه كتب إليه كتاباً وكتبه الكاتب يوسف، وهذا الكتاب فى طريقه إليك عن طريق أسوان الداخلة، وأن عمالك المريسى وعمر تصرفوا فى القمح والشعير وذلك طبقاً لأوامرك، أما أنا فلم أحصل إلا ربع النخل .

ومن محاسن منطقة ققط انتشار زراعة البطيخ الأخضر بأراضيه وكان يزرع فى النصف من برمهات إلى برمودة، ووقت حصاده بشنس^(٢)، ومن مميزات زراعته فى هذا الإقليم كبر حجمه عن غيره من أنواع البطيخ^(٣) وكانت القيمة الخراجية على الفدان المزروع بطيخ أخضر تقدر بثلاثة دنانير^(٤)، والبطيخ ثلاثة أصناف هندى ويسمى بمصر البطيخ

(١) جروهمان : أوراق البردى العربية، ج ٥، ٩، ص ١٧، لوحة ٢، ٤- ومن العنب استخرج العرب النبيذ، للنصارى وللخاصة الناس وبخاصة فى العصر العباسى، عطية القوصى : الحضارة الإسلامية،

(٢) الناشر دار الثقافة الجديد)، القاهرة ١٩٨٥، ص ١١٠

(٣) ابن ممتى : قوانين الدواوين، ص ٣٦٥

(٤) الإدريسي : الطالع السعيد، ص ٢٨

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٥٣

الأخضر، وصيني ويسمى الأصفر، وخراساني ويسمى العبدلي منسوب لعبد الله بن طاهر^(١).

وهكذا اشتهر إقليم فقط بزراعة البطيخ، حيث كان يزرع به من الأنواع الثلاثة البطيخ الأخضر الذي وصفه الإدقوي^(٢) حين قال "وفي كذلك البطيخ كثير الحلاوة والبطيخ الأخضر منه كبير الحبة، بحيث ما يكاد يستقل بحمل الحبة الواحدة منه إلا الرجل الشديد القوة".

كما كثرت زراعة أشجار النخيل، فقد انتشر غرس أشجاره في مختلف مدن الإقليم^(٣)، وكانت أغلب قرى مدينة فقط تحيط بها أشجار النخيل ومنها يحصل أهالي فقط على فاكهة فاكهة رخيصة وعلى الخشب اللازم لبيوتهم وأثاثهم، ووصفه ياقوت^(٤) حين قال "وحولها مزارع وبساتين كثيرة فيها النخل".

تميزت أنواع تمر النخيل في إقليم فقط حيث يشير الإدقوي^(٥) إلى حلاوة تمر الإقليم بقوله "أنه ليس نوعاً من أنواع التمر بالعراق، إلا في صعيد قوص مثله، وفيه مالميس في العراق، وأنه لا يوجد تمر يصير تمرأ قبل أن يكون رطباً إلا بالصعيد، وفيه رطب أخضر، عجيب المنظر حسن المخبّر".

كما انتشرت زراعة النخيل بالقرى في إقليم فقط نذكر منها قرية أبنود -^(٦)، تابعة لقط بزراعة النخيل كما اشتهرت إسنا بزراعته، وقد

(١) السيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٢٥٣

(٢) الإدقوي: الطالع السعيد، المصدر السابق والصفحة .

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٢٠٢، راشد البراوي: حالة مصر، ص ٧٢ .

(٤) : معجم البلدان، ج ٤، ص ١٧١ .

(٥) : الطالع السعيد، ص ٢٢

(٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٩٠ .

تحصل منها فى سنة واحدة أربعون ألف أربب تمر^(١)، كذلك تحصل من قمولا - تابعة لإقليم قفط - اثنا عشر أربباً من التمر^(٢).

كما اشار ابوالفدا إلى زراعة النخيل فى الأقصر بقوله " لها مزروع ونخيل وهى حافة النيل " ^(٣)، ويصف نخيل أرمنت حيث قال: " وأرمنت بلدة بالصعيد الأعلى من بر الغرب وهى تبعد عن الأقصر على بعد مرحلة من جهة الجنوب والغرب ولها مزروع وقليل نخيل " ^(٤)

وقد اشارت أوراق البردى العربية إلى فرض ضريبة على النخيل ، لذا كان النخيل يحصى من وقت لآخر ، لتقدير قيمة الخراج عليه ، وفى بردية من القرن الثالث الهجرى/التاسع الميلادى عبارة عن تقرير عن إدارة مزرعة ، يشير فيها وكيل المزرعة إلى أنه قام بإحصاء عدد النخيل الموجود بالمزرعة فهو يتحدث عنها ويقول " وإنما عجلت إليك سابق ، لتعجل علينا بكتاب من ٠٠٠ وهذا وشبهه والكف فى الخراج إلى أن يأتية بالورد وأمرنى أحصى النخل " ^(٥)

وهكذا انتشرت أشجار النخيل فى إقليم قفط ، وكان الأهالى يستخدمون سعف النخيل فى تغطية منازلهم ، اصف إلى ذلك أنهم كانوا يستخدمون التمر بدلاً من السكر لشدة حلاوته حيث كان يدق ^(٦).

ومن أهم المحاصيل الزراعية التى كثرت زراعة محصول القمح ، فهو من أهم محاصيل الحبوب التى تنتجها مصر منذ العصور القديمة ، وليس أدل على ذلك مما فرض على المصريين من ضريبة القمح خلال

(١) نعمة على مرسى : مصر العليا من الفتح العربى حتى سقوط الدولة الفاطمية ، ص ١٦١ .

(٢) الإدرفوى : المصدر السابق ، ص ٢٦ .

(٣) ابوالفدا : تقويم البلدان ، ص ١١١ .

(٤) المصدر السابق والصفحة .

(٥) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٦ ، ص ٥ ، لوحة ٢ .

(٦) الإدرفوى : الطالع السعيد ، ص ٢٥ .

العصر الرومانى والبيزنطى حيث بلغت الكميات المرسله منه إلى القسطنطينية والتي كانت تحملها السفن من ميناء الإسكندرية نحو تسعة ملايين أردب قبل الفتح العربى من الديار المصرية (١).

وكان القمح أهم ما ترسله مصر إلى الخلافة بعد الفتح ، فبعد أن كانت ترسل القمح سنوياً إلى روما ثم بيزنطة ، أصبحت بعد الفتح العربى ترسل القمح إلى الحجاز ، وقد استمرت عادة إرسال القمح إلى الحجاز حتى بعد أن انتقل مركز الخلافة من الحجاز إلى الشام ثم العراق ، يذكر ابن الكندى " أن من فضائل مصر أنها تميز الحرمين الشريفين وتوسع على أهليهما (٢) ، ويزرع القمح فى مدينة قفط فى مدة أولها - نصف بابة ، ويزرع القمح تلو القمح لكثرة الطرح ، وربما يزرع على أثر الكتان أو الشعير (٣) والقمح من الغلات التجارية الهامة، فكان الفلاح فى الصعيد يقايض به المحاصيل الأخرى، فأردب القمح بأردبين شعير، أو بأردب ونصف من الفول ، أو بأردب من الحمص، كذلك يقايض على أردب القمح فى مقابل أردب ونصف من الجلبان (٤)، وقد قدر ثمن أردب القمح نقداً بخمسة عشر درهماً (٥).

وقد بلغت أهمية القمح فى مدينة قفط أن أصحاب المزارع كانوا يطالبون وكلائهم بالاحتفاظ بالقمح لوقت الحاجة إليه، أو إعاره كميات منه فى وقت حاجاتهم إليهم، مما يدل على ذلك ما أشارت إليه إحدى أوراق البردى التى ترجع إلى القرن الرابع الهجرى وهى عبارة عن خطاب مرسل من وكيل أحد المزارعين إلى صاحبة الأرض الزراعية يقول فيه "وذكرت

(١) السيد طه ابوسديرة : الحرف والصناعات ، ص ٣٠٢ .

(٢) ابن الكندى : فضائل مصر ، ص ٥٨ .

(٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٥٨ .

(٤) ابن مماتى : المصدر السابق ، ص ٣٥٩ .

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى : ج ٣ ، ص ٤٤٢ .

ياسيدى ايدك الله امر القمح، وشدة حاجتك إليه أن أستلف لك من عند عطا أو جبارة^(١).

واعتمد أهالى إقليم قفط على القمح كغذاء رئيسى لهم نظراً لاستعمالاتهم النادرة للذرة، وتشير أوراق البردى العربية فى بردية مؤرخة سنة ٩١هـ/ ٧١٠م إلى أهمية القمح، حيث كان يعتمد عليه أساساً فى الغذاء^(٢) وذلك كما ورد فى بردية مؤرخة شوال ٣٥٣هـ (أكتوبر، نوفمبر ٩٦٤م) جاء فيها "سألتى وطلبت أن أكرىك أربعة عشر فداناً أرض طيبة سور من أرض مقطول على أن تزرعها قمحاً"^(٣).

ولقد كان فى مدينة قفط ميداناً يسمى ميدان الغلة وفيه يفرغ حمولة القمح حيث يباع ويشترى بين الفلاحين^(٤) وذلك كما كان فى الديار المصرية "كانت حمولة القمح تفرغ فيه وذلك نظراً لأهمية القمح".

وفى بعض الأحيان كان القمح يزرع مشاركة بين شخصين أو أكثر فى إقليم قفط مما يدل على ذلك ما أشارت إليه إحدى أوراق البردى العربية، ترجع إلى القرن الثالث أو الرابع الهجرى، عبارة عن كشف حساب نفقات زراعة قمح ورد فيها "أنفقت على الغلة التى بينى وبين ابى العطاف دينارين، إلا ثمن، ودينارين إلا ربع للنوبى"^(٥)، ومن المحاصيل التى تزرع فى إقليم قفط الشعير من أهم المحاصيل الشتوية، ويزرع فى نفس الوقت الذى يزرع فيه القمح تقريباً، وإن كانت أحياناً تتقدم زراعته عنه، ولكن فى الغالب أنه

(١) جروهمان : أوراق البردى، ج ٥، ص ١٥، لوحة ٤.

(٢) جروهمان : أوراق البردى العربية ج ٤، ص ٤٦-٤٨.

(٣) جروهمان : المصدر السابق، ج ٣، ص ١٠.

(٤) أحمد الحنة : تاريخ الزراعة المصرية، ص ٢٢٧.

(٥) جروهمان : المصدر السابق، ج ٦، ص ٢٧.

يحصد فى موعد حصاد القمح ، وكان يستخدم كعلف للحيوانات ، وبصفة خاصة الخيول السلطانية^(١).

وقد أشار ابن عبدالحكم^(٢) إلى أن خراج الفدان المزروع شعيراً وبيتان^(٣) فى الفترة الأولى فى العصر الإسلامى ، بينما يشير القلقشندي^(٤) أن "قطيعة الشعير إلى نهاية الدولة الفاطمية عن كل فدان ثلاثة أراذب" ، ويعطى الفدان الواحد من الشعير فى إقليم قفط أربعين أردباً ، وذلك لجودة أراضيه^(٥)، كذلك زرع الشعير فى إقليم قفط ، مما يدل على ذلك فيما ورد فى أوراق البردى التى عثر عليها فى إدفو وترجع إلى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى، عبارة عن خطاب بشأن تموين حبوب وغلل، وتشير الوثيقة إلى "والشعير الذى عرفتك بأنه بإدفو بعد اشتراه صدقة بن مهدى"^(٦). ومن أهم المحاصيل فى إقليم قفط القرظ^(٧) وهو من المحاصيل الشتوية، كما كان يزرع فى شهر بابة^(٨) والقرط من المحاصيل التى لم تفرض عليه الحكومات الإسلامية عليه ضريبة^(٩) لتشجيع الأهالى على زراعته، وفرضت على القرط ضريبة فى عهد الدولة الفاطمية فكانت تجبى ديناراً واحداً عن كل فدان^(١٠).

(١) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٢٥٩ .

(٢) فتوح مصر والمغرب : ص ٢٠٧ .

(٣) الويبة : " إن الويبة المصرية زنتها أربعون رطلاً إلى أربعة وأربعين " والويبة تعادل ستة عشر قدحاً ،

ابن الأخوة : معالم القرية فى أحكام الحسبة ، ص ١٢٥، ١٥٣ .

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى : ج ٣، ص ٤٥٣ .

(٥) الإدفعوى : الطالع السعيد ، ص ٢٨ ، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ٦٧ .

(٦) جروهمان : أوراق البردى ، ج ٥، ص ٤٥ ، طراز رقم ٩٠٣ .

(٧) القرظ : نبات يزرع . وهو يقدم للدواب كعلف ، ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٠٧ .

(٨) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٨ .

(٩) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣، ص ٢٥٣ .

(١٠) الإدفعوى : الطالع ، ص ٢٨-٢٩ ، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ٦٧ .

وهكذا كان القرط من المحاصيل الهامة بمدينة قفط، وذلك لأهميته كعلف للدواب، فقد انتشرت تربية الحيوانات بهذه المدينة، واشتهرت بطيب لحمها^(١).

كما اشتهرت مدينة قفط بزراعة الفول، وهو يلي القمح في الأهمية بالنسبة للمحاصيل ويسمى البقول، وتعود أهميته إلى أنه غذاء أساسي للسكان، بالإضافة إلى أنه يستخدم كعلف للحيوان، وكان يزرع في الضياع الواسعة^(٢).

وقد ورد في بردية من سنة ٢٢٧هـ / ٨٧١ م، هذا ما استأجر سعيد بن عيسى استأجر هارون بن بتمام استأجره سعيد بن عيسى شهرين كاملين على أن يعمل له عمل الفول^(٣).

واشتهرت مدينة قفط بزراعة الجلبان^(٤) وأوان زراعته من شهر هاتور وأخرها شهر كيهك، وقد زرع بكثرة كعلف للحيوان^(٥)، والجلبان من المحاصيل التجارية الهامة في إقليم قفط، حيث تشير أوراق البردي إلى أن وكيل إحدى الضياع بعث إلى سيده بأن يدفع إلى طاهر ثمن الجلبان وحوائج ابتذاها منه^(٦)، ولقد كانت غلات الجلبان تباع في الأسواق كتقاوى للزراعة، فيباع في الأسواق، أو يقايض عليه بمحاصيل أخرى، فكان أردب الجلبان بثلاث أردب من القمح، أو بأردب ونصف من الشعير، أو بأردب من

(١) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص ٢٤٢.

(٢) جروهمان: أوراق البردي العربية، ج ٢، ص ١٠٢.

(٣) جروهمان: أوراق البردي العربية، ص ٩٩، لوحة ١٢، طراز رقم ١٧٤.

(٤) الجلبان: كانت الأراضي تزرع جلباناً وتستعمل للمراعى فتفرض عليها ضرائب تسمى ضريبة المراعى، وأول من فرض عليها هذه الضريبة أحمد بن مديبر، ثم أنفأها أحمد بن طولون، فلم تجب حتى قيام

الدولة الفاطمية، جروهمان: المصدر السابق والجزء، ص ١٧١.

(٥) ابن مماتي: المصدر السابق، ص ٣٦٠.

(٦) جروهمان: أوراق البردي ص ٩٩.

القول^(١)، وفى أوراق البردى العربية ما يدل على انتشار زراعته حينذاك ويحقق ربحاً وفيراً^(٢)، كما عرف أهالى إقليم قفط زراعة المحاصيل الأخرى مثل العدس^(٣)، والبصل والتمر مس والحمص والثوم وغيرها^(٤).

المحاصيل الصيفية :

وتبدأ زراعتها عقب الانتهاء من حصاد المحاصيل الشتوية ، وكان أهمها القصب، السمسم، البطيخ الوبيا، والباذنجان، الفجل، الكرنب، الزهور بمختلف أنواعها^(٥).

كان قصب السكر من أكثر الحاصلات الزراعية فى الأقاليم المصرية التى ذاع صيتها بزراعته، ولم يعرف المصريون زراعته قبل الفتح الإسلامى إذ أدخلت زراعته فى عصر الخليفة عمر بن الخطاب، وسرعان ما تقدمت زراعته فى مصر، وتشير أوراق البردى التى ترجع إلى القرن الثانى الهجرى إلى زراعة قصب السكر^(٦).

ويبدو أن الولاة فى مصر بدأوا يعملون على زراعة القصب فقد ذكر الكندى أنه لما قدم قرّة بن شريك فى سنة ٩٣هـ من قبل الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك إلى مصر، اختار موضعاً بالفسطاط وغرسه قصباً^(٧)، كما يظهر أن الطولونيين فى أواخر القرن الثالث الهجرى كان لهم فضل كبير فى نشر زراعة قصب السكر، والاهتمام بإنشاء مصانع صغيرة لاستخراج السكر

(١) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٢٦٠ .

(٢) جروهمان : أوراق البردى، ج ٢، ص ١٧١ .

(٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٢٦٠ .

(٤) ابن مماتى : المصدر السابق ، ص ٢٦٣ .

(٥) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٢٦٥، ٢٧٢ ، المقرئى : الخطط ، ج ١، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

(٦) جروهمان : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٨ .

(٧) الكندى : الولاة والقضاة ، ١٥٢، ١٥٣ .

منه ، وتشير أوراق البردى إلى أنه أصبح من بين المحاصيل الزراعية ، ولاغرو فقد اهتم الطولونيون بعمارة الأرض وزراعتها في أنحاء البلاد^(١).
كما أشار القلقشندي إلى كثرة زراعة القصب: ومحصول القصب المزروع بمصر في غاية الكثرة^(٢)، كما انتشرت زراعة محصول قصب السكر في إقليم قفط^(٣)، ويلائم مناخه زراعة قصب السكر، وأشار المقرئى إلى أهمية زراعة وصناعة الحلوى القائمة عليه بقوله "... والحلاوة المعمولة من قصب السكر، ويحملونها إلى الفسطاط وغيرها، فتباع هناك وتؤكل"^(٤).
وكان لقصب السكر مكانة بارزة ، ولفائدته امتدحه الإمام الشافعى^(٥) رضى الله عنه بقوله " ثلاثة أشياء دواء الداء الذى لا دواء له، والذى أعيا الأطباء أن يداووه، العنب ولبن التفاح ، وقصب السكر ولولا قصب السكر ما أقمت بمصر"^(٦).

ومن العوامل التى ساعدت على تقدم زراعة القصب فى مدينة قفط وجود التربة الملائمة فالقصب يحتاج إلى تربة عميقة خصبة، وهذا ما يساعد على زراعة القصب، كما يعتبر القصب المحصول الرئيسى فى الإقليم بصفة

(١) جروهمان : أوراق البردى، ج ٤، ص ٨، السيد طه أبوسديرة ، الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية (الهيئة العامة للكتاب ١٩٩١م) ص ٣٥٤-٣٥٥ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣، ص ٢٠٨، راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عصر الفاطميين، ص ٦٩ .

(٣) أمين عبدالله : دراسة ديموجرافية لمديرية قنا ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة القاهرة ، ١٩٥٨م، ص ٤٢ .

(٤) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٢٢ ، ابن دقماق : الانتصار ، ج ٥ ، ص ٣٣ .

(٥) الإمام الشافعى : هو الإمام إدريس الشافعى ، صاحب المذهب المعروف باسمه ، وكان قد عاش فى مصر سنة (٢٠٠-٢٠٤هـ) - الكندى : المولاة والقضاة ، ص ١٥٢-١٥٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٤٤٧ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .

(٦) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٨٩ .

عامّة، ومن أهم المناطق التي تركّزت فيها زراعته بمدينة قفط كان بالمدينة أربعون مسبكاً للسكر، وست معاصر للقصب^(١).

كما اشتهرت مناطق كثيرة من إقليم قفط بزراعة قصب السكر وبوجود المعاصر والمطابخ للسكر بها، نذكر منها قرية ابنود - في مراكز مدينة قفط لكثرة معاصر السكر بها^(٢)، كما اشتهرت سمهود^(٣)، بصناعة السكر وكان بها سبعة عشر معصراً للقصب^(٤)، ويقال أن الفأر لا يأكل قصبها وذلك مشهور بين أهلها^(٥).

وتمدنا المصادر التاريخية والجغرافية بأسماء العديد من الجهات في إقليم قفط التي انتشرت زراعة القصب بها في القرن الثالث الهجري كان من أهمها قوص، فقد تحدث الزهري عن شهرتها بزراعة القصب فيقول "ومدينة قوص أكثر بلاد الله قصب للسكر"^(٦) وقفط، ونقادة، وأبنود، ودشنا، وبهجورة، وسمهود، والبلينا^(٧).

وقد اهتمت الحكومة الفاطمية بزراعة قصب السكر، بسبب إحياء الموالد والاحتقالات الكثيرة^(٨)، فأنشأوا للمطابخ السلطانية وحملوا الفلاحين على نقل

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ٢٣، المقرئ: المصدر السابق والجزء، ص ٢٣٢، ابن دقماق، الانتصار، ج ٥، ص ٢٣

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٩١

(٣) السيد طه أبو سديرة: الحرف والصناعات، ص ٣٥٧ - سمهود: إحدى قرى لجع حمادى، وتبعد الآن عن قفط ٧٠ كم تقريباً

(٤) ابن ممتى: قوانين الدوائين، ص ١٥٩

(٥) السيد طه أبو سديرة: المرجع السابق والصفحة

(٦) الزهري: الجغرافيا (القاهرة ١٩٨٩)، ص ٤٤

(٧) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ١٢٦، ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ٧٩، ج ٢، ص ٤٥٦، الإدريسي:

المصدر السابق، ص ٢٧، ١٣، ٢٨، ابن دقماق: الانتصار، ج ٥، ص ٢٣ المقرئ: الخطط، ج ١، ص ١٨٩-١٩٠.

(٨) محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية، ص ١٥٢.

أقصابهم إليها^(١)، كما فرضت الدولة الفاطمية قدراً كبيراً من الضرائب على محصول قصب السكر في إقليم قفط^(٢).

وقد اشتهرت مدينة قفط بزراعة محصول النيلة^(٣)، وهي من المحاصيل الصيفية الهامة، فكانت تستخدم في صباغة الملابس^(٤)، وأوقات زراعتها شهر بشنس وبؤونة^(٥)، وتحصد بعد مائة يوم من زراعتها، ثم تترك الأرض، وتمكث النيلة في الأرض للصالحة للزراعة ثلاث سنوات، تحصد مرة كل مائة يوم^(٦).

وكما انتشرت زراعتها في بعض بلدان إقليم قفط، كانت واحات مصر من أهم مناطق زراعتها، حيث توفر لها كمية المياه اللازمة للرى من العيون والآبار، وتقدر ضريبة الفدان المزروع نيلة بثلاثة دنانير^(٧)، والسهم من المحاصيل الصيفية، وقد اقتصرت زراعته على مساحات قليلة من الأراضي الزراعية، نظراً لكثرة تكاليف زراعته، ولأنه نبات مفسد للتربة فلا يمكن زراعته عدة مرات متوالية في قطعة أرض واحدة^(٨)، لأنه نبات مفسد للأرض، وينبغي ألا يتابع زراعته سنتين متواليين في أرض واحدة^(٩). وكان يزرع في شهر برمودة، ويحصد في شهر أبيب ومسرى^(١٠) وقد جبي

(١) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات، ص ٣٥٨.

(٢) ابن مماتي : قوانين الدواوين، ص ٣٦٢، القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٥٣.

(٣) النيلة : مادة نباتية يصنع منها الأصباغ، خاصة اللون الأزرق لصيغ الثياب، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثاني، العدد الأول، ص ٢٠١.

(٤) Gohnson (L.C) : Byzantine Egypt Economic Studies ; p. 119.

(٥) ابن مماتي : المصدر السابق، ص ٢٦٨.

(٦) ابن مماتي : المصدر السابق، ص ٤٥٣.

(٧) القلقشندي : المصدر السابق والجزء والمضفة

(٨) نعمة على مرسى : مصر العليا، رسالة ماجستير، ص ١٥٨.

(٩) ابن العوام : الفلاحة، ج ٢، ص ٢٩.

(١٠) ابن مماتي : قوانين الدواوين، ص ٣٦٥.

على فدان السمسم دينار واحد فى السنة^(١) وأشار ناصر خسرو إلى أهميته، وذلك نظراً لاستخدامه فى صناعة الأغذية والحلوى، كما أقيمت على محصول السمسم صناعة الزيوت^(٢)، فانتشرت معاصر فى معظم إقليم قفط وسمى الزيت المستخرج منه زيت السمسم "أو الزيت السرج"^(٣). كما اشتهرت مدينة قفط بزراعة أشجار السنط^(٤)، وقد أشار المسعودى إلى طريقة زراعته حيث ينبت فى صورة احراج^(٥)، وكانت أهم مناطق زراعته على جانبى الترغ وشواطئ النيل فى مساحات واسعة، وفى غربى مدينة قفط شعراء كثيفة ليس بها إلا شجر السنط الذى هو حطب مصر^(٦)، وتشير أوراق البردى العربية إلى أصحاب الضياع الكبيرة والبساتين التى تستخدم أشجارها فى عمل السواقي والمعاصر، يدفع حسابه وكيل الضيعة^(٧).

وقد فرضت الحكومات الإسلامية فى العصر الفاطمى حمايتها على أشجار السنط، وعينت حراساً لها^(٨)، كما وكل هؤلاء الحراس مهمة بيع الأخشاب التى تأخذ من هذه الأشجار ويتم البيع للأهالى فى المناطق المجاورة لهم ، لاستخدامها فى عمل السواقي والمعاصر^(٩).

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٥٣ .

(٢) ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٦١ .

(٣) القلقشندي : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٤) السنط : شجر عظام له شوكة كثير حديد صلب أبيض وله ثمرة يسمى خروب القرظ مدور مسطح ، مشابه لحب الترمس ، ومن حبة القرظ الذى بداخله تستخدم فى دباغة الجلود .

عبد اللطيف البغدادي : الإفادة والاعتبار ، ص ٩٠ .

(٥) المسعودى : التبیه والأشراف ، ص ٢٠٠ الاحراج : أى غابات كثيفة . عبد العال الشامى : مصر عند الجغرافيين العرب فيما بين القرنين الثالث والتاسع الهجرى ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٥ م ص ١٦٨ .

(٦) عبد العال الشامى : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٧) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٦ ، ص ١٩٤ .

(٨) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

(٩) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص ٧٤ .

وكان الحراس يسلمون الأخشاب إلى التجار مرفقاً بشهادة توضح نوع الخشب ووزنه، مما يدل على ذلك ما أشارت إليه إحدى أوراق البردى العربية - مؤرخة سنة ٣٣٤هـ/سنة ٩٤٥م تشير إلى إرسال خشب من إحدى القرى المجاورة بشمال مدينة قفط إلى البلينا حيث جاء فيها "وصل بقية الخشب الذى بالأقصر، وهوست وعشرين قطعة، وقد حملتها على معدية عيسى بن تونس، سلمها فيه، وبقي بالأقصر ستة قطع"^(١).

وأما عن القرظ وهى ثمرة شجرة السنط ، فليس لأحد من الناس أن يتصرف فيه سوى مستخدمو الديوان ، ومتى وجدوا شيئاً منها لم يكن اشترى منهم ، نكل به^(٢) ، كذلك استخدمت أخشاب مدينة قفط فى أغراض متعددة فكان المقطعون يقطعون الأطراف والهشيم على الأخص فى استخدامه فى الوقود وهو ما يسمى بحطب النار^(٣)، حيث كان يباع للتجار كل مائة حمل بأربعة دنانير^(٤) وأما عن أخشاب مدينة قفط فكان لا يباع منها إلا ما تحتاج إليه المطابخ^(٥)، كما كان من خراج مدينة قفط رسم يستخرج من النواحي، يقال له مقرر السنط ، يصرف منه أجرة قطع الخشب وقيمة ضريبته عن كل مائة حمل دينار^(٦).

كما اشتهرت مدينة قفط بزراعة اللبخ الذى كان يستخدم فى بناء السفن ، كما اشتهرت قرى ومدن الإقليم بزراعته ، وكان ثمن اللوح الواحد منه يصل إلى خمسين ديناراً^(٧)، وقد أشارت برديات كثيرة إلى خشب اللبخ والذى كان يرسل من مدينة قفط إلى القسطنطينية^(٨).

(١) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٥ ، ص ٥٩ .

(٢) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ١١١ .

(٣) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ٣٤٤-٣٤٦ . حطب النار : وسمى رماد القرظ . محمد أحمد محمد :

المنيا فى العصر الإسلامى ، رسالة ماجستير ، ص ١٠٧ .

(٤) المقرئى : المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

(٥) ابن مماتي : المصدر السابق والصفحة .

(٦) المقرئى : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٧) جروهمان : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٦٣-٦٥ .

(٨) جروهمان : المصدر السابق والجزء والصفحة .

* ملكية الأراضى :

بقيت الأراضى الملكية خلال العصر البيزنطى تؤلف معظم الأراضى الجيدة كما هى وبتفس الاسم كما بقيت الأراضى المقدسة أيضاً، رغم أن جانباً كبيراً منها صادرتة الحكومة ، وكان هذا النظام منذ عهد البطالمة والرومان^(١)، كما كان النوع الثانى من الأراضى فهى أراضى الإقطاع العسكرية " التى منحت للجنود المقيمين فى مصر ، فى مقابل الانتظام فى سلك الخدمة العسكرية ، وقد عرف هؤلاء باسم أرباب الإقطاع وكانت هذه الإقطاعات تمنح مدى الحياة فقط ، ثم أصبح الإقطاع يؤول إلى أكبر الأبناء بعد وفاة الأب ، فأصبحت هذه الإقطاعات وراثية ، واكتسبت بذلك مظهر الملكية الخاصة ، ولكنها لم تكن ملكية كاملة أى أن امتلاك حق التصرف فيها لم يكن كاملاً ليشمل الهبة والتنازل والبيع^(٢)، وهناك نوع ثالث من الأراضى ، وهى الضياع الكبيرة التى منحت لكبار الموظفين والمقربين للملك ، وكانت تمنح مدى الحياة فقط ويستردها التاج عقب الوفاة^(٣). وأخيراً هناك نوع رابع يسمى أراضى الامتلاك الخاص وتتألف عادة من البساتين ومزارع الخضراوات والنخيل والكروم، وكانت تمنح لأصحابها -أغلب الظن بموجب عقود إيجار طويلة الأجل أو عقود وراثية^(٤).

ولما كان الكثيرون من الملاك الصغار قد أعجزهم دفع ما عليهم من الضرائب للدولة، فقد اضطروا إلى الدخول فى حماية كبار الملاك، على

(١) بل (هـ- أيدرس) : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ، تعريب د- عبد اللطيف أحمد على ، (القاهرة ١٩٥٤م) ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

(٢) Johnson (L.C.) : Byzantine Egypt Economic studies, p. 74 .

(٣) هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى العصر الفاطمى ، ج ١ ص

٤١-٤٢ .

(٤) Johnson : Ibid; p 74 .

أساس التنازل لهم عن أرضهم والعمل فيها كمستأجرين، وخدمتهم في مقابل تولي كبار الملاك دفع الضرائب^(١). وهكذا نرى أنه في الوقت الذي كانت تزداد فيه مساحة الملكيات الكبيرة، كانت تختفي تدريجياً الملكيات الصغيرة ويتحول الملاك الصغار إلى مستأجرين مربوطين بالأرض لا يختلف وضعهم عن وضع الأقنان^(٢)، كما كانت ظاهرة الإقطاعيات الكبيرة قد استفحلت، وأصبحت طبقة كبار الملاك على درجة عظيمة من القوة كما يدل على ذلك الحالة التي أوردتها. - إيدرس بل - وهي حالة عائلة أبيون APION التي كانت تمتلك ضياعاً في إقليم الصعيد الأعلى والفيوم وقد انعكست ملكياتها الكبيرة وثروتها في وضعها الاجتماعي واشتراكها في السلطة والحكم^(٣).

وعندما فتح عمرو بن العاص مصر في خلافة عمر بن الخطاب عام ٢٠هـ/٦٤١م، انتقلت مصر من الدولة البيزنطية إلى يد العرب، وقد أدى هذا الانتقال إلى حدوث تغيرات في التركيب الطبقي للمجتمع المصري حيث ظهرت طبقات جديدة على قمة هذا المجتمع، واختلفت طبقات أخرى، وأيضاً إلى حدوث تغيرات في النظام الاقتصادي ونظام الحكم في مصر، مما أدى إلى تغير علاقات الملكية، فرضت ضريبة الخراج على عدة أنواع من الأراضي الزراعية منذ الفتح العربي لمصر، منها الأراضي التي فتحها العرب عنوة، وتركوها في أيدي القبط العاملين عليها، ومنها الأراضي التي فتحها المسلمون صلحاً، وتركوها لأصحابها، حتى ولم يكونوا مسلمين^(٤).

(١) Johnson : Ibid , p. 74

Munier : Ibid, p. 93 .

Johnson :Ibid, 75

(٢) سيدة الكاشف : مصر في عصر الولاة ، ص ١٢

(٣) بل : مصر من الأسكندر الأكبر حتى الفتح العربي ، ص ١٨٣ ،

(٤) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٢٢ ، سيدة الكاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٤٥ ، والأراضي التي فتحها المسلمون صلحاً ، كانت الدولة تقرر عليها ضريبة عشر محصولها. وتتحول الأراضي الزراعية الخراجية إلى أراضي عشرية بإسلام أصحابها ، ومع مرور الوقت ، دخل كثير من الأقباط في الإسلام ، فقل دخل بيت المال من ضريبة الأراضي ، مما اضطر الخلفاء إلى ربط الخراج بالأراضي ، حيث فرض على القبطي إذا أسلم ، ألا تحول أرضه إلى أرض عشرية . الماوردي : المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

وضريبة الخراج لا تدفع كلها نقداً، بل يدفع بعضها عيناً، كالحاصلات الزراعية، والغالب على خراج الصعيد أن يدفع عيناً، أما أسفل الأرض فيدفع نقداً^(١) ويذكر النويري^(٢)، أنه فرض على أراضي جزيرة الأقصر من الصعيد الأعلى ضريبة عينية، على كل فدان ثلاثة أرايب من محصولها.

كذلك تفاوتت قيمة ضريبة الخراج بمصر العليا من فدان لآخر، حسب نوع المحصول، فبلغت في بعض الأحيان: ثلاثة أرايب لكل فدان، ووصلت إلى عشرة أرايب عن كل فدان^(٣)، في الأراضي التي غلبت عليها الحشائش، ويؤيد القلقشندي^(٤) هذا الرأي، حيث أورد ثبوتاً من قيمة ضريبة كل محصول على حدة، وذكر فيه أن قطيعة الفدان المنزرع قمحا أو شعيراً ثلاثة أرايب عن كل فدان، وكانت قطيعة فدان قصب السكر خمسة دنانير، أما المزروع نيله فتلاثة دنانير، وهكذا نلاحظ اختلاف قيمة الضريبة على كل محصول تبعاً لقيمة المحصول المائية، كذلك نلاحظ أن ضريبة فدان القصب والنيله تقدم نقداً، وذلك بخلاف المحاصيل الزراعية الأخرى، كالقمح والشعير التي تقدم عيناً^(٥).

(١) راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية، ص ٣٠١، عطية مشرفة: نظم الحكم بمصر، ص ١٨٩.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٨، ص ٢٤٩، وربما أعطيت ضريبة الخراج بالصعيد نقداً أو عيناً معاً، ففى وثيقة من أوراق البردي ترجع إلى سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٩ م كشفت بكموم أشقوه، تحديد لقيمة ضريبة الخراج بالنقد والمحاصيل، " أنه أصابكم عن سنة ٨٨٨ هـ، مائة دينار وأربعة دنانير، وثلاثي دينار، ومن ضريبة الطعام، أحد عشر أرايب قمح، وثلاث أرايب " جروهمان: أوراق البردي العربية، ج ٣، ص ٤٧-٤٨.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٥٢-٤٥٣.

(٤) المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٥٢، ٤٥٣.

وقد أمدنا الماوردي^(١) ما الشروط التي يجب مراعاتها في تقدير قيمة الخراج من أرض لأخرى ومنها أرض إقليم فقط ، فذكر ثلاثة شروط منها ، جودة الأراضي وردائتها ، حيث يزيد ويقل المحصول تبعاً لذلك ، والثاني نوع من الثمار والحبوب المزروعة من حيث القيمة المادية لهذه السلعة ، والثالث نظام الري ، حيث يجب اختلاف قيمة الخراج من أرض لأخرى باختلاف السقاي ، فهناك أراضي تروى من ماء المطر وأخرى تروى بحفر الآبار ، كذلك كان لتعمير الجسور نخلًا في تقدير الخراج ، فيزيد المحصول تبعاً لاهتمام الدولة بإقامة الجسور وحفر الخلجان والترع والعمل على صيانتها^(٢).

وهكذا نجد أن قيمة الجباية تقل إذا أهملت هذه المشروعات ، كما في أوقات الاضطرابات والفتن في مصر العليا ، كفتن ابن الصوفي ، وثورة أبي ركة في الصعيد ، وحدثت الشدة والغلاء ، كما حدثت أثناء الشدة العظمى في العصر الفاطمي في مصر^(٣).

ثانياً : الثروة الحيوانية :

تعتبر الثروة الحيوانية جزءاً من مكونات الثروة الزراعية ، وكان اهتمام المزارع القبطي فضلاً عن زراعة أرضه منصّباً على تربية الحيوانات التي تساعد في أعمال الفلاحة والزرع التي تزوده بقدر من الموارد الغذائية ، كاللبن والزبد ، أو الكساء ، كما كانت كمصدراً لزيادة ثروته بالإضافة إلى المحاصيل الزراعية ، أضف إلى ذلك استخدامه كوسيلة للسفر والتنقل والترحال من مكان إلى آخر في نقل أمتعته^(٤).

(١) الأحكام السلطانية : ص ١٢٢ وما بعدها

(٢) المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ١٧٢-١٧٩ ، عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر ، ص ١٨٩-١٩٠

(٣) المقرئ : إغالة الأمة بكشف النمة ، ص ٢٣ ، وكانت مواعيد جباية ضريبة الخراج في مصر العليا مرتبطة بمواعيد جمع المحصول ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٥٢-١٥٣ .

(٤) عبد الرحيم عبد الرحمن : الريف المصري ، ص ٨٨ ، فوزي عباس : الحالة الاقتصادية في مصر العليا ، ص ٦٠ .

وأشارت بعض المصادر التاريخية على العناية بالحيوانات فى مدينة قفط مثلها مثل باقى مدن وقرى الديار المصرية حينذاك ، ووضح ذلك منذ بداية الفتح العربى لمصر ، فكان عمرو بن العاص يحرص على متابعة تربية خيول أصحابه والعناية بها عقب عودتها من المراجع (المراعى)^(١).
وقد جاء فى القرآن الكريم مايدل على أهمية ومنافع الحيوان واستفادة الأهالى والمزارعين منها فى حياتهم قال تعالى "ومن الأنعام حمولة وفرشاً" وقال بعض المفسرين والبقر والغنم أيضاً من الفرش^(٢)، وفى قوله تعالى "والأنعام خلقها لكم فيها نفعاً ومنافع ومنها تأكلون" ، ولكم فيها جمال حين تريحون ، وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لاتعلمون^(٣).

كما لعبت الجمال فى العصر الإسلامى دوراً كبيراً فى الصعيد الأعلى فى مدنه وقراه ، وكان رخاء مدينة قفط وازدهارها الاقتصادى لوقوعها على طريق الرحلة والتجارة ، ساعد على تنشيط ثروتها الحيوانية ، لذا حرص مزارعو قفط على تربية الجمال حيث كان الفلاحون يستخدموها فى نقل الحاصلات الزراعية من الحقول إلى الأجران والأسواق ، كما لعب دوراً بارزاً فى الرحلة الدينية ونقل الحجاج ، وحمل المتاجر لمسافات شاسعة من الفسطاط إلى القلزم، ومابعداها ومن مدينة قفط إلى موانئ ساحل البحر الأحمر وبخاصة ميناء عيذاب^(٤).

(١) ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ص ١٨٩، ١٩١، الكندى: الولاة، ص ٦٢، المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٤٣٥.

(٢) ياقوت: معجم البلدان، ج ٦، ص ٣٦٠.

(٣) سورة النحل: آيات ٥، ٦، ٧، ٨.

(٤) فوزى عباس: الحالة الاقتصادية فى مصر العليا، رسالة ماجستير - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ص ٦٠-٦١.

وكان لازدهار مدينة ققط التجارى وذلك بسبب ارتباطها بالعناية بالقوافل التجارية التى تعبر طريق الصحراء الشرقية إلى النيل الأعلى فى مصر، مما نتج عنه ازدياد أهمية الجمال كوسيلة هامة من وسائل النقل والترحال^(١).

ومن الجدير بالذكر أن القبائل العربية التى نزحت إلى الصعيد الأعلى وقطنت على أطراف الوادى بجانبيه الشرقى والغربى فى هذه المساحة الشاسعة للإقليم، كانت من أكثر الأماكن اهتماماً بتربية الجمال، خاصة وأن الطرق البرية الهامة التى تبدأ من هذه الجهات من ققط وأسوان إلى عيذاب وغيرها من مدن الإقليم^(٢).

وهكذا نجد اهتمام الأهالى بتربية الجمال لاستخدامها فى التنقل والترحال بين مدن الإقليم، التى ظلت طوال العصر الإسلامى حلقة وشبكة وصل بين البلاد العربية الأخرى مثل السودان وشمال إفريقية وبلاد الحجاز عبر تلك الطرق التى ذكرناها آنفاً^(٣).

وأشار المقرئى إلى كثرة الضأن ووفرته فى الصعيد الأعلى ويؤكد على ذلك ما أورده قائلاً "وأرض بلاد الصعيد كثيرة المواشى من الضأن وذلك لكثرة نتاجها، حتى أن الرأس من النعاج يتولد عنه فى عشر سنين ألف

(١) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عصر الفاطميين ، ص ٧٥ .

** كما لعبت الجمال فى العصر الفاطمى دوراً كبيراً فى إقليم الصعيد الأعلى ، حيث عرف الجمل بأنه سفينة الصحراء ، ومما يؤكد على أهميته ، ما أورده البتانونى عن الجمال واصفاً لها قائلاً " سفينة الأسفار فى القفار وله قدرة على احتمال مشقات الحياة الصحراوية ، خلقه الله مقوس الظهر لاحتفال الأثقال ، وجعل خفه واسعاً مدوراً طرياً حتى لا ينزلق على الأحجار ولا يسوخ فى الرمال ، ويحتمل العطش أياماً . البتانونى : الرحلة الحجازية ، ص ١٢٢ .

(٢) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص ٧٥-٧٦ .

(٣) راشد البراوى : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

وأربعمائة وعشرين رأساً - وقد شوهد كثير، من أغنام الصعيد مايلد فى البطن الواحد ثلاثة رؤوس^(١) .

ومما شجع على تربية الأغنام نمو النباتات التى كانت تظهر عقب حصاد المحاصيل الزراعية، مما ترتب عليه ازدهار الحياة الرعوية وانتعاش الثروة الحيوانية التى أفاض الإدريسي بالحديث عنها فى إقليم الصعيد الأعلى واصفاً إحدى مدنه حيث قال " ولها بقول طيبة وضروب من الحبوب كثيرة ممكنة ولحوم سدفه حسنة المنظر طيبة المأك^(٢)ل .

وهكذا كانت الثروة الحيوانية بإقليم قفط التى تمثلت فى الماشية والأغنام، لها ميزتها من حيث وفرة إنتاجها وجودة لحومها، ولعل هذه الشهرة لإقليم قفط ترجع لأسباب متعددة منها جودة المراعى الواسعة^(٣)، كما نستج عن قيام الحكام بجلب أعداد من أغنامها فتملاً بها حظائرهم لاستخدام لحومها فى دورهم السلطانية وخاصة العصر الفاطمى^(٤) .

كما كانت الأبقار^(٥) والجواميس^(٦) والحمير والبغال من الحيوانات التى يعتمد عليها الفلاح فى إقليم قفط ، حيث كان يستخدمها فى أعماله اليومية، وكذلك فى تشغيل آلاته وأدواته سواء فى عمليات الحرث أو الرى أو

(١) المقرئزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٥٥ .

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ١٢٨ .

(٣) الإدرفوى : الطالع السعيد ، ص ٢٨ .

(٤) الإدرفوى : المصدر السابق ، ص ٢٨-٢٩ . المقرئزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٥٥ .

(٥) الأبقار : احتلت الأبقار المكان الأول بين المواشى فى مصر نظراً لأهميتها فى الأعمال الزراعية ، ولم يكن الفلاح يثقل كاهلها بالعمل . إذا كانت مخصصة للبن والإكثار . بينما أنيطت الأعمال الثقيلة بالثيران ، وقد حظيت الأبقار بمكانة مميزة منذ عصر الفراعنة وحتى الآن ، ولهم نظير : الثروة الحيوانية عند قدماء المصريين ، (الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة) ، ص ٤٧ .

(٦) الجاموس : لم يعرف المصريون القدماء الجاموس ، ويبدو أن الجاموس أدخل إلى مصر بعد الفتح الإسلامى بزمان طويل أى نحو القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، ولهم نظير : الثروة الحيوانية ، ص ٥٥ . على أنه من الثابت أن الجاموس أصبح معروفاً ومنتشراً فى مصر أيام الفاطميين . المقرئزى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٤٥٣ .

حصاد المحصول ودرسه ونقله ، وكذلك نقل السباخ وما إلى ذلك من مختلف الأعمال^(١).

وكانت الحمير لا تنقل شأناً عن غيرها من الحيوانات الأخرى فقد استخدمت في أغراض متعددة، حيث قامت بوظيفة الحمل في كثير من الأوقات حينذاك، وكانت تستخدم في الانتقال من المدن والقرى ، وفي سائر الأغراض الأخرى^(٢).

ومما يدل على شيوع استخدام الحمير كوسيلة للانتقال في مصر ما أورده عبداللطيف البغدادي حسين وصف ذلك بقوله " والحمير بمصر فارهة وتركب بالسروج وتجرى مع الخيل والبغال النفيسة ، ولعلها تسبقها وهي مع ذلك كثيرة العدد ، ومنها ما هو عال بحيث إذا ركب بسرج احتفظ مع البغلات^(٣).

وقد سعى أهالي قفط في تربية نوع من الحمير عرفت بالحمير المريسية^(٤) ، حيث برعوا في تربيتها ، وما يدل على ذلك ما ذكره القزويني أن مريسة قرية بمصر بالصعيد الأعلى تجلب منها الحمير المريسية ، وهي أجود "حمر مصر" وأمشاها وأحسنها وأكبرها إلى سائر البلاد الباردة لاتوافقها فتموت^(٥) ، وكانت مريسة من أهم بلدان الصعيد الأعلى وهي مجاورة لمدينة قفط من ناحية الشمال ، وهكذا يمكن القول أن الثروة الحيوانية كانت تتمشى مع اقتصاديات الزراعة ، وتحقق فائدة للفلاحين في زراعاتهم

(١) جروهمان : أوراق البردي العربية ، ج ٤ ، ص ١٦٢ ، فوزى عباس : الحالة الاقتصادية في مصر العليا ، ص ٦١.

(٢) ابن الداية : المكافاة ، ص ٣٢ ، أحمد الحنة : تاريخ الزراعة المصرية ، (دار المعارف ١٩٥٠م) ، ص ٢٨٦.

(٣) عبداللطيف البغدادي : الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر ، ص ٩٩ ، راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، ص ٢٦.

(٤) اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٣٤ ، البغدادي : الإفادة والاعتبار ، ص ٩٩.

(٥) اليعقوبي : المصدر السابق والصفحة ، أحمد الحنة : تاريخ الزراعة المصرية ، ص ٢٨٦.

وانتقالاتهم وتغذيتهم ، وزيادة ثروتهم ودخلهم ، وبهذا نمت في مصر طوال هذا العهد الثروة الحيوانية .

كما كانت تربية الدواجن والطيور بمدينة قفط وغيرها من المدن وقرى الإقليم يدلنا على ذلك ما أورده عبداللطيف البغدادي^(١) حيث قال "وكانت هناك بالمدينة حضانة الفراريج بالزبل ، فإنه قلما نرى بمصر فراريج ، من حضان الدجاج ، وربما لم يفرقوه أيضاً ، وإنما ذلك عندهم صناعة ، ومعيشة ، يتجر فيها ويكتسب منها ، وتجد في كل بلد من بلادهم مواضع عدة تعمل ذلك ويقول البغدادي ويسمى الموضع معمل الفروج، وهي عبارة عن ساحة كبيرة يتخذ فيها من البيوت، التي يأتي ذكرها، ما بين عشرة أبيت إلى عشرين بيتاً، في كل بيت ألف بيضة ويسمى "بيت الترقيد"^(٢).

وأشارت بردية من القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي إلى كثرة الحيوانات الداجنة بإقليم قفط^(٣) ، كما ذكرت في عدة وثائق كلمة فراخ في الحساب اليومي للنفقات^(٤).

ويشير المقرئ أنه كان بمصر يعمل معامل كالتناير، يعمل بها البيض بصناعة، يوقد عليها، فيحاكي نار الطبيعة حنانة الدجاجة لبيضها، ويخرج من تلك المعامل الفراريج وهي معظم دجاج مصر، ولا يتم عمل هذا بغير مصر^(٥) ، وليس من شك في قيام غالبية أهل الريف والفلاحين على وجه الخصوص بتربية الدواجن والطيور في منازلهم وحرص الفلاحات على مر العصور على القيام بهذا العمل.

(١) الإفادة والاعتبار، ص ٢٠

(٢) البغدادي : المصدر السابق والمفحة .

(٣) جروهمان : أوراق البردي العربية، ج ٤، ص ١٦٥ .

(٤) جروهمان : المصدر السابق، ج ٦، ص ٨٨ .

(٥) المقرئ : الخطط، ج ١، ص ٢٥ .

ثالثاً : الحرف والصناعات :

ساعد على تقدم الصناعة^(١) في مدينة قفط توفر المواد الخام اللازمة لذلك حيث قامت عليها أنواع كثيرة من الصناعات الهامة مثل صناعة السكر والعسل من القصب^(٢) ، وصناعة المنسوجات الصوفية والصناعات الخشبية وصناعة عصر الزيوت والصابون والصبغة ، فضلاً عن أن غالبية الحرفيين كانوا من الأقباط الذين كانوا على علم ودراية بأمور الصنائع .

صناعة السكر والعسل :

لم يعرف المصريون زراعة قصب السكر قبل الفتح العربى إذ أدخلت زراعته فى عصر الخليفة عمر بن الخطاب، وسرعان ما تقدمت زراعته فى مصر^(٣)، وتشير أوراق البردى العربية التى ترجع إلى القرن الثانى الهجرى إلى زراعة قصب السكر^(٤)، وكان أول من أمر بزراعته قره بن شريك - والى مصر فى عهد الوليد بن عبد الملك (٩٠-٩٦هـ)^(٥).

كما تشير أوراق البردى التى ترجع إلى القرن الثالث الهجرى وأوائل القرن الرابع إلى شهرة مدن الصعيد بتجارة السكر والعسل، ولاغربة فى ذلك فقد كانت تضم الأعداد الكبيرة من المعاصر والمطابخ، ولدينا طراز من القرن الثالث من إدفو بالصعيد الأعلى يأمر فيه صاحب الخطاب بالتوجه إلى

(١) كانت الصناعة فى مصر بصفة عامة ومدينة قفط بصفة خاصة فى العصر الإسلامى بدائية ، وكانت الآلات والأدوات التى استعملت فيها بسيطة التركيب ، صنعت معظم أجزائها من الخشب واعتمد فى إدارتها وتشغيلها على القوى العضلية والماشية ، . صلاح أحمد هريدى : دور الصعيد فى مصر ، ص ٢٥٢ .

(٢) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية ، ص ٣٥٢ .

(٣) نعميم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، (القاهرة ١٩٦٨م) ص ٢٠٨ .

(٤) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٢ ، ص ٤٤، ٤٧، ٥٠ .

(٥) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٦٥ .

ابراهيم التونى القوصى صاحب إحدى المراكب من أجل حمل مائة وسبع عشرة جرة من العسل^(١).

وتمدنا أيضاً إحدى البرديات التى ترجع إلى القرن الثالث الهجرى وأوائل القرن الرابع الهجرى بقيمة الأموال اتى دفعها أحد الأشخاص ومقدارها ثلاثة دنانير ونصف وقيراطان من ثمن العسل المحمول الذى باعه أحد التجار فى ذلك الوقت^(٢).

وهكذا تشير أوراق البردى إلى قيام أهالى الإقليم باستخراج العسل والسكر ولاسيما فى عصر الطولونيين والإخشيديين، ومن الملاحظ أن مراكز صناعة السكر والعسل فى مصر كانت تقع فى نفس مناطق زراعته^(٣)، والتى سبقت الإشارة إليها فى مجال الزراعة.

كما اشتهرت مناطق كثيرة من الصعيد بزراعة قصب السكر وبوجود المعاصر والمطابخ للسكر بها، وبخاصة منطقة الصعيد الأعلى، يذكر الإدفعوى مدينة البلينا بأنها أول إقليم للصعيد الأعلى من جهة الشمال، وبها عدة مسابك للسكر^(٤)، كما اشتهرت مدينة سمهود بإقليم قفط بالمعاصر الكثيرة لقصب السكر وكان بها سبعة عشر حجراً ، ويقال أن الفأر لا يأكل قصبها وبذلك مشهور بين أهلها^(٥)، كما اشتهرت بلدة قمولة بالصعيد الأعلى بكثرة زراعة قصب السكر، وصناعة السكر منه^(٦).

(١) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٥ ، ص ١٣٦ .

(٢) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص ٣٥٤-٣٥٥ .

(٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٢٦٦ .

(٤) الإدفعوى : الطالع السعيد ، ص ١٨ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٢-٢٠٣ .

(٥) ابن مماتى : المصدر السابق ، ص ١٥٩ ، ابن دلقاق : الانتصار ، ج ٥ ، ص ٢٣ .

(٦) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ١٠٤ .

وقد انفردت مدينة قفط بمكانة عظيمة في الصعيد الأعلى بصناعة السكر والعسل فكان بها "أربعين مسبكاً للسكر وست معاصر للقصب"^(١)، كذلك انتشرت صناعة السكر في بعض بلدان قفط مثل أبنود ودشنا^(٢)، وكانت مدينة قفط من أهم المدن في زراعة قصب السكر، واستخراج السكر منه، وتصدير كميات كبيرة منه إلى البلدان المجاورة^(٣).

ومن الجدير بالذكر أن معاصر قصب السكر وتلك المطابخ أو المسابك لم تكن ملكاً للدولة، وإنما كانت لأصحابها من السماسرة والتجار الذين يديرونها لحسابهم، وكانت الدولة تفرض عليهم من الرسوم والضرائب ما تفرضه على سائر الصناعات الأخرى^(٤).

وقد أمدنا النويري^(٥) بوصف مفصل لخطوات صناعة السكر والعسل، فذكر أنه بعد نقل القصب إلى المعاصر، تقام عليه عملية تطهيره لتنظيف عيدان القصب، ولتقطيع ما ليس فيه حلاوة، ثم يقطع القصب قطعاً صغيرة، وتنقل بعد ذلك إلى المعاصر، حيث يدار عليه حجر المعصرة فيعصره ثم يصفى العصير عدة مرات، ثم يطبخ في دست - حلة من النحاس - ويعبأ العسل في الأباليج - أواني من الفخار معدة لذلك - له مواصفات خاصة "من حيث السعة"، وقد أشاد القلقشندي بمذاق العسل وحلاوته^(٦).

(١) الإدريسي: الطالع السعيد، ص ١٢، ابن دلقاق: الانتصار، ج ٥، ص ٣٣.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٩١.

(٣) كاتب مراكشي مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، (نشر وتعليق سعد زغلول

عبد الحميد، الاسكندرية، ١٩٥٨م)، ص ٨٤.

(٤) ابن ممتلي: المصدر السابق، ص ٣٦٦-٣٦٧.

(٥) "نهاية الأرب: ج ٨، ص ٣٦٧-٣٦٨.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣١٣.

وقد اهتمت الدولة الفاطمية اهتماماً كبيراً بصناعة السكر والعسل ، ويرجع هذا إلى شدة طلب الفاطميين على السكر والحلوى ، لإقامة الحفلات والأسمطة في الأعياد، وتشير إحدى أوراق البردى إلى قوائم بتوزيع السكر في القرن الرابع الهجري^(١) ، كما ذكر لنا ناصر خسرو الذي زار مصر في سنة ٤٤٠هـ " وتنتج مصر عسلاً وسكراً كثيراً "^(٢) ، وقد فرض الفاطميون على زارعى القصب ضرائب كبيرة ، وعلى صانعى السكر والعسل بعبداً عن المعاصر السلطانية^(٣).

كما قامت على صناعة السكر، صناعات صغيرة، مثل صناعة الحلوى التى ازدهرت ازدهاراً في العصر الفاطمي، ويشير المقرئى إلى أهمية الحلوى فى الصعيد بقوله " وأغذية أهل مصر مختلفة، فإن أهل الصعيد يتخذون كثيراً بتمر النخل والحلاوة المعمولة من قصب السكر ويحملونها إلى الفسطاط وغيرها ، فتباع هناك وتؤكل^(٤).

صناعة الزيوت والصابون :

اشتهرت مدينة قفط بصناعة استخراج الزيوت من بذور تلك النباتات مثل السمسم والقطن والفجل واللفت والكرنب والجرجير وهذه المحاصيل كانت منتشرة بكثرة فى إقليم قفط خلال العصر الإسلامى الأول^(٥). وكانت عملية استخراج الزيوت تجرى فى معاصر، وكانت تستخدم الزيوت فى الأغراض المختلفة للمصاييح، وفى صناعة الصابون^(٦) ، أما عن

(١) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٦ ، ص ١٢٦ .

(٢) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص ٦٠ .

(٣) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٦٢ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ .

(٤) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٨١ .

(٥) عاصم محمد رزق : مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية ، (الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٩ م) ص ٢٢٤ .

(٦) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص ٦١ ، أبوالمحسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٢٢ .

كيفية استخراج الزيت من السمسم أو ماكان يسمى بالشيرج ، فكان ينقل مسحوق السمسم بعد البذور ليوضع فى معاجن خاصة على هيئة أحواض حراراتها مرتفعة بدرجة تساعد على تسهيل خروج الزيت من هذا المسحوق، وفى كل حوض يقف رجل عارى القدمين مهمته استخراج الشيرج وذلك بالضغط عليه بأقدامه، والزيت الذى كان ينزل من عجينة السمسم كان يعبا فى أوان مسامية فيرشح من مسامها تاركاً الشوائب العالقة به بداخل الإناء^(١). واشتهرت عدة مدن فى مصر العليا بصناعة الزيوت ، كمدينة دشنا بالقرب من مدينة قفط من ناحية الشمال، حيث انتشر بها معاصر الزيوت^(٢)، كذلك تشير أوراق البردى العربية إلى وجود صناعة الزيت فى إدفو جنوب مدينة قفط ، فقد كشفت وثيقة ببلدة إدفو ، ترجع إلى سنة ٢٣٩هـ ، وتشير إلى اقتران اسم أحد الأشخاص بلقب الزييات ، فتذكر البردية " ومعصرة النسر الزييات"^(٣).

وقد امتازت الحياة الاجتماعية ولاسيما خلال العصر الفاطمى بكثرة الأعياد والمواسم وليالى الوقود^(٤) ، وليلة الغطاس ، والسهر فى البيوت وفى خارجها ، إلى ساعات متأخرة من الليل ، مما تطلب العمل على وفرة إنتاج الزيت المستخدم فى الإضاءة ، وذلك بالإضافة إلى ماكانت تحتاج إليه القناديل التى كانت تكتظ بها المساجد والجوامع وفى غيرها من المدن والقرى فى طول البلاد وعرضها^(٥) ، وكما يذكر ناصر خسرو فإن لكل مسجد فى

(١) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص ٣٢٩ .

(٢) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١١ ، ص ١٤ .

دشنا : إحدى مراكز محافظة قنا وتبعد عن مدينة قفط بحوالى ٥٠ كم تقريباً

(٣) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ١ ، ص ١٤٢

(٤) ليالى الوقود : أو الليالى الأربع ، وهى مستهل رجب وليلة نصفه ، وليلة مستهل شعبان وليلة نصفه ،

المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٤٦٢ .

(٥) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٦١ .

جميع المدن والقرى نفقات يقدمها وكيل السلطان من زيت السيرج والحصير، وسجاجيد الصلاة ونحو ذلك^(١).

وهكذا لم يقتصر استهلاك زيت المصابيح على متطلبات الدولة ونفقاتها، بل كان المصريون يشترون من زيوت الإضاءة ما يكفي حاجاتهم في الحوانيت والبيوت، حيث كان يباع في الأسواق من الشيرج والقطن برسم تعمير القناديل الشئ الكثير^(٢).

كما اشتهرت مدينة قفط بصناعة الصابون^(٣) الذي عرف في الأسواق المصرية والعالمية بالصابون القفطي وكان يصنع من البذور والبقول التي كثرت زراعتها بقفط، وأشار الإدريسي^(٤) عند حديثه عن كثرة مزارع البقول في قفط وما يستخرج منها قائلاً: " أنه كان بها مزارع كثيرة للبقول، مثل الفستق والخس، فكانوا يجمعون بذورها ويطبخوها، ويستخرجون أدهانها ويصنعون منها أنواعاً من الصابون، يتصرفون به في جمع أرض مصر، ومنها يصدر إلى كل الجهات.

ويشير عبداللطيف البغدادي^(٥) إلى الطريقة الخاصة لاستخراج الدهون من بذر الفجل والسلجم، وصناعة الصابون وتعدد أنواعه فيقول " أن

(١) ناصر خسرو: سفرنامه، ص ٦١، ابن دقماق: الانتصار، ج ٤، ص ٢٦.

(٢) السيد طه أبوسديرة: الحرف والصناعات، ص ٣٣١.

(٣) كان اكتشاف الصابون وليد الصدفة وحدها، فربما حدث مرة أن دهن شخص جسده بالدهون جيداً، ولكنه قام بذر الرماد على جسده في ساعة من ساعات الدم، ثم ليبرد جسمه بالماء، وكم كانت دهشة الحاضرين عندما رأوه بذلك جسمه ليزيل الرماد والدهن، فإذا برغاوى الصابون تظهر على جسده، وعندما نزل إلى النيل ليستحم خرج من الماء كأنظف رجل عرف حتى ذلك التاريخ، وهكذا هذه الصدفة وحدها التي كانت السبيل إلى اكتشاف مادة الصابون. السيد طه أبوسديرة: الحرف والصناعات، ص ٣٣٢، هامش (١).

(٤) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص ١٢٨.

(٥) "الإفادة والاعتبار"، ص ٤٢.

مما اقتصت به مصر استخراج دهن بذر الفجل والسلجم ، ويستصبحون به ويعملون منه الصابون ، وصابونهم أحمر وأصفر وأخضر".

ومما يدل على تقدم صناعة الصابون فى عهد الطولونيين من تلك الاحتياجات المتزايدة للحمامات التى أنشأها الطولونيون فى القطائع ، ومتطلبات الحياة الاجتماعية المترفة التى عاشها أبو الجيـش خمارويه ورجال حاشيته ، فضلاً عن كفاية حاجة الشعب المصرى من إنتاج الصابون^(١)، كما تجدر الإشارة هنا إلى قيام الفاطميين بإنشاء العديد من الحمامات التى كانت من مستلزمات الحياة الاجتماعية فى ذلك العصر ، وقد وصفها عبداللطيف البغدادي الذى زار مصر بعد الفاطميين بقليل فقال " إنها كانت متقنة الوضع يسع الحوض الواحد مابين راويتين أو أكثر ، وفى داخل الحمام مقاصير بأبواب ، وفى المسلح أيضاً مناصير لأرباب التخصص حتى لا يختلطوا بالعوام ، ولاشك أن ماتطلبته تلك الحمامات من أنواع الصابون والطيب كان يقتضى وفرة فى الإنتاج وزيادة فى الطلب على الصابون^(٢).

وهكذا يمكن القول بأن صناعة الصابون كانت ملازمة لصناعة استخراج الزيوت كما هو الحال فى وقتنا الحاضر، وكما هى العادة فى توارث الحرف والصناعات فى تلك العصور فإن الصناع المصريين قد لعبوا دوراً هاماً فى إنتاج مايكفى لحاجة البلاد من تلك المادة، ولم نسمع عن مصر الإسلامية أنها كانت تستورد من الشرق أو الغرب الصابون بأنواعه المختلفة حتى سقوط الدولة الفاطمية .

(١) السيد طه أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص ٣٣٤ .

(٢) عبداللطيف البغدادي : الإفادة والاعتبار ، ص ٤٢ .

** صناعة العطاراة :-

كذلك ازدهرت صناعة العطاراة فى إقليم ققط ، والعطار هو تاجر العطور أو الأطياب الزكية الرائحة وصانعها أو مستخرجها ، وكانت العطاراة من الصناعات الهامة التى تستخرج من الأزهار لصناعة الروائح من اللينوفر والبنفسج والياسمين، وكان زيت الياسمين من الزيوت العطور المشهورة، وتفضله النساء^(١).

كما كان لاستخدام العطور فى الطقوس الدينية لأهل النمة، وفى معالجة البشرة وكان العطارون يجتمعون فى أسواق خاصة بهم ، تعرف باسم سوق العطارين^(٢) حيث كان هناك حوانيت للعطاراة شمال مدينة ققط حتى إخميم^(٣)، ونظراً لأهمية العطاراة فقد فرضت الدولة عليها أحكام الحسبة، فكان المحتسب يأمر العطارين بعدم الغش فى الصنعة بإضافة أنواع رديئة إلى الأنواع الممتازة من العطاراة^(٤).

وقد أمدتنا شواهد القبور بالصعيد الأعلى بعدد كبير من الأشخاص تحمل أسماءهم صيغة العطار، ففى شاهد بتاريخ ٢٤٨هـ / ٨٦٢م باسم زين أم ولد يعقوب بن الحارث العطار، وشاهد آخر بتاريخ الثانى من المحرم سنة ٢٥٢هـ / ٢٣ يناير ٨٦٦م، باسم محبوبة بنت بدر مولى عبدالله بن ميسرة العطار ، وهناك شاهد بتاريخ ٢ ذو القعدة سنة ٣٤٧هـ / ٢٥ يناير سنة ٩٥٩م باسم أحمد المكنى أبو موسى محمد الحارث بلال العطار^(٥)، وشاهد آخر بتاريخ المحرم سنة ٢٥٢هـ / باسم رهمية بنت يحيى بن سلام بن زياد العطار^(٦).

(١) عبداللطيف البغدادى : المصدر السابق، ص ٤٢، ابن دلقاق : الانتصار، ج ٤، ص ١٠٨.

(٢) حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف، ج ٢، ص ٢٨٥.

(٣) على مبارك : الخطط التوليفية، ج ١، ص ٥٣.

(٤) الشيزرى : نهاية الرتبة، ص ٤٨.

(٥) حسن الباشا : المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٨٢، ٢٨٨.

(٦) Wite : Steles Funeraires, Tom 3. P.1

صناعة النسيج :

قامت هذه الصناعة الرئيسية على توافر المواد الخام، مثل ألياف النباتات ، ومن المعروف أن ألياف القطن والكتان نباتية، على حين أن ألياف الصوف والحريز حيوانية.^(١)

وقد أشارت بعض أوراق البردي المؤرخة في القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) إلى وجود زراعة القطن فى مصر تاريخها يرجع إلى القرن الثالث الهجرى^(٢)، ويذكر متر METZ " أن القطن كان يزرع بمصر العليا منذ زمن طويل فإنه لم يذكر بين حاصلات مصر فى القرن الرابع الهجرى، ويبدو أنه لم يكن له شأن فى ذلك الوقت^(٣).

ويبدو أن القطن ، لم يكن له شأن فى الفترة موضع البحث، وكان يزرع بمقادير قليلة ، فلم يعمل فى مصر نسيج من القطن الخالص، بل كانوا يمزجونه بالكتان أو الصوف أو بمواد أخرى ليفية^(٤)، وكان القطن ينسج ببعض المدن التى اشتهرت بصناعة المنسوجات مثل قفط وندرة وتيس^(٥).

كما كان للكتان المصرى الصدارة فى صناعة المنسوجات بسبب انتشار زراعته فى جميع أنحاء مصر، حتى قيل أنه فى أيام المجاعات، كان الناس لا يجدون ما يفتتئون به سوى بذر الكتان^(٦).

(١) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية ، ص ١٧

(٢) جروهمان : أوراق البردي العربية ، ج ٢، ص ٥٧-٥٨ - لوحة ٥ طراز ٢٥١

(٣) متر : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ج ٢، ص ٢٥١ .

(٤) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص ١١٦ .

(٥) زكى محمد حسن : المرجع السابق والصفحة ، سيدة كاشف : مصر فى عصر الأخشيدين ، ص ٢١١

(٦) المقرئى : إغاثة الأمة ، ص ١٨، ٢٣، ٢٨

وكانت زراعة الكتان ، واستخدام أليافه قائمة بمصر منذ أقدم العصور، وظلت المنسوجات الكتانية موضع تفضيل المصريين طوال عصور مصر الفرعونية ، لاعتقادهم بطهارتها ، وقد تحدث مؤرخو اليونان عن نسيج الكتان المصرى ، ودقة صنعه التى بلغت درجة كبيرة من التقدم ، سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٢، ص ٨٥-٨٦.

وقد انتشرت زراعة الكتان فى أراضى الدلتا والصعيد على حد سواء، وقد بلغ من شهرة مصر بزراعة الكتان ما ذكره الجاحظ بنصه "قد علم الناس أن القطن لخراسان، وأن الكتان لمصر، ثم للناس فى ذلك تفريق البلدان ما لا يبلغ مقدار بعض بلاد هذين الموضعين"^(١).

أهمية صناعة النسيج وتطورها :-

عرف المصريون تربية الأغنام ، واستخراج مادة الصوف منها فى صعيد مصر، وتدل أوراق البردى على جود نقابات لرعاة الأغنام وغيرهم من أصحاب الحرف منذ للعصر البيزنطى^(٢) فكانت مصر تصدر إلى بيزنطة، وإلى بابوات روما كثيراً من الأقمشة النفيسة التى كان يذهب جزء كبير منها إلى الكنائس المسيحية^(٣).

كما حمل الأقباط لواء هذه الصناعة لمدة طويلة، لم يشاركهم فيها أحد، ويدلنا على ذلك أن العرب كانوا يطلقون على المنسوجات المصرية اسم قباطى^(٤)، وذلك نسبة إلى قبط مصر، الذين أظهروا مهارتهم الفنية فى صناعة النسيج، وقد روى المقرئى أن المقوقس أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أهدى قباء وعشرين ثوباً من القباطى^(٥).

وقد أظهر الصناع الأقباط فى هذه المناسج أو المصانع مهارة فائقة فى تصميم نماذج من الزخارف الهندسية والنباتية، مما عثر عليه مرسوماً

(١) سيدة كاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٢٥٢ .

(٢) Jonshon : Byzantine Egypt, p. 153 .

(٣) زكى محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية فى الفنون الإسلامية ، ص ١١ .

(٤) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٣ .

" القباطى : لسيج يتميز بنوع خاص من اللحامات ذات ثقب دقيقة عند حدود الزخرفة وقد تطورت زخرفة هذا النوع من النسيج ، فى القرن الثالث الهجرى أخذت الكتابات الكوفية التى كانت تطرز عليه أشكالاً زخرفية متنوعة ، فكانت تنتهى حروف بعضها بأنصاف مراوح نحاسية ، فضلاً عن الخيوط الذهبية التى كانت تنسج منها . سعاد ماهر : المنسوجات المصرية فى عصر الانتقال ، ص ٥٠ .

(٥) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٠ ، ابن خلدون : الفضائل الباهرة ، ص ٩٣ .

على أوراق البردى ، كما يضم متحف برلين مجموعة من أوراق البردى عليها مسودات توضح أن النساجين المصريين كانوا يرسمون على تلك الأوراق لبيان زخرفة النسيج بطريقة القباطى والتابستى فى مصر قبل الفتح العربى^(١).

وكان الهدف الأساسى من صناعة الغزل والنسيج فى مدينة قفط إنتاج ما يحتاج إليه أهل المدينة من المنسوجات من النوع الرخيص الذى يتفق ومستوى المعيشة^(٢) واللازم لاستهلاكهم^(٣).

وكانت هذه الصناعات فى المدينة منزلية ، فكن النساء يغزلن الصوف، والرجال ينسجون^(٤) على مغازل ومناسج وأنوال يدوية فى منازلهم ، وقد ساعدت زوجة الفلاح فى غزل الصوف وإرساله إلى المناسج بالمدينة لكى تنسج به ما يلزمها من أغطية وأكسية وغيرها، كما كانت تباع الزائد عن حاجتها فى سوق القرية، فيشتريه أصحاب المناسج الأهلية اليدوية، أما الآلات التى كانوا يستعملونها فعبارة عن مغازل وأنوال خشبية بسيطة^(٥). وانتشرت هذه الأنوال والمغازل فى بعض قرى مصر العليا مثل قرية دشنا^(٦)، كذلك اشتهرت بلدة إسنا بمصر العليا بكثرة متاجرها التى تباع بها المنسوجات الصوفية والشقق بالنساء من صنع مصر العليا عامة^(٧)، كما ازدهرت صناعة النسيج فى مدن كثيرة فى الديار المصرية^(٨)، كما كان

(١) Jonshon : Ibid, p. 121.

(٢) راشد البراوى : جالة مصر الاقتصادية ، ص ١٤٠.

(٣) سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر ، ص ٦٥.

(٤) آدم متر : الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٤٨.

(٥) * وكانت بها أنوال النسيج على أكثر من سبعين نولاً، جلبت بعض الأقطان اللازمة لتشغيلها من الدلتا والبعض الآخر من سوريا . راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٤٠ .

(٦) على مبارك : الخطط التوليفية ، ج ١١ ، ص ١٤.

(٧) على مبارك : المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٥٦ .

(٨) آدم متر : المرجع السابق والجزء ، ص ٣٥١.

بعض الأفراد يملكون بعض المصانع الأهلية الصغيرة فى الإقليم، وقد يملك الصانع محلاً صغيراً يشتغل فيه بنفسه، أو بمساعدة غيره، وقد يكون العمل فى البيت الذى يقطن فيه^(١)، ومن الأمثلة على ذلك ما أورده ابن الزيات^(٢) حيث يقول "وكان له معمل قزازة"^(٣)، وكان يدير الدولاب بيده، وكان النساجون يحصلون على الغزل من الأسواق حيث تجئ لبيع ما قمن بغزله، أو من الغزالين الذين يقومون بالغزل فى بيوتهم أو فى أوقات فراغهم، وفى ذلك يقول ابن الزيات وجاءت امرأة تبيع غزلها^(٤).

ولقد بدأت العناية بالنسيج فى العصر الأموى، ثم ارتفعت وتقدمت تقدماً سريعاً فى العصر العباسى، حيث اتجهت صناعة النسيج اتجاهين، أحدهما شعبى والآخر رسمى، فقد وجدت المناسج والأنوال وأدوات النسيج الخاصة وذلك فضلاً عن المناسج التى تشرف عليها الدولة، وكان يطلق عليها دور الطراز^(٥).

زخر إقليم قفط بصناعة المنسوجات الصوفية كالملابس والشيلان والأبسطة والأكلمة ويرجع الفضل فى انتشار هذه الصناعات فى إقليم قفط إلى توافر المادة الخام من الصوف^(٦)، حيث كان إقليم الصعيد الأعلى تكثر به

(١) راشد البراوى : المرجع السابق والصفحة .

(٢) الكواكب السيارة :، ص ٣٠٣ .

(٣) القزاز : بائع القز وهو الحرير، والمراد به النسيج - الإدنى : الطالع، ص ٢٣٦، هامش (٤) .

(٤) ابن الزيات : المصدر السابق والصفحة .

(٥) عطية القوصى : الحضارة الإسلامية، ص ١١٥ .

الطراز : كلمة طراز فارسية الأصل مأخوذة من كلمة (طراز يذن) ومعناها التطريز وأطلقت على الثوب التى يزدان بشغل الإبرة، والطراز تعنى ذلك الشريط المشتمل على كتابة منسوجة أو مطرزة، وكذلك أطلقت على الأقمشة المزخرفة بهذه الطريقة، ثم صارت تطلق على المصنع أو المكان الذى تطرز فيه هذه الأشرطة وتنتج فيه هذه الأقمشة - السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات، ص ٢٧، هامش (١) .

(٦) Johnson : Byzantine Egypt. pp.120-121.

تربية الأغنام على أيدي للقبائل العربية التي قطنت هذا الإقليم^(١)، فكانت لاتخلو مدينة أو قرية بالإقليم إلا وكان فيها الأنوال والغزاليين، إذا كان يشتغل بغزل أصواف الأغنام الرجال والنساء ، وتنسج من إنتاجهم أقمشة صوفية ، وكانت تستخدم هذه الأقمشة للملابس^(٢).

كما اهتمت الحكومة في العصر الفاطمي بصناعة النسيج ، لذلك قامت بتعيين موظفين لتسجيل كل للمبيعات في سجلات رسمية، كما عينت موظفين لجبي الضرائب، مقابل قيامهم بعملية لف الأقمشة وحزمها وربطها وشحنتها، وكانت تباع الأقمشة على يد سماسرة معينين من قبل الدولة^(٣) كما أن تجار بيع الأقمشة التي تنتجها المصانع الأهلية في مصر العليا تحدد لهم الدولة أسعار لكل كل ثوب ، ففي وثيقة من أوراق البردي العربية ترجع إلى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ، عبارة عن قائمة حساب يتسلم أثواب مختلفة، وقد كتبت على كل ربطة مرسلة ثمنها ، وهذا يدل على تحديد سعر كل نوع من الأثواب^(٤).

ونختم الحديث عن صناعة النسيج بتناول نسيج الحرير، وكان يستورد خام الحرير من الهند والصين قبل إنتاجه محلياً في الشام وفي مصر وكان يأتي عن طريق البحر الأحمر ومنه إلى مدينة قفط ثم يحمل عبر النيل إلى الفسطاط والإسكندرية^(٥) واستخدمت خيوط الحرير في صناعة النسيج^(٦)،

(١) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٢٥.

(٢) راشد البراوي : المرجع السابق والصفحة ، وما زالت هذه الصناعة والجهة إلى اليوم في مدن كثيرة في نقادة وإسنا ودشنا، بالإضافة إلى أنها تمارس هذه الحرفة في قرى كثيرة بمحافظة قنا حتى العصر الحالي ولها عددها وآلاتها التي كانت في العصر الإسلامي.

(٣) المقدسي أحسن التقاسيم ، ص ٢١٢ .

(٤) جروهمان : أوراق البردي العربية ، ج ٦ ، ص ٢٥-٢٦ .

(٥) Johnson : Op – cit , p.122.

(٦) سيدة الكاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٢٨٥.

وكان إقليم قفط من الأقاليم التي قامت بها صناعة الحرير^(٣)، وقد عثر بإخميم وهي إحدى مدن الإقليم على لباس من الحرير كتب عليه اسم الخليفة مروان، ولم يعرف هل المقصود مروان بن عبدالحكم أو مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين^(٤)، ومهما كان الاختلاف في نسبة الاسم فإنه يكفي كدليل واضح على استمرار تلك الصناعة في ذلك الإقليم.

حرفة الصباغة :

ترتبط مواد الصباغة بصناعة النسيج ارتباطاً وثيقاً، وبرع المصريون في فن الصباغة، وانهم قد استخدموا أجود أنواع مواد الصباغة الطبيعية، وقد ورث الأقباط عن المصريين القدماء هذه الحرفة^(٥)، وعرفوا طريقة استخلاص الأصباغ والألوان المختلفة من خاماتها الطبيعية سواء أكانت نباتية - أو حيوانية أو معدنية مثل للكرم وقشر الرمان والحناء والنيلة والشب وغيرها^(٦)، وعرف المصريون كذلك كيفية استخراج الشب^(٧) واستخدموا أملاح الحديد في تثبيت الأصباغ على النسيج ، كما استخدموا بذور شجرة السنط (القرظ) الذي كان ينمو بكثرة في إقليم قفط^(٨).

وارتبطت صناعة النسيج في إقليم قفط بحرفة صباغة الثياب وتلوينها، وكان ذلك نتيجة لزراعة نبات النيلة في الإقليم، فقد سهلت عملية الصباغة، لاستخراجها من هذا النبات^(٩)، وتشير شواهد القبور إلى انتشار

(٣) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٢٦ ، زكى محمد حسن : الفن الإسلامى فى مصر ، ج ١ ، ص ٨٨.

(٤) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٢٨٥ ، السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية ، ص ٢٥.

(٥) السيد طه أبوسديرة : المرجع السابق ، ص ٣٩.

(٦) صفى على محمد : مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى ، ص ١٤٨.

(٧) الشب : مسحوق قابض استخدم منذ زمن بعيد فى تثبيت الألوان وفى أعمال الصباغة . السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص ٤٠ ، هامش (٤).

(٨) المسعودى : التنبيه والإشراف ، ص ٢٠ ، عبدالمال التامى : مصر عند الجغرافيين ، ص ١٦٩ .

(٩) ابن ممتى : قوانين الدواوين ، ص ٢٥٤ .

حرفة الصباغة، فهناك شاهد كشف بالصعيد الأعلى يرجع إلى القرن الرابع الهجرى / العشر الميلادى باسم " عبدالغنى بن جعفر بن أحمد بن حميد بن ابراهيم بن سليم الصباغ^(١)، وليس أدل على ذلك هو وجود سوق للصباغين بمدينة قفط^(٢)، كذلك ازدهرت صبغة اللبود - واللباد هو صانع اللبد - فقد كشفت شواهد القبور فى مصر العليا عن هذه الصيغة ، ففى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة شاهد قبر من سنة ٢٤٦هـ / سنة ٨٦٠م باسم " حمدان بن محمد اللباد^(٣).

كما ازدهرت حرفة الرفاء - وهى رفة الثياب وتطريزها - فى إقليم قفط فقد وردت صيغة الرفاء على شاهد قبر بالإقليم مؤرخ فى ١٨ شعبان سنة ٢٤٨هـ / ١١ أكتوبر سنة ٨٦٢م باسم " أمنة بنت اسحق الرفاء^(٤).

وكما راجت فى إقليم قفط حرفة البزاز^(٥) ففى وثيقة من البردى، ترجع إلى القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى وأوردت هذه الصيغة باسم ابراهيم بن عيسى البزاز^(٦) والبردية عبارة عن حساب بأثمان أقمشة مصنوعة ومباعة، ونظراً لأهمية حرفة البز، فقد فرضت الدولة عليها أحكام الحسبة فكان المحتسب يأمر البزازين بحسن معاملة المشتري، وصدق القول وعدم الغش^(٧).

(١) Wiet : Stels Funeraire Cotalogue, Tom 7, p.87

(٢) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج ٥ ، ص ٥٢ .

(٣) حسن الباشا : الفنون الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٥٥٦

(٤) حسن الباشا : المصدر السابق والجزء والصفحة

(٥) البزاز : هو صانع الثياب ويتاجر بها ، وكانت لهم أسواق خاصة وحانات يهيم فى المدن الكبرى ، حسن

الباشا : الفنون الإسلامية ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .

(٦) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٦ ، ص ٨٥ ، لوحة ٨٤ ،

(٧) الشيرزى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ٦٣

صناعة الفخار والخزف :

كانت صناعة الفخار من الصناعات المصرية القديمة^(١) ومنذ العصر البيزنطى استخدم الصلصال فى صناعة الأوعية الفخارية وغيرها على نطاق واسع، وتخصصت بعض المدن المصرية فى إنتاج أنواع معينة كالجرار الفخارية التى اشتهر بها إقليم قفط وخاصة مدينة قنا، وجرار النبيذ التى كانت تصنع منها كميات هائلة تستخدم فى الأغراض الدينية وغيرها^(٢).

كما برع أهالى مدينة قفط فى صناعة الأوانى الفخارية للأغراض المنزلية المستخدمة فى طهى الطعام، وخاصة التى تصنع من معدن البرام^(٣)، وصنعوا الأزيار والقلل المستخدمة فى حفظ الماء، كذلك اشتهرت قرى ومدن الإقليم بصناعة الفخار وخاصة بلدة الأقصر اشتهرت بالفخار الأقصرى، وليس أدل على ذلك مما أورده ابن دقماق^(٤) فى وصف فخار الأقصر قائلاً: " ليس يعمل بديار مصر مثله ولا مايقاربه " فكان يصنع فيها الفخار الأبيض النقى الرفيع.

وقد اكتسبت مدينة قنا شهرة كبيرة فى صناعة الأوانى الفخارية على مر العصور القديمة وامتدت شهرتها فى هذه الصناعة إلى وقتنا الحاضر^(٥)، كما استخدم الفخار فى عمل المشربيات وغيرها من الأوانى الفخارية وكان يصدر إلى مدن وقرى الديار المصرية^(٦).

(١) Johnson : Econmic Studies; p. 113

وقد وجدت فى مدينة قفط نقوش على الفخار ولكن التاريخ المدون عليها غير مؤكد ، وهذه النقوش تصف مصر القديمة واكتشفت (يونيو ١٩٣٥م) وهناك تصنيف من المصاييح الفخارية التى كشفت فى عام ١٩٣٩م ووجدت كذلك فى أرمنت. Johnson Ibid; p.113

(٢) سيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص ١١١ Johnson : Ibid; pp. 113-114

(٣) الإدريسى : الطالع السعيد ، ص ٣٣ ، ابن دقماق : الانتصار ، ج ٥ ، ص ٢٤ ، على مبارك : الخطط التوليفية ، ج ٨ ، ص ٢٤. Johnson Ibid; p.113

(٤) الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، ج ٥ ، ص ٣١.

(٥) ابن دقماق : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٦) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١١١.

ولاشك أن المادة التي كانت تصنع منها بقية الأواني ومعظم الأوعية لحفظ الخل والعسل والنبيد كانت من الطمي المتوفرة في كل مكان بسائر أنحاء الإقليم ، وقد بلغ من انتشار صناعة الفخار أنهم كانوا يصنعون من تلك الأواني والأوعية الفخارية بمختلف الأشكال والأحجام ومجموعات من لعب الأطفال بأشكال العرائس والفرسان والحيوانات كالحصان والجمال وغيرها^(١)، كما انتشرت في عصر الولاة صناعة الأنابيب الفخارية لاستخدامها في توصيل وتوزيع المياه داخل الدور والمنازل في المدن المصرية^(٢).
وقد شهد العصر الفاطمي تطوراً ملحوظاً في أشكال الأواني وإنتاج القدور ذات الأحجام المتوسطة والجرار الكبيرة ، كما انتشرت صناعة الأختام الفخارية المزخرفة وغير ذلك من الأغراض^(٣).

صناعة الحصير :

كانت صناعة الحصر - وما زالت من أهم الحرف والصناعات الصغيرة، وقد عرفت مصر صناعة الحصير والسلال منذ العصور القديمة، وكان المصريون يستخدمون في طريقة لحام الحصير أنواعاً لينة من القش كما كانوا يستخدمون سيقان الحلفا الصلبة، غير أنه يوجد حتى الوقت الحاضر نوع من الحصير يصنع من السمار، وهذا النوع يزيد في ثمنه عن

(١) يضم المتحف القبطي مجموعة من لعب الأطفال مصنوعة من الفخار، كما يضم وعاء مصنوع من الفخار، عليه كتابة تتضمن دعاء لثلاثة من الرهبان، وترجع صناعتها إلى القرن السابع وحتى القرن العاشر الميلادي، السيد طه أبوسديرة: الحرف والصناعات، ص ١١٢، هامش (٦).

(٢) السيد طه أبوسديرة: المرجع السابق والصفحة.

(٣) جروهمان: أوراق البردي العربية، ج ٥، ص ١٢٢.

وهناك الجرار المصنوعة من الفخار، فقد ورد في بردية من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي (فانظر أعزك الله أن تأمر بمن يحمل إلى ركبته مائة جرة، وسبعة عشر جرة) - جروهمان: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٢٦، رقم ٢٣٩.

النوع العادى المصنوع من الحلفاء^(١) المنتشرة فى جميع أنحاء البلاد^(٢)، وتشير أوراق البردى إلى صناعة أنواع الحصر ذات الألوان المختلفة ، فى بردية ترجع إلى القرن الثالث الهجرى/التاسع الميلادى مايتضمن من بين قائمة الثياب والأدوات المختلفة التى كان أحد التجار يبيعها ثمان حصر تستخدم للصلاة منها ما بيع بمبلغ ثمانية عشر قيراطاً ، ولأحد الأشخاص الآخرين بتسعة قراريط ودانق^(٣).

ومما لاشك فيه أن إقليم الصعيد الأعلى كان من الجهات التى انتشرت فيها صناعة الحصر والسلال والأطباق والمراوع والمكثل "المقاطف" وغيرها من الخوص ، مما نتج عنه أهمية قرى ومدن الإقليم وأهله فى هذه الحرفة ومدى تقمهم لها ، كما استخدم سعف النخيل فى منازل قفط لصناعة المراوح اليدوية ، وذلك لطبيعة جو الصعيد الأعلى وحراراته فى فصل الصيف^(٤).

كما اشتهرت بلدة أرمنت وأهلها بهذه الحرفة ويتضح ذلك مما أورده الإدفعوى^(٥) أن - ابن المنير - والى الحكم بأرمنت وإدفو كان يصنع المراوح حتى عرف حينذاك بالمراوحي، ولاشك أن التوسع فى بناء وإقامة المساجد والجوامع فى القرى والمدن فى صعيد مصر، كان يتطلب المزيد من صناعة الحصر والأسلاف، وقد ظهر أثر ذلك جلياً فى العصر الفاطمى حينما تطلبت عمارة المساجد زيادة الاهتمام بها وفرشها بالحصير، وجرت الأمور فى الشهور المباركة التى يحتفل بها أن تعمر المساجد والجوامع بالحصر

(١) نبات الحلفاء : ينمو حول الجسور والترع والقنوات فى جميع أنحاء البلاد ، كما يوجد فى الوجه القبلى ،

السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص ٢٢٥ هامش (٢).

(٢) سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠.

(٣) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٦ ، ص ١١١ ، ١٠٠ رقم ٣٩٤.

(٤) سعد ماهر : محافظات الج.ع.م ، ص ٢٨.

(٥) - : الطالع السعيد ، ص ٣٣.

والقناديل والزيت وكثرة الإضاءة، فقد ورد في بردية مؤرخة من القرن الثالث الهجرى/التاسع للميلادى وبها قائمة بأشياء مبيعة " على ابي بثن حصر للصلوة على أبى الزيات ثمن حصر للصلاة^(١) وكان يبلغ ثمن الحصير درهمين^(٢).

وهكذا اذهرت صناعة الحصير فى إقليم الصعيد الأعلى فى العصر الفاطمى، بل كانت قصور الخلافة الفاطمية يوجد بها الحصير^(٣) وكانت صناعته رائجة فى ذلك العصر.

حرفة الدباغة وصناعة الجلود :

ورث الدباغون الأقباط فى مصر حرفتهم عن المصريين القدماء^(٤)، وكان من أهم الجلود التى استخدموها فى الدباغة جلود الماعز والعجول التى بلغت درجة من التقدم والرقى قبل الفتح العربى^(٥).

وتحفل مدينة قفط بتربية الماشية والأغنام والماعز منذ فجر الإسلام ، وكان يقوم بتربيتها القبائل العربية القاطنة إقليم قفط ، وقد شاعت حرفة دباغة الجلود فى كثير من المدن المصرية وفى جهات متفرقة من البلاد ، ومن أوراق البردى يمكن الاستدلال على أسماء بعض الدباغين فى مدينة إدفو بالصعيد الأعلى، فمن هؤلاء كان يزيد الدباغ حيث ورد اسمه فى عقد زواج مؤرخ فى صفر ٢٣٣ هـ، كما ورد ذكر صاحب منزل يدعى سواد بن بقونس الدباغ فى عقد بيع مؤرخ فى ذى القعدة سنة ٢٣٩ هـ ، وهو على جلد أحمر^(٦).

(١) جروهمان : أوراق البردى ، ج ٦ ، ص ١٠٠ ، السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص ٣٧٧.

(٢) جروهمان : المصدر السابق والجزء ، ص ١١١.

(٣) Lane- poole : A history of Egypt in the Middle Ages; p.150

(٤) Johnson : Byzantine Egypt, pp. 118-120 .

(٥) ابن عبدالحكم : فتوح مصر ، ص ١٨٩-١٩١ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٥٥.

(٦) جروهمان : أوراق البردى ، ج ١ ، ص ١٤٧.

وقد عرف الدباغون منذ فجر الإسلام طريقة صبغ الجلود بالألوان التي يرغبون فيها، فمنها كان للون الزيتي، والبنفسجي والأصفر، والأسود، حيث كان هؤلاء يقومون بغسل الجلود بالماء وعصرها جيداً ثم شدها بعد إضافة شئ من الزاج في الماء أو البقم، أو بماء الأهلج الأصفر وغير ذلك من المواد بحسب لون الجلد المراد عمله، فكانت تطلّى بها الجلود ثم تغسل بعد ذلك لتصبح صالحة للاستعمال^(١).

وقد اشتهرت مدينة قفط وإقليمها بصناعة الأدوات والمصنوعات الجلدية ومنها السروج^(٢) والغرايل واللجم^(٣) ويبدو أن أهالي المدينة كغيرهم من المصريين في أوائل القرن الرابع الهجري عملوا على اكتساب ومعرفة صناعة بعض أنواع الجلود من الزنوج^(٤).

اهتم أهالي قفط بصناعة السروج لتغطية الدواب ، حيث كانت هي وسيلة الاتصال بين أنحاء المدن المختلفة لذا ازداد الطلب على السروج ، ولعل مدينة قفط كانت توجد بها دواب مسرجة لموقعها على طريق الرحلة والحج، وكان الأهالي يقومون بتأجيرها مثلما كان يحدث في مدينة الفسطاط، وتشير إلى ذلك ما أوضحه ناصر خسرو حيث قال : إن أهل السوق وأصحاب الدكاكين ، يركبون الخمر المسرجة في ذهابهم وإيابهم من البيوت إلى السوق ، وفي كل كورة على رأس الشوارع حمر كثيرة عليها براذع مزينة ، يركبها من يريد نظير أجر زهيد وقيل أنه يوجد خمسون ألف بهيمة مسرجة كل يوم وتكرى ويركبها أيضا التجار القرويون وأصحاب الحرف^(٥).

(١) السهد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص ٣٦٨ .

(٢) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٦٤ .

(٣) فوزي عباس : الحالة الاقتصادية في مصر العليا ، ص ٩٣ .

(٤) الأصطخري : المسالك والممالك ، ص ٥٤، ٥٥ ، المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٣، ١٨٠ ، آدم متر :

الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج ١ ، ص ٣٣٣ .

(٥) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٦١-٦٦ .

كما راجت صناعة الروايا^(١) من جلود الماعز وغيرها من الأغنام وكانت حرفة السقائين من الحرف الشائعة في مدينة قفط ، وفي غيرها من قرى ومدن الإقليم، وكان الحمالون أو السقاعون يحملون الماء في هذه الروايا أو القرب من النيل إلى المنازل^(٢).

ولاريب أنه منذ بداية الفتح الإسلامي كانوا يستخدمون بعض أنواع الجلود كالماعز بعد تجهيزها في كتابة العقود وغيرها من أغراض الكتابة، كما تم استخدام الجلود في مدينة قفط في أعمال للتجليد والمخطوطات^(٣).

وهناك بردية تشمل عقد بيع مؤرخ سنة ٢٣٩هـ مكتوب على جلد يرجع إلى مدينة إدفو وهو عبارة عن عقد بيع لمعصرة زيت لأحد الأشخاص " معصرة النصر الزيات " ورد على قطعتين من الجلد عليهما بالمدينة المذكورة^(٤).

وكان أهم مايصنع من الجلود في مدينة قفط النعال أو الأحذية ، وتشير أوراق البردى إلى صناعة وإصلاح النعال الخفтан بالمدينة وغيرها من مراكز الصناعة ، فقد ورد في إحدى الأوراق ما يفيد قيمة نعل في حزام بما يساوى درهم ، وفي بردية أخرى إشارة أخرى ثمن زوجي خفاف أو قيراطاً ونصف القيراط^(٥)، وهكذا كانت الأثمان تختلف بحسب صفة تلك الأخفاف^(٦).

(١) الروايا : وهى القرب التى تصنع من جلود الأغنام وتستخدم فى حمل الماء بعد ملئها من النيل إلى المنازل ، ويصعدون الدور كل طبقة بنصف دانق ، السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص ٢٧١.

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٩٢ ، ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٦١ .

(٣) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص ٢٧٣ .

(٤) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

(٥) ورد ذلك فى قائمة بثياب مختلفة وألوان أخرى مثل الأخفاف وهى ترجع إلى القرن الثالث الهجرى .

جروهمان : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ٩٩ ، ٩٠ .

(٦) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٦ ، ص ١١٣ .

ومن أسماء هؤلاء المشتغلين بصناعة النعال والأحذية بمدينة قفط
والتي وردت منها للشاهد قبر من للصعيد الأعلى في سنة ٢٨٠هـ / مايو
٨٩٣م يقرأ عليه لفظ الحذاء^(١)، كما يحتفظ متحف الفن الإسلامى بلوح من
الخشب عليه كتابة محفورة ترجع إلى حوالى سنة ٣٠٠هـ باسم معاذ ويكنى
إباطالب عتيق بن عبدالله الحذاء^(٢).

وقد اشتهرت مدينة قفط بصناعة الكثير من الأدوات مثل عمل
الحقائب ، وبعمل الأنطاع أيضاً من الجلود التي كانت تصدر منها إلى
الفسطاط ثم إلى بلاد الشام ، ومن الذين كانوا يعملون بصناعة الأنماط كما
ذكر أبو الحسن القفطى في ترجمته لصالح بن عادى العنرى الأنماطى ، وقد
كان نزيل مدينة قفط ، واشتهر بهذه الحرفة^(٣) ، وكانت حرفة الأنماطيين من
الحرف الشائعة في هذه المدينة ، حيث كانت كل ربة بيت تحتفظ في بيتها
على الأقل بجلد حيوان مزخرف بزخارف جميلة يفرش على المائدة لتناول
الطعام عليها ، وكان إعداد مثل هذه الجلود لهذه الغاية يشكل إحدى
الصناعات الجلدية في أسواق مدينة قفط^(٤).

استخراج المعادن والأحجار الكريمة :

دلت الأبحاث أن القدماء المصريين استغلوا مناجم ومعادن مدينة قفط
والصعيد الأعلى منذ وقت بعيد، وقد وجد الذهب قديماً بالإقليم، وكانت
الطريقة لاستخراجه من خامات بسيطة وتتلخص في غسل الرمل والحصى
بالماء الحار عند وجود خاماته الطفلية حيث يحمل الماء معه المواد الخفيفة
تاركاً حبيبات الذهب الثقيلة التي كانت تجمع وتصهر وتتكون منها الكتل

(١) wiet : Steles Funeraires, Tom b, No 1337 .

(٢) حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ، ج ١ ، ص ٤٢٢ .

(٣) الإدريسي : الطالع السعيد ، ص ٢٦٨ .

(٤) سعد الخادم : الصناعات الخشبية في مصر ، ص ٨٦ .

الصغيرة ، ومنذ القدم كانت مصر تعتمد على بعض المعادن التى كانت تستخرج من المناجم المصرية^(١)، ويذكر حونسون JOHNSON بعد دراسته الوثائق العديدة فى العهد البيزنطى أن كلا من الذهب والفضة اللذان استخدما فى العملة ، وفى الفنون كانت تستخرج من مدينة قفط وقراها^(٢)، وعلى هذا يمكن القول بأن الصناعة المعدنية فى مصر قبل الفتح العربى قامت على أساس مايمكن استخراجه من هذه المعادن بجانب المواد الأولية الأخرى التى تأتى بها التجارة من جهات مختلفة ، والأخشاب والأحجار الكريمة التى تصنع بالديار المصرية ثم تصدر^(٣).

مناطق استخراج الزمرد^(٤)

كان الزمرد الموجود فى شرقى النيل بمدينة قفط معروفاً منذ العصور القديمة^(٥)، وبعد الفتح العربى لمصر، أقبل العرب على استغلال مناجم معدن الزمرد^(٦)، بالقرب من قفط، وأوضح ذلك اليعقوبى على وجود معدن الزمرد بها عندما قال " أن معادن الزمرد وتقع فى حمل الصعيد الأعلى من أعمال مدينة قفط^(٧).

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٢ ، ١٩٨ ، ١٨٠ .

(٢) Johnson : Byzantine Egypt Economic Studies; pp 146-116

(٣) Johnson : Op.cit ., pp. 144-146:

(٤) الزمرد والزبرجد : اسمان يترادفان على معنى واحد ، الجاحظ : التبصر بالتجارة ، (الطبعة الأولى ، ١٩٣١م) ص ٢٢ البيرونى : الجماهر فى معرفة الجواهر ، ص ١٦٠ ، ووصف لنا التيفاشى طريقة استخراج الزمرد من مناجمه إذ يقوم العمال بالحفر فيجدون الزمرد على هيئة عروق فى تربة حمراء ليثة ، وربما وجد العرق منه متصلاً فيقطع وهو من أجود أنواعه ، أما النوع الصغير من الزمرد فيقوم العمال بالبحث عنه تحت التراب الذى يوجد فيه الزمرد - أزهار الأفتار ، ص ٨٠-٨١

(٥) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٢ ، ص ١٧٢ .

(٦) الجاحظ : التبصر بالتجارة ، ص ٢٧ .

(٧) اليعقوبى : البلدان ، ص ٣٣ ، المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٣-٢٤ .

وحدد السيعقوبى المواضع التى قام المصريون باستخراج معدن الزمرد منها فيقول " فهو على بعد ثمانى مراحل من قفط ، يستخرج من جبالين عُرف أحدهما بالعروس والآخر بالخصوم^(١)، كما يصف المسعودى طريقة استخراج الزمرد ، حيث كان العمال يحفرون عليه فى الجبل، فيجدونه على شكل عروق خضر فى تجاويف الأحجار البيضاء^(٢)، ويتم إخراجها واستخلاصه على هيئة قطع صغيرة كالحصباء منبثة فى تراب المعدن ، وكان عمال مناجم الزمرد ينخلون التراب ثم يوجد خلاله فيغسل كما يغسل رمل التبر^(٣).

وكان الماء بعيداً عن موضع الزمرد مسيرة نصف يوم أو أكثر فى واد تتجمع فيه مياه الأمطار يعرف باسم غدير أعين ، حيث يتم نقل الماء من هذا الوادى إلى موضع تعدين الزمرد ، وهناك جماعات من أهالى قفط الذين يعملون باستخراجه ينزلون حول موضع الزمرد قريباً منه حيث تقوم بحفظه خفارته^(٤) ، ويحمل إلى قفط ثم ما يلبث أن يصدر إلى أسواق الفسطاط ، وقد كانت لأهميته أنه أصبح من أهم موارد الثروة فى هذه المدينة^(٥).

كما كان الزمرد القفطى له شهرة عظيمة فى الأسواق الخارجية ، وكان يحمل منها إلى سائر الأنحاء، وكان يستخرج الزمرد من مناجم له على

(١) السيعقوبى : البلدان ، ص ٢٢٢ ، والمرحلة : مسيرة يوم وتقدر بخمسة وأربعين إلى ستين كيلومتر يسير الإبل المحملة • عبدالعال عبدالمنعم الشامى : الصحارى المصرية فى العصر الوسيط ص ١٥٤ .
(٢) المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢، ص ٢٣-٢٤ . ويذكر أن الزمرد كمعدن ينقسم إلى أربعة أنواع تبعاً لأوصافه فمنها النوع الذى يعرف بالمرء وهو أعلاها ، والنوع الثانى البحرى ، والثالث المغربى ، أما النوع الرابع فقد عرف باسم المكى ، ومبلغ العدسة منه عشرة دنانير ، وكان الزمرد المصرى ينافس الزمرد الهندى.

: مروج الذهب : ، ج ٢، ص ٢٤ . بينما يذكر التيفاشى أصناف الزمرد أربعة الزباني ، والريحاني ، والسلقى ، والصابونى ، أزهار الأفكار وجواهر الأحجار ، ص ٨٢ .

(٣) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص ١٤٧ .

(٤) المقرئى الخطط ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

(٥) Johnson : Op – Cit. 110-111.

مسيرة سبعة أيام من مدينة ققط^(١) ، كما بلغ من أهمية معدن الزمرد فى مدينة ققط أن كان له موضع خاص يوجد فيه شهود وكتاب، يقوم العاملین فيه بالانفاق على العمال الذين يستخرجون المعدن^(٢)، فكان يجمع ما يستخرج منه ويحمل من مدينة ققط إلى الخزائن السلطانية بالقسطاط فيحجر منه ما يرغب فيه ، والباقي يباع حيث يحمل إلى شتى البلاد^(٣).

معدن التبر (الذهب) :

كان استخراج التبر من مناجم بالصحراء الشرقية، معروفاً منذ القدم، كما كان يوجد فى مناطق شاسعة بين وادى النيل والبحر الأحمر، وقد استنفذ المصريون القدماء الجزء الأكبر من مناجمه^(٤) حتى أنه كان أهم واردات مدينة ققط منذ العصر البيزنطى^(٥).

وهناك من يرى أن الفضة والذهب اللذان استخدما خاماتهما فى سك النقود منذ العصر الأموى، وكانت تضرب فى دور الضرب بمدينة ققط^(٦)، بلدة دندرة^(٧) ثم قوص فى العصر الفاطمى^(٨).

كما يعتبر الذهب من أهم المعادن التى جذبت أنظار القبائل العربية إلى إقليم ققط، التى سعت وراء المكاسب العاجلة^(٩)، وقد جذب أنظار الكثير من المغامرين وطلاب الثروة الذين سمعوا بوجوده فى إقليم ققط^(١٠)، وتحدث

(١) الإدريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر، ص ٢٢، القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٣، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٥٩، المقرئى، الخطط، ج ١، ص ٢٢٢.

(٣) القلقشندي المصدر السابق والجزء والصفحة، المقرئى : المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٤) سليم حسن : مصر القديمة، ج ٢، ص ١٩١-١٩٢.

(٥) Johnson : Ibid . p146 .

(٦) محمد أبو الفرج العس : مصر والقاهرة على النقود العربية الإسلامية، أبحاث الندوة العلمية الدولية، لألفية القاهرة، ص ٩٤٢، ٩١٢، ٩١١-٩٤٨.

(٧) محمد أحمد محمد : المنيا فى العصر الإسلامى، رسالة ماجستير، ص ١٥٤.

(٨) محمد باقر الحسينى : مدن الضرب على النقود الإسلامية، المسكوكات، العدد ٥١، سنة ١٩٧٤، ص ١١٣.

(٩) Saleh : les migration Sou Mayen Age; p.10.

(١٠) المسعودى : مروج الذهب، ج ٢.

كثير من الرحالة والمؤرخين المسلمين عن معدن التبر حيث أشاروا إلى مناطق وجوده بمصر، خاصة ما يعرف بوادى العلاقى^(١)، وكذلك مدينة قفط التى كانت مصدراً للذهب^(٢).

كما يشير المسعودى^(٣) إلى وجود معدن الذهب بكثرة فى منطقة تسمى الخربة على بعد سبعة أيام سيراً على بالإبل من قفط، حيث ينتشر المعدن فى المنطقة بين كورسكو البحر الأحمر بينما يذكر اليعقوبى^(٤) عدداً كبيراً من المناجم التى يوجد بها معدن الذهب، وتنتشر هذه المناجم خلال ثلاثة طرق، يبدأ الأول من أسوان، والثانى يبدأ من قفط، والثالث يبدأ من عيذاب^(٥).

وقد وصف لنا الإدريسى^(٦) طريقة استخراج المعدن، فذكر " أنه فى أوائل ليالى الشهر العربى، وأخره " وهى أكثر الفترات إظلاماً لانعدام ضوء القمر " يتجول طلاب الذهب خلال رمال الصحراء ليلاً بحثاً عن المعدن، الذى يصدر منه لمعان فى للظلام يشير إلى أماكن تواجده، فيعلم كل شخص عن المكان الذى عثر فيه على التبر بعلامة يعرفها، ويبقى هناك ليلة، فإذا

(١) كانت بلدة العلاقى على النيل، وقد اختلف فى تحد اتسام وعمران هذه البلدة فيذكر اليعقوبى " أنها المدينة العظيمة، لكثرة مايجتمع بها من طلاب المعادن والحركة فى التجارة الدالبة، وانتشار الأسواق بها: اليعقوبى: كتاب البلدان، ص ٢٢٤، ويصفها الإدريسى من بعده " بأنها كالتربة الجامعة لكثرة من يزورها طلباً للذهب، الإدريسى: صفة المغرب وأرض السودان ومصر، ص ٢٦.

(٢) اليعقوبى: كتاب البلدان، ص ٢٢٣-٢٢٥، المسعودى: مروج الذهب، ج ٢، ص ١٨٠ ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٥٦، الإدريسى: صفة المغرب وأرض السودان ومصر، ص ٢٦، العمري: المسالك والممالك، ص ١٧، ابن دقماق: الانتصار، ج ٥، ص ٣٤-٣٥، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ٢٨٦.

(٣) مروج الذهب: ج ٢، ص ٢٣، آدم متر: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ج ٢، ص ٢٢٢

(٤) البلدان، ص ٢٢٣-٢٢٥، المسعودى: المصدر السابق والجزء، ص ١٨

(٥) اليعقوبى: البلدان، ص ٢٢٤-٢٢٥، الأصبغى: المسالك والممالك، ص ٣٥، سيدة كاشف: مصر فى فجر الإسلام، ص ٢٧١.

(٦) صفة المغرب وأرض السودان، ص ٢٦

أصبحوا عمد كل واحد منهم إلى المنطقة التي وضع فيها علامته ، فيستخرج التبر من بين رمالها ثم يحمل إلى الآبار ، فيغسل من الرمال العالقة به ثم ليؤلف بالزئبق، ويسبك بعد ذلك، ويتبايع الطلاب فيما بينهم ما استخرجوه ثم يحمله التجار إلى سائر الأقطار، ومما لاشك فيه فإن عملية استخراج الذهب لم يقتصر على أبناء القبائل العربية الذين كانوا لا يعملون في شئ سواه^(١)، إنما كان لتجار الذهب عبيداً يظنون في المعادن ليس لهم عمل إلا استخراج الذهب^(٢)، وبعد استخراجه كان يتم حمله إلى المدن الكبرى ليتم بيعه للتجار الذين يقومون بدورهم ببيعه في البلدان الكبيرة ، وقد راجت تجارة الذهب تبعاً لرواج مظاهر الحياة الاجتماعية والترف في البلدان المصرية^(٣).

كما كان الياقوت يوجد بجبل زبارا ، كما كان من بين المعادن النفيسة التي أشار إليها HELIORORUS من معرض حديثه عن المناجم والحفائر التي كان يعمل بها المصريون خلال القرن الرابع الهجري ، ويتم استخراجها من مناجم الذهب التي كانت تقع في المنطقة الممتدة بين قفط وساحل البحر الأحمر^(٤)، وفي العصر الفاطمي راجت عملية استخراج الذهب في إقليم الصعيد الأعلى بصورة مذهلة ، فقد أمدت البلاد الفاطمية بكميات كبيرة من الذهب^(٥).

(١) رضوان الجنالي : القبائل العربية في مصر ، ص ١١٦ ،

Hassan : the Arabs and the Sudan ; p.57.

(٢) Hassan : OP-eit. Pp.57 – 58.

(٣) حورية عبده سلام : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة القسطنطينية في العصر الفاطمي ، رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ١٤٦ .

(٤) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص ١٤٨ .

(٥) المقرئزي : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٣٥ ، محمد سميع عافية : التعدين في مصر قديماً وحديثاً ، (القاهرة ١٩٨٥ م) ، ص ٩ .

صناعة الحلى والجوهر :

تشهد المتحف الذهبية التي وصلت إلينا من مصر الفرعونية بحذق الصائغ المصرى ومهارته الفائقة ، فقد نجح هذا الصائغ فى طرق الذهب إلى أوراق غاية فى الرقة كان يستعملها فى تزيين الأثاث المصنوع من الخشب أو فى طلاء المتحف النحاسية والفضية، وفى السنوات الأخيرة جرى بمصر اكتشاف فى بعض القطع من الحلى الثمينة التى ترجع إلى العصر البيزنطى، منها عقود رائعة من الذهب تتوسطها أنواط تحمل صورة الأباطرة، ومنها خواتم وأساور وخلائيل ، تدل على مهارة الصياغ وذوقهم الفنى^(١).

أنتج الصناع والصاغة فى مدينة قفط من أنواع الحلى من العقود والخواتم والأقراط الذهبية ما هو محفوظ فى المتحف القبطى وغيره من المتاحف المصرية ، يدلنا على ذلك فيما يحتفظ المتحف القبطى وهى عبارة عن مجموعة من أقراط مصنوعة من الذهب على شكل عناقيد ، وعثر بدير القصير ومدينة هابو بالصعيد الأعلى أيضاً على مجموعة من أدوات الزينة مصنوعة من الفضة والبرنز وتشمل أساور وخلائيل وأقراطى وخواتم وقنينات للعطور وغير ذلك من أدوات الزينة والحلى^(٢).

وقد استمر الصناع الأقباط فى عصر الولاة فى صناعة الحلى والجواهر الكريمة فى مدينة قفط وما تزينت به المرأة وذلك بوضع القرط الدائرى الواسع فى أذنيها أو أقراط على شكل عقود العنب ، وتزين معصمها بأساور سميكة تنتهى برأس حية من كل ناحية ، وبعضها كان مبروما ينتهى برأس حية من كل ناحية ، وبعضها مبروما ينتهى برأس حية من طرف ونيلها من الطرف الآخر ، وكان بعض حلليها الذهبية مرصعاً بالجواهر

(١) Johnson : Economic Studies; p.116-117

(٢) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص ١٦٨ ، ١١٨ . Johnson : OP- cit .

الكريمة كما كانت تصنع عقداً ذهبياً اشبه " باللبة " المعروفة الآن بمصر^(١).

ومما لا شك فيه أن وفرة أنواع الأحجار الكريمة من الزمرد والزبرجد والياقوت وما كان يستخرج منه في مدينة قفط وساحل البحر الأحمر بالقرب من عيذاب^(٢) كانت من أهم أسباب تقدم صناعة الجواهر والمجوهرات في مصر الإسلامية^(٣).

كما ازدهرت صناعة الحلى فى قرى ومدن إقليم قفط وبصفة خاصة بلدة دشنا^(٤)، ونظراً لأهمية هذه الصناعة فرضت الدولة عليها رقابة شديدة من جانب المحتسب، فقد كان يأمر الصائغ بالأمانة فى صناعته وعدم الغش فيها، كما يعاقب الصائغ الغشاش بالشهير به^(٥).

ومما يدل على اشتغال أهالى قفط بالصناعات المعدنية ما عثر عليه من شواهد القبور التى تحمل أسماء هؤلاء العمال، فقد اشتملت على أسماء لبعض الصناع الذين يقومون ببيع الحلى المعدنية الذهبية منها الفضة كالشاهد الذى كشفت بالصعيد الأعلى، مؤرخ بتاريخ النصف الأول من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى باسم بانسيه ابنة زكريا بن يحيى الصائغ، وشاهد آخر بتاريخ ١٥ جمادى الآخر سنة ٣٨٤هـ - ٢٧ يوليو سنة ٩٩٤م باسم محمد بن على بن سراب ابن أحمد بن راود بن سليمان الصائغ^(٦).

(١) محمد عبدالعزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الإسلامية فى مصر قبل الطولونيون، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٤)، ص ١٠٨، ١٠٩ Johnson: Ibid., pp. 117-118

(٢) عطية القوصى: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ص ١١٦، فريد الشافعى: العمارة العربية فى عصر الولاة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٢٠م ص ٥٣٥،

(٣) السيد طه أبوسديرة: الحرف والصناعات، ص ١٢٠.

(٤) على مبارك: الخطط التوليفية، ج ١١، ص ١٢٠.

(٥) الشيرزى: نهاية الرتبة، ص ٢٢-٢٨.

(٦) من شواهد القبور التى تدل دلالة قاطعة على انتشار الصناعات المعدنية من الذهب والفضة والتى عثر عليها محفوظة فى المتهد الفرنسى للأكار الشرقية بتاريخ سنة ٣٦٥هـ - سنة ٩٧٦م باسم هبة بنت على بن عبدالله بن شبيب الصائغ، وهناك شواهد محفوظة فى المتحف البريطانى، كشفت فى الإقليم =

كما تقدمت صناعة الحلى وعملها من المعادن الثمينة والأحجار الكريمة خلال العصر الفاطمي ، فكانت أدوات كثيرة من المصنوعة من الذهب تحلى بمختلف أنواع الجواهر والياقوت والزمرد ، وقد استخدم الذهب والفضة في تحلية السروج والسيوف ، والمصاحف والتذهيب ، كما كانت الملابس الفاخرة يدخل في صناعتها مقادير من الذهب والفضة تختلف تبعاً لقيمة الثوب والشخص المصنوع له وكان جل اعتمادهم على الذهب والزمرد المستخرج من مدينة قفط ^(١) ، وقد أخرج من خزائن الخيم الفاطمية من الأعمدة الملبسة أنابيب الفضة والثياب الذهبية وغيرها ^(٢) .

****الصناعات المعدنية والحرف الأخرى:-**

ومن الحرف الهامة التي اشتغل بها أهالي مدينة قفط حرفة الحدادة ، والحداد هو معالج الحديد، وصانع الأدوات الحديدية من سلاح ودروع وسهام وغيرها ، والحدادين في المدن الكبرى سوق خاصة بهم تجمع حوانيتهم ومصانعهم ^(٣) .

كما أشارت شواهد القبور المكتشفة في الصعيد الأعلى إلى أسماء بعض الحدادين فهناك شاهد قبر ، يرجع إلى القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي باسم بهرة ابنة اسماعيل بن عبدالله بن اسماعيل الحداد ^(٤) ، وقد

= الأول بتاريخ ٨ رمضان ٣٣٢هـ / ١٢ مايو سنة ١٠٤١م باسم هارون بن يحيى الصانغ ، والشاهد الثاني بتاريخ صفر سنة ٤٥٥هـ / سنة ١٠٦٣م باسم بركة ابنت حسين ابن رزق الله بن علي بن الحسين بمن داود الصانغ ، حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠٢ .

(١) زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص ٢٤٨ .

(٢) زكي محمد حسن : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ ، ٢٦٢ .

(٣) حسن الباشا : الفنون الإسلامية ، ج ١ ، ص ٤٢١ ، ٤١٨ .

(٤) حسن الباشا : المرجع السابق والجزء والصفحة .

فرضت الدولة على أصحاب حرفة الحدادة أحكام الحسبة ، لمنع غش الحديد، وعدم غشها بالحديد القديم (١).

ومن الأسماء التى اشتهرت بحرفة الحدادة فى عصر الإخشيديين أيضاً ، كان أبوبكر محمد بن محمد بن جعفر الكتانى المعروف بابن الحداد، وقد أخذ العلم عن اللقال المروزى (أى صانع الأقفال الحديدية) ، وكان من الأئمة الكبار وقد توفى ابن الحداد سنة ٣٤٤هـ بالفسطاط وكان أجداده وأباؤه يتوارثون هذه الحرفة فنسبت إليهم (٢).

الصناعات الخشبية :-

اشتهرت مدينة قفط بإنتاج الأخشاب (٣)، لما كان له أكبر الأثر فى الصناعات الخشبية فى الإقليم ، وقد مهر المصريون منذ عهد الفراعنة فى الصناعات الخشبية على الرغم من قلة الأخشاب الصالحة للنقش عليها فى مصر ، فكانت الأنواع الموجودة فيها مثل أخشاب شجر السنط لاتصلح إلا لأعمال النجارة البسيطة (٤) ، لذا استوردت مصر الأخشاب اللازمة لصناعة الأثاث والحفر عليها من الأقطار المجاورة لها كأشجار الأرز والصنوبر (٥).

(١) الشيرزى : نهاية الرتبة ، ص ٧٩ .

(٢) كما تحمل الشواهد الجيرية اسم محمد ابن طالب بن محمد الحداد مؤرخ سنة ٣٢٢هـ ، وشاهد آخر من عصر الإخشيديين يحمل اسم أحمد بن حماد الحداد ويرجع تاريخ وفاته إلى صفر سنة ٣٥٢هـ ، السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص ١٥٢ .

(٣) المقرئزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٦٠-٦٥ ، عبدالمعظم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

انتشرت فى مصر أشجار السنط والجميز والليخ والنبيق وأشجار النخيل ، وكانت تستعمل الأخشاب المأخوذة من هذه الأشجار فى الأغراض المختلفة . عطية القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص ١٢٣ .

(٤) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٢٦٣ .

(٥) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص ١٩٧ .

أولاً : صناعة الأثاث :

استخدم أهالى مدينة قفط وقراها الأخشاب فى عمل أثاث البيوت^(١)، وقد ورث الأقباط أسرار هذه الصناعة من أجدادهم الفراعنة، فلعبت الأخشاب ذات الزخارف المحفورة دوراً كبيراً فى أثاث الكنائس والأبنية القبطية وزخرفتها على الرغم من عدم استعمال الخشب فى المساجد الإسلامية بالصورة التى كانت ضرورية فى زخرفة الكنائس، فلم يستعمل الخشب بالمسجد إلا فى السقوف والأبواب والمنابر^(٢)، كما كانوا يستعملون الأخشاب فى عمل السواقي والنوارج^(٣) والآلات الرافعة للماء^(٤) وكذلك الطواحين^(٥) والمحاريث وأسقف المنازل البسيطة والأدوات المنزلية اللازمة لحياتهم العادية^(٦) وعمل معاصر السكر التى كثرت صناعته فى مدينة قفط وسمهود^(٧)، وصناعة الأنوال والمغازل المستخدمة فى صناعة المنسوجات بمدينة قفط ودشنا^(٨).

وهكذا اشتهر إقليم قفط بحرفة النجارة ، وقد أشارت شواهد القبور الذين اقترنت أسماءهم بلفظ نجار ففى شاهد قبر مؤرخ ٢٦ رجب سنة ٢٢٧ هـ / ١١ مايو سنة ٨٤٢م باسم بلال بن نادى النجار ، وشاهد ثان بتاريخ

(١) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٤ ، ص ١٨٢ ، ج ٥ ، ص ١١ .

(٢) زكى محمد حسن : الفن الإسلامى فى مصر ، ج ١ ، ص ٩٢ .

(٣) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٤ ، ص ٨٢ ، ج ٥ ، ص ١١ .

(٤) مثل الساقية والشادوف والعمالية .

(٥) الطواحين : كان كثير من الأهالى يطحنون فى منازلهم بوسائل بدائية ، ولكن كانت هناك مطاحن مملوكة للأفراد من المسلمين والأقباط ، يطحنون بها لعامة الأهالى وتدار هذه الطواحين بالدواب ، وكانت غالباً من الأبقار ، وكان فى الطحين عمال يشرفون على عملية الطحن ، وإعادة القمح إلى أصحابه دقيقاً ووزنه قبل الطحين وبعده ، ومع هذا كانت عملية الطحن هذه تنتابها عمليات الفش وعدم الأمانة وقلة النظافة . ابن الحاج : المدخل ، ج ٤ ، ص ١٥٥-١٦٢ .

(٦) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٧١ .

(٧) الإدڤوى : الطالع السعيد ، ص ١٣ .

(٨) على مبارك : الخطط التوليفية ، ج ١١ ، ص ١٤ .

٢٠ ذى الحجة سنة ٢٥٣هـ / ٢١ ديسمبر سنة ٨٦٧م^(١) باسم ربيعة بنت محمد النجار ، وشاهد ثان بتاريخ ٣ شوال سنة ٤١١هـ / ٢٠ يناير سنة ١٠٢١م باسم مكية بنت إبراهيم بن علي بن محمد ابن رمضان النجار ، وشاهد رابع مؤرخ بتاريخ جمادى الآخر سنة ٤٢٢هـ باسم محمد بن علي بن ابراهيم بن رمضان النجار^(٢) ، وهذه الشواهد التي تدل دلالة قاطعة على انتشار حرفة النجارة وصنع الأثاث في مدينة قفط وقراها.

ثانياً : صناعة السفن :-

كما اشتهرت مدينة قفط بصناعة السفن بها فكانت تصنع بها المراكب ثم تنقل إلى نهر النيل أو ساحل البحر الأحمر ثم يعاد تركيبها وتجميعها مرة أخرى^(٣)، مما يدل على اشتغال أهالي قفط وقراها بصناعة السفن والمراكب التي يمتلكها الأهالي وخاصة القوارب والمراكب النيلية ، فقد ورد في خطاب خاص بدفع أموال أن أحد التجار عمل على تأجير قارب من صاحبه يدعى صدقة الإسناوى ويرجع تاريخ ذلك الخطاب إلى القرن الثالث أو الرابع الهجرى^(٤).

حرفة البناء :-

كما اشتهر إقليم الصعيد الأعلى ومدينة قفط بحرفة البناء وفن العمارة، فكانت العمارة والفن في مصر الإسلامية عظيماً في مقداره ،

(١) حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ج ٢ ، ص ١٢٦٩ ، ١٢٦٨

** كما كانت شهرة البنائين القبط كانت ذائعة الصيت بلاد شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى أنه لما أعادت قرش بناء الكعبة قبل الإسلام استعانت في ذلك بنجار قبطي كان يسكن مكة ، وبتاجر بيزنطي اسمه بالوم كان البحر قد عصف بسفينته القادمة من مصر ، فحطمت في ثمر جدة ، وهاون النجار القبطي والتاجر البيزنطي في بناء الكعبة وكان أثرياء مكة يسجلون إلى النجار القبطي لعمل ما يحتاجونه من الأدوات الخشبية ، زكى محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية ، ص ٤ .

(٢) Wiet : Steles Funeraires Catalogue du Mussee Arab Tom 6 ; p.107

(٣) زكى محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية ، ص ١٠٧ ، الفن الإسلامى فى مصر ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٤) السيد طه أبوسديرة : الحرف والصناعات ، ص ٢٣١ .

ونوعه بل لا يوجد له نظير فى سائر الأقطار الإسلامية فقد بنى العرب المدن والدور والمساجد والمستشفيات (١) .

كما قامت على أكتافهم أهم العمائر الإسلامية فى العصور الأولى للإسلام ، فقد كان من الطبيعى ألا يعرف العرب فى الجاهلية شيئاً يذكر العمارة ، حيث كان أكثرهم قوماً رحلاً متنقلين ، والحضر منهم أو أهل المدن كانوا يسكنون فى بيوت من الطوب اللبن أو الأجر لا يمكن أن تكون نواة لما بلغته العمارة الإسلامية ويرجع الفضل الأكبر فى ارتقاء فن العمارة وازدهارها فى مصر إلى سكان مصر الأقباط (٢) ، فقد شيد الأقباط كثيراً من الأبنية والكنائس، وتشهد بقايا بعض هذه الكنائس التى انتشرت فى قفط وإسنا وطيبة (٣) .

وكما تقلد البنّاءون المسلمون التقاليد الفنية المعمارية التى انتشرت فى مصر القبطية (٤)، ولكنهم لم يقفوا عند هذا الحد ، بل طوروا مهنتهم من حيث الفن والصناعة ، مما أدى إلى جودة البناء وجماله خاصة فى بناء المساجد وزخرفتها ، كالجوامع العمرية فى قفط ، دندرة ، دشنا وإسنا وأسوان وإدفو الذى أنشئ سنة ٤٦٩هـ / ١٠٧٧م (٥) ، وتعتبر مئذنة هذا الجامع من أقدم المآذن المدرجة فى مصر ، كذلك أنشئ فى مصر العليا مسجد أصفون بمركز المطاعنة بإسنا وجامع مدينة قفط (٦) .

(١) زكى محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية ، ص ٩-١٠ ، الفن الإسلامى فى مصر ، ج ١ ، ص ٥٢

(٢) زكى محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية ، ص ٩٦ .

(٣) زكى محمد حسن : المرجع السابق ، ص ٧-٨ .

(٤) سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ .

(٥) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، ج ١ ، ص ٦٦ ، سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها

المالكون ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .

(٦) سعاد ماهر : محافظات الج ٠ م ٠ ع ، ص ٣٣ .

حرفة الزخرفة :-

وقد ارتبطت حرفة الزخرفة بالعمارة والبناء ، حيث كان النقاشون والمصورون يعملون في تجميل الجدران في داخل الأبنية ، كالتجميل بنقوش الفسيفساء ، التي احتفظ الأقباط بأسرارها^(١) ، كما ارتبطت بصناعة البناء حرفة نقر الحجر وتسويته وتشكيله ، ليصلح للبناء^(٢) ، وقد وصلنا أسماء بعض النقارين عن طريق الكتابات الأثرية الجنائزية ، ففي متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، شاهد قبر من إقليم قفط يحمل هذه الصيغة ، باسم عزيزة بنت علي بن الفضل النقار^(٣) .

رابعاً النشاط التجاري في مدينة قفط :-

مثل النشاط التجاري أهمية كبرى في مصر في العصور الإسلامية لأن التجارة كانت عصب الاقتصاد القومي ، وإحدى الدعائم القوية التي قامت عليها الحضارة الإسلامية^(٤) ، وقد تطلب كل من النشاط الزراعي والصناعي ، التي اشتهرت به مصر نشاطاً تجارياً أيضاً ، مما ترتب عليه نشاط التجارة في هذه البلاد. وكان من الطبيعي في بلد زراعي كإقليم قفط أن يقوم الأهالي بتصريف فائض إنتاجهم سواء داخل القرية ، أو في أسواق المدن التجارية المحيطة بهم ، وذلك لإنتاج بعض القرى أنواع مختلفة من

(١) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٦٢

(٢) سيدة الكاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٢٢٨

(٣) حسن الباشا : الفنون الإسلامية ، ج ٣ ، ص ١٢٨٢ . وفي عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك كتب إلى عامله على المدينة وهو عمر بن عبد العزيز يأمره بإعادة بناء المسجد النبوي ، وبعث إليه بمال وفسيفساء ورخام ، وثمانين صائناً من القبط من أهل الشام ومصر ، وكان ذلك في سنة ٨٢ هـ ، وكل ذلك في الواقع ، تقديراً لمهارة المصريين في البناء وفن العمارة ومن ثم كان الاعتماد على جهودهم في هذا الميدان في مصر وخارج مصر في الأمصار الإسلامية الأخرى . سيدة الكاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٢٨٩ .

(٤) Goitein : Documents On the Trade to India, South Arabia, and east Africa from the Eleventh and Twelfth Centuries. P. 1

السلع بحسب نوع تربتها عن القرى الأخرى ، لهذا الغرض أقيمت الأسواق الدائمة فى المدن والأسواق الأسبوعية فى القرية (١).

الأسواق فى المدن والقرى :-

كانت أسواق المدن على وجه الخصوص هى أهم مراكز تسويق المنتجات الصناعية داخليا ، حيث كانت تتم بها عمليات البيع والشراء، وقد اهتم حكام مصر فى العصر الإسلامى الأول بالأسواق وتنظيمها، وقد تأثرت بما كان سائداً قبل الفتح العربى من نظم إدارية واقتصادية، فكانت الأسواق الإسلامية عامة على غرار ماوضعتة الدولة البيزنطية ، وكانت هذه الدولة قد أقامت أسواقها فى المدن التابعة لها حول الميدان أو الكنيسة ، وأنشأت الدكاكين على جانبى الشوارع المختلفة ، وجعلت لكل صنف من أصناف التجارة موضعاً خاصاً (٢) ، كما اشتهرت أسواق مدينة قفط بكثرة منتجاتها التى كانت فى غاية الجودة (٣) ، وكانت لشهرتها بتربية الأغنام والماشية أثراً بالغاً فى شهرتها بصناعة الصوف والمصنوعات الجلدية التى كانت تسوق منها (٤) ، واشتهرت كذلك بأسواقها العامرة (٥) ، ويؤكد على ذلك ما ذكره ياقوت أن الغالب على معيشة أهلها التجارة والسفر إلى الهند وفيها أسواق ، وأهلها أصحاب ثروة (٦) .

وفى العصر الإسلامى ازدهرت التجارة فى قفط ازدهاراً عظيماً ، وراجت رواجاً كبيراً ، وحفلت أسواقها بالبضائع ، وأثرى أهلها ، وأصبحت

(١) نعمة على مرسى : الصعيد الأعلى منذ الفتح العربى حتى سقوط الدولة الفاطمية ، ص ٢٠٣.

(٢) الشيزرى : نهاية الرتبة ، حاشية ، ص ١١ .

(٣) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢١٢ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٨٦ ، جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٦ ، ص ١١١ .

(٤) الإدريسى : صفة المغرب وأرض السودان ومصر ، ص ٤١ .

(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٢ ، ٥٩ ، ٣٥ ، ٣١ .

(٦) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٧ ، ص ١٣٩ .

ممرّاً للرحالة ، والتجارة والحجاج ، وأصبحت مركزاً تجارياً مؤثراً وفعالاً
فى حركة التجارة فى الشرق^(١) ، كما كانت فى كل العصور مفتاح التجارة
خاصة مع البلاد الواقعة على البحر الأحمر وإنها واحدة من الأسواق
الرئيسية بالديار المصرية^(٢) .

ولقد تمركز النشاط التجارى فى الأسواق ، شأنه فى ذلك شأن النشاط
الصناعى ، وكان لكل طائفة من التجار قسم معين يجلسون فيه ، ويستمر
البيع فى هذه الأسواق إلى مابعد الظهر ثم يتناول التجار غذاءهم ، ولا يذهبون
إلى بيوتهم إلا فى المساء^(٣) .

كما اشتهرت مدينة قفط بأسواقها وكانت أسواقها متسعة المرافق
كثيرة الخلق ، لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار اليمنيين والهنود ،
وتجار الحبشة إليها^(٤) ، وكانت مركزاً لوصول ورحيل القوافل الذاهبة إلى
البحر الأحمر^(٥) ، واكتسبت شهرة كبيرة بسبب وقوعها بين ثغر عيذاب
والقاهرة فكانت فى ملتقى طريق الحجاج إلى ثغر عيذاب ، وقد أنشئ فيها
عدة فنادق لإقامة هؤلاء التجار^(٦) .

أما عن أسواق قرى مدينة قفط فقد اختلفت عنها من حيث تقسيمها
ونظام البيع فيها فقد كان أهل القرية يأتون بما لديهم من السلع إلى سوق
المدينة، وفى وقت محدد، حتى يستفيد الجميع من عمليات البيع والشراء^(٧)،
ولم يكن سوق القرية مسوراً أو مقسماً إلى أسواق متخصصة كأسواق المدن،
بل كان أهل القرية يجلسون فى ركن من أركان السوق ، ويعرضون سلعهم

(١) الإدريسي : المصدر السابق والصفحة ، ص ٣٩ .

(٢) Dimitri Meekset Autrts : Egypt Libraire Hachette (Paris 1971) pp. 9-10

(٣) آدم متر : الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ .

(٤) ابن بطوطة : مهابد رحلة ابن بطوطة ، ص ٤١ .

(٥) Garcin : Un Centre Musulman , p.6

(٦) ابن جبير : الرحلة ، ص ٣٢ ، ٣٩ .

(٧) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٩٦ .

وكان نظام البيع والشراء فى أسواق قرى مدينة قفط يتم عن طريق المقايضة^(١)، لسير القرية على مبدأ الاكتفاء الذاتى، مما دعا إلى عدم الحاجة لاستعمال النقود^(٢)، على أن البيع لا يكون صحيحاً إلا إذا كان مصحوباً بقبول صريح من الجانبين ويذكر أدم متر^(٣) أنه فى أثناء المساومة بين الطرفين، يضع أحدهما يمينه فى يمين الآخر، فإذا قال البائع: " بعت " وقال الشارى " اشتريت " ترك كل يد صاحبه وتم البيع والشراء.

كما انتشرت الأسواق فى بعض القرى التابعة لإقليم قفط فكانت بلدة إسنا حافلة بأسواقها^(٤)، واشتهرت بتجارة المنتجات المحلية كالتمر والكروم^(٥)، كذلك شملت أسواقها على كثير من الحوانيت والخانات، وكان يجلب إليها من مصنوعات الأقاليم المجاورة كالبرد والأربية والشقق الحريمية الشيء الكثير^(٦)، هذا بالإضافة إلى شهرة بلدة قنا بأسواقها الحسنة وكانت عامرة بالسلع الغذائية فى العصر الإسلامى^(٧).

كذلك كان التجار يتقلون من سوق إلى سوق قرية أخرى فى إقليم الصعيد الأعلى حتى إذا انتهى الأسبوع أتموا دورتهم التجارية، ثم يبدءونها من جديد فى الأسبوع الثانى بنفس النظام وبنفس الترتيب والمواعيد^(٨)، كما كانت الأسواق السنوية ترتبط بالاحتفالات والمناسبات المختلفة التى تحدث

(١) سعيد عبدالفتاح عاشور: الحياة الاجتماعية فى المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، المجلد الحادى عشر، العدد الأول، الكويت يونيو ١٩٨٠، ص ٨٥

(٢) سيدة الكاشف: دراسات فى النقود الإسلامية، ص ٨٢-٨٨، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ١٣، سنة ١٩٦٤-١٩٦٥، ص ٨٢-٨٨

(٣) أدم متر: الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٢٣٨.

(٤) الإدقوى: الطالع السعيد، ص ٣٧.

(٥) أبوالفداء: تقويم البلدان، ص ١٣.

(٦) على مبارك: الخطط التوفيقية، ج ٧، ص ٥٩.

(٧) ابن بطوطة: مذهب رحلة ابن بطوطة، ص ٤٠.

(٨) سعد الخادم: الصناعات الشعبية فى مصر: ص ١٦

فى كل عام مثل الأعياد ، والمزارات المختلفة للأولياء والأديرة التى تقام لها مناسبات واحتفالات تكون فرصة للبيع والشراء^(١) .

وكانت مدينة قفط فسطاطاً أمامياً بسبب مركزها التجارى ولوقوعها على طريق الحج من الفسطاط إلى البحر الأحمر التى ازدهرت بثراء وعظمة تجارتها فى العصر الإسلامى^(٢) ، وكانت الأسواق الموسمية فى قفط يتم فيها بيع وشراء المنتجات الخاصة بها من منتجات زراعية وصناعية ، وخاصة تلك السلع التى لا تتوافر فى أسواقهم المحلية المحدودة^(٣) .

كما عرفت فى مدينة قفط وغيرها فى المدن الأسواق الأسبوعية ، حيث تقام فى أيام معينة فى الأسبوع^(٤) ، وكان يتم فيها للتبادل التجارى بين أهالى قفط وجيرانهم من القرى والمدن ، وكانت لكل قرية من قرى مدينة قفط أسواقاً محلية التى تسوق فيها منتجاتها^(٥) حيث كانت تعقد فى يوم معين فبعض القرى كانت تعقد أسواقها يوم الإثنين وأخرى يوم الأربعاء وهكذا على مدار الأسبوع^(٦) .

كما كانت الدواب وبخاصة الحمير هى وسيلة أهالى مدينة قفط وقرائها فى الوصول إلى الأسواق والعودة منها وهى تشبه فى ذلك وسيلة

(١) كانت الأسواق فى العصر الفرعونى موضعها المعابد ، ثم فى العصر القبطى كانت فى الأديرة ثم تحولت بدورها فى بداية العصر الإسلامى حول الأضرحة والمساجد ، ومنها بلغ بعد المزار أو الضريح عن العمران ، وهذا لا يمنع رحيل الناس إليه سنوياً لإقامة الأسواق وإحياء ليالى المولد بجواره .
سعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر ، ص ١٦ .

(٢) عبدالمستعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ، (مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٥٣) ج ١ ، ص ١٧٠ .

(٣) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ٨ ، ص ٢ .

(٤) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٥ ، آدم متر : الحضارة الإسلامية ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

(٥) ابن دقماق : الانتصار ، ج ٥ ، ص ٢٥-٢٦ ، ٣٠ ، ٤٧ ، ٤٨ .

(٦) عبدالغفار ابن نوح الأقبصى : الوحيد فى سلوك أهل التوحيد ، مخطوط . . بدار الكتب ، رقم ٢٢٦ تصوف ، ج ٢ ، ورقة ١٥ .

الانتقال في العاصمة " الفسطاط " ^(١) ، في حين كان ركوب الخيل وفقاً على الجنود والمتصلين بالجيش ^(٢) .

كما كانت مدينة قفط من أهم المراكز التجارية في الإقليم ، حيث كان بها العديد من القباب بأعلى دورها وقيل أنه من ملك عشرة آلاف دينار يجعل له قبة في داره ^(٣) . كما حفلت بأسواقها وكثرة تجارتها وخيراتها ^(٤) ، ولقد ازداد الاهتمام بالأسواق في العصر الفاطمي حيث يذكر المقرئى نقلاً عن "المسبحى" أن الخليفة الفاطمي العزيز بالله أمر بإيقاد المصابيح على الدور في الأسواق ، كذلك ذكر " أن الخليفة الحاكم بأمر الله سنة ٣٩١ هـ الناس بإيقاد القناديل في سائر البلدان وفي جميع الحوانيت وأبواب الدور والسكك ، ففعلوا ذلك ، وتناظروا ، واستكثروا منه في الشوارع والأزقة وأنفقوا في ذلك أموالاً طائلة " ^(٥) .

النيل كطريق تجارى هام :-

يعتبر من أهم الطرق الداخلية لإقليم قفط وذلك لربط أجزاء الإقليم من الشمال إلى الجنوب ، كما عمل على تسهيل حركة المواصلات والنقل للناس والسلع الزراعية والصناعية التي اشتهرت بإنتاجها، وتطلب الأمر نقلها إلى أسواق الفسطاط أو إلى الموانئ المصرية لتصديرها خارج البلاد ^(٦) ، كما

(١) ناصر خسرو: سفرنامه، ص ٦١-٦٢ فذكر " أن أهل السوق ، وأصحاب الدكاكين يركبون الحمر المسرجة في ذهابهم وإيابهم من البيوت إلى السوق وفي كل حي على رأس الشوارع حمر كثيرة عليها برادع مزينة يركبها من يريد نظير أجر زهيد وقليل أنه يوجد خمسون ألف يهيمه مسرجة تزين كل يوم وتكرى " . ناصر خسرو: المصدر السابق والصفحة .

(٢) ناصر خسرو: المصدر السابق والصفحة .

(٣) الإدريسي: المطالع ، ص ٣ ، المقرئى: الخطط ، ج ١ ، ص ٢٢٢ ، ابن دقماق: الاختصار ، ج ٥ ، ص ٢٣

(٤) القفطى: أخبار الرواة ، ج ١ ، ص ٩ ، في المقدمة ، على الخطيب: القفطى حياته وأدبه ، ص ٢٥ ، محمد عبده الحجاجى: عالم وكتاب ، مجلة الأمة ، قطر ، العدد ١٦ ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٢ .

(٥) المقرئى: الخطط ، ج ٢ ، ص ١٠٧

(٦) محمد محمود أبوزيد: النيل ومصر ، ص ٩١

اهتم أهالى مصر عامة بطريق النيل اهتماماً عظيماً لقلّة تكاليف النقل التى يستعملونها عن طريق البحر الأحمر " ولما فيه من شعاب بارزة ، ورياح معاكسة ولهذا كانت الملاحة فيه بالنهار فقط ، أما بالليل فلاتسلك ، لذا احتفظ نهر النيل بأهميته كطريق تجارى هام يوازى البحر الأحمر ^(١).

كذلك كانت على صفحة النيل تسير السفن النيلية والمراكب تحمل السلع وأولها محاصيل مصر الزراعية فقد كان القمح والشعير والقصب والخشب من أهم المحاصيل التى كانت تنقل من إقليم فقط إلى الفسطاط سوق الاستهلاك الرئيسى ^(٢)، وكذلك كانت المصنوعات وبخاصة المنسوجات ، تنتقل بين مدن مصر إلى الأسواق المحلية عبر النيل ثم عبر الأسواق الكبيرة كالفسطاط ومنها إلى خارج مصر ^(٣).

وكما كانت الغلال من أهم السلع المحمولة على النيل حينذاك ، كذلك المحاصيل الأخرى وقصب السكر (وماينتج عنه من عسل) وأيضاً الأخشاب ، ضمن المحاصيل التى ترسل من إقليم فقط إلى الفسطاط يدل على ذلك ما أشارت إليه بردية من القرن الثالث الهجرى/التاسع الميلادى وفيها يقول وكيل لسيده " فانظر أعزك الله أن تأمر من يحمل إلى مركبه مائة جرة وسبع عشرة جرة " ^(٤)، كما أن هناك بردية أخرى ويرجع تاريخها إلى سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٢م وهى عبارة عن خطاب يشير فيه صاحبه إلى إرسال خشب يقول فيه "وصل بقية الخشب الذى بالأقصر وهو ست وعشرون قطعة

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ٢١

(٢) رحلة ابن بطوطة ، ص ٦٩

(٣) محمد محمود أبوزيد : النيل ومصر ، ص ٩٦

(٤) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٥ ، ص ١٢٥ ، ١٣٦ .

الجرة : جرة العسل وهى إناء من الفخار يوضع فيه العسل المستخرج من قصب السكر

وقد حملتها على معدية عيسى بن نتوس^(١) ، كما كانت الأغنام والماشية ضمن السلع التى ترد من مدينة قفط لتباع فى الفسطاط^(٢).

كما اهتم المصريون ببناء السفن والمراكب مختلفة الأغراض فأنشأت على ساحل النيل فى الديار المصرية دوراً لصناعة السفن والمراكب ، وشجع على إقامتها انتشار زراعة الأشجار اللازمة لهذه الصناعة فى مدن وقرى مصر المختلفة^(٣).

وليس أدل على ذلك من وصف الرحالة لانتشار السفن والمراكب التجارية على صفحة النيل والتى كانت فى حركة دائبة ومستمرة تحمل مختلف السلع والبضائع بين كافة مدن مصر الداخلية من جانب وأسواق الفسطاط والقاهرة من جانب آخر^(٤) ، فقد ذكر الأصبخري أنه من حد أسوان إلى البحر " مدن وقرى منظومة متكاثفة^(٥) متصل بعضها ببعض وكان لكل من هذه المدن والقرى على النيل موانئ حسب المدينة أو القرية. ولم يكن المسافر فى النهر يحتاج إلى أن يأخذ معه طعاماً أو غيره "لأنه مهما أراد النزول للشاطئ سيجد سوقاً يشتري منه ما يريد ، كما يجد مكاناً يتوضأ ويؤدى الصلاة فيه ، والأسواق متصلة من مدينة الإسكندرية إلى مصر ، ومن مصر إلى مدينة أسوان من الصعيد"^(٦).

(١) جروهمان : أوراق البردى ، ج ٥ ، ص ٥٨ .

(٢) ابن الكندى : فضائل مصر ، ص ٦٩ .

(٣) ممدوح عبدالرحمن الريطى : أسواق الفسطاط والقاهرة فى العصر الفاطمى ، رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية الآداب ، جامعة أسيوط ، ١٩٩٢ م ، ص ٣٩٦ - ٣٩٧ .

(٤) ممدوح الريطى : المرجع السابق ، ص ٣٩٧ .

(٥) الأصبخري : كتاب المسالك والممالك ، ص ٥٠ - ٥١ ، ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٧١ ، ٧٣ .

(٦) نفس المصدر السابق والصفحة .

الطرق التجارية الأخرى :-

استخدم أهالى مدينة قفط الطرق البرية لحمل منتجاتهم بين القرى والمدن ، فكانت هناك طرق موصلة بين القرى بعضها ببعض ، وقد استخدم الأهالى الجسور فى الانتقال بينها ، كذلك كان هناك طرقاً برية تصل بين المدن الكبرى أيضاً^(١).

كما اهتم أصحاب الكور بإنشاء الطرق البرية وبذلوا عناية كبيرة فى هذا المجال ، كذلك اعتنوا بالطريق الذى يربط بين العاصمة ومدن وقرى الصعيد الأعلى إلى أسوان^(٢) ، وقد بلغ من اهتمامهم بهذا الطريق أن عينوا موظفاً كبيراً يشرف عليه وتجديد عمارته ، كما خصصوا مبلغاً سنوياً لهذا الغرض يقدر بحوالى عشرة آلاف دينار^(٣).

بالإضافة إلى هذا الطريق البرى ، فقد أقيمت طرق أخرى تربط بين المراكز التجارية الهامة فى إقليم الصعيد الأعلى والتغور ، ومن ضمن هذه الطرق طريق يربط مابين مدينة أسوان إلى ثغر عيذاب^(٤). وتشير وثيقة من أوراق البردى العربية إلى استخدام أهالى إقليم قفط لطريق أسوان فى تنقلاتهم ، ورد فى وثيقة ترجع إلى القرن الرابع الهجرى وهى عبارة عن تقرير من وكيل إلى سيده عن إرسال المنتجات عن هذا الطريق بقوله " وقد كتبت إليك على يد يوسف واصل إليك عن طريق أسوان " ^(٥).

وطريق أسوان عيذاب من الطرق البرية الهامة التى يستخدمها الحجاج فى القرون الأولى للإسلام فى طريقهم إلى الأراضى المقدسة بمكة^(٦)، فكانوا

(١) محمد محمود على أبوزيد : الريف فى العصر الإسلامى ، ص ٢٤٣

(٢) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٤٣

(٣) ناصر خسرو : المصدر السابق والصفحة

(٤) نعمة على مرسى : مصر العليا من الفتح العربى حتى سقوط الدولة الفاطمية ، ص ٢١١ .

(٥) جروهمان : أوراق البردى ، ج ٥ ، ص ١٧ ، بردية ٣

(٦) كاتب مراکشى مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ، ص ٨٧ .

يخسترقون من أسوان الصحراء إلى عيذاب ومنها يركبون البحر إلى جدة ،
ومنها إلى مكة مسيرة يومين^(١) وقد سمي هذا الطريق بالوضح لخلوه من
الجبال المتشابكة التي تحيط بطريق قوص عيذاب^(٢) .

كما كان طريق عيذاب - قوص من أقدم الطرق التجارية في
صحراء مصر الشرقية المتاخمة لحدود مدينة قفط التي مهدت للربط بين
موانئ البحر الأحمر والمدن المقابلة لها على شاطئ النيل^(٣) غير أن طريق
أسوان عيذاب كان أقدم منه ، فقد استخدم طريق أسوان عيذاب أكثر من
طريق قوص عيذاب ، لأن الأول كان يمتاز بقصره^(٤) ، على حين أن
الطريق الثاني قوص عيذاب كانت الإبل تقطعه في سبعة عشر يوماً^(٥) ، كما
كان هذا الطريق له أهميته التجارية في العصر الفاطمي ، فقد كانت القوافل
التجارية تسير خلاله وهي أمنه^(٦) مثلما كان الطريق من عيذاب إلى أسوان
أمناً^(٧) ، وبهذا فقد خدم طريق عيذاب قوص التجارة في مدينة قفط وفي
مصر بشكل عام^(٨) .

كذلك هناك طريق آخر يتفرع من قوص إلى سواكن بالسودان ، ماراً
بكيमान قفط ولقيطة ، وعيذاب ، وبنى عامر ، وحميثة إلى سواكن^(٩) ، وهذا

(١) ابن رسته : الأعلام النفيسة ، ص ١٣-١٤ .

(٢) بوركهارت : رحلات بوركهارت ، ص ١٤٢-١٤٣ .

(٣) إبراهيم نصحي : دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة (القاهرة ١٩٥٩م) ، ص ١٢١ .

(٤) محمود الحويري : أسوان في العصور الوسطى ، ص ١٠٠-١٠١ .

(٥) المقرئزي : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

(٦) ابن جبير : الرحلة ، ص ٣١ ، ٣٦ .

(٧) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢١٥ ، ٨٦ Hassan : The Arabs and The Sudan , p. 86

(٨) نعيم زكي فهمي : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في أواخر العصور الوسطى
(القاهرة ١٩٧٣م) ، ص ٢٤٢ .

(٩) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، عطية مشرفة : نظم الحكم في مصر ،

الطريق من الطرق الهامة لنقل منتجات إقليم قفط إلى بلاد السودان ،
وبالعكس .

كما أن هناك طريق تجارى برى من قنا إلى ميناء القصير على
البحر الأحمر متجهاً إلى الجنوب ، حتى يصل إلى بئر عنبر شرقى قفط فى
مصر العليا ثم يستقيم إلى جهة الشرق حتى يصل إلى ميناء القصير^(١) ،
كذلك سلك تجار إقليم قفط الطريق البرى عبر الصحراء الغربية ، الذى يصل
بين مدن أرمنت والأقصر وإدفو وأسوان^(٢) ، إلى السودان فى زمن أقصر
من الزمن الذى تستغرقه القوافل ، لو استخدمت طريق النيل إلى دنقلة
بالنوبة، ومنها إلى دارفور ، وهذا تسير فيه القوافل التجارية إلى درب
الأربعين ، حتى دار فور بالسودان^(٣) .

**** طريق القصير - قفط**

ويعد هذا الطريق من بين الطرق التجارية الهامة إلى مدينة قفط التى
اعتنى بها الحكام^(٤) ، حيث كان التجار العرب يترددون من خلاله إلى المدن
المصرية الداخلية منذ أقدم العصور^(٥) ، فقد خدم هذا الطريق القوافل
التجارية ذهاباً وإياباً من القصير إلى مدينة قفط وبالعكس ، حتى أصبحت من
أشهر مدن الصعيد الأعلى من الناحية التجارية^(٦) ، أما عن خط سير الإبل

(١) بدر عبدالرحمن : النشاط التجارى فى مصر فى العصر الفاطمى ، ص ٦٢ .

(٢) أرمنت وإدفو وأسوان من أعمال الصعيد الأعلى

ابن دلقاق : الانتصار ، ج ٥ ، ص ٢٨ ، ٢٣ ، ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص ١٩١ .

(٣) محمود محمد الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ص ٩٩

(٤) عبدالمجيد عابدين : بين الحبشة والعرب ، ص ٥ ، ويذكر البعض أن هذا الطريق أنشأه رمسيس الثالث ،
عبدالمجيد عابدين : المرجع السابق والصفحة .

(٥) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ، سيدة الكاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص ١٦٦ ، سعاد ماهر ،
محافظات الج . ص ١٨١ .

(٦) محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ج ٥ ، ص ١٧٢ .

أو القوافل التجارية خلال هذا الطريق ، فقد كانت للقوافل تبدأ من قفط أخذه في الاتجاه ناحية الشرق في خط مستقيم حتى تصل إلى القصير^(١) .

كما كانت أهم البضائع المنقولة عبر هذا الطريق " طريق وادي الحمامات " التوابل، الفلفل، والزعفران ، القرفة ، والزنبيل ، وجوزة الطيب، والعمور والبخور، مواد الصباغة^(٢) .

**** طريق عيذاب - قفط :-**

يبدأ هذا الطريق عند كيما قفط ، ثم يمتد في قفار وجبال حتى يصل إلى عين ماء تسمى " ليطة " على مسافة مرحلة من كيما قفط ثم منها إلى عين ماء تسمى " الدريح " بالقرب من معدن الزمرد ، ومنها إلى حميثة ، وهناك توجد عين ماء أيضاً يستقى منها ثم إلى عيذاب ، وتقدر المسافة من كيما قفط إلى عيذاب بعشرة أيام بسير الأتقال^(٣) ، كانت هذه الطرق البرية التي سلكها تجار إقليم قفط في تنقلاتهم بين منها ، أضف إلى ذلك الطريق النهري.

مراكز التجارة الداخلية في إقليم قفط :-

اشتهرت عدة مدن في إقليم قفط بتجاريتها الواسعة، ومن أهم هذه المراكز التجارية الداخلية مدينة قفط وكانت بحكم موقعها على الضفة الشرقية من النيل ، وبفضل موقعها على طريق الرحلة الخاص بالحجيج فأصبحت

(١) سعاد ماهر: محالطات الحج ، ص ٨٦ ، محمد مجدى : رحلة مجدى ، أو ثمانية عشر يوماً بصعيد مصر (القاهرة ١٣١٠هـ) ، ص ١٢٠

(٢) نعيم زكى فهميم : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، ص ١٩١ ، ٢٢٨ ، هيام عبد الرحمن سليم : العوامل الجغرافية وأثرها على تجارة مصر الخارجية في العصور الوسطى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٢م ، ص ١٧٧ ، محمد حسن عبد الكريم : التجارة وطرقها في الجزيرة العربية بعد الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ب، جامعة القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٣٦٦ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٤ ، ٤٢٠-٤٢١ ، أبو صالح الأرمني : تاريخ كنائس وأديرة مصر ، ص ١٤٠

مدينة للتبادل التجارى وبرزت مكانتها التجارية ، حيث كانت تقع بالقرب من أرض المعدن وعلى بداية الطريق الصحراوى إلى معدن الزمرد^(١) .

وقام بعض التجار من أهالى قفط بممارسة التجارة مع البلدان المجاورة حيث لعبوا دوراً هاماً فى التجارة الخارجية ، وذهبوا بتجارهم إلى بلاد الهند ، كما كانت مركز القوافل ومفتاح التجارة خاصة مع البلاد الواقعة على البحر الأحمر^(٢) ، ويصف ياقوت أهميتها حينذاك فيقول : " وهو الغالب ، على معيشة أهلها ، وكانت بداية الطريق إلى الهند وشرق أفريقيا ، وكانت المسافة بينهما وبين ضفة النيل نحو ميل وبينها وبين قوص نحو الفرسخ ، وكان أهلها أصحاب ثروة وحولها مزارع وبساتين كثيرة"^(٣) .

وكانت السلع التجارية تأتى إليها من موانئ البحر الأحمر عبر الصحراء الشرقية من عيذاب والقصير ، ثم عن طريق النيل من قفط إلى الفسطاط والإسكندرية^(٤) ، ويذكر المقرئى " كانت مدينة قفط فى بداية العصر الإسلامى حاضرة الإقليم ، حيث كانت التجارة تأتى إليها من موانئ البحر الأحمر على قوافل العرب عبر طريق مدينة قفط ، ثم تسلك نهر النيل إلى الفسطاط بالمراكب النيلية ومنها إلى أسواق أوروبا عبر البحر المتوسط^(٥) ، وكذلك تجارة بلاد الحجاز فكانت تعبر البحر الأحمر إلى عيذاب ، وعندما تجتمع التجارة بعيذاب كانت تنقل على ظهور الجمال إلى أسوان^(٦) .

(١) المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ، ص ٩٢ .

(٢) Dimitri Meekset Outres : Egypt Librairie Hachette . pp. 9-10

(٣) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٧ ، ص ١٣٩ .

الفرسخ : ثلاثة أميال ، الميل ٤٠٠ ذراع . عطية القوصى : الحضارة الإسلامية ، ص ١٢٩ .

(٤) الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص ٤٨ ، سيدة الكاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص ١١-١٢ .

(٥) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٣٢ ، سيدة الكاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص ١٦٦ .

(٦) ابن رسته : الأعلاق النفيسة ، ص ٢٣٥ .

وكانت القوافل تقطع من أسوان إلى عيذاب بالجمال فى خمسة عشر يوماً ، ويبلغ طول المسافة مائتى فرسخ بالتحديد^(١) ، وكان لتجار أسوان وكلاء مقيمون فى عيذاب لتسهيل التجارة وأعمالها ، ويصف ناصر خسرو هذا بقوله " أخذت من تاجر من أسوان ويدعى أبو عبد الله محمد بن قليج كتاباً إلى وكيله فى عيذاب جاء فيه: أعط لناصر ما يريد وهو يعطيك الصك"^(٢)، ويبدو أن تجار أسوان كان لهم وكلاء أيضاً فى مدينة قفط لتسهيل ونقل بضائعهم وتجارتهم^(٣) .

ظلت مدينة قفط سوقاً لتجارة البحر الأحمر خلال العصر الإسلامى الأول ولكنها بدأت تفقد دورها التجارى منذ النصف الأول من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى^(٤) نتيجة عوامل عدة من أهمها :

تلك الغارات المريبة التى تعرضت لها المدينة على يد قبائل البجة قرابة قرنين من الزمان وذلك من أجل الاستيلاء على مناجم الزمرد ، مما كان له أعظم الأثر فى اضطراب الأمن وشيوع الفوضى الأمر الذى قلل من حجم التجارة المنقولة عبر طريق قفط القصير ، حيث توقفت بذلك حركة التجارة التى كانت تتطلب الأمن والاستقرار فى المقام الأول^(٥) .

كما كان لموضع مدينة قوص على النيل مما جعلها ميناءاً نهرياً أقرب إلى النيل من قفط ما يسهل عملية نقل التجارة المؤن والعتاد ، ونقل البضائع إلى المراكب النهرية^(٦) فهى بذلك أقرب من مدينة قفط التى تبعد عن

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٧٢ .

(٢) ناصر خسرو : المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٣) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص ٢٩٠ .

(٤) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

(٥) حسن خضيرى أحمد : مدينة قفط وتطورها السياسى ، مجلة كلية الآداب بقتا ، جامعة جنوب الوادى ، العدد الرابع ، ١٩٩٥ ، ص ٢٢٥ .

(٦) ممدوح عبدالرحمن الريطى : أسواق الفسطاط والقاهرة فى العصر الفاطمى ، رسالة دكتوراه ،

النيل بحوالى ميل على حد قول ياقوت الحموى بل ثلاثة أميال كما ذكر ابن جبير (١).

وكذلك كان لاندلاع الثورات التى اتخذ أصحابها من الصعيد مسرحاً لهم حيث لقي أهل الصعيد عامة وقطب بصفة خاصة كثير من العنت وسط هذا التطاحن ، مما ترتب عليه نزوح أصحاب الحرف والصناعات وبعض الأهالى إلى مدينة قوص واتخاذها موضعاً لهم (٢)

ولعل ذلك كان من اسباب تداعى قفط للخراب سنة ٤٠٠ ، وكما أشار الإدفعوى (٣) ، وذلك للهجرة هؤلاء الحرفيين والصناع إلى قوص مما أدى إلى تناقص الأهالى واضمحلال العمران بقفط تبعاً لذلك .

بالإضافة إلى ذلك وقوع قوص على النيل أكسبها وضعها كميناء للإقليم ليس لشحن القمح إلى القسطنطينية فحسب بل لصناعة وبناء المراكب للأغراض الحربية (٤) ، وتحفظ لنا إحدى البرديات التى تقود إلى منتصف القرن الرابع رسالة عن شحنة من الأخشاب إلى ميناء قوص لاستخدامها فى صناعة المراكب الحربية (٥) .

وهكذا فقدت مدينة قفط أهميتها لتوقف مرور القوافل التجارية ، هذا فضلاً عن أن مناجم الذهب والزمرد فيها لم تعد تعمل كسابق عهدها كان ذلك يبشر ببزوغ نجم قوص لتحل محل قفط فى زعامة الإقليم خاصة بعد وصول الفاطميين إلى مصر واتخاذهم قوص عاصمة لسائر بلاد الصعيد ، حيث

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص ٦١

(٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١١١ .

(٣) الإدفعوى : الطالع السعيد ، ص ٥٨ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٣٢

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٦٩ .

(٥) Garcin : Un Centre Muslman , P.67 .

صارت همزة الوصل للتجارة المتجهة إلى النوبة خاصة بعد أن اتخذوها عاصمة لبلاد الصعيد بدلاً من قفط^(١) .

مراكز التجارة الخارجية لإقليم قفط :

ثغر أسوان :

شهدت مدينة أسوان نشاطاً ملحوظاً في مجال التجارة الخارجية والداخلية ، وقد تكاثفت عدة عوامل جعلت لها مكانة مرموقة منها كثرة محاصيلها الزراعية كما كثرت بها زراعة النخيل^(٢) ، والزيتون وأشجار أخرى^(٣) .

كذلك اشتهرت بكثرة صناعاتها الهامة كصناعة الفخار^(٤) ، وصناعة الحصير والسلال والأطباق من سعف النخيل والصناعات الخشبية ، وكان لموقع مدينة أسوان المتاخم لبلاد النوبة أثره الملموس ، بالإضافة إلى قيام التجار النوبيين الذين كانوا يسIRON بقوافلهم في أراضيها ، فيتاجرون بها ، أو يسIRON عن طريقها إلى ثغر عيذاب^(٥) ، وقد جلبوا منهم منتجاتهم من الخرز والأمشاط والمرجان والرقيق^(٦) .

كذلك كان للطريق البري بين أسوان والفسطاط أهميته التجارية في نقل منتجاتهم^(٧) ، كما كان لطريق أسوان عيذاب أهميته أيضاً وهو طريق

(١) ابن سعيد : الجغرافيا ، (بيروت ١٩٢٠م) ص ١٣٠ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٩٦

(٢) نعمة على مرسى : مصر العليا من الفتح العربي حتى سقوط الدولة الفاطمية ، ص ٢١٨ .

(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٧١

(٤) الأدلوى : الطالع السعيد ، ص ٢٤ .

(٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ٢١ .

(٦) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٤١ .

(٧) ناصر خسرو : المصدر السابق ، ص ٤٣ .

التجارة والحجاج على السواء^(١) ، وهكذا أصبحت أسوان مركزاً لتسويق منتجات أهالي قفط ومركزاً للتبادل التجاري بينهما^(٢).

ثغر عيذاب :

كانت عيذاب ثغراً من الثغور المهمة ، وقد كانت محاطة بالقبائل العربية من بلى وجهينه وقريش وغيرها من كل جوانبها ، ولم تشر المصادر القديمة إلى موضع الميناء بالتحديد ، فبينما نرى اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) وهو من الجغرافيين الذين زاروا مصر في القرن الثالث الهجري لا يزيد على القول بأن عيذاب كانت ميناءً تجارياً^(٣) .

وأصبحت عيذاب طريقاً للحج والتجارة بين مصر والحجاز وغيرها من البلدان ، حيث كان حجاج مصر والمغرب لا يتوجهون إلى مكة إلا من صحراء عيذاب ، فيركبون النيل حتى مدينة قفط ويعبرون الصحراء إلى ميناء عيذاب ، ومنها يركبون إلى جدة وكان عرض البحر الأحمر في هذه المنطقة كما ذكر لا يستغرق اجتيازه إلا مجرى يوم وليلة يصل بعدها المسافرين إلى جدة^(٤) ، كانت عيذاب مدينة صغيرة^(٥) فكانت أشبه بالضبعة كما قدر ناصر خسروا عدد سكانها عند زيارته في منتصف القرن الخامس الهجري لها بنحو ٥٠٠ نسمة وكانت مساكنها أخصاص ، وعلى الرغم من

(١) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٢١ .

(٢) ناصر خسرو : المصدر السابق ، ص ٤١ .

(٣) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٣٥ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٤١ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص

١٤١ ، ابن دقماق : الانتصار : ج ٥ ، ص ٣٥ .

(٤) الإدريسي : صفة المغرب وأرض السودان ، ص ٨٢٥ .

(٥) المقرئزي : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ، ولقد حاول العلماء في العصر الحديث القيام بالأبحاث الأثرية

لتكشف موضع ميناء عيذاب ، وانتهت بعض هذه الأبحاث إلى الكوم الأثري الذي يعرف باسم سواكن

القديمة هو بقايا وأنقاض ميناء عيذاب

Kamere : La Mer Rouge, l' Abyssinet Arabe de puisl antiquite , Tome, premeier 1929, vol, pp. 73-74.

مصطفى سعد : البجة والعرب في العصور الوسطى ، ص ٣٤ .

مزاياء الموقع بعض الشيء إلا أن موضعها لم يكن له خصائص تذكر فلم يكن بها غير ماء المطر ، فلايثر بها ، ولاعين وإذا لم تمطر السماء حمل البجاه على إحضار الماء وبيعه (١).

ومن أهم السلع التي كانت ترد إلى ققط عن طريق عيذاب ، البخور والفلسل والسبهار والقسرفة ، وكان تجار الصعيد يحملون إلى عيذاب أهم المنسوجات فضلاً عن أهم المنتجات التي اشتهرت بها بلاد الصعيد الأعلى (٢) الأمر الذي جعل حركة التجارة في مدينة ققط دائبة النشاط .

خامساً : المعاملات التجارية والمالية :

١- الموازين والمكاييل :

كانت الموازين والمكاييل وسيلة التعامل في البيع والشراء في أسواق المدن والقرى ، وكان الرطل من وحدة الموازين في مصر ، كذلك كان القنطار ، والأوقية والدرهم والجروف، من الملاحظ أن الأبطال اختلفت تبعاً لما يوزن بها ، فكان الرطل الذي يوزن به أصناف أخرى (٣) .

(١) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٧٢، ٧٣ .

كما كان لا يؤكل فيها شيء إلا مجلوب ، ويصف ابن جبير النشاط التجاري في هذا الطريق : " ربما في هذا الطريق إحصاء القوافل الواردة والصادرة ، فما تمكن لنا ولاسيما القوافل العيذابية التي تحمل سلع الهند الواصلة إلى اليمن وأكثر ما شاهدناه من ذلك أحمال الفلفل حتى خيل لنا لكثرتها أنه يوازي التراب قيمة ، ومما شاهدناه في هذه الصحراء - المتاخمة لحدود ققط - أنك تلقى على قارعة الطريق أحمال الفلفل والقرفة وغيرها من السلع مطروحة لأحارس لها لأنها تترك بهذا السبيل إما لإعياء الإبل الحاملة لها أو غير ذلك من الأعداء وتبقى بموضعها إلى أن ينقلها صاحبها مصنونة من الأدفات على كثرة المارة عليها. ابن جبير : الرحلة، ص ٣١، ٣٦، ٣٧، ٤٢، ٤٦ .

Hassan : The Arabs and the Sudan, pp. 46-47

(٢) محمد أحمد محمد : مظاهر الحضارة في مصر العليا ، ص ١٠٠ Hassan : Op- Cit, pp.69-70

(٣) الشيزري : نهاية الرتبة ، ص ١٥ ، وكما كان القنطار المصري وهو مائة رطل ، واستهل كذلك الفتح المصري ، وهو قدح صغير تقديره مائتان وإثنان وثلاثون درهماً كل ستة عشر قدحاً تسمى وبه وكل ستة وتسعين قدحاً تسمى أردباً ، وكذلك هناك نوع من الكيل يطلق " المد " كل قدحين كيلاً . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٤١ ، ٤٤٥ .

كما اختلفت الأبطال في داخل كل إقليم تبعاً لنوع السلعة المباعة والمشتري فكان رطل اللحم والخضر في إقليم قفط يزن ثلاثمائة وعشر درهماً ، بينما تزن باقى الأبطال الأخرى مائتين وإثنين من الدراهم^(١) ، كذلك نجد أبطال تنسب إلى البلدة التى تزن بها ، فكان هناك بالإضافة إلى الرطل المصرى ، وهو الرطل المستعمل فى القسطنطينية والقاهرة ويزن أربعة وأربعين درهماً^(٢) .

وكان من الطبيعى على كل تاجر أن يكون على علم بأوزان بعض الأقاليم التى يذهب إليها لتسهيل عمليات الشراء ، لهذا فقد أنشئت فى الديار المصرية ما يسمى بدار العيار . وهى الدار التى يصنع فيها الصنج وأدوات الأوزان ، ثم تباع للتجار لاستخدامها ، ويصلح بها ما اختلف من الصنج^(٣) . فكان المحتسب يراقب عمليات البيع والشراء فى الأسواق ، منعاً للغش ، ويأمر أصحاب الموازين مسحها وتنظيفها من الأدهان والأوساخ العالقة بها كل ساعة^(٤) .

أما بالنسبة للمكاييل فقد اختلفت من جهة إلى أخرى داخل إقليم قفط فمن ذلك اختلاف وحدة الكيل وهى القدح كما كان هناك اختلاف آخر بالنسبة للإربب فنرى الإربب وهو يساوى ٩٩ تسعة وتسعين قدحاً^(٥) وهو مست

(١) ابن الأخوة : كتاب الرتبة فى الحسبة ، ١٤٥-١٤٦ .

(٢) ابن الأخوة : المصدر السابق والصفحة . أما رطل أهل قوص يزن ثلاثمائة وخمسة عشر درهماً ، أما البغدادى . فى عاصمة الخلافة العباسية فيزن مائة وثلاثين درهماً أما الرطل الدمشقى فى بلاد الشام فيزن ستمائة درهم . ابن الأخوة : المصدر السابق والصفحة .

(٣) ابن ممتى : قوالين الدواوين ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٤ .

(٤) ابن الأخوة : المصدر السابق ، ص ١٤٦-١٤٧ .

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٤٥ .

وبيات^(١) ، يبلغ فى بعض البلاد المصرية إحدى عشرة وبة أو مائة وست وسبعين قدحاً^(٢)، أما الأرب فكان يحتوى على ثلاث وبيات^(٣) .

وكذلك تشير أوراق البردى العربية التى ترجع إلى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى أن الأهالى استخدموا المكاييل فى العمليات التجارية وكيل الحبوب، ومن ذلك وثيقة من الصعيد الأعلى جاء فيها " دفع لأبى الفضل وبيات الثمن دينار وشعير أربعة عشرة أقداح^(٤) .

ومن المكاييل الأخرى، الحملة، وهى تساوى ثلثمائة رطل مصرى، والتليس يساوى مائة وخمسون رطلاً^(٥) أو ثمان وبيات^(٦) ، والبطة وهى كيل يسع خمسين رطلاً^(٧) والفرارة وتسع أرباب ونصف^(٨) ، والفسلة وتسع سبعة أرباب^(٩) وكما كان أهالى قفط يستخدمون الأقسام فى الكيل ، ففى إحدى الوثائق البردية ، نجد هناك القسط والذى قدر أنه عيار وزنه ثمان وأربعون أوقية^(١٠) .

(١) الوبية : تحتوى على ستة عشر قدحاً . القلقشندي : المصدر السابق والجزء والصفحة ، بينما يرى المقرئى الوبية تسعة وسدس أردب . إغاثة الأمة ، ص ١٢ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٤٥ .

وهو يساوى ١٦/١ من الوبية أو ٤/٣ كيلو جرام تقريباً . جروهمان أوراق البردى العربية ، ج ٦ ، ص ١٢ ، وهو ما يساوى خمسة عشر ، أى ما يساوى سدس الإردب . جروهمان : المصدر السابق والجزء والصفحة ، المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٨٤ .

(٣) المقرئى : الأوزان والأكيال الشرعية ، ص ٥٧ .

(٤) جروهمان : أوراق البردى ، ج ٦ ، ص ١١٩ ، طراز رقم ٣٩٦ .

(٥) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٦٥ .

(٦) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٢٨٤ .

(٧) ابن مماتى : المصدر السابق والصفحة ، البطة : وهو إناء على شكل البطة ، ابن ظهيره : الفضائل الباهرة ، ص ١٨٥ .

(٨) ابن مماتى : نفس المصدر والصفحة . الفرارة : وهى وحدة للحبوب تسع إثني عشر كيلاً .

الشيزى : نهاية الرتبة ، ص ١٧ ، هامش (٩) .

(٩) ابن مماتى : نفس المصدر والصفحة .

(١٠) جروهمان : أوراق البردى ، ج ٦ ، ص ١١٤-١١٥ .

السفاتج والصكوك :-

وقد استخدمت السفاتج^(١) كوسيلة للدفع فى المعاملات المالية الضخمة حيث خفيفة الحمل بعيدة عن متناول اللصوص^(٢)، وكان التجار أو الصيارفة أو المشتغلون بالأعمال المالية والتجارية يكتبون رقاعاً بقيمة المبالغ التى يأخذونها وتكون قابلة للصرف فى أى بلد لأى من عملائهم ، وكانوا فى هذا يقومون بدور البنوك فكان التجار يأخذون رقاعاً منهم بما لديهم من الأموال ثم يشترون ما يلزمهم ويحولون ثمنه عليهم^(٣) .

واستخدمت السفاتج فى العصر الفاطمى للتعامل التجارى بين الفسطاط ومدن وقرى الأقاليم المجاورة ومنها إقليم قفط ، كما يظهر ذلك فى وثائق الجيزة ، حيث كانت السفتجة تأخذ طابع العملة^(٤).

الصكوك :-

وقد استخدمت الصكوك^(٥) منذ صدر الإسلام ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب أول من صك وختم أسفل الصكاك^(٦) ، والصكوك خطابات يكتبها الجهابذة^(٧) .

(١) السفاتج وهى جمع سفتجة وهى عبارة عن كتاب يرسله صاحب المال لوكيله بأن يدفع مالا قرضاً ما يأتى به من خطر الطريق ، والسفتجة خطاب الحوالة فى التعبير المالى الحديث ، وهى الكمبيالة فى Letter dechange معناها واستعمالها ، صفى محمد عبدالله : مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى ، (الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٠م) ، ص ٣٦٣ .

(٢) بدر عبدالرحمن : النشاط التجارى فى العصر الفاطمى ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ١٨٠ .

(٣) آدم متر : الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .

(٤) Gotien , Bangers and accounts from the eleventh century Journal of the econmic and sociad the story of the orient, vol, Ix part November 1966- p. 29

(٥) الصك : وسيلة من وسائل دفع المال ، وهو عبارة عن شخص يدفع مقدار معين من النقد إلى الشخص الوارد اسمه فيه . محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ، ص ١٦٣ .

(٦) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق والصفحة .

(٧) الجهابذة : والجهيد أما تاجر أو من المشتغلين بالأعمال المالية ، مهمته كتابة الصكوك وقبض الأموال من التجار . ابن ممالى : قوانين الدواوين ، ص ٣٠٣ .

وتشير أوراق البردى العربية من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى إلى استخدام بعض المتقبلين لهذه الصكوك فى سداد دين شخص ، فقد ورد فى وثيقة من الصعيد الأعلى قول " يا أبا جميل أعزك الله ، ادفع إلى أبى الحسن متقبل أرض الأمير أيده الله أربعين ديناراً معسولة ، واحسب بها فى حسابك الجرى" (١) .

ازداد استخدام الصكوك خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين كما أظهرت وثائق الجنيزة نظام التعامل بها فكان الشخص يرسل الصك إلى التاجر ، واسم السلع التى يريد ما وثمنها ، وتحمل الوثيقة توقيعها ، فيرسل له التاجر ما يريد ، ويحتفظ بهذه الصكوك ثم يسلمها له ، ويأخذ منه ثمن ما أخذ من بضائع (٢) .

كما كان للتجار وكلاء فى مدينة قفط وعيذاب لتسهيل واستقبال السلع وكان هؤلاء الوكلاء يتعاملون بالصكوك فى معاملاتهم التجارية ويذكر ناصر خسرو فى هذا الصدد أنه لما أراد مغادرة أسوان فى طريقة إلى عيذاب أخذ من تاجر بمدينة أسوان يدعى " أبو عبيد الله محمد بن خليج " كتاباً إلى وكيله فى عيذاب جاء فيه " أعط ناصرأ ما يريد ، وهو يعطيك صكاً للحساب " (٣) فلما انفق ناصر ما معه من مال فى عيذاب أعطى الورقة للوكيل ، فأعطاه ما أراد بعد أن أخذ منه صكاً بذلك ، فقام الوكيل بدوره بإرسال الصك إلى أسوان (٤) . وهذا يدل دلالة واضحة على استخدام الصكوك فى التعامل التجارى فى إقليم قفط خلال العصر الفاطمى الأول .

(١) جروهمان : أوراق البردى ، ج ٢ ، ص ١٤٣ .

(٢) Goitein : Bangers and accounts ... , p . 29 .

(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٧٤ ، ٩٦ .

(٤) ناصر خسرو : المصدر السابق والصفحة .

العملة "النقود" :-

أما النقود المستعملة في مدينة قفط في عمليات البيع والشراء فالواضح كما تدل عليه قطع الأوستراكا^(١) ، أن المعاملات بها كما في مصر قبل الفتح العربى كانت تسودها العملة الذهبية^(٢)، أما عن موقف العرب من هذه النقود عقب الفتح العربى لمصر فيذكر كاترمير Quatremere^(٣) أن الكاتب القبطى بشندى Picendi أسقف قفط الذى عاصر فتح العرب كتب كتاباً إلى أساقفة أمته يقول فيه: "أن العرب أخذوا النقود الذهبية المنقوش عليها الصليب المقدس وصورة السيد المسيح وكتبوا محلها اسم نبيهم محمد الذى يتبعون تعاليمه واسم خليفة نبيهم ونقشوا الاسمين معاً على النقود الذهبية".

ومكثت العملة الذهبية سائدة في إقليم قفط ومصر ، منذ الفتح حتى عهد الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان ، الذى ضرب العملة الإسلامية وألغى السكة غير الإسلامية ، وقد خضعت مصر لعملة الخلافة ، ولم تستقل العملة المصرية عن تلك المستعملة في مصر الإسلامية إلا في عهد الطولونيين والإخشيديين.^(٤)

وكما يقول المقرئى^(٥): "ومع هذا فإن مصر لم تنزل منذ فتحت دار إمارة ، وسكتها إنما سكة بنى أمية ثم بنى العباس إلا أن الأمير أبا العباس

(١) الأوستراكا: قطع من الأحجار والفخار استخدمتها بعض الشعوب القديمة في الكتابة واستنبط منها علماء الآثار كثيراً من الحقائق التاريخية ، وكانت المعاملات قبل الفتح العربى كان أساسها الدينار في الكتابة واستنبط سوليدس Solidus ، وأجزاء الدينار تريميزيون Tremision سيدة الكاشف : دراسات في النقود الإسلامية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٣ سنة ١٩٦٤م - ١٩٦٥م ، ص ٨٢ - ٨٨ .

(٢) سيدة الكاشف : المرجع السابق والصفحة .

(٣) Memoires Geohraphique et historiques Sur L ' Egypt T.J, pp. 343-344

(٤) سيدة الكاشف : دراسات في النقود الإسلامية ، ص ٨٨ .

(٥) النقود الإسلامية : ص ١٢ هامش (٨) ، سيدة الكاشف : دراسات في النقود الإسلامية ، ص ٨ - ٩ .

أحمد بن طولون ضرب بمصر دنانير عرفت بالأحمدية" وكذلك كان الحال في عهد الأمراء الإخشيديين.

ولما تم للفاطميين فتح مصر في سنة ٣٥٨هـ وبناء مدينة القاهرة ضرب القائد جوهر الصقلي في مصر، الدينار المعزى^(١)، وهناك ظاهرة واضحة في هذا العصر وهي تعامل الناس بالدرهم بجانب الدينار، وقد تزايد أمر هذه الدراهم بصفة خاصة في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله وصار الدينار يساوي أربعة وثلاثين درهماً في سنة ٣٩٩هـ، مما أدى إلى انخفاض الأسعار واضطراب أمور الناس. عند ذلك أمر الحاكم ضرب دراهم جديدة وإلغاء الدراهم السابقة وصار الدينار يساوي ثمانية عشر درهماً من الدراهم الجديدة^(٢).

ويقول المقدسي^(٣) عن النقود المستعملة في مصر: "والنقود القديمة المتقال والدرهم ولهم المزنفة خمسون بدينار، ويكثرون التعامل بالراضى، وقد غير الفاطميون النقود إلا هذين وأبطل القطع والمناويل". كما كانت الدنانير تستخدم لتسهيل عمليات البيع والشراء، فقد كانت قيمتها المادية تعادل ثمانية عشر وإلى جانب الدنانير الذهبية والدراهم الفضية في المعاملات التجارية، اتخذ أهالي مدينة قفط والقرى التابعة لها نظام المقايضة في عمليات البيع والشراء نظراً لعدم سهولة التعامل بالنقود في العمليات التجارية الصغيرة^(٤).

(١) المقرئى: النقود الإسلامية، ص ١٢-١٤، وتقرئ عليه فى أحد وجهيه دعاء الإمام المعز لتوحيد الأحد الصمد وفى الوجه الآخر لا إله إلا الله محمد رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون على الفضل الوصيين وزير خير المرسلين ٠ المقرئى: المصدر السابق والصفحة

(٢) المقرئى: نفس المصدر، ص ١٤.

(٣) أحسن التقاسيم، ص ٢٠٤.

(٤) المقرئى: النقود الإسلامية، ص ١٤، جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق، ص ١٦٣

وأشارت وثائق البردى إلى تعامل أهالى إقليم قفط بالنقود الذهبية والفضية فى مختلف نواحي الحياة اليومية فى العصر الإسلامى الأول كسداد الديون ، أو دفع أجور العمال أو شراء السلع أو الأراضى كذلك فى جمع الضرائب من جزية وخراج ، ومن ذلك وثيقة ترجع إلى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، عبارة عن بيع عدة أثواب جاء فيها " قد وجهت إليك من ذلك عشرة أثواب ، الثمن خمسة دنانير وعشرة شقة مشدودة الثمن ثلاثة دنانير وثمان^(١) وفى وثيقة أخرى عن تسجيل قطعة أرض زراعية مؤرخة بسنة ٣٤٨هـ جاء فيها " وطلبت إلى أن أسجلك من الأرض ثلاثة فدادين ، أرض طيبة سودا بثلاثة دنانير معسولة^(٢) .

وكذلك بردية أخرى مؤرخة بتاريخ سنة ٢٢٧هـ عبارة عن استخدام عامل لزراعة فول وردت العبارة " على أن يعطيه فى هذين الشهرين سدس دينار لكل شهر درهمين^(٣) .

وقد استخدمت النقود فى سداد الديون بدل على ذلك أيضاً ما ورد فى وثيقة من القرن الرابع الهجرى جاء فيها " ادفع إلى أبى الحسن مقابل أرض الأمير أيده الله أربعين ديناراً معسولة^(٤) وكانت السكة فى مصر منذ العصر الأموى تضرب فى دور الضرب بكل الإسكندرية والفسطاط وأتريب ، والفيوم والفرماة ومدينة قفط^(٥) وبلدة دندرة^(٦) .

(١) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٦ ، ص ٢٥ .

(٢) جروهمان : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٩ ، لوحة ٥ .

(٣) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٢ ، ص ٩٩ .

(٤) جروهمان : المصدر السابق والجزء ، ص ١٤٢ .

(٥) محمد أبو الفرج العث : مصر والقاهرة على النقود العربية الإسلامية ، أبحاث الندوة العلمية الدولية ، لالفة القاهرة ، ص ٩١١-٩١٢ ، ٩٤٢-٩٤٨ .

(٦) ابن بكرة : كشف الأسرار بدار الضرب المصرية ، نشر عبد الرحمن فهمى (القاهرة ١٩٦٦ م) ص ٢ .

واستمرت هذه الدور قائمة بمصر حتى استولى الفاطميون عليها في سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م حيث ظلت دور الضرب في القسطنطينية والأسكندرية تعمل بصفة منتظمة في سك العملات الذهبية تحت حكم الفاطميين^(١).

والظاهر أن دار الضرب ببندرة ظلت تعمل حتى مجيء الفاطميين إلى مصر ، فليس هناك ما ينفي وجودها حتى كان عهد الخليفة الأمر حيث أمر بإنشاء دار للضرب في قوص^(٢) وكما كانت دار الضرب من المنشآت التي عني بها الخلفاء الفاطميون لارتباطها بحياة البلاد الاقتصادية حيث يشرف عليها قاضي القضاء تعظيماً لشأنها ، وينص على إسنادها إليه في جملة ما يسند إليه من وظائف القاضي واختصاصاته ، وللقاضي أن ينيب عنه في مباشرة شئون دار الضرب من يختاره من نواب الحكم ، وبقي الأمر على ذلك بعذر من الفاطميين^(٣) ولعل السبب في إسناد مهمة الإشراف هذه إلى القاضي هو ضمان شرعية وزن الدنانير والدراهم ، والتأكد من صحة العيار وعدم غش الذهب ، فقد كان القاضي يجتهد في خلاص الذهب وتحرير عياره^(٤).

وهكذا لعبت مدينة قفط دوراً في حياة مصر الاقتصادية لا يستهان به في مختلف أوجه الأنشطة سواء الزراعية منها أم الصناعية والتجارية كما تمتع كثير من أهالي الإقليم بمكانة مرموقة لدى الولاة سواء في عصر الولاة أو في عهد الطولونيين والإخشيديين وأوائل حكم الفاطميين للديار المصرية.

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٦٩، أبو المحاسن النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٥٣ ،

Lane poole (st) : A History of Egypt in the Middle Ages, p. 81 .

(٢) عن إنشاء دار للضرب بقوص يذكر المقرئ أن الأمير مؤيد الملك تولى قوص سنة ٥١٦هـ وأمر أن

يبنى في قوص دار ضرب وجهاز معه مهندسين وضرايين وسك العين والورق وعشرين ألف دينار وعشرين ألف درهم فضة ، ف ضربت هناك دنانير ودراهم وصار كل ما يصل من اليمن والحجاز من

الدنانير وغيرها يضرب بها ، السيد طه أبو سديرة : الحرف والصناعات، ص ١٩٤-١٩٥

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٢، ص ٤٦٢ .

(٤) المقرئ : الخطط ، ج ٢، ص ١٠٦ .

في عهد الدولة الإخشيدية " حين تولى الحسن بن زعنة قضاء مصر ٣٢٤هـ / ٨٤٨م تولى أيضاً

الإشراف على الموارد ودار الضرب . الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٥٦٢-٥٦٣ .

الفصل الثالث

البناء الاجتماعى لمدينة قفط

منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى

(٢٠-٤٨٧ هجرية / ٦٤٠-١٠٩٤ م)

أولاً : القبائل العربية وفروعها :

(١) القبائل العدنانية : بنو أمية - العمرىون - العلوىون - الجعافرة -

العقيلات - مضر - شيبان - بنو ربيعة - بنو

هلال - بنو سليم - بنو مخزوم - بنو كاهل .

بلى - جهينة - الأنصار .

(٢) القبائل القحطانية :

(٣) عناصر سكانية أخرى : (النوبة - البجة - التكارنه - الرقيق - العباددة

- البشارية البدو (المعازة) .

ثانياً : المؤثرات العربية على المصريين :

* اختلاط العرب بالمصريين ونشر العروبة فى منطقة قفط .

* المظاهر القبلية بقفط (القبيلة - الحلف - الولاء - العريف) .

ثالثاً : المظاهر الاجتماعية فى قفط فى العصر الإسلامى :

* الأخلاق والعادات والكرم والزواج .

* الحياة العامة .

* الأعياد والمواسم .

* حفل الختان .

* المأكل والملبس .

* المأتم والجناز .

* دور المرأة فى المجتمع القفطى .

* المجالس الاجتماعية .

البناء الاجتماعي لمدينة قفط في العصر الإسلامي :

أولاً : القبائل العربية وفروعها :

انتشرت القبائل العربية في صعيد مصر منذ الفتح العربي لمصر (سنة ٢٠ هـ / سنة ٦٤١ م)، واستقرت كل قبيلة في المنطقة التي سكنت فيها وهاجرت إليها، وعاشت هذه القبائل كطبقة أرستقراطية متعالية على من سواها في المجتمع المصري، بصفتها صاحبة السيادة العسكرية، التي قضت على الحكم البيزنطي، وتخلص أقباط مصر من الظلم والتعسف الروماني، وظل العرب على هذا الوضع إلى أن جاء العصر العباسي، وما تبع ذلك خلال القرن الثاني الهجري^(١).

انعكست التغيرات السياسية التي شهدتها مصر خلال القرنين الثالث والرابع على الحياة الاجتماعية فيها، فقد صاحب قيام دولتي الطولونيين والإخشيديين، ازدياد نفوذ وأعداد العنصر التركي ذلك العنصر الذي ينتمي إليه الولاة أنفسهم، كذلك كثرت عناصر أخرى كالسودانيين، وفي العصر الفاطمي أضيف إلى تلك العناصر المغاربة والروم وغيرهم^(٢).

ثم ظهر لون من الحياة المدنية نتيجة لاهتمام الولاة بمظاهر دور إمارتهم، ومحاولتهم التشبيه بالخلافة العباسية كما فعل ابن طولون في إنشاءه مدينة القطائع^(٣)، أو كما فعل الفاطميون عندما أقاموا مدينة القاهرة واتخذوها عاصمة لخلافتهم وأنشأوا بها كثيراً من القصور^(٤)، وكانت هناك ظاهرة هامة كان لها أثراً كبيراً في تحديد معالم التطور الاجتماعي ، تلك هي ظاهرة انتشار الإسلام وما تبع ذلك من انتشار الثقافة العربية وانتقالها من الفسطاط

(١) ممدوح عبد الرحمن الريطي : دور القبائل العربية في صعيد مصر، ص ٢١٢.

(٢) رضوان محمد الجناني : القبائل العربية في القرنين الثالث والرابع الهجريين، ص ١٣٨.

(٣) حسن أحمد محمود : مصر الطولونية، ص ١٩٠ - ١٩١.

(٤) آدم متر : تاريخ الحضارة، ج ٢، ص ٢٦٢، ٢٦٨.

إلى مدن وأقاليم مصر الداخلية التي ظلت متمركزة فيها منذ الفتح، ولقد كان مرجع ذلك إلى انتشار القبائل العربية واستقرارها في جهات مصر^(١).

فمنذ أوائل القرن الثاني الهجري كان نزول - قيس - في الدلتا من عوامل انتشار الإسلام^(٢) وقامت للقبائل العربية في القرنين الثالث والرابع بعد نشر الإسلام والعروبة في مناطق الوجهين القبلي والبحري ، واستقرت ما بين الدلتا وأقصى الصعيد^(٣).

ومن أهم عوامل انتشار العروبة والإسلام ، القرار الذي أصدره الخليفة العباسي المعتصم بالله عام (٢١٨ هـ) ، وهو حرمان العرب من الديوان وقطع العطاء عنهم^(٤) الأمر الذي ترتب عليه أن انطلق العرب نحو المجتمع المصري، واندمجوا فيه تعويضاً عن العطاء الذي سقط عنهم ، فتعلموا الحرف المصرية مما دعاهم إلى الاختلاط بالمصريين ومعاملتهم في كافة المجالات اليومية^(٥) كما نتج عن ذلك انتشار الإسلام والثقافة العربية في مختلف أنحاء مصر، وتنازل العرب عن أرسقراطيتهم مع بداية القرن الثالث الهجري^(٦)، وكان من أثر هذا الاختلاط أن اندمجت القبائل العربية مع المصريين في كافة أعمال الحرف اليومية ، وبالتالي حدثت مصاهرات بين العرب والمصريين ، الأمر الذي أدى إلى ظهور العرب كطبقة من طبقات

(١) حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة ، ص ١٢٠ .

(٢) ماكمايل : تاريخ القبائل العربية في السودان ، ج ١ ، ص ١٦٣ .

(٣) المقرئى : البيان والإعراب ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٤) الكندي : الولاة والقضاة ص ١٩٣ ، ويذكر المقرئى : أن المعتصم العباسي أمر واليه على مصر " كيدر بن نصر الصفدى " بإسقاط من فى الديوان من العرب وقطع إعطياتهم بمصر واستبدل مكانهم من الجند الأتراك والموال . مما أدى إلى انسحاب العرب فى الريف والمدن ، وزاولوا نشاط السكان المستقرين . البيان والإعراب ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٦ ، سيد كاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ١٦٣ .

(٦) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

المجتمع المصري لها خصائص جديدة فأصبح العرب مصريين وأصبح المصريون عرباً^(١).

وانقسمت القبائل العربية التي أقامت في مدينة فقط من حيث نسبها إلى قسمين كبيرين هما القبائل العدنانية التي تنتمي إلى معد بن عدنان - جدهما الأكبر ، والتي كانت تعيش في النصف الشمالي من شبه الجزيرة العربية، ويطلق عليها العرب المستعربة^(٢) والقبائل اليمنية أو القحطانية، والتي كانت تعيش في جنوب شبه الجزيرة العربية وأطلق عليهم العرب العاربة^(٣).

١ - القبائل العدنانية :

نزحت غالبية تلك القبائل إلى أرض مصر زمن الفتح ، طلب الوالى حيثرة بن سهيل الباهلى ١٢٨هـ - بعضاً من القبائل العدنانية لإنزالهم مصر حتى لا تتأثر القبائل اليمنية بالنفوذ والتفوق في بلدان الصعيد ، وينقسم العدنانيون إلى قسمين وهما : قبائل مضر - وقبائل ربيعة ، وكل قسم من

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢١٨ ، مصطفى محمد سعد ، الإسلام والنوبة ، ص ١١٠ .

(٢) العرب المستعربة : وهم عرب الحجاز لهم بنو عدنان من ولد إسماعيل ابن إبراهيم (عليه السلام) وسموا بذلك لأن ما يتكلم به من لغة إسماعيل (عليه السلام) كان العبرانية ، والسريانية ، فلما نزل جرهم من القحطانية عليه وعلى أمه بمكة المشرفة تزوج منهم فسموا بذلك المستعرب ويقال لهم المتعربة ويطلق عليهم اسم عرب الشمال القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣١٥ .

(٣) العرب العاربة : وهم عرب اليمن من ولد قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح (عليه السلام) ويذكر عنهم العرب العرباء ، ويطلق عليهم اسم عرب الجنوب ، آبى الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، (استنبول ١٩٣٨ م) ، ج ١ ، ص ٩٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣١٥ . * وهناك العرب البائدة : وهم العرب الأوائل الذين ذهبوا تفاصيل أخبارهم لتقادمهم عهدهم ، وهم قوم عاد وثمود وجدهم الأولى ، وكانت على عهد عاد ، فبادروا وانتهت أخبارهم ، ومن ناحية جرهم الثانية لهم من ولد قحطان ، وبهم اتصل إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ولم يبق من ذكر العرب البائدة إلا القليل . آبى الفداء : المختصر فى أخبار البشر (طبعة القاهرة بدون تاريخ) ، ج ١ ، ص ٩٩ .

هذين القسمين ينقسم إلى عدة فروع صغيرة ، وأهم القبائل العدنانية التي استقرت في هذه المدينة هي :

بنو أمية :

بطن من بطون قريش العدنانية ^(١) وتذكر بعض المراجع المعاصرة أن فريقاً من بني أمية ، قد جاء إلى مصر في زمن الخليفة الراشد " عثمان بن عفان " سنة (٢٤ - ٣٥ هـ / ٦٣٤ - ٦٥٥ م) ، ومن المعروف أن مصر أصبحت ولاية خاضعة لبني أمية بعد أن ضمها معاوية بن سفيان لحوزته في سنة (٣٨ هـ) ^(٢) ، الأمر الذي أتاح للأمويين حرية المجيء إلى مصر ، وبالتالي فقد زادت هجراتهم ، ولكن في العصر العباسي كانت هجرات الأمويين إلى مصر أكثر وضوحاً بعد أن تعقب العباسيون أبناء عموماتهم من الأمويين بالقتل والنفي والتشريد ^(٣) فهرب بعض الأمويين إلى مدينة قفط فراراً من المذابح التي كانوا يتعرضون لها ^(٤) ، وأقام فريق كبير من جند عبيد الله وعبد الله - أبناء الخليفة مروان ابن محمد في منطقة مدينة قفط ^(٥) ، وكان من الذين فروا بأرواحهم وأنفسهم هو عاصم بن أبي بكر عبد العزيز بن مروان الذي فر بنفسه إلى مدينة قفط ومعه أخوة عمر وأولاده الثلاثة " عبد الملك ، وإيان ، ومسلمة " ^(٦) واستقروا في قفط ولما سمع والي

(١) قريش : مجموعة قبائل من نسل مالك بن النضير بن كنانة مدركة بن مضر نزار بن معد بن عدنان وقيل من ولد فهر بن مالك ، وقريش جماع نسب وليس بأم ولا باب ولا حاضن ، والتقرش عند العرب يعني التجمع . المقرئزي : البيان والإعراب ، ص ٢٣ ، ممدوح عبد الرحمن الربطى : دور القبائل العربية في صعيد مصر ، ص ٨٠

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١٩ .

(٣) مكى شبة : السودان عبر القرون ، (بيروت ١٩٦٥ م) ، ص ٢٧ .

(٤) A.H Saleh : Le Migrations bedoiunes en Egypt Ou Orientale Dynopoli Mayen Age , Istituo Orient ale di Napoli (Napoli 1981) VOL 41, P. 12.

(٥) المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، مكى شيكة : السودان عبر القرون ، ص ٢٠ .

(٦) الكندي : المصدر السابق ، ص ٩٨ - ٩٩ .

العباسى صالح بن على خبرهم بعث فى طلبهم واعطاهم الأمن والأمان فنزحوا إلى القسطنطين سنة ١٣٣هـ - ٧٥١م وفى الطريق تم القضاء عليهم^(١). ولم يقتصر سكنى الأمويين على مدينة قفط بل انتشروا فى منطقة الصعيد الأعلى فمنهم من قطن فى منطقة عيذاب^(٢)، وأيضاً سكنوا حول اخميم من ناحية الجنوب حتى مدينة قفط^(٣) وقطنوا فى أسوان من ناحية الجنوب على مدينة قفط^(٤)، وهكذا نرى قبيلة بنى أمية قد قطنت المدينة وشكلت عنصراً من عناصر السكان فى إقليم قفط حتى العصر الفاطمى^(٥).

العمرىون :

وهم بطن من قریش^(٦) ينسبون إلى عمر بن الخطاب الذى ينتمى نسبه إلى عدى بن كعب بن لؤى بن غالب^(٧)، وقد جاء إلى مصر عناصر من بنى عدى منذ الفتح العربى لها^(٨)، وقد سبقت الإشارة إلى الدور الذى قام

(١) الكندى : المصدر السابق . Garcin : Uncentre Musulman , PP .60, 61

(٢) المقرئى : البيان والأعراب ، ص ١٤٥ ، مصطفى مسعد : الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى ص ٢٥٦ .

(٣) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٢ ، ص ٢٩ .

(٤) ومن موالى بنى أمية بأسوان أحمد بن معاوية بن عبد الله الأسوانى العالم المتوفى سنة ١٢١ هـ وأيضاً هارون بن يوسف الأسوانى من موالى عثمان بن عفان ، ومعاوية بن هبة الله الأسوانى المتوفى سنة ٢١٨ هـ ، وبلال بن يحيى الأسوانى (ت ٢١٢ هـ) ومحمد بن عبد الوارث بن جرير (ت ٢٩٢ هـ) الادلوى : الطالع السيد ، ص ١٤٥ ، ٦٨٩ ، ٦٤٨ ، ١٢٤ ، ٥٤٢ ، وعثر على شاهد فى جبانة أسوان يحمل اسم محمد بن حيوى بن حفص الاموى (ت ٢٥٤ هـ)

Abd Ar – rahman Abd Al – Tawab , Steles is Islamiques, VOL,I , p.126. (le caire 1977 , 1982 – 1986) Hassan : The Arabs and The Sudan , P : 57 .

(٥) مكى شيبه : السودان عبر القرون ، ص ٢٠ .

(٦) السمعاني : أنساب العرب ، (ليدن ١٩١٢ م) ج ١ ، ص ٣٨٦ .

(٧) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ص ٣٥٥ .

(٨) محمد بن حامد المراغى : شدا العرب الندى فى تراجم علماء بنى عدى ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٥٨٠١ ، ميكرو فيلم ١٦٥٦ ، ورقة ٤ .

به عبد الرحمن العمرى الذى ينحدر من نرية عمر بن الخطاب فى بلاد
البجة المتاخمة لحدود مدينة ققط^(١) إذا استطاع أن يجمع الحشود من ربيعه
وجهينة وغيرهم وزحف إلى بلاد البجة والنوبة، واستطاع أن يضع حدا
لغارات البجة على حدود مصر الجنوبية^(٢)، ومن المحتمل أن نرية أبى عبد
الرحمن العمرى ظلت فى أرض المعدن ومنطقة الصعيد الأعلى^(٣).

وعثر على شاهد قبر نقش عليه اسم أم أبى عبد الله محمد بن أحمد
بن عبد الرحمن العمرى المتوفاه سنة ٢٥٩ هـ^(٤) الدليل على ذلك أن بعض
العمرية من بنى عدى قد جاء إلى مصر ولحقوا بإخوانهم فى منطقة مدينة
ققط فى أواخر العصر الفاطمى.

قبيلة قريش :

تتنمى هذه القبيلة إلى ولد مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن
مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان^(٥)، ويطلق نسب
قريش على مجموعة من القبائل العربية التى وفدت إلى مصر فى زمن الفتح
العربي^(٦) فقد نزل البعض منهم الفسطاط وكانوا من ضمن أهل الراية^(٧) وفى

(١) المقرئى : المقفى الكبير، ج ٤، ص ٤٠٥-٤٠٦.

(٢) المقرئى : البيان والأعراب، ص ١٢٠، عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة
الأولى للهجرة، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٢ م، ص ٩٦.

(٣) Saleh : Les Migrtions bedoiunes Egypt ou Mayen Age , p . 12 .

محمود الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى، ص ١٩٨.

(٤) Hawary et Raehed, Steles Funeraire , vol , III , p . 52 .

(٥) المقرئى : البيان والأعراب، ص ٢٣.

(٦) عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية، ص ٨٥.

(٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب، ص ٩٨، ابن دلقاق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج ٤، ص ٣.
المقرئى البيان والأعراب، ص ٩٩.

العصر الأموي والعباسي وفد إلى مصر من القرشيين الذين هاجروا مع ولاية الأمويين والعباسيين^(١).

وقد بدأت بطون قریش منذ الربع الأخير من القرن الأول الهجري الزحف تجاه الجنوب، كما فعل بنو أمية من قریش، حيث فروا إلى منطقة مدينة قفط، خوفا من اضطهادات بني العباس لهم، ومما يؤكد وجودهم في هذه المنطقة، ثورة دحية بن مصعب الأموي في سنة ١٦٧ هـ^(٢)، وتغلبه على عامة المنطقة، وهذا دليل على وجود عصبية قرشية قوية هناك، ومن موالى قریش ظهور بعض الثوار العلويين من قریش كابن الصوفي^(٣)، وبغا الأكبر وبغا الأصغر ما بين عامي (٢٥٣ هـ - ٢٥٥ هـ) ولوجود عدد كبير من القرشيين في هذه المنطقة، ومن العرب بصفة عامة، ما خرج هؤلاء الثوار على السلطة الحاكمة في هذه البلاد خلال عهد أحمد بن طولون^(٤) وذلك على نحو ما أوضحنا من قبل ومشاركتهم في تلك الأحداث السياسية.

وفي منتصف القرن الثالث الهجري جاءت هجرة من القرشيين إلى منطقة قفط حتى بلغوا أسوان وكثر عددهم^(٥)، وصارت لهم الغلبة في بلاد هذه المنطقة^(٦) ولم يقتصر سكنى القرشيين على قفط بل انتشروا في منطقة

(١) Macmical , A history of the Arabs in the Sudan , vol I , p . 141.

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٤٩ . ومن موالى قریش ذى النون الإخميمى الزاهد ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٥٢ ، عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية ، ص ٨٧ . ٨٨

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٧ ، أحداث سنة ٢٥٦ هـ .

(٤) الكندى : الولاية والقضاء ، ص ٢١١ . وهناك شاهد قبر باسم "بليقيس أہنت هاشم بن عبد الرحمن بن على بن وردان القرشى Wiet: Steles Funereires Catalogue du Mussee, Arabe, Vol II, P: 72

(٥) المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ص ١٨ ، عبد الله الخورشيد البرى : القبائل العربية فى مصر ، ص ٨٩ .

(٦) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٠ . Saleh : Ibid , p . 12

الصعيد الأعلى وشاركوا أبا عبد الرحمن العمرى فى حروبه ضد البجة ، واستوطنوا أرض المعدن وتزاجوا مع البجة^(١)، ويؤيد ذلك ما ذكره المقرئى أن فريقاً من القرشيين إستقروا فى وادى العلاقى وإشتغلوا بالتعدين^(٢).

ويذكر ماكمايكل^(٣) أن فريقاً آخر من القرشيين قد عبروا البحر الأحمر فى عصر الطولونيين (٢٥٤ - ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ - ٩٠٥ م) ، واستقروا فى المنطقة المتاخمة لحدود مدينة قفط من ناحية الجنوب^(٤)، وقد أظهر الفاطميون ميلاً إلى العرب وخاصة القرشيين ، ورحبوا بهم، وقد توافدت قبائل قریش على بلاد منطقة قفط والصعيد الأوسط التى صارت تعرف باسم " بلاد قریش"^(٥).

وقد عثر على شواهد قبور يحمل أصحابها أسماء تأتى فى نهايتها كلمة القرشى مثل عمارة بنت موفق بن يحيى بن عبد الله القرشى (ت ١٩٠ هـ)، وآمنة بنت عبد القرشى (ت ١٩٨ هـ)^(٦) وحين بن يوسف بن يعقوب القرشى (ت ٢٥٠ هـ)^(٧).

العلويون :

هم أبناء البيت الهاشمي، وينتمون إلى على بن أبى طالب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وينقسم العلويون إلى فريقين وهما: الحسنيون والحسينيون، وقد تأخر ظهورهم فى مصر^(٨)، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن

(١) عبد الرحمن حسب الله : العلاقات بين بلاد العرب وشرق السودان ، ص ١٢١ .

(٢) المقرئى : البيان والإعراب ، ص ١٠٧ .

(٣) Mac micheal : A history of the Arabs in the Sudan , p. 142

(٤) القلقشندي : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، ص ١٨٦ .

(٥) Yusuf Fadl: the Arabs and the Sudan , p. 94.

(٦) Hawary et Rached , Steles Funeraires , Vol, I , p . 15 . 25.

(٧) Wiet : Steles Funeraires vol , p 178.

(٨) عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية فى مصر، ص ١١١ .

الحسن والحسين لم يشهدا الفتح العربي لمصر، ولم يتحرك العلويون نحو مصر إلا في أواخر العصر الأموي بسبب ما تعرضوا له على أيدي حكام بني أمية من القتل والتشريد^(١).

وأشار ياقوت الحموي^(٢) على وجود العلويين في مدينة قفط بقوله: "أن مدينة قفط وقف على العلوية من أيام علي، وليس في ديار مصر ضيعة وقف ولا ملك لأحد غيرها وأيضاً سكنوا في المنطقة المتأخمة لحدود قفط من ناحية الصحراء الشرقية، فقد وجدت بعض العناصر العلوية منذ العصر الطولوني، وأن أبا عبد الرحمن العمري قد تمكن من قتل جعفر بن إسحاق بن عبد الله من أولاد جعفر الصادق بعد أن تغلب على البجة، ولم يكن تجاوز سبعا وعشرين عاماً، ولم يزل قبره موجوداً في المنطقة^(٣)، وقد أشار بعض الباحثين إلى وجود عناصر علوية في مدينة قفط في العصر الفاطمي^(٤)، مما يؤكد على وجود عناصر علوية في مدينة قفط.

أ - الطالبيون :

الطالبيون هم بطن من البيت الهاشمي، ممن ينتمون إلى أبي طالب من بني هاشم ابن عبد مناف عم الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان يعرف بمصر كل من ينتمي إلى العباسيين والعلويين والجعفرية وبني هشام وهم بطن من عبد المطلب بن هاشم من قريش من العدنانيين^(٥).

ومن ذرية علي بن أبي طالب التي عاشت بإقليم قفط أحفاد الحسن والحسين، من فاطمة بنت الرسول عليه السلام، وقد عرف أحفاد الحسن

(١) أحمد حسين النمكي : صحراء مصر الشرقية في العصر الفاطمي، ص ١٢٢.

(٢) معجم البلدان : ج ٧، ص ١٣٩.

(٣) ابن فندق : لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، تحقيق السيد الرجائي (بيروت بدون تاريخ)، ج ١، ص ٤٥.

(٤) محمد عبده الحجاجي : عالم وكتاب القفطي وأخبار العلماء بأخبار الحكماء، مجلة الأمة، قطر، العدد

السادس عشر، (١٩٨٢م) ص ٢٤٢.

(٥) القلقشدي : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ١٤٢.

بالحسينيين، أما أحفاد الحسين عرفوا بالحسينيين^(١) وينتمون إلى محمد بن عبدالله عندما ظهرن دعوة بنى الحسين ١٤٤هـ - ١٤٥هـ وبعد فشل حركته اضطر للاختفاء في قرية من أعمال فقط بالصعيد^(٢) نذكر أن الحسينيين ممن عاشوا في مدينة فقط ، فقد ظهر على إحد شواهد القبور الذى يؤيد وجودهم بالمنطقة من يحمل إسمًا ينتمى إلى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب (٣١٥ هـ)^(٣).

وكانت هناك ظاهرة هامة أن الحسينيين أحفاد الحسين بن على بن أبى طالب، وهى أن الأسماء التى تنسب إلى الحسين بن على بن أبى طالب يسبق معظمها كلمة الشريف أو الشريفة ، ويبدو أن أحفاد الحسين بن على هم الذين عرفوا بالأشراف دون غيرهم من ذرية على بن أبى طالب ، ومن رواية للقلقشندي ترجح أن لقب الأشراف قد اقتصر على أحفاد الحسين بن على دون غيرهم^(٤)، كما عثر على شاهد قبر لشخصية تنتمي إلى ذرية على بن أبى طالب من ولده محمد الملقب بابن الحنفية (ت ٨١ هـ)، تلك الشخصية هى زينب ابنة على بن عيسى بن عبد الله بن جعفر بن محمد بن على بن أبى طالب ، والمتوفى حوالي منتصف القرن الثالث الهجري^(٥).

ب - قبيلة الجعافرة :

وهم الفرع الأول من البيت الطالبي الذى ينتمي إلى جعفر الطيار بن على بن أبى طالب حيث نزلت منهم بمنطقة مدينة فقط^(٦)، وفى أعقاب الفتنة

(١) محمود الحويرى : أسوان فى الصور الوسطى ، ص ١٩٥ .

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١١١-١١٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١-٢ .

(٣) Wiet : Steles Funeraire , Vol, IV, P: 180.

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣٥٩ .

(٥) Wiet : Steles Funeraire , Vol , VI , PP: 177 - 178 - 190 .

(٦) القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ١٢٤ - ١٢٥ ، أحمد لطفى السيد : قبائل العرب فى مصر ، ص ٦٢ (دار الكتب

المصرية ١٩٣٦ م) ، عبد المجيد عابدين : البيان والإعراب ، ص ١٥٩ .

التي حدثت في عهد الخليفة عثمان ابن عفان نزحت إلى مدينة ققط^(١)، ويشير المقرئى أن الجعافرة المنسوبين لجعفر بن أبى طالب، وسمى بجعفر الطيار^(٢) بينما يذكر القلقشندي^(٣) في هذا الصدد أن جماعة الجعافرة هي التي تنتمي لجعفر الصادق من أحفاد الحسين بن على قد استوطنوا في مدينة ققط، ومن بطونهم الجبارة وهم أولاد حيدرة والسلطنة وهم أولاد أبى جحيش^(٤) وقد قطن الجعافرة مدينة ققط الذين ينحدرون من سلالة جعفر الطيار بن أبى طالب، وقد أتوا إلى مصر في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى^(٥).

وأشارت شواهد القبور التي عثر عليها وأصحابها هم "إبراهيم بن محمد بن محمد بن يحيى إبراهيم بن محمد بن جعفر ابن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب (ت ٣٨٥هـ)^(٦)، ومحمد بن ياسين بن محسن الجعفرى (ت ٣٤٥هـ)^(٧) وجوهرة مولاه أم الحسين المعروفة ببليانة

« جعفر الطيار : وكنى بذلك لانه عندما قطعت يده بمؤلة سنة ٨ هـ ، من أرض الشام بعد زيد بن حارثة ووجد أكثر من ثمانين جرحاً ، وكان عمره أربعين سنة فحزن عليه النبى حزناً شديداً ، ثم رأى فيما كشف له أن له جناحين مملؤين بالدم يطير بهما مع الملائكة فى الجنة ولهذا سمي بجعفر الطيار .

المقرئى : البيان والإعراب ، ص ٢٣ ، ٣٦ ، ٣٩ ،

عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية ، ص ١١٤ .

(١) عبد المجيد عابدين : البيان والإعراب ، ص ٣٢ .

(٢) المقرئى : البيان والإعراب ، ص ٣٣ - ٣٦ .

(٣) : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣٥٩ .

(٤) وأشار المقرئى إلى جماعة أخرى في أسبوط من سلالة أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب يعرفون بأولاد الشريف قاسم . البيان والإعراب ، ص ٣٣ - ٣٤ .

(٥) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان ، ص ٣٣ .

(٦) Wiet : Steles Funeraire , Vol. , VI, P : 3 .

(٧) Wiet : op-cit , Vol. , VI, P : 3 .

ابنه محمد بن ابراهيم بن محمد بن يحيى بن ابراهيم بن محمد بن جعفر بن
ابى طالب (ت ٤٥٥ هـ)^(١).

ج - العقيلات :

وهم الفرع الثانى من البيت الطالبى فهناك فرع بنى عقيل الذى
انحدرت منه قبيلة العقيلات أو العليقات^(٢) والتي سكنت منطقة قفط فى
العصر الإسلامى الأول بجوار بنى عمومتهم الأشراف الجعافرة والعلويين
من حسنيين وحسينيين .

يشير المقرئى إلى أن العليقات عشيرة من جملة العشائر التى تعمل
فى وادى العلاقى بعد أن أجذب الوادى ولحق به الدمار والخراب فنزحوا إلى
إقليم قفط وهم ينتمون إلى عقيل بن أبى طالب^(٣)، وقد جاء بعض من أشراف
العقيلات إلى مدينة قفط منذ عصر الولاة (٢١ - ٢٥٤ هـ / ٦٤١ - ٨٦٨ م)
وظهر منهم مسلم بن بكار العقيلى (١٧٧ - ١٧٨ هـ / ٧٩٤ - ٧٩٥ م)^(٤)،
كما تم العثور على أحد شواهد القبور وهو لأحد العقيليين نزلت العليقات فى
قوص واستقروا بجانب الحاجر الشرقى من النيل وامتلكوا فيه الأراضى
الواسعة والسبعس الآخر من فروع تلك القبيلة نزحت إلى وادى العلاقى،
وكانت العليقات فى مدينة قفط إما أن يكونوا من فروعها، أو من عربان
أخرى دخلت فى العليقات بالحلف والولاة^(٥).

(١) محمود الحويرى : أسوان فى الصور الوسطى ، ص ١٩٢ .

(٢) وتنسب قبيلة العليقات إلى ذرية مسلم بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب المبرد : نسب

عدنان ولحطان (القاهرة ١٩٣٦ م) ، ص : ١٤ ، أحمد لطفى السيد : قبائل العرب فى مصر ، ص ٢٩

(٣) المقرئى : البيان والإعراب ، ص : ١٦٠ .

(٤) الكندى : الولاة والقضاة ، ص : ١٣٦ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

(٥) عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية ، ص : ١٢٨ ، ١٣٢ .

البيت فى تشير *** والعدد فى عقيل

البرى : المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

وتزايد العليقات في مدينة قفط في عهد الفاطميين، وتزايدت أعداد أحفاد الهاشميين من حسنيين وحسينيين وذلك لقرابتهم القوية بهذه الدولة من جدتهما فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١).

(٥) قبيلة مضر :

أما مضر فهي قبيلة عربية عدنانية ، وهي من مضر بن نزار بن عدنان ، كانت ديارهم باليمامة شرقي شبه الجزيرة العربية ، وكانت لهم الرياسة في مكة والحرم^(٢)، ولكنها نزحت من المشرق وتركت أوطانها تحت ضغط بنى الأخيضر لهما ونزلوا مصر ولحقوا بإخوان لهم في الفسطاط^(٣)، حيث واصلوا رحلتهم جنوباً إلى الصعيد الأعلى بالعيالات والذرية ، فاستقروا حول مناجم الذهب في سنة ٣٣٢ هـ في منطقة قفط^(٤).

وهذا ما أكدّه المسعودي بقوله^(٥): "وتزوجوا من البجة فقيت بمن صاهرها وقيت بالبجة على من ناواها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار فمن سكنوا تلك الديار" وفي منتصف القرن الثالث الهجري طلب عبد الرحمن العمري من المضرية مساندته في حرب ضد البجة الذين قتلوا أخاه إلا أنهم رفضوا ذلك ولم تنضم إليه فنظم قصيدة القى فيها باللوم والسخط على مضر جاء فيها^(٥) :

(١) أحمد لطفى السيد : قبائل العرب في مصر ، ص ٨٦ .

(٢) المضريون : هم أولاد نزار بن معد بن عدنان ومنهم مضر وربيعة وإياد أولاد نزار ، ابن حزم الأندلسي جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة ١٩٨٢ م) ، ج ١ ، ص ١٠ - ١١ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص : ١٢٦ - ١٢٧ .

(٤) اليعقوبي : البلدان ، ص ١٢٣ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٢١ ، المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٧ - ١٩٨ ، عبد المجيد عابدين : البيان والإعراب ، ص : ١٠٦ - ١٠٧ .

(٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٢ ، ص ١٨ .

(٥) المقرئ : كتاب المقفى الكبير ، تحقيق محمد البلاوى ، ج ٤ ، ص ٤٠٥ - ٤١٠ .

إذ جرى الله أقواماً بعادية
فلا جرى مضرأً عنا بإحسان
أعنى الدين بشط النيل مسكنهم
ما بين قوص إلى ساحات أسوان
عليها تميم وما كانت بخاذلة
في النائبات وما كانوا بدلان

ويتضح من ذلك أن منطقة قفط قد امتلأت بالسكان من قبائل مضر
فقد تحالفوا مع قبائل ربيعة في هذه الأماكن وقبيلة مضر تمتعت بنفوذ قوى
في بلاد البجة واستمروا بها حتى العصر الفاطمي^(١).

بنو شيبان

هم أحد فروع قبيلة ربيعة وبطن من بطونها وينسبون إلى شيبان^(٢)،
وقد هاجر فريق منهم إلى مصر سنة (١٢٧ - ١٢٨ هـ / ٧٤٦ - ٧٤٧ م)،
وفي سنة (٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م) نزح فريق من بني شيبان مع القائد خالد بن
يزيد الشيباني الذي جاء إلى مصر بأمر من الخليفة العباسي المأمون من أجل
الإستيلاء على مصر من يد الوالي عبيد الله بن السري، ويبدو أن خالد
الشيباني فشل في تلك المهمة وخرج من مصر عائداً إلى بلاد الحجاز^(٣).
ومما لا شك فيه أن أفراداً من بني شيبان من الذين جاءوا مع القائد خالد
الشيباني استوطنت لهم الحياة في مصر، وبصفة خاصة في مدينة قفط^(٤).

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٨ - ٢٢ ، المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٢ ، يعقوبى : البلدان ، ص ١٢٣ .

(٢) شيبان بن ثعلبة بن عكابه بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣٣٨ .

(٣) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١٧٤ - ١٧٧ ، وعبد الله خورشيد البري : القبائل العربية ، ص ١٤٠ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .

وكان منهم من يقطن بالقرب من مدينة قفط من بيوت بنى شيبان
نذكر منهم محمد بن محمد بن عيسى بن نحام بن نجده بن معتوق الشيباني
الشاعر^(١)، ويذكر الكندي^(٢) أن خلق من ربيعة وفد إلى مصر سنة (٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م) في حملة عسكرية بقيادة خالد الشيباني استطابت لهم الحياة
في مصر ومدنها^(٣).

ويشير الأديب^(٤) إلى أن نزوح بنى شيبان بالقرب من قفط وفي بلده
تدعى الطود^(٥) قائلا: "وكان طود بلداً بحراً وكان بنو شيبان ممدوحين" وقد
قطنت جماعات من بنى شيبان جنوب مدينة قفط، بينما فريق منهم نزلوا
بأرض المعبدن مع أبناء عموماتهم من بنى قيس بن ثعلبة^(٦)، وقد أشار
المقريزي إلى وجود بعض من بنى ثعلبة في صحراء مصر الشرقية
المتاخمة لحدود مدينة قفط^(٧)، وما يؤكد على ذلك وجود شاهد قبر نقش عليه
اسم حسين بن مقبل مولى بشر بن شعيب بن داود الشيباني المتوفى سنة
(٣٨٧ هـ) وجد في الجنوب من مدينة قفط^(٨).

**حيث وردت بعض أسمائهم والتي كان من أشهرها الوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن
إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن محمد بن ربيعة الشيباني (ت
٤٦٤ هـ) الإدفي: الطالع السعيد، ص ٤٣٦-٤٣٧.

(١) الأديب: المصدر السابق، ص ٦١٣.

(٢) الولاة والقضاة، ص ١٧٤، عطية القوصي: تاريخ دول الكنوز الإسلامية، ص ٢٢، ٢٣.

(٣) عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية في مصر، ص ١٧٤، ١٧٦.

(٤) الطالع السعيد، ص ١٧.

(٥) قرية الطود: هي إحدى القرى التابعة لمدينة الأقصر، وهناك جماعات من بنى شيبان في منطقة مدينة
قفط التي سكنها قبائلهم من قبل خلال العصر الإسلامي الأول، ففي قرية الطود مركز الأقصر -
وقرية المخزن - مركز قوص تابعة لمحافظة قنا لا تزال تعيش فيها سلالات يعرفون بقبيلة الشيبانية.
على الخطيب: القبطى حياته وأدبه (الطبعة الأولى بالقاهرة ١٩٨٣) ص ٢٨-٢٩.

(٦) محمود محمد الجويري: أسوان في العصور الوسطى، ص ٢٠٣.

(٧) المقريزي: البيان والإعراب، ص ٤٤.

(٨) Wiet: Steles Funeraire, Vol, VI, P: 49.

قبيلة "الكنوز"

تتنمي إلى نزار بن معد من عدنان^(١)، وكانت ديارهم في تهامة من بلاد شبه الجزيرة العربية^(٢)، فهاجر بعض منهم إلى مصر على زمن الفتح العربي لمصر^(٣)، وقد تمت هجرة ربيعه لمصر تحت ضغط من بني الأخيضر الذين أجبروهم على الجلاء عن اليمامة فنزحوا إلى مصر^(٤)، ثم جاء منهم جيش كبير سنة (٢٠٧ هـ) مع خالد الشيباني - الذي تولى مصر حينذاك^(٥)، ولكن الهجرة الفعلية لربيعه إلى مصر تمت في عهد الخليفة المتوكل على الله العباسي سنة (٢٤٠ هـ - ٨٥٤ م) حيث نزحوا في أعداد كبيرة، وانتشروا في منطقة قفط^(٦).

وارتفع نجم ربيعه عندما استطاعت بقيادة أبي عبد الرحمن العمرى سنة (٢٥٥ هـ) أن تضع حدا لغارات البجة على مدينة قفط فقد اتصلت ربيعه منذ ذلك الحين بالبجة وأصهروا إليهم^(٧) فقويت ربيعه بذلك إلى حد استطاعت معه أن تحتل وادي العلاقي وأن تسيطر على معادن الذهب به^(٨)، وفي حوالي القرن الرابع الهجري، سيطرت ربيعه وأمتد نفوذها على مدينة قفط ومصر العليا نظراً لكثرة رجال بني ربيعه وتميزت بكثرة رجالها وتفوقها

^(١) ابن الحنبلي: الآثار الرفيعة في مآثر بني ربيعة، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٩٠٧ ح ميكروفيلم ٥٠٣٧٨، ورقة ٣٠٢.

^(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٠٥-٣٠٦، عمر رضا كحالة: معجم القبائل العربية، ج ٢ ص ٤٢٤.

^(٣) عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية في مصر، ص ١٣٩.

Saleh: Les Migrations bedouiunes Egypt ou Mayan Age, p. 14

^(٤) المقرئ: المصدر السابق والصفحة.

^(٥) عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية في مصر، ص ١٤٠.

^(٦) المقرئ: البيان والإعراب، ص ٤٨.

^(٧) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٨.

^(٨) المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ١٨، المقرئ: الخطط ج ١، ص ١٩٧-١٩٨.

العددي الأمر الذي جعلها تقوم بدور هام في تراحمهم على الذهب ودخولهم في حروب القبائل العربية الأخرى من أجل السيطرة على تلك المناجم ، وعلى المناطق الواقعة في أرض المعدن والتي تقع شرق مدينة قفط^(١)، وكما استمر تواجدهم في تلك الجهات حتى عصر الفاطميين ، يشير إلى ذلك أن أحد أحفاد إسحاق بن بشر ويدعى أبو المكارم هبة الله وكان مواليا للفاطميين وقد نجح في إلقاء القبض على الثائر الأموي أبي ركة الذي خرج على الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي وخلع عليه الحاكم لقب كنز الدولة كما أشرنا من قبل ومنذ ذلك الحين صار لقبا توارثته القبيلة فأشتهروا ببني الكنز^(٢) وعرفت بهذا الاسم وظل متداولها لها حتى عصرنا الحاضر ، وإستطاع بنو ربيعة في العصر الفاطمي أن يؤسسوا لهم إمارة عرفت بأسمهم في وادي العلاقي وقد أعترف بها الخلفاء الفاطميون^(٣).

بنو هلال :

تعتبر قبيلة بني هلال^(٤) من أقوى وأشهر القبائل العربية العدنانية التي سكنت منطقة قفط ، وأشارت المصادر التاريخية إلى ظهور بني هلال في مصر في منتصف القرن الثالث الهجري، فظهر منهم عبد الله بن حليس الذي قاد ثورات أهل الحوف ضد الدولة العباسية سنة (٢١٤ هـ - ٨٢٩م)^(٥)،

(١) مكي شيكة : السودان عبر القرون ، ص ٢٥ ،

Saleh: Les Migations bedoiunes Egypt ou Mayen Age p . 14

(٢) المقرئزي : البيان والإعراب ، ص ١٢٤ - ١٢٥ ، ويوسف فضل : المعالم الرئيسية في الهجرة العربية إلى السودان ، ص ١١٧ .

(٣) المقرئزي : البيان والإعراب ، ص ١٢٣ ، ماكمايكل : دخول العرب السودان ، ص ١٤ .

Arkell : A History the Sudan From the ear liast Time to (1821) p . 20 .

(٤) بنو هلال : فهم ينتمون إلى هلال بن عامر من صعدة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حصفه بن قيس بن مضر بن نزار بن عدنان . المقرئزي : البيان والإعراب ، ص ٢٨ ، ابن حبيب : مختلف القبائل العربية ومؤلفها تحقيق إبراهيم الأبياري ، ص ٤٧ .

(٥) السيد طه أبو سديرة : الهلاليه في صعيد مصر ، ص ١٦ .

ويؤيد ما ذكره القلقشندي^(١) من أن ظهور بني هلال في مصر كان متأخرا، وعلى الرغم من ذلك إلا أنهم انتشروا في منطقة قفط وبلاد الصعيد كلها^(٢).

وتشير المصادر التاريخية في نفس الوقت إلى نزوح بطون من بني هلال إلى منطقة الصعيد الأعلى ، فظن منهم بنو رفاعة وبنو حجير ، وبنو عزيز ، كما أقام بنو عقبة وبنو جميلة في أسنا وهي إحدى مدن إقليم قفط آنذاك ، ولم يقتصر سكنى بني هلال على منطقة مدينة قفط بل انتشروا حول أخميم ومن بطونهم بنو قره ، وبنو عمرو بساقية قلنة وقطنوا بها من ناحية الجنوب حتى مدينة قفط^(٣)، كما ظن من بني هلال بمنطقة قفط الدويحية والغزارية بأسنا^(٤)، ووجدت أعدادا كبيرة منهم بمدينة قفط وما فوقها من بلاد الصعيد الأعلى^(٥)، بينما يرى البعض أن قبائل السعادي بالواحات تنتسب إلى الهلالية حيث أقامت أعداد كبيرة منهم بالواحات ، ويرجع نسبهم إلى سعدى بنت غازي الهلالية^(٦) الذين استوطنوا مدينة قفط^(٧)، وبنو هلال من القبائل العربية التي تتصف بشدة المراس ، وفي كل مكان كانوا يقيمون فيه يحدثون لونا من الشغب وخاصة في العصر الفاطمي ففي سنة (٤٤٢هـ/١٠٥٠م) هزموا الجيش الفاطمي ولكنهم هزموا بعد ذلك^(٨)، ومن ثم حاول الوزير أبو

(١) نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، ص ٢٧٠ ، المقرئى : البيان والإعراب ، ص ٢٩ .

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٢٤١ ، السيد طه أبو سديرة : المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٣) القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ٣٥٦ ، قلاند الجمان ، ١١٩ ، المقرئى : البيان والإعراب ، ص ٢٨ ، ١٢٨ ، Hassan : the Arabs and the Sudan , p . 137 ومن بنو هلال : بنو قره الذين سكنوا قرية

بمدينة أسيوط تحمل اسمها إلى يومنا هذا ، المقرئى : المصدر السابق ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٤) القلقشندي : قلاند الجمان ، ص ١١٨ - ١١٩ .

(٥) القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ٢٠٢ ، المقرئى : البيان والأعراب ، ص ٢٧ .

(٦) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٥٥ .

(٧) أحمد لطفى السيد : القبائل العربية في مصر ، ص ٥٦ .

(٨) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٢ ، ص ١٣١ ، أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي

والفاطمي ، ص ٢٩٩ ، السيد طه أبو سديرة : الهلالية في صعيد مصر . ص ٥١ ، ٥٥ .

محمد الحسن اليازورى (٤٤٢ - ٤٥٠ هـ / ١٠٥٠ - ١٠٥٨ م) وزير الخليفة المستنصر بالله الفاطمي أن يتخلص من بنى هلال الذين أستفحل خطرهم فى الصعيد الأعلى وبخاصة فى قفط وخوف الفاطميين منهم فأرادوا أن يتخلصوا منهم عن طريق السماح لهم بعبور النيل والتوجه إلى بلاد المغرب للقضاء على غريمهم المعز بن باديس الصنهاجى صاحب القيروان^(١).

بنو سليم:

وقد نزل ما يقرب من مائة أسرة من قبيلة بنى سليم إلى الحوف الشرقى فى هجرة قيس الكبرى (١٠٩ هـ) ، على يد ابن الحباب^(٢) ، ويبدو أنهم نزحوا إلى مناطق إقليم مدينة قفط حيث أشغل أفرادها بالزراعة وتربية الخيول نظرا لطبيعة البيئة التى تشبه بيئتهم^(٣).

وهم من القبائل العدنانية التى جاءت إلى مصر فى العصر الفاطمى وكانوا يقطنون منطقة الحجاز بين المدينة بالقرب من الطائف وكانوا يطيفون رحلة الشتاء والصيف وأطراف العراق والشام ، وكانوا يغيرون على الحجاج

(١) السيد طه أبو سديرة : الهلالية فى صعيد مصر ، ص ٦٠ ، ٦٢ .

كما إشتهرت السيرة الهلالية فى سائر المدن والقرى المصرية ، كما ذاع صيتها فى البوادر وتغنى بها الشعراء كما ذاع صيت هذه السيرة أو إسطورة بنى هلال وبنى سليم أيام العلامة المؤرخ ابن خلدون ، وقد أورد بعض ما كانوا يزعموه حول أسباب هجرة الهلالية وبنى سليم من نجد إلى تونس ، وما جرى بعد زواج الجارية (الحجاز) من الأمير حسن بن سرحان وهروبها معه إلى إفريقية (تونس) ثم فارقتها للأمير سرحان وزواجها بعد ذلك من الماضى "بم قرب" زعيم الهلالية ومحاولتها مرة أخرى العودة إلى قبيلتها بعد أن غاضبت زوجها..... إلخ .

السيد طه أبوسديرة : الهلالية فى صعيد مصر ، ص ٥٨ .

(٢) البرى : القبائل العربية فى مصر ، ص ١٠٩ .

(٣) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢٦ - ٢٧ ، راضى دغفوس تمراجل الهلالية فى المشرق ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

وكثيراً ما أرسل الخلفاء العباسيون قاداتهم لتأديبهم حتى انضموا إلى القرامطة ونقلوا بعد هزيمتهم إلى منطقة قفط^(١).

وقد هاجر بعضهم في نهاية القرن الثالث الهجري إلى مدن وقرى منطقة مدينة قفط باستخراج معدن الذهب والزمرد^(٢)، وبمضى الوقت بدأوا يعيشون فساداً في مدينة قفط^(٣)، مما اضطر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي أن أجاز لهم عبور النيل ، كما هو الحال لبني هلال والذهاب لقتال المعز بن باديس^(٤)، الخارج عن طاعة الفاطميين والذي أعلن استقلال المغرب عن سلطتهم^(٥)، ودعا للعباسيين فيها ومن ثم أقام بنو سليم ، وبني هلال في بلاد المغرب بعد انتصارهم على المعز بن باديس وقسموا هذه البلاد فيما بينهم ، وبعد ذلك انتشروا في مدينة قفط والجزء الجنوبي منها حتى صحراء مصر الشرقية^(٦).

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٣ .

(٢) اليعقوبي : البلدان ، ص ١٢٣ ، البري : المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٣) المقرئ : البيان والاعراب ، ص ٦٦ . Saleh Op - Cit , p. 10 .

* لم يكتف المعز بن باديس أن يجهر باستقلاله ، بل بالغ في ذلك فأمر بامتهم في الخطب ولما كان عيد الأضحى أمر الخطيب أن يسب بني عبيد فقال : "اللهم والعن الفسقة الكبار" السيد طه أبو سديره : الهلالية في صعيد مصر ص ٦٠ ، هامش ٢

* ويذكر الكندي أن هجرة بني سليم إلى مصر كانت ضمن هجرة قيس الكبرى ، فأنزل الوالي عبيد الله بن الحجاب سنة ١٠٩ هـ / ٨٢٨ م البعض منهم في منطقة بايس ، والبعض الآخر في منطقة القلزم ، واشتغلوا مع إخوانهم من بني هلال كجمالين . الولاة والقضاة ، ص ٧٧ .

(٤) المعز بن باديس : أعلن استقلال المغرب عن الفاطميين ، ودعا إلى الخليفة القائم بأمر الله العباسي وقطع الخطبة للفاطميين ، ودعا للمذهب السني . ونقش اسم الخليفة القائم على السكة بدلا من اسم الخليفة المستنصر . أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٥١٧ .

السيد طه أبو سديره : الهلالية في صعيد مصر خلال العصر الفاطمي الأول ، ص ٥٨ .

(٥) المقرئ : البيان والاعراب ، ص ١٢٦ .

(٦) المقرئ : المصدر السابق والصفحة .

بنو مخزوم :

بنو مخزوم هي إحدى قبائل قريش ، وهم بنو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ، وبه اشتهرت القبيلة يقظة لكثرة عقبه ، ومنهم خالد بن الوليد أحد أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام وأبو جهل بن هشام وأخوه العاص بن هشام اللذان قتلا كافرين يوم بدر^(١) .

ومن بني مخزوم جماعة بصعيد مصر الأعلى اشتهرت بالياس والشدة^(٢) ، وأنهم عاشوا في منطقة قفط في العصر الإسلامي الأول وقد عثر على شواهد قبور لأفراد من بني مخزوم من بينهم ابن صدقة بن أحمد بن سيار بن أحمد المخزومي (ت ٤١٠ هـ)^(٣) .

الكواهل :

لقد اختلف الباحثون في نسب الكواهل ، وهناك رأى يقول أنهم كانوا حلفاء بني ربيعة على حين أرجعهم البعض الآخر إلى بني ربيعة ، وفي رأى ثالث أنهم يرجعون إلى القبائل العربية العدنانية إلى كاهل بن أسد بن خزيمة^(٤) ، واستقروا في المنطقة الواقعة بأرض المعدن حتى

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

(٢) القلقشندي : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(3) Wiet : Steles Funeraires , VI , P : 58

كما ظهر منهم ضياء الدين إبراهيم بن مكى بن عمر بن نوح بن عبد الواحد الدماميني المخزومي ، وكان منهم عتيق بن محمد الدماميني المخزومي ، وكل هؤلاء ينتسبون إلى إحدى قرى منطقة قفط وهي قرية الدمامين ، ولم يقتصر سكنى بني مخزوم على قرية الدمامين بل انتشروا في المنطقة الواقعة غرب قمولا التابعة لمنطقة قفط ، ومنهم نجم الدين أبو العباس أحمد بن مكى بن يسر القرشي المخزومي القمولى - الإدفوى : الطالع السعيد ، ٣٥٩ .

(٤) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، ص ١٤٣ .

شمال مدينة قفط وكانت معهم ذرياتهم كما يرى البعض أنهم ينتسبون إلى البجة^(١).

ويتضح من هذه الروايات من هذه الروايات اتصال البجة بالكواهل سواءً من ناحية النسب أو الجوار، فكان البجة يفضلون الانتساب تحت اسم الكواهل لأنهم كانوا يفضلون النسب العربي على نسبهم المنتهى إلى فراعنة مصر^(٢)، ويبدو أن الكواهل مثلهم مثل بقية القبائل العربية التي صاهرت البجة واندمجوا فيهم لم يعد لهم وجود أو كيان مستقل عنهم^(٣).

ويذكر المقرئ أن الكواهل سكنوا مدينة قفط وصحراء مصر الشرقية ، وإنهم عملوا مثل غيرهم في استخراج معدن الزمرد^(٤)، ولم يقتصر سكنى الكواهل على مدينة قفط بل انتشروا في المناطق القريبة منها جنوب عيذاب^(٥)، الأمر الذي يدل على أن بنى كاهل كانوا أحد عناصر السكان في منطقة قفط في العصر الفاطمي .

القبائل القحطانية ؛

تنسب القبائل العربية إلى جدهم الأعلى قحطان ، وهم الذين سكنوا الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية ، ويعرفون بالعرب العاربة ، أو العرب العرباء أى العرب الحقيقيون ، وكان هذا الفرع العظيم من القبائل العربية منقسم بدوره إلى عرب كهلن وعرب حمير، وقد نزحت إلى مصر قبائل قحطانية عديدة ، البعض منها جاء قبل الفتح

(١) المقرئ : البيان والإعراب ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٢) أحمد حسين النمكى : صحراء مصر الشرقية في العصر الفاطمي ، ص ١٣٨ .

(٣) محمد عوض محمد : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

(٤) المقرئ : البيان والإعراب ، ص ١٦٤ .

(٥) المقرئ : المصدر السابق والمفحة ، ابن بطوطة : الرحلة ، ج ١ ، ص ٣١ .

العربي لمصر والبعض الآخر جاء بعد الفتح العربي لمصر، ثم انتشرت
هذه القبائل فى الصعيد الأعلى حتى العصر الفاطمي وهى من أهمها :
بلى :

كانت بلى^(١) من أشهر القبائل العربية القحطانية التى قطنت
منطقة فقط قبل الفتح العربي لمصر، حيث قطنوا المنطقة التى تقع بين
قنا والقصير، وكان الاعتماد عليهم فى نقل التجارة الهندية قبل ظهور
الإسلام^(٢)، وانتشرت بلى بين صعيد مصر وبلاد الحبشة^(٣).

وتعد بلى من أكبر قبائل العرب التى هاجرت إلى مصر ، حيث يذكر
المقريزى^(٤) أن حملة العرب على بلاد النوبة (٣١ هـ) كانت عدتها
عشرون ألف كان أغلبهم من قبيلة بلى اليمنية المقيمة بمنطقة مدينة فقط
وكانت مصر بعد نزول بلى إلى منطقة فقط قد تنازعت فى بداية الأمر مع
قبيلة جهينة، حيث جرت مفاوضات الصلح بينهما ، ونتيجة لذلك قطنوا أرض
إقليم الصعيد الأعلى من البحر شرقا إلى النيل غرباً ومن القلزم شمالا إلى
عذاب جنوبا^(٥).

(١) بلى : تنسب هذه القبيلة إلى عمرو بن الحالى بن قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن
حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان . العسرى : مسالك الأمصار، ص ١٥٨ ،
المقريزى : البيان والإعراب ، ص ٢٩ ، القلقشندي : نهاية الأرب ، ص ١٨٠
Hassan : The Arabs Of The Sudan , PP: 14-15 .

(٢) جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص ١٧٣ .

(٣) عمرو رضا كحالة : معجم قبائل العرب ، ج ١ ، ص ١٠٥ ، محمد أحمد محمد : القبائل اليمنية فى ولاية
عمرو بن العاص ، ص ٩٦ .

(٤) الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

(٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ١٢٤ ، ممدوح الريطى : دور القبائل العربية ، ص ٢٦٩ .
Hassan : Op-cit, pp 137 – 138 .

ولم يقتصر سكنى بلى على منطقة ققط والصحراء الشرقية بل انتشروا كذلك فى منطقة مصر الوسطى بالإشمونيين ، وظلوا هناك حتى العصر الفاطمى إلى أن طردوا منها ليفسحوا للمجال أمام قبائل قريش التى شجعتها الدولة على الاستقرار بالإشمونيين ، ولهذا اضطرت بطون بلى وحليفتها جهينة إلى النزوح إلى مدن وقرى مصر العليا^(١).

وهكذا كثرت بطون بلى فى إقليم ققط بحثا عن الثروة ، كما اشتغلوا فى استخراج معدن الزمرد والذهب، ومن بطونها بنو هنى، وبنو هرم ، وبنو سواده ، وبنو خرافة ، وبنو رايس ، وبنو نأب ، وبنو شادى^(٢).

كذلك استقرت بعض بطونها فى ققط وهم بنو خيار^(٣)، وقد شاركت قبيلة بلى فى كثير من الأحداث السياسية التى شغلت الإقليم حيث اشترك أبناؤها فى ثورة ابن الصوفي العلوي ضد أحمد بن طولون، وكان ذلك لانتشار المذهب الشيعى بين أفراد القبيلة^(٤).

جهينة :

وهى من القبائل العربية التى تنتمي إلى زيد بن ليث بن أسود بن أسلم بن الحافى ابن قضاة^(٥)، وبعد ظهور الإسلام دخلت جهينة فى

(١) المقرئى : البيان والإعراب ، ص ٢٧ ، على مبارك : الخطط التوليفية ، ج ١٢ ، ص ٤ .

(٢) المقرئى : المصدر السابق والصفحة .

(٣) العمرى : مسالك الأبصار ، جزء قبائل فى العرب فى القرن ٨ هـ ، (بيروت ١٩٨٥ م) ، ص ١٥٨ .

القلشندى : قلائد الجمان ، ص ٤٥-٤٦ ، المقرئى : البيان ، ص ٢٩-٣١ .

(٤) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٢١٣ .

(٥) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ج ٢ ، ص ٤٤٤ ، المقرئى : البيان ، ص ٣٢ ، القلقشندى : نهاية

الأرب ص ٢٢١ .

الإسلام بدون مقاومة، ثم ما لبثت جهينة أن انتشرت بعض فروعها في بلاد العراق مثل الكوفة والبصرة^(١).

وتشير المصادر أن الغالبية من قبيلة جهينة توجهت إلى مصر منذ الفتح العربي لها، وهذا ما أشار إليه المقرئ^(٢) "من أن جيش عمرو بن العاص كان يشمل على عدد كبير من أبناء قبيلة جهينة، حيث اختطوا حول مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط مثل بقية أهل الراية^(٣)، غير أن جهينة لم تنقيد بمساكنها في الفسطاط، وزحفت بطونها نحو مدن وقرى إقليم الصعيد الأعلى ومنها مدينة قفط"^(٤)، وعاش عدد كبير من عناصر قبيلة جهينة في منطقة قفط والجهات المجاورة لها، ومنها الساحل الصحراوي لدشنا^(٥)، كما يذكر البتوني أنهم أقاموا قرية حجازة من ناحية الجنوب حتى مدينة قفط، وهناك فرع منهم يدعى - بنو موسى - والذي انحدر منه البراهمة بمركز قفط^(٦).

كما استوطن بنو مالك الذي تفرع منه العيايشه من قبيلة جهينة، بقوص، وهكذا يمكن القول بأن قبيلة جهينة قطنت سائر الإقليم في عهد الولاة^(٧)، لم تستمر قبيلة جهينة في مواطنها في مدينة قفط، بل نزع أفرادها إلى منطقة النوبة، فمهدوا السبيل إلى نشر الدين الإسلامي في هذه البلاد المسيحية، وكذلك اللغة العربية، فحطمت جهينة بذلك قوة مملكة النوبة

(١) عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية، ص ٢٣٩.

(٢) البيان والإعراب: ص ٣١، محمد عوض محمد: السودان الشمالي، ص ٢٠٩.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٩٨-٩٩، ابن دلقاق: الإلتصار: ج ٤، ص ٣.

(٤) السويدي: سبائك الذهب، ص: ٢٥، عبد الله خورشيد البري: القبائل العربية، ص ٢٣٩.

(٥) عبد المجيد عابدين: البيان والإعراب، ص ٣٢.

(٦) البتوني: الرحلة الحجازية: (القاهرة ١٩٦١م). ص ٥١.

(٧) البتوني: المصدر السابق والصفحة.

وخطرهما على منطقة إقليم قفط^(١)، وخاصة بعد زيادة قوة جهينة بسط نفوذها في منطقة النوبة^(٢).

وأشار بعض المؤرخين إلى أن الجيش العربي الذي اقتحم صحراء مدينة قفط في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي بقيادة أبي عبد الرحمن العمري كان يشتمل على عدد كبير من جهينة^(٣)، وقد ساهمت جهينة في الحملات الحربية الموجهة إلى بلاد البجة في العصر الطولوني^(٤)، ومن موالى قبيلة جهينة الذين إستقروا في مصر العليا، سهل بن الربيع الأخميمي (ت ٢٤٩ هـ) ، وابنة أحمد بن سهل (ت ٢٨١ هـ)^(٥).

قبيلة الأنصار :

وهي من فروع القبائل القحطانية التي قطنت مدينة قفط وما حولها في العصر الإسلامي الأول وهي تنسب إلى قبيلة الأزد التي انحدر منها الأوس والخزرج ، وقد عرفوا بالأنصار لأنهم نصروا الرسول صلى الله عليه وسلم^(٦).

(١) مصطفى سعد : الإسلام والنوبة ، ص ١١٧ .

(2) Miacmichel : History of Arab Tri bes in the Sudan, PP : 138- 139 .

(٣) محمد عوض محمد : السودان الشمالي : ص ٢٠٩ .

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ أو الخير، ج ٢، ص ٥١٦، ٢٤٧، المقرئى : البيان والإعراب ، ص ١٤٩ .

(٥) الكندي : الولاة ، ص ٢٠٢ ، ويشير الرحلة ابن بطوطة ، إلى أنه شاهد منازل جهينة في عيذاب ، وأنهم قد اختلطوا في تلك المنطقة مع بني كاهل ورفاعة فانتشرت منازلهم على شاطئ البحر الأحمر وسكن البعض منهم أطراف صحراء مصر الشرقية على حين أن البعض الآخر منهم فضلوا حياة البداوة على حياة الحضر ، مهذب رحلة ابن بطوطة ، ج ١ ، ص ٢٢٣ ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب قديماً وحديثاً ، ج ١ ، ص ٢٦٤ ، محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الأفريقية ، ص ٢٢٢ .

(٦) المقرئى : البيان والإعراب ، ص ٤٧ .

ومما لا شك فيه أن هناك فرع من الأنصار قطن في مدينة قفط أو بالقرب منها^(١)، وتشير المصادر التاريخية إلى ذلك ، وليس أدل على ذلك من أسماء علماء ترجم لهم الأندلسيون في سائر القرى والمدن بمنطقة إقليم قفط^(٢)، وهناك ثمة شواهد تنتمي أصحابها إلى قبيلة الأنصار، نذكر منها على بن الحجاج بن فرقد الأنصارى (ت ٢١٥ هـ) وأحمد بن نادي الأنصارى (ت ٢٥٧ هـ) ، وزينب ابنة بن عثمان ابن نادي الأنصارى (ت ٣٤٩ هـ) ومحمد بن سليمان الأنصارى (ت ٤٢١ هـ)^(٣) ولا زالت تعيش في مدينة قفط بطون تعرف بالأنصار حتى وقتنا الحاضر.

عناصر سكانية أخرى :

وهناك عناصر سكانية أخرى شاركت في البناء الاجتماعي لمدينة قفط ، لعل منها من استوطن المدينة قبل الفتح الإسلامي ومنها من نزح إليها في أعقاب الفتح ونذكر من المجتمعات القبلية :
النوبة ، البجة ، التكارنة ، الرقيق ، العباددة ، البشارية ، البدو ، المغازة .

* النوبيون :

ومن العناصر السكانية التي عرفت في مدينة قفط في العصر الإسلامي الأول وهم النوبيون معروفون في مصر بالبرابرة^(٤) فقد

(١) المقرئى : البيان والإعراب ، ص ٤٧ .

(٢) الأندلسيون : الطالع السعيد لنجباء الصعيد ، ص ١٦٥ - ١٦٦ ، ويبدو أن قبيلة الأنصار نزح أحد فروعها إلى مدينة قفط وقراها ومنها إستا ، ومما يؤكد ذلك هو وجود إحدى عائلتها ينتسب إلى هذه القبيلة ، ويعرفون باسم الأنصار حتى الوقت الحالى ، وليس أدل على ذلك من قول بعض المؤرخين المعاصرين فمسند القرن الأول الهجرى أقام الأنصار فى أسوان ، ويبدو أنهم نزحوا إلى أسوان عن طريق مدينة قفط وقد عثر على شاهدين لرجلين من تلك القبيلة إشتراكا فى فتح مصر فى مدينة أسوان .

Wiet : Steles Funeraire , Vol , V III , P : 34 .

(٣) محمود محمد الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ، ص ٢٠٨ .

(٤) بوركهارت : رحلاته فى بلاد النوبة والسودان ، ص : ١٧٠ - ١٧١ .

شغلوا مساحة واسعة على ضفاف النيل جنوبي أسوان حتى شمال مدينة قفط^(١)، وقد أطلق المؤرخون المسلمون اسم النوبة على أرض وادي النيل الممتدة على جانبي هذا النهر العظيم بين مدينتي أسوان والخرطوم الحالية وعرفوا بلادها مصر بإسم - القصر - وهي تبعد عن أسوان خمسة أميال إلى الجنوب^(٢).

ويبدو أن أحد فروع سلالة النوبيين قد قطن بمدينة قفط في العصر الإسلامي الأول ، وتتنسب تلك المنطقة إلى قاطنيها من هؤلاء السكان ، وليس أدل على ذلك مما أشار إليه جاستون فيت^(٣) من إنه قد عثر على شواهد قبور يرجع تاريخها إلى القرون الإسلامية الأولى يحمل أصحابها أسماء عربية مسلمة تنتهي بكلمة النوبي آمنة ابنة مهدي بن يحيى النوبي (ت ٢٥٥هـ) وكامل موسى النوبي (٢٥٨ هـ)، وأبو بكر أحمد عمرو النوبي (ت ٢٦٥ هـ) وحنه ابنة كامل النوبي

(١) ولعل لفظ بربر هو الأصل في الاسم الذي يطلق على النوبيين ، ويعنى به البرابرة وهو لفظ لا يستعملونه هم في بلادهم ، فهم يسمون أنفسهم النوبيين والكنوز ، نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، ج ١ ، ص ٥١ .

(٢) بوركهارت : المرجع السابق والمضفة .

(٣) عطية القوصي : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٤١ . ** ويرجح البعض تسمية النوبة إلى نوبة بن حام بن نوح عليه السلام ، عطية القوصي : المرجع السابق ، ص ٤١ .

والنوبة كالبجة من بقايا الشعوب التي تآلفت منها المملكة الأثيوبية القديمة وقد اختلفت الآراء في أصلهم فمنهم من قال أنهم والبجة من أصل واحد ومنهم من ألحقهم بالنوبة السود والذين هم إلى جنوب كردفان ، ومنطقة النوبيين الخالص تمتد من كيلو ١٨٢ جنوب أسوان حتى ٣٥٠ متر جنوب أي حتى التقاء حدود مصر الجنوبية بجمهورية السودان ، وتبدأ القرى التي كانوا يسكنونها بقرية كورسكو في الشمال وتنتهي بقرية بلانة وأدندان في الجنوب وأشار أحد الباحثين أن النوبيين كان منهم من يقطن مدينة قفط في العصر الإسلامي الأول ، وحتى هذا العصر الذي تعيش فيه الآن يطلق اسم النوبة على منطقة سكنية كبيرة في إقليم قفط نعوم شقير : تاريخ السودان ، ج ١ ، ص ٥١-٥٢ ، محمود الحويري : أسوان في البصور الوسطى ، ص ٢٥٥ .

(3) Wiet : Steles Funeraire , vol VIII , PP : 30 – 156 .

(ت ٢٧٢هـ —) ويوسف ابن يعقوب ابن سلام النوبي (ت ٢٦٠ هـ) وزبيدة ابنة جابر النوبي (ت ٣٠٧ هـ) .

• البجة (البجاة) :

فإن اسم البجة ورد صريحاً في بعض النقوش الأكسومية التي ترجع إلى القرن الثاني والثالث قبل الميلاد^(١) وتأتي أول إشارة إلى البجة في المصادر العربية بعد ظهور الإسلام في كتاب فتوح مصر والإسكندرية للواقدي^(٢)، والمعروف لدى المؤرخين أن الجزء الجنوبي من مدينة قفط قد سكنته قبائل حامية عرفت باسم البجة ، وهم عنصر قديم سكنوا تلك المنطقة منذ آلاف السنين ، فهم مثل شعب النوبة نو عروق متأصلة في القدم^(٣) .
ويبدو أن أفراد منهم عملوا بالبريد بين قفط والفسطاط أو مصر كما عرفت في عصر الإخشيديين حيث ما زالت إحدى محطات البريد تحمل اسمهم حتى وقتنا الحاضر .

أما عن أوطان البجة في إقليم قفط في العصر الإسلامي الأول فهم يحتلون المنطقة الواقعة فيما بين البحر الأحمر ونهر النيل^(٤) ولم يقتصر سكنى البجاة على تلك الجهات وإنما انتشروا في أرض الحبشة من جهة

(١) Paul : A History of the бага tribes of the Sudan . PP : 24 – 25 .

(٢) الواقدي : فتوح مصر والإسكندرية ، (بيروت ١٩٦٠) ص ٢٧ .

(٣) يسرى الجوهري : السلاط البشيرة (القاهرة ١٩٦٦ م) ص ٣٤٣ ، محمد حمدي المناوي : نهر النيل في المكتبة العربية ، ص ١٠ ، (القاهرة بدون تاريخ) ، وقيل أيضاً أنهم أقدم شعوب القارة الأفريقية وهم كما يقول القلقشندي من أنقى السودان لوناً ، بينما يذكرهم القزويني بأنهم جنس من الأحباش ، أما المسعودي فيرى أنهم من ولد كوش ابن نوح عليه السلام ، معاد ماهر : محافظات الجمهورية ، ص ١٧٩ ص ١٢٩ صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، أثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٨ مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٤ ، معاد ماهر ، محافظات الجمهورية ، ص ١٧٩ .

(٤) الهمداني : البلدان ، ص ٧٨ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٧٤ .

الجنوب ، ومن جهة الشمال أرض الصعيد "صعيد مصر" ^(١) واستطاع البجة فى تلك المنطقة أن يتشعبوا فرقا كثيرة ^(٢)، لذا يبدو أن أهل البجة أهل نجعة وارتحال من أجل تربية الماشية ^(٣)، ولذلك فهم يتنقلون وراء الأعشاب والكلأ ^(٤)، فاستقر البعض منهم بالقرب من مدينة قفط فى منطقة عيذاب ^(٥) والبعض الآخر فى المنطقة الواقعة جنوب مدينة قفط حيث الذهب والزمرد ^(٦)، بالإضافة إلى أن غالبية سكان البجة انتشروا بطول الطريق التجاري الممتد من مدينة قفط إلى عيذاب ^(٧)، وبلغ البجة من الكثرة فى منطقة قفط حتى أن أبا مروان بشر بن إسحاق زعيم ربيعة كان يسير فى ثلاثين ألفا من حراب البجة ^(٨)، كان لهم فى القرن الثالث الهجري ملك يدعى كنون بن عبد العزيز ^(٩)، والراجح أن أمه بجاويه ووالده من ربيعة حيث كان العربى ابن البنت أو ابن الأخت .

العبادة :

ويعتبر العبادة من أهم فروع البجة وهم الفرع الثاني ويرون أنهم ينسبون إلى الزبير بن العوام وهو أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى جاء إلى مصر زمن الفتح العربى لمصر إذ أرسله

(١) الإدريسي : صفة بلاد المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ٢٦ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٨ ، Hassan: The Arab sand the Sudan. PP: 38 – 39 .

(٣) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٩ ، ص ٢٠٤ ، نادية بدوى : حلايب ، ص ٩٧ ، ١٧٣ .

(٤) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

(٥) القزوينى : أثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٨ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٦٠ .

Hassan : Op – Cit , P: 67

(٦) شوقى الجمل : تاريخ السودان وادى النيل ، ص ٢٢٧ .

Hassan : OP – CIT, P 67

(٧) نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ، ص ١٧ .

(٨) المسعودى : مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٨ .

(٩) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

عمر بن الخطاب نجدةً لعمر بن العاص خلال معارك الفتح^(١)، ومن الواضح أن اسم العبادية قد اشتق من اسم جدهم عباد الذي أختفي ذكره من أحداث التاريخ غير أن اسمه ظل باقياً يطلق على وادي عباد المواجهة لمدينة إدفو جهة الشرق^(٢)، ويجدر الإشارة إلى الرأي القائل بأن كل القبائل الرحل المستقرة في مصر^(٣) يرجع جذورها إلى أصل عربي وبالرغم من ذلك نجد أن العبادية التي استقرت في مصر لا تنتمي إلى أصل عربي مع أنها إحدى القبائل الطليعة في صحروات مصر^(٤).

أشار إليها كحالة: "إن العبادية من قبائل العرب في مصر وينسبون إلى عرب الحجاز"^(٥)، بينما يرجح الدكتور محمد عوض محمد^(٦) أن اسم العبادية والبشارية ما هو إلا أنهم من سليل البجة القدامى الذين روى عنهم المؤرخون في كتاباتهم على أنهم من الجنس الحامى^(٧).

ويشير البعض أن مناطق استقرار العبادية كانت في إقليم قفط، حيث عاش العبادية جنوب خط يمتد بين سفاجا وقنا شمالاً، والبحر الأحمر شرقاً ووادي النيل غرباً والحدود الإدارية جنوباً ولهم امتداد طول طريق القوافل التجارية القديمة من حدود مدينة قفط الجنوبية حتى السودان^(٨).

(١) المقرئى: البيان والإعراب، ص ١٦٣، نعوم شقير: تاريخ السودان، ج ١، ص ٥٠.

(٢) نعوم شقير: المرجع السابق والجزء والصفحة، سعاد ماهر: مخالطات الجمهورية، ص ١٨٠.

(٣) القبائل الرحل: هي القبائل التي تركزت بصحراوات مصر في العصور الإسلامية، وخاصة بمدينة قفط في الجزء الجنوب منها قبيلة بلى، العبادية، البشارية.

(٤) دى بوا ايمية (علماء الحملة الفرنسية): وصف مصر، القبائل العربية في صحراوات مصر، ص ٢٦٢.

(٥) عمر رضا كحالة: معجم العرب القديمة والحديثة، ج ٢، ص ٧١٧.

(٦) محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية، ص ٢٥٦.

(٧) محمد عوض محمد: المرجع السابق، ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٨) محمد رياض: العبادية دراسة في الاقتصاد الصحراوى، ص ١٠١، كوثر عبد الرسول: العبادية دراسة في الاستقرار البدوى في الصعيد والنوبة، ص ١٤١.

ويشير المقرئزى^(١) إلى مواضع إستقرارهم بقوله: "وتمتد من صحراء قوص^(٢) إلى أول بلاد الحبشة وهم أهل بادية يتبعون الكلا حيث كان المرعى ويلبسون أخبية من جلود وأنسابهم من جهة النساء".

بالإضافة إلى ذلك كانت لهم قرى ومدن تحمل أسماء العباددة فى مناطق متفرقة من إقليم قفط^(٣)، حيث لم يقتصر سكنى العباددة على مدينة قفط ذاتها بل انتشروا فى مناطق متفرقة إلى الشرق منها حتى حدود القصير على ساحل البحر الأحمر^(٤).

ومن الجدير بالذكر أن العباددة كانوا على صلات وثيقة بأهل مدينة قفط، حيث مارسوا نشاطهم فى قرى ومدن الإقليم بحرية تامة، فكان العباددة يعتمدون جل اعتمادهم على حرفة الرعى حيث كانت حرفهم الرئيسية، نتيجة لذلك أنهم خالطوا الحضر على النيل، وكانوا يتنقلون فى مدن وقرى الصعيد الأعلى حتى مدينة أسوان، فكانوا يذهبون إليها بما عندهم من الإبل والفحم وغيرها، ويرجعون إلى مدينة قفط محملين بالغلال والبضائع^(٥).

(١) الخطط، ج ١، ٣٦٣،

(٢) حيث كانت مدينة قوص فى العصر الإسلامى أقل شهرة عن مدينة قفط حيث كانت حاضرة الإقليم حتى العصر الفاطمى، لذلك كانت قوص تابعة لمدينة قفط. الأدلسوى: الطالع السعيد، ص ١٢، المقرئزى: الخطط، ج ١، ص ٢٣٦.

(٣) بوركهارت: رحلاته، ص ٢٤١، محمد رياض: العباددة، ص ١٠١، كوثر عبد الرسول: العباددة، ص ١٤١ ** حيث كانت هناك قرى تحمل اسم العباددة فى إسنا ونجع حمادى وأبو تشت وقوص والكلاحين وقتنا.

(٤) سمير خواسك: فى بلاد العباددة، (القاهرة ١٩٨٣) ص ١٥، ٥٤.

(٥) بوركهارت: رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان، ص ٢٤١، نعوم شقير: تاريخ السودان، ج ١، ص ٥٠، محمد رياض: المرجع السابق، ص ١٠١ - ١٠٢، كوثر عبد الرسول: المرجع السابق والصفحة. * ومن المعروف أن العباددة ينقسمون إلى أربعة بطون أو عائلات وهى لعشابات، والليكان والباديون، محمد عوض محمد: السودان الشمالى: ص ٨٤، محمد رياض: العباددة، ص ١٠١، ويذكر = أن لبعض من العباددة يعيش فى جبل عتباى ويذهبون إلى هذا المكان فى كل صيف وكانت لهم فى تلك المنطقة اتصالات وثيقة بينهم وبين إخوانهم من البشارية، رحلات بوركهارت، ص ١٦٩.

البشارية :

وأما القسم الثاني من فروع البجة فهم البشاريون أو البشارية ، ويعتقد هؤلاء أيضا مثل بنى جنسهم العباددة ويرجعون بنسبهم إلى الزبير بن العوام لكى يكتسبوا منه الأصل العربي^(١)، بينما يرى أحد الدارسين إلى أن البشارية يرجعون بنسبهم إلى رجل يقال له بشر بن مروان بن اسحق^(٢)، وهذا ما أشار إليه المسعودى بقوله: "وسكن فى تلك الديار "ديار البجة" خلق من العرب من ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان، فاشتدت شوكتهم وتزوجوا فى البجة ، فقويت البجة بمن صاهرها من ربيعه، وقويت ربيعة بالبجة على من ناوأها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكن تلك الديار، وصاحب المعدن فى وقتنا هذا - وهو سنة (٣٣٢ هـ) أبو مروان بشر بن إسحاق، وهو من ربيعة، ويركب فى ثلاثة آلاف من ربيعة وأحلافها من مضر واليمن وثلاثين ألف حراب على النجب من البجة بالحجف البجاوية، وهم الحداربة ، وهم المسلمون من بين سائر البجة ، وباقي البجة يعبدون الأصنام^(٣) " .

أما أهم مناطق انتشار البشارية وأماكن توزيعهم فى مصر بالصعيد الأعلى فمعظم البشارية يقطن فى النصف الشمالى من أوطان البجة تتصل بأسوان وتشرف على البحر الأحمر^(٤).

(١) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ٧٠ .

وأطلق اسم البشارية نسبة إلى لفظ فى اللغة يعنى الجمال . وذلك لعملهم بتجارة الإبل .

محمد مجدى : رحلة مجدى أو ثمانية عشر يوماً بصيد مصر سنة ١٣٠ هـ (القاهرة ١٩٨٠) ص ١٤٠ .

(٢) محمد عوض محمد : المرجع السابق : ص ٩٠ ، نادية بدوى : حلايب ، ص ٤٩ ، محمود الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ، ص ٢٢٢ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجواهر ، ج ٢ ، ص ١٨ .

(٤) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ٦٢ ، نادية بدوى : حلايب ، ص ٦٨ - ٦٩ .

جاءت بطون وعشائر تنتمي إلى البشارية تعيش على الساحل الغربي من صحراء مدينة قفط ويطلق عليهم - الحواجر - والبشارية ، تتكون من أربع مجموعات رئيسية^(١)، وأيضاً سكنوا على جانبي الطريق من قفط القصير^(٢)، وكانوا يشتغلون بتجارة الإبل وجنوا من ورائها دخلاً كبيراً لدرجة أصبحت مصدر هاماً من مصادر الثروة المعيشية والرزق^(٣).

ويعتبر سوق "دراو"^(٤) هو الملتقى الرئيسي والهام لقبيلتي العبادية والبشارية إذ تعرض فيه إبلهم ، ومنتجاتهم ، ويأخذون منها ما يحتاجون على سبل حياتهم اليومية^(٥).

وتجدر الإشارة إلى هو اعتماد البشاريين على أسواق كلاً من دراو وأسوان اعتماداً كلياً وعلى أهم ما يبيعونه فيها من الإبل والفحم النباتي والأغنام^(٦)، وكان الفحم النباتي يباع في منطقة قفط ومواني البحر الأحمر، ويقوم ببيعة والاتجار فيه العبادية من مملكي الإبل الذين يقطنون في حواجر النيل الشرقية حيث تنتشر العبادية والبشارية في تلك المناطق من منطقة قفط وزراعة الأشجار من السنط في أوديتها والتي تستخدم بعد قطعها في أغراض الفحم المتعددة^(٧).

(١) هم العليان ، الحمد وراو ، والشنصيراب ، والعمراب ، محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، ص ٦٢ ونادية بدوي : المرجع السابق ، ص ٦٨ - ٦٩ .

(٢) سعاد ماهر : محافظات جمهورية مصر العربية وأثارها الباقية ، ص ١٨١ .

الحواجر : وهي تقع من لنا جنوباً حيث إقليم بطن الحجر إلى الجنوب من وادي حلفا الغربية في إسنا وإدفو تقوم فيها مجموعات عبادية ، كما تقطن العبادية والبشارية في إسنا والكلاحين وكلاهما تابع لإقليم قفط ويعيشون في الحواجر الغربية الملاصقة للوادي أيضاً

محمد خليل الهممي : إقليم قوص منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر المماليك ، ص ٣١٣ .

(٣) Hassan : The Arabs and the sudan, p.74 .

(٤) دراو : إحدى مراكز محافظة أسوان الآن .

(٥) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، ص ٦٧ .

(٦) محمد عوض محمد : العبادية ، ص ١٣٠ ، ١٣١ . محمود محمد الحويري : أسوان ، ص ٢٢٠ .

(٧) محمد رياض : المرجع السابق ، والصفحة . . Hassan : Op-Cit, P.74

وأطلق اسم البشارية نسبة إلى لفظ بشار في اللغة العربية يعني الجمال ، وذلك لعملهم بتجارة الجمال . محمد مجدى ورحلة مجدى أو ثمانية عشر يوماً بصعيد مصر، ص ١٤٠ .

العبيد "الرقيق" :

من العناصر التي وفدت إلى مدينة قفط الرقيق الأسود، المجلوب من بلاد النوبة، ووفقا لاتفاقية الصلح ، التي عقدت بين عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وقليدروث ملك النوبة والتي ترجع إلى سنة (٣١ هـ) كان على أهل النوبة تقديم ثلاثمائة وستين شخصا^(١) من أوسط رجالهم سنويا إلى حاكم الإقليم كما أوضحنا من قبل^(٢).

ومن الجدير بالذكر أن غالبية هذا العدد من العبيد كان يبقى في أرض مدينة قفط للإنتفاع به ، والقيام بالأعباء المنزلية ، كما كان يرسل منهم إلى العاصمة الفسطاط للخدمة في القصر أو الانضمام إلى صفوف الجيش^(٣). كذلك كانت الديار المصرية من أعظم أسواق الرقيق الأبيض المجلوب من أوربا^(٤)، وكان المسلمون يحسنون معاملة عبيدهم ، وذلك عملا بروح الدين الإسلامي وتعاليمه السمحة وقد أفتى كثير من الأثرياء في الصعيد الأعلى الكثير من الجواري والعبيد ، وذلك للقيام بالأعباء المنزلية والزراعية ، أو لإقامة حفلات الغناء والطرب وقد وصل كثير من الجواري إلى مكانه كبيرة لدى أسيادهن حتى أقاموا لهن شواهد قبور^(٥).

فمن شواهد القبور التي بلغ أصحابها مكانة عند أسيادهن ، شاهد قبر يحمل اسم سيده جارية عثمان بن سعيد (ت ٢٢٤ هـ) وشاهد آخر باسم ماري جارية اسحق بن كثير بن بدر (ت ٢٤٣ هـ) وشاهد ثالث باسم طائفية جارية أمية بن ميمون (ت ٢٠٥ هـ) حيث بلغ هؤلاء من المكانة

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ٢٥٣ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ، ٣٢٢ .

(٣) نعمة على مرسى : مصر العليا من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الفاطمية ، ٢٥٦ .

(٤) آدم متر : الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣١٥ .

(٥) حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ، ج ١ ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

عند أسيادهم ، فشيدوا لهم شواهد تحمل ذكراهم فعلى سبيل المثال : شاهد قبر باسم مرزوق مولى عبد الرحمن بن عباس بن سلام (ت ٢٥٥ هـ) ^(١).

وتشير أوراق البردي إنه أتيح لبعض الجواري ^(٢) فرصة التعليم إلى درجة كبيرة من العلم، وبرع منهن في الفنون والآداب ، كما أشارت إلى النظام المتبع في بيع الجواري، حيث كن الجواري تباع وتشتري في أسواق الإقليم، ففي وثيقة كشفت بالقرب من مدينة فقط من ناحية الجنوب في أدفو، ترجع هذه الوثيقة إلى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي عبارة عن خطاب يبيع جارية نوبية للرقيق وشراء عبد صغير بدلاً منها ^(٣).

كما كان من عوامل إزدياد أعداد هؤلاء العبيد إقبال كثير من أفراد القبائل العربية على إقتناء العبيد في بيوتهم ، للأعمال الزراعية ، كما انضم بعضهم إلى الخدمة في صفوف الجيش ^(٤)، وما زالت عائلات في قرى ومدن الإقليم تنتمي لقبائل عربية يستخدمون إلى اليوم أسراً من نسل هؤلاء العبيد للخدمة في البيوت كما هو الحال السائد إلى الآن في إحدى مدن إقليم فقط إلى الآن في أسنا ^(٥).

ومما يجدر ذكره أن استخدم العبيد من الذكور في الفلاحة والزرع في مدينة فقط ، أما الإماء من النساء فقد إستخدمن في الخدمة بالمنازل لما

(١) Wiet : Steles Funeraires , T , 3 , P : 52 .

(٢) الجواري : هن النساء البيض اللاتي يتم أسرهن وبيعهن في الأسواق وما كان يقع في أيدي المسلمين من الفرس والأتراك والعقليات ونحو ذلك

حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .

(٣) جروهمان : أوراق البردي العربية ، ج ٢ ، ص ٣٦ ، فيذكر الخطاب " فقد أخذت لك تبرس - عبد - صغير بدينار ، وما أعطياته صاحبة حتى أخذت يبعه ترس كبير " جروهمان : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٤) سيده كاشف : مصر في عصر الأخشيديين (الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٩ م) ، ص ٢٤٤ .

(٥) محمد خليل هميمي : إقليم قوص من الفتح العربي إلى نهاية عصر المماليك ، ص ٨-٢٠ .

لهن من خبرة في الطهو والخدمة ، كما عملن حاضنات ومرضعات^(١)،
ورعاية أبناء سائتهم^(٢).

قبيلة التكارنة "التكاررة" :

أشتمل أيضا البناء الاجتماعي لإقليم قفط خلال العصر الإسلامي
الأول ، على جماعات قليلة من التكاررة^(٣)، وساعد طريق الحج عبر مدينة
قفط على استيعاب الحجاج من هؤلاء التكارنة بعد قضائهم لفريضة الحج
ورجوعهم إليها ، فكثيرا منهم ما كانت تطيب لهم الإقامة في مدينة قفط دون
الرجوع إلى أوطانهم مرة أخرى ، وكان التكاررة في طريقهم إلى الحج عن
طريق قفط استمروا على ملازمة الحجاج المصريين^(٤)، وهم الموسرون
منهم، أما الفقراء منهم فيجتازون الطريق النيلي حتى يصلوا مشارق من
ناحية الجنوب^(٥).

وقد ساعد ازدياد أعداد على التكارنة استمرار فريضة الحج في كل
عام حيث كانت مدينة قفط محطة رئيسية للحجيج ، ونتيجة لذلك فقد عاش
كثير من التكارنة في مدينة قفط وقرأها حيث كان لوقوعها على طريق

(١) الإمام : السود من النساء، بوركهارت : رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان ، ص ٢٥٠.

(٢) محمود الحويرى : أسوان في العصور الوسطى، ص ٢٢٥.

(٣) * لفظ تكرورى - أو تكرونى - الذى يطلق على الواحد منهم نسبة إلى إلهم التكرور من السودان في
أقصى الجنوب الغربى ، وأهلها أشبه الناس بالزنج : ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ .
وهناك رأى آخر يعارض هذا رأى حسب ما أشارت إليه كتب الرحالة والجغرافيين العرب مناداة أن
لفظ تكرور إنما هي مشتقة من الفعل تكرر - أى تنق - ويقصد من هذا المعنى أن مشاعر التكاررة الدينية
قد تنقت وتطهرت بحفظهم للقرآن الكريم ، وآدائهم لفرائض الحج .

بوركهارت : رحلاته في بلاد النوبة والسودان ، ص ٤٠ ، محمود محمد الحويرى : أسوان

في العصور الوسطى، ص ٢٢٥ - ٢٢٦

(٤) بوركهارت : رحلات في بلاد النوبة والسودان ، ص ٣٢٢ .

(٥) محمود الحويرى : أسوان في العصور الوسطى ، ص ٢٢٦ .

الرحلة إلى عذاب ومنها إلى مكة^(١)، كما تشير الدراسات إلى ما تتمتع به هؤلاء ، لا سيما وقد استطاب لهم العيش فيها حيث سبل الحياة المتوفرة^(٢).

البدو أو المعازة :

وهناك فرع من البدو يطلق عليهم عرب المعازة العطوانى ويقطنون جبال البحر الأحمر ويعيشون عيشة البداوة كجيرانهم من العبادلة والبشارية^(٣).

وكان هؤلاء البدو لهم علاقة وطيدة بمدينة قفط لأنهم يقطنون فى شمال المدينة فى الطريق المؤدى إلى القصير ، وعملوا كأدلاء للقوافل عندما أقصوا وأبعدوا جيرانهم من العبادلة الذين كانوا من قبل أدلاء أيضاً لها من طريق قفط - القصير ومنها إلى قنا حيث نجحوا فى عدم إعطائهم من الأرباح التي يدرها هذا العمل والتزموا به من وإلى مدينة القصير^(٤). ونذكر أن قوما منهم عاشوا بمدينة قفط الذين أطلق عليهم المعازة والعطوانى وذلك بالإضافة إلى توطنهم بجوار العبادلة والبشارية على الشاطئ الغربى للبحر الأحمر بالقرب من إقليم مدينة قفط لفترات طويلة^(٥).

ثانياً : المؤثرات العربية على المصريين :

اختلاط العرب بالمصريين ونشر العروبة فى مدينة قفط

انتشرت القبائل العربية فى صعيد مصر منذ الفتح العربى لمصر سنة (٢٠ هـ / سنة ٦٤١ م) ، واستقرت كل قبيلة فى المنطقة التي سكنت فيها وهاجرت إليها ، وعاشت هذه القبائل كطبقة أرسقراطية متعالية على من سواها فى المجتمع المصرى ، بصفتها صاحبة السيادة العسكرية ، التي

^(١) بوركهات : رحلات فى بلاد النوبة والسودان . ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

^(٢) بوركهات : المرجع السابق والصفحة . ومحمود الحويرى . أسوان فى العصور الوسطى . ص ٢٢٦ .

^(٣) بوركهات : المرجع السابق . ص ١٢٨ .

^(٤) بوركهات : رحلات بوركهات فى بلاد النوبة والسودان . ص ١٢٩ .

^(٥) بوركهات : المرجع السابق والصفحة .

قضت على الحكم الروماني ، وخلصت أقباط مصر من الظلم والتعسف الروماني وظل العرب على هذا الوضع إلى أن جاء العصر العباسي ، وما تبع ذلك خلال القرن الثاني الهجري^(١).

ولقد عبر ماكمايكل عن ظاهرة انتشار القبائل العربية وتمركزها في قرى ونواحي مصر بقوله : " أنه ابتداء من سنة ٢١٧ هـ - ٨٣٢ م " بدأ التزايد العددي للمسلمين على المسيحيين في مصر ، وبدأت القبائل العربية في الاستقرار والتمركز في القرى والأراضي المصرية ، ولم تقتصر كما كان في البداية على المدن الكبرى فقط ، بل أصبحت مصر منذ هذا التاريخ ولأول مرة بلداً إسلامياً^(٢).

انعكست التغيرات السياسية التي شهدتها مصر خلال القرنين الثالث والرابع على الحياة الاجتماعية فيها ، فقد صاحب قيام دولتي الطولونيين والإخشيديين ازدياد نفوذ وأعداد العنصر التركي ذلك العنصر الذي ينتمي إليه الولاة أنفسهم ، كذلك كثرت عناصر أخرى كالسودانيين^(٣).

ونتيجة لإسقاط العرب من الديوان في النصف الأول من القرن الثالث فقد هجرت القبائل حياتها الأولى التي كانت تعتمد فيها على العطاء الذي تمنحه الدولة وأخذت تسعى إلى كسب عيشها بمخالطة المصريين ومشاركتهم أعمالهم ، ولقد كان هذا تحولاً كبيراً في حياة القبائل فقد نزلت من عليائها وترفعها وخالطت المصريين ثم أخذ ارتباط القبائل بالأرض المصرية يزداد فقد أصبح العربي ينتسب إلى قرى ومدن مصر كما ينتسب إلى قبيلته^(٤).

(١) ممدوح عبد الرحمن الربطى : دور القبائل العربية في صعيد مصر ، ص ٢١٢ .

(2) Macmichael : A History of Arab Tribes , L , P . 163 .

(٣) رضوان محمد الجناني : القبائل العربية في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ص ١٢٨ .

(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ .

وكان لاختلاط العرب بأهالى قرى ومدن إقليم الصعيد الأعلى له أثره الملموس فى انتشار الإسلام وازدياد إقبال المصريين عليه ودخولهم فيه، وكذلك الحال بالنسبة لانتشار اللغة العربية حيث أصبحت ليس فقط لغة العلم بل أيضا صارت لغة الحديث والتخاطب^(١)، وما تبع ذلك من انتشار الثقافة العربية وانتقالها من الفسطاط إلى مدن وقرى أقاليم مصر الداخلية التى ظلت متمركزة فيها منذ الفتح ولقد كان مرجع ذلك إلى انتشار القبائل العربية وتمركزها فى جهات مصر المختلفة^(٢)، فمنذ أوائل القرن الثانى الهجري كان نزول - قيس فى الوجهين القبلي والبحري من عوامل انتشار الإسلام، وتنازل العرب عن أرسقراطيتهم مع بداية القرن الثالث الهجري^(٣). ولاشك أن هذا الاختلاط كان له أثره فى تكوين مجتمع جديد عمادة الشعب المصري بدمه العربي ودينه الإسلامى ولغته العربية، ومن مظاهر ذلك أن الجزية التى كانت تفرض على أهل الذمة تناقصت قيمتها^(٤). كما أن اللغة العربية فى القرن الرابع الهجري أصبحت هى اللغة السائدة فى مصر حيث إنعدمت اللغة القبطية^(٥)، كما نتج عن اندماجهم وامتزاجهم بالمصريين فى كافة أعمال الحرف اليومية، إن حدثت مصاهرات بين العرب والمصريين، الأمر الذى أدى إلى ظهور العرب كطبقة من طبقات المجتمع المصري لها خصائص جديدة، فكان أن تمصر العرب فى الوقت الذى تعرب فيه المصريون الأقباط^(٦).

(١) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة، ص ١٢٠، ماكمايكل: تاريخ القبائل العربية فى السودان، ج ١ ص ١٦٣.

(٢) ماكمايكل: المرجع السابق والجزء ص ١٦٣ - ١٦٤.

(٣) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٤٨ - ١٤٩.

(٤) حسن أحمد محمود: مصر الطولونية، ص ٥٤.

(٥) رضوان الجنانى: القبائل العربية فى مصر فى القرنين الثالث والرابع الهجريين، ص ١٥٤، ١٥٥.

(٦) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ص ٢٢٦.

وبطبيعة الحال فقد كان لذلك أثره في انتشار بعض العادات العربية، ولقد كان طبيعياً أن تزداد وتنتشر تلك العادات التي تشابهت مع عادات المصريين بينما وجدت بعض العادات العربية المقاومة فكان أن ضعفت واضمحت^(١).

المظاهر القبلية بمدينة قفط :

أ - القبيلة :

عرفت بالقبيلة لتقابل الأنساب فيها كما ذكر الماوردي^(٢)، ومن أشهر قبائل العرب بلى وجهينة ومضر وربيعه، وكان من الطبيعي مع انتشار وتمركز القبائل والاختلاط بالمصريين أن ظهرت بعض بطون القبائل وحيث أصبحت أكثر شهرة ونفوذاً، بل فاق بعضها نفوذ وشهرة القبيلة نفسها ومن تلك القبائل كانت قبيلة ربيعة ببلاد البجة جنوب مدينة قفط التي أصبحت من أكثر القبائل في إقليم المدينة^(٣).

كانت قبيلتا ربيعة وجهينة تتمتعان بالقوة والسيطرة في سائر بلاد الصعيد الأعلى^(٤)، ثم اتجهت إلى صحراء مصر الشرقية المتاخمة لحدود قفط من ناحية الشرق ، حيث إستقر بعضها في بلاد العلاقى ، على حين أن البعض الآخر استقر في المنطقة الواقعة بين قفط وعيذاب والنوبة وبلاد

(١) رضوان الجنانى : القبائل العربية في مصر ، ص ١٥٥ .

(٢) الأحكام السلطانية ، ص ٢٨ .

(٣) القلقشندي : قلاند الجمان ، ص ١٤ ، وذكر القلقشندي أن طبقات الأنساب ست طبقات هي الشعب وهو النسب أو الأبعد ، والطبقة الثانية القبيلة ، وهي ما إنقسم فيها النسب أو لتقابل الأنساب ، ولطبقة الثالثة العمارة وهي ما انقسم منه أقسام القبيلة كقريش وكنانة ، والرابعة البطن ، وهو ما إنقسم فيه العمارة كبنى عبد مناف والخامسة الفخذ وما إنقسم فيه البطن كبنى هاشم وبنى أمية ، ولطبقة السادسة هي ما إنقسم فيه أقسام الفخذ ، قلاند الجمان في التعريف بعرب الزمان ، ص ١٢ ، ١٣ .

(٤) المقرئى : البيان والإعراب ، ص ٤٤ ، القلقشندي : قلاند الجمان ، ص ٤٤ .

السبجة^(١)، كذلك ظهر بنو الكنز أحد بطون ربيعه الذين دخلوا مصر في عهد الخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) وازداد نفوذهم في منطقة قفط وجنوبها حتى كان عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله - الذي أكرمهم ومنحهم لقب كنز الدولة - تقديراً لما بذلوه في مواجهة أبي ركة الثائر الأموي على نحو ما أشرنا من قبل حيث تم القبض عليه بمساعدة بنى الكنز فكان منحهم هذا اللقب^(٢).

كان من سمات النظام القبلي في إقليم الصعيد الأعلى بصفة عامة ومدينته قفط بصفة خاصة ، ان لكل قبيلة عربية مسجداً خاصاً بها ، في الوقت الذي سعت كل تلك القبائل مجتمعة لكي تشيد جامعاً لتصلى فيه صلاة الجمعة ، حيث لم تقتصر الجوامع على كونها دوراً للعبادة فقط بل كانت المكان الوحيد الذي يجتمع فيه المسلمون لدراسة أمورهم وما يستجد من أى تغيرات فى الديار المصرية^(٣)، وكانت الأوامر التى تصدر من الولي أو الخليفة تلقى على القبائل من داخل هذا الجامع ، كما كان معمولاً به فى جامع قفط وسائر الجوامع بالصعيد الأعلى^(٤).

ورغم أن العرب كانوا دائماً يميلون إلى ذكر اسم القبيلة قبل اسم البلد، إلا أن كثرة الاختلاط بالمصريين جعل اسم البلد يطغى على اسم القبيلة، ومما يدل على ذلك شواهد القبور التى تشير إلى أسماء عربية خلال القرن الثالث الهجري اتخذت اسم البلد بدلاً من القبيلة^(٥) حيث كان الانتساب للبلد بمثابة شرف يفتخر به هؤلاء ومن أمثلة ذلك صالح بن عادى القفطى

(١) المسعودى : مروج الذهب، ج ٢، ص ١٨، والمقرئى : الخطط، ج ١، ص ١٩٢-١٩٨.

(٢) المقرئى : البيان والإعراب، ص ٤٦.

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ١٤٨.

(٤) السيوطى : حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٣.

(٥) ممدوح عبد الرحمن للريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر، ص ٢١٥.

(ت ٢٩٣ هـ) ^(١) وعلى بن أحمد بن جعفر القفطي خطيب مدينة قفط ^(٢)، وكذلك أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر القفطي (ت ٣٦٢ هـ) ^(٣) وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت العصبية القبلية هي السمة المميزة للقبائل العربية في قرى ومدن الصعيد الأعلى ، حيث كانت تستغل هذه العصبية لتأمين الحياة ضد المصاعب والعجز والمرض ، وإذ في هذه الأحوال لا يجد العربي من يقف إلى جواره إلا عصبية ^(٤).

وظلت الروح القبلية والانتساب لها ببلاد الصعيد طيلة القرون الثلاثة الأولى للهجرة / التاسع الميلادي وما يليه ، إلا أن الأفراد العرب صاروا لا يأنفون من الانتساب كذلك لحرفهم ومهنتهم فيذكرون اسم المهنة التي يعملون بها على شواهد القبور ، سواء كان حياطا أو عطارا أو نجارا أو صيادا أو طحانا أو خبازا أو فرانا .. إلخ ^(٥).

ومنها محمد بن حسن الخياط (ت ٢٤٣ هـ) ^(٦)، ومحمد بن ناصح الصباغ (ت ٢٤٩ هـ) ^(٧) وأحمد بن نادر الخباز (ت ٢٤٤ هـ) ^(٨)، وجعفر بن يعقوب الصياد (ت ٢٤٩ هـ) ^(٩)، ومحمد بن مسلم الطحان (ت ٢٨٠ هـ) ^(١٠)، محمد بن علي حجاج بن صالح الحلاب (ت ٢٨٧ هـ) ^(١١) وعلى

^(١) الادفوى : الطالع السعيد . ص ٢٧٨ .

^(٢) الادفوى : المصدر السابق . ص ٣٦٥ .

^(٣) الادفوى : المصدر السابق . ص ٧٣ .

^(٤) ابن خلدون : المقدمة . ص ١٢٨ . ١٣٠ .

^(٥) ممدوح عبد الرحمن الريطي : دور القبائل في صعيد مصر . ص ٢١٨ .

^(٦) Abd Al Rahman Abd Al Tawab , Stelests Islamiques de la : Necropole of Aswan , Vol , I , P : 60 .

^(٧) Abd AL Rahman Abd Al Tawab Op - Cit . p.61

^(٨) Wiet : Steles Funer aires . . vol . II p bl

^(٩) Wiet : op - cit , vol . v . p. 350

^(١٠) Abd Al Rahman Abd Al Tawab . Op- Cit . P: 94 .

^(١١) Ibid vol . I p 94

بن سويد البناء (ت ٣٥٠ هـ) ^(١) والحسن بن محمد بن إبراهيم بن سلمه الصائغ (ت ٤٢٧ هـ) ^(٢).

ب - الحلف :

نظام عربي قديم تظهر فيه ملامح العصبية كما هو في العصر الجاهلي حيث كان العربي يرتبط بعصبية وذلك كارتباطه بقبيلته و قد تطغى على عصبية القبيلة حتى إذا ضعف الحلف عادت العصبية القبلية للظهور ^(٣) وكان التحالف يقوم بين الأفراد كما يقوم بين القبائل ^(٤).

ويعتبر الحلف من أهم سمات القبيلة في الصعيد الأعلى، وهو ارتباط مشترك بين الطرفين أو عدة أطراف من قبائل تشترك في أصل واحد، وبمقتضاه تتحمل هذه القبائل المتحالفة أعباء ما يقع عليها من ضرر ^(٥).

وفي إقليم مدينة فقط تحالفت قبيلتا ربيعة وجهينة تحت زعامة العمري لصد الهجمات التي تكررت من البجة على المسلمين في الإقليم ^(٦)، ونتيجة لهذا التحالف أولاً تم التغلب على البجة، ثم القضاء على ابن الصوفي العلوي، وقد اتبع ذلك التغلب على جيوش أحمد بن طولون وإن دل ذلك فإنه يدل على قوة هذا التحالف، وربما لم يتضمن ربيعة وجهينة فقط بل لعله ضم كثيراً من القبائل والبطون التي قطنت وتمركزت في هذا الإقليم ^(٧).

^(١) Ibid , vol , 11 , p 110 .

^(٢) Wiet : op - cit , vol . vi , p . 115 .

^(٣) عبد الحميد يونس : الهالكية ، ص ٨٦ ، عبد الله خورشيد البري : القبائل العربية ، ص ٢٨٩ .

^(٤) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٤٢٧ .

^(٥) العلوي : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٦٢ - ٦٥ .

^(٦) الكندي : المصدر السابق ، ص ٢١٣ ، ٢١٤ ، المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .

^(٧) رضوان محمد الجنابي : القبائل العربية في مصر القريين الثالث والرابع الهجريين ، ص ١٤٤ .

ومن الأحلاف التي شهدت مدينة ققط حلف ربيعة والبجة ، وذلك لمواجهة الخطر التركي الحاكم لمصر^(١)، عندما تزايد العنصر التركي في مصر وزاد نفوذه ، فلما أحس العرب بالخطر يحدق بهم ولهذا قامت أحلاف عربية قبلية كان هدفها مواجهة هذا الخطر الذي حرمهم من مكانتهم ومميزاتهم في الديار المصرية^(٢)، بالإضافة إلى ذلك كان هناك حلف قبيلة ربيعة بين مجموعة من القبائل بإقليم ققط مثل بلى وجهينة والبجة ، لمقاومة أخطار النوبة الذين يقطنون جنوب الإقليم^(٣).

كما سعى أبو عبد الرحمن العمري إلى تكوين حلف في بلاد إقليم ققط، ضم تحت لوائه قبائل ربيعة وجهينة ، ومضر ، واستطاع بهذا التحالف قمع الخطر النوبي من جهة الجنوب حيث صار زعيما على قبائل العرب والسبجة لكن هذا الحلف إنتهى بمقتل أبي عبد الرحمن العمري على نحو ما أشرنا من قبل ثم انفردت بزعامة المنطقة قبيلة ربيعة^(٤).

ج- الولاء :

هو الانضمام تحت لواء قبيلة من القبائل والدخول في كنفها، والمولى يحمل اسم القبيلة وينتسب إليها وقد كثر موالى القبائل في مصر وكانوا طبقة ظاهرة في المجتمع المصري حتى أن مؤرخا مثل الكندي خصص لهم أحد

(١) البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٦٤ . وهناك حلف قرشى في بلاد الأشمونيين ، وانتصر حلف قرشى على قبيلة جهينة وبلى أثناء العهد الفاطمي ، وانضم عسكر الفاطميين لقرشى ، وتمكنوا من طرد قبيلة جهينة وبلى من بلاد الصعيد الأدنى إلى بلاد الصعيد الأعلى .

القلقشندي : قلائد الجمان ، ص ٤٤ ، المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٧

(٢) عبد المجيد عابدين : البيان والاعراب ، ص ١١٥ - ١١٩

(٣) القلقشندي : المصدر السابق والصفحة .

(٤) البلوى : المصدر السابق والصفحة .

مؤلفاته " كتاب الموالى" ^(١). وهذا يدل على كثرتهم وأهميتهم ولو وصلنا كتاب الكندى هذا لأضاف كثيرا إلى ما لدينا عن هؤلاء الموالى ^(٢).

ولقد كان لظهور الموالى منذ وقت مبكراً فى مصر أن ظهر منهم يزيد بن أبى حبيب (ت ١٢٨ هـ) وهو من موالى قبيلة الازد ، حيث كان "أول من أظهر العلم والمسائل والحلال والحرام بمصر وقبل ذلك كانوا يتحدثون فى الترغيب والملاحم والفتن" ^(٣) وقد أسند ابن عبد العزيز الفتيا فى مصر إلى ثلاثة كان اثنان منهما من الموالى ولما غضب العرب قال لهم "ما نسبى أن كانت الموالى تسموا أنفسها صعدا وأنتم لا تسمون" ^(٤)، وكان من جملة الموالى إبراهيم بن يوسف القفطى، بن داود بن سابق المصري القفطى ^(٥)، المعروف بورش المقرئ وهو مولى لآل الزبير بن العوام س (ت ١٩٧ هـ) ^(٦).

وكان لبنى أمية كثيرٌ من الموالى فى مصر وأغلبهم رواة محدثين وفقهاء ^(٧)، ومن أشهرهم أبو عمرو للحارث مسكين قاضى مصر سنة ٢٣٧ هـ / ٨٥١ م ^(٨)، وهم من فقهاء المالكية بمصر ^(٩).

(١) الكندى : الولاة والقضاء ، ص ١٠

(٢) هناك إشارات كثيرة لهذا المؤلف وردت فى المراجع التى أخذت عن الكندى على سبيل المثال انظر الادلوى : الطالع السعيد ، ص ١٤٥ ، ابن حجر : رفع الأصر ، ج ١ ، ص ١١٥ .

(٣) الذهبى : تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

(٤) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ .

(٥) الادلوى : الطالع السعيد ، ص ٧١ .

(٦) ياقوت : معجم الأدباء ، ج ٢ ، ص ٤٨١ ، ٤٨٢ طبعة دار الكتب ببيروت ١٩٩١ م وكان من جملة الموالى ابن سليمان الحيزى العالم الجليل ، وهو من موالى قبيلة مراد . ولد سنة ١٧٤ هـ / ٧٩١ م وكان من أئمة الشافعية فى مصر ، أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج ١ ، ص ١٦٢ ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ .

(٧) الادلوى : الطالع السعيد ، ص ١٤٥ ، ١٧٤ .

(٨) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ .

(٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٣٣١ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٢ ، ص ١٢١ .

ولما كان الأمويون قد انتشروا في مدينة قفط ، فإن مواليتهم كثروا هناك، ومنهم ورش القفطى (ت ١٩٧ هـ)^(١)، أحمد بن إبراهيم بن أبى بكر القفطى (ت ٣٦٢ هـ)^(٢) على بن أحمد بن جعفر القفطى^(٣)، ولم يقتصر ظهورهم على مدينة قفط فحسب فظهروا أيضا في مدينة أخميم في شمال إقليم الصعيد الأعلى وكان منهم العالم الصوفي الكبير ذى النون المصري الأخميمى فهو من موالى قبيلة قريش بصعيد مصر (ت ٢٤٥ هـ)^(٤) كما ظهر أيضا في مدينة أسوان في جنوب الإقليم ومنهم محمد بن عبد الوارث الأسوانى، وهو من المحدثين ومعاوية بن هبة الأسوانى والاثنان عالمان اشتهرا برواية الحديث والفقهاء^(٥).

د - العريف :

وهى وظيفة ظهرت في مدينة قفط كغيرها من مدن الصعيد الأعلى والديار المصرية عامة وقد نقلتها القبائل العربية ومنها إلى هذه المدن، وهى وظيفة شيخ القبيلة أو زعيمها، أو رئيسها إلا أنه اتخذ صورة جديدة بعد الفتح الإسلامى وأطلق عليه اسم العريف - ومن الطبيعى أن يكون لكل قبيلة عريفاً أو رئيساً، فقد جعل عمرو بن العاص على رأس كل قبيلة عريفاً،

(١) ياقوت : معجم الأديباء ، ج ٣ ، ص ٤٨١ - ٤٨٣ - أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج ١ ، ص ١٦٣ .

(٢) الادفوى : الطالع السعيد ، ص ٧٣ .

(٣) الادفوى : المصدر السابق ، ص ٣٦٥ .

(٤) ممدوح عبد الرحمن الريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر ، ص ٢٢٠ ، ويوجد شاهد قبر

بمدينة أخميم لابنته السيدة (عزيزة بنت ذى النون الأخميمى . ولدت سنة ١٩٠ هـ وتوفيت سنة

٢٦٠ هـ . وكانت من أهل التقوى والورع والصلاح بأخميم ، ممدوح عبد الرحمن الريطى : المرجع

السابق والصفحة .

(٥) الادفوى : الطالع السعيد ، ص ٥٤٣ ، ٦٤٨ .

وكان لكل عريف مكان خاص به وهو وأصحابه ليديروا شئون القبيلة والبت في مصالحها^(١).

وتمثلت مهام العريف في مدينة ققط في كونه المسئول الأول في المدينة عن عمال الحراسة والأمن وتنفيذ أوامر الوالي وتقديم المجرمين والخارجين عن القانون في المدينة إلى الحاكم أو من ينوب عنه في الأقاليم^(٢) كما كان على العريف أن يقسم الضرائب والمغارم المفروضة على أهالي المدينة كل على حسب طاقته وربما استدعى أحد الأمراء أو أحد موظفي الدولة الكبار، هؤلاء للمشايخ ليفرض عليهم المغارم جملة، فيجمعونها ويسلمونها له حيث هو لا يكلف نفسه مثونة المرور على القرى^(٣).

كما كان العريف يقدر مساحة أراضي مدينته فكانت مساحة مدينة ققط ٥٤١٣ فدان عبرتها ٥٤٣٣ دينار باسم أمير المدينة^(٤)، التي شملها الفيضان بالرى ، ليرفعوا ذلك إلى صاحب الخراج ثم يوقع شيخ القبيلة على ما يسجله صاحب الخراج من مساحة^(٥).

وكان شيخ القبيلة في مدينة ققط، أكبر شيوخ القبيلة سناً ، ومن أقوى فروعها ، وهو الذى يحكم بين الأطراف المتنازعة من القبائل العربية طبقاً لأحكام القرآن والسنة النبوية ، فعندما قام نزاع بين قبيلتي ربيعة وبنى يونس فى إقليم ققط ، لجأت القبائل إلى شيخ قبيلة مضر ويدعى أبو عبد الله من أجل فض النزاع ، وقد تمت المصالحة بينهم على شرط رحيل بنى يونس

(١) ممدوح عبد الرحمن الريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر ، ص ٢٢١ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٤٦١ .

(٣) المقرئى : السلوك ، ج ٤ ، ق ١ ، ص ٢٨٢ .

(٤) ابن الجيعان : التحفة السنية باسماء البلاد المصرية ، ص ١٩٥ .

(٥) النويرى : نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ٢٤٧ ، إبراهيم طرخان : النظم الإقطاعية فى الشرق الأوسط فى

العصور الوسطى ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر (القاهرة - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م) ، ص ١٠ .

إلى الحجاز مرة أخرى ، وقد نفذ حكم عبد الله شيخ قبائل مضر وعادت قبيلة بنى يونس للحجاز^(١).

بالإضافة إلى ذلك كان العريف فى مدينة قفط له الحق فى أن يحكم على الخارجين على النظام بالضرب بالعصا أو الدرة ، وفى أحيان نادرة له الحق فى إصدار عقوبة الموت وهذا ما كان يحدث إلا نادراً كما أن للعريف أعوان يساعده فى مهامه^(٢).

الحراس "المحرس" :

أما الجوار فهو نظام يتم داخل القبيلة هو أن تفرض القبيلة حمايتها على شخص معين يستجد بها فتجيره فتعلن أنها مسئولة عنه تجاه أى عداء فيعتبر عداء عليها ، لأنها منحه حق الجوار^(٣) ، وكان من أهم صفات القبائل آنذاك أنها تخصص رجالاً أقوياء منها يقومون بحراستها ليلاً وكانوا مثل الخفراء ، ويطلق عليهم الحراس " المحرس "^(٤).

وكان هؤلاء الحراس يحافظون على الأمن ، وتنفيذ أوامر الحكومة لذلك نجد أن التعليمات التى كانت تصدر عن الوالى ثم إلى العريف للقيام بتنفيذها جماعة الحراس بالإضافة إلى حراستهم الطرقات حفاظاً على سلامة الأهالى وأرواحهم^(٥)، وكان من واجبات الحراس فى مدينة قفط وكذلك الأمر بالنسبة للقرى والمدن الأخرى فى إقليم قفط ، وهى الحفاظ على الأمن ومطاردة المجرمين والبحث عن القتل والخارجين على القانون وتسليمهم

(١) المقرئى : البيان والإعراب ، ص ٤٠ .

(٢) علماء الحملة الفرنسية : وصف مصر ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .

(٣) ** وكانت نساء رئيس القبيلة مثل باقى النساء فى القبيلة فيقمن بتجهيز الطعام ، ويغزلن الصوف والملابس ويفسلنها وسط المخيم ، ويحملن الجرار لجلب الماء من العين المجاورة ، ويجلبن اللبن من الأغنام التابعة له ، ممدوح عبد الرحمن الريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر ، ص ٢٢٢ .

(٤) عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية فى مصر ، ص ٢٣٥ .

(٥) عبد الله خورشيد البرى : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

للعدالة^(١)، وحراسة الحقول والحفاظ على الزروع^(٢)، والقبض على المفسدين أو الذين يقومون بأعمال السلب والنهب، حيث كانت مدينة قفط تقع على طريق التجارة الداخلية والخارجية^(٣)، كذلك تقع على عاتقهم تنفيذ أوامر العريف أمام نائب الوالي وفي مساعدته في القبض على قطاع الطرق^(٤).

ثالثاً : المظاهر الاجتماعية في قفط في العصر الإسلامي

الأخلاق والعادات والكرم :

تجلت أخلاق وعادات المقيمين في مدينة قفط في أمور عديدة منها إكرام الضيف فكان إكرام الضيف من الصفات المألوفة لديهم، ومن ذلك أنهم أقاموا عدة رباطات لإقامة للضيوف والغرباء وقت نزولهم ببلادهم وجعلوا فيها الطعام، حتى يتسنى لمن ينزل بها الإقامة الطيبة^(٥).

وكان من أهم عادات أهالي قفط في إكرام الضيف فيقوم صاحب المنزل وبعد ما يلزم لإكرامه، ومن ذلك أن يقوم بنبح خروف أو شاه، فإذا ازداد عدد الضيوف إلى ثلاثة نحر لهم جملاً، أما إذا كان صاحب المنزل لا يمتلك شيئاً من ذلك نبح من أقرب ما يجده من الماشية له أو لغيره، فإذا لم يجد من ذلك شيئاً نبح راحلة الضيف ثم يقوم بتعويضه عن ذلك خيراً^(٦).

ولعل ما شاهده ابن بطوطة^(٧) من كرم العادات كان إمتداداً لما كان يجري في إقليم قفط منذ قرون عديدة فهو يصف ذلك بقوله "كان سفرى من مصر على طريق الصعيد، فبت ليلة خروجي بالرباط، وجعل فيه الطعام

(١) القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٢، ص ٩٥.

(٢) المقرئى : السلوك، ج ٤، ق ١، ص ٥٢٥.

(٣) الأدلوى : الطالع السعيد : ص ٤٦٦، المقرئى : إغالة الأمة بكشف النمة، ص ٣٦.

(٤) المقرئى : الخطط، ج ١، ص ٢٠٢.

(٥) عبد الرحمن حسب الله : العلاقات بين العرب وشرق السودان، ص ٢٢٢.

(٦) المقرئى : الخطط، ج ١، ص ٤٨.

(٧) رحلة ابن بطوطة، ص ٣٦.

السوارد والصادر " وكانت معظم قرى ومدن إقليم ققط فى العصر الإسلامى الأول تشتهر بحسن معاملـة الضيـوف وإكرامهم ، وإقامة الرباطات والضيافات لإقامتهم فقد بنيت فى بلدة قمولة - تابعة لإقليم ققط مرصداً للضيافة "حتى أن الإنسان متى حضر ليلاً أو نهاراً وجد الطعام مهيباً بها"^(١). كما إشتهر أهالى مدينة ققط بإغاثة المستغيثين^(٢) وصدق الحديث والعفة ، ولم يقتصر ذلك على مدينة ققط بل امتد حتى مدينة أدفو وغيرها من البلاد ، فقد قيل عنهم " وأهلها معروفون بالعفة ، مشهورون بالفضل والصدق ، والتحرز فى الأقوال ، وإكرام الوارد، وإغاثة الملهوف"^(٣). وكان من عادات أهل مدينة ققط، زيارة البربى^(٤) والاعتقاد بما رسم فيها، والذهاب إليها للتبرك بها ، امتلأت أماكن كثيرة فى مدن وقرى إقليم ققط بالبرابى، ومن أمثال ذلك بربى بلدة دندرة^(٥) وبربا الأقصر^(٦) وكان هناك بربا فى أرمنت، وأخرى فى أسنا^(٧).

(١) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٣٩ .

(٢) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٣٥ ، ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ، ص ٢٩ .

(٣) ابن دقماق : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٤) البربى : مبنى من الحجارة ، فى داخلـة نقوش وكتابة للأوائل ، لا تفهم ، ولا تقرأ ، وبها صور لبعض الحيوانات ، وقيل هى بيوت الحكمة لعبادة الأوائل ، رقصوا فيها توارىخهم ، وصوروا فيها صور الأمم التى حولهم ، فمتى قصدتهم أمة من الأمم ، أوقفوا بصورهم المصورة من التكال ، مما أرادوا ، فيصيب تلك الأمة على البعد ما أوقفوه بصورهم ، ابن بطوطة : مذهب رحلة ابن بطوطة ، ص ٤٠ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٢٦ . كذلك قيل أن تلك البرابى بيوت لعبادة الكواكب السبعة ، المسعودى : التنبيه والإشراف ، ص ٢٠ .

(٥) بربا دندرة : وكانت بربة عظيمة ، قيل أن بها ثلاثمئة وستون كرة ، تدخل الشمس كل يوم من كرة منها وتخرج من أخرى ، حتى تأتى على آخرها ثم تكرر راجعة إلى حيث بدأت ، ابن إياس : نشق الأزهار فى عجائب الأمصار - مخطوطة رقم ٤٣٩ جغرافياً ، بدار الكتب المصرية ، ورقة ٢٤ .

(٦) بربا الأقصر : ومن بقايا هذه البربى صنم عظيم من حجر الصوان الأملس ، قائم فى عهد القلقشندى أمام ضريح أبى الحجاج الأقصرى ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٢٨ .

(٧) القلقشندى : المصدر السابق ، والجزء والصفحة .

وقد تمثلت بعض العادات الاجتماعية في مدينة قفط فيما يخص أمور الزواج، وهو من أهمها فالزواج تسبقه بعض العادات التي لا تشذ كثيراً عن العادات الموجودة في أكثر المجتمعات المتحضرة ومن هذه العادات أن يسبق الزواج خطبة وهي في العادة يتولاها الأب بدلاً من ابنه، فيذهب إلى أهل الفتاه ومعه بعض الأقارب، وفي الغالب أن طلب ابن العم أو العمة أو الخال لا يرد إلا إذا وجد سبب قوى يحول دون ذلك، لأنهم يفضلون في العادة زواج الأقارب حتى أن والد الفتاة كان لا يعطى ابنته لزواج غريب إلا بعد أن يعلم جميع أقاربه الصالحين للزواج^(١)،

وقد كشفت أوراق البردي العربية أموراً كثيرة تتصل بعقود الزواج ، حيث أظهرت أن الصداق يختلف بحسب ثروة الزوجين، ومكانتهما الاجتماعية^(٢)، فقد تزوج جبريل جعفر على صداق دينارين^(٣)، بينما ترى أن حميد بن شهران أصدق زوجته عشرين ديناراً^(٤)، وفي بعض الزيجات ، كان الصداق دفعه واحدة ومقماً، فتشير بردية مؤرخة برجب سنة ٢٩٩هـ إلى أنها قبضت من زوجها جبريل بن جعفر دينارين مئاقيل عن صداقها وحازت وأبرأت زوجها جبريل بن جعفر من هذين الدينارين براءة قبض واستيفاء^(٥).

(١) محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، ص ٤٦ ، عبد الرحمن حسب الله : العلاقات بين بلاد العرب وشرق السودان ، ص ٢٣٣ .

(٢) لذلك اختلف الفقهاء المسلمون في تحديد قيمة الصداق فما لك يشترط أن يؤدي مبلغ لا يقل عن ثلاثة دراهم صداقاً للزوجة ، والشافعى يجعل الصداق عشرة دنانير على أن يؤدي نصفها مقدماً ، ونصفها مؤخرًا . جروهمان : أوراق البردي العربية ، ج ١ ، ص ٧٦ .

(٣) جروهمان : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٢ .

(٤) جروهمان : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

(٥) جروهمان : أوراق البردي العربية ، ج ١ ، ص ١١٢ .

وفى كثير من الأحيان، كان يعجل بأداء نصف الصداق، ويؤخر نصفه، فقد أشارت بردية جاء فيها هذا ما أصدق حميد بن شهران بن شهران، أصدق من العين الجيد المصري عشرين ديناراً، تاماً وافياً وبراءة من ذلك براءة قبض واستيفاء، ويبقى لها كذا دينار مؤخر لها عليه، إلى أن تنقضي ثماني حجج متواليات^(١) هذه البردية تشير إلى تحديد مدة معينة وهي ثماني سنوات لإتمام باقي الصداق المقرر على الزواج.

كذلك كان يشترط فى بعض عقود الزواج ، حسن معاملة زوجته ، وألا يمنعها حقوقها وأن يقيماً بالمعروف ، وتشير بردية أخرى فى هذا الصدد يرجع تاريخها إلى سنة ٢٦٤ هـ وقد تضمنت حسن معاملة الزوج لزوجته : " ولا يمنعها من أهلها ولا يمنع أهلها منها ، وعليه أن يتقى الله فيها ، ويحسن صحبتها بالمعروف كما أمره الله تعالى، والذي لزم ذكره، وجل ثناؤه ، وسنة نبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم"^(٢).

الحياة العامة فى مدينة قفط :

كانت الحياة العامة فى قرى ومدن منطقة قفط تسير على وتيرة واحدة ويرجع ذلك إلى ارتباط الفلاح فى مدينة قفط بأرضه ومنزله ، وكانت حياته العامة تتأثر بعوامل الطبيعة المحيطة به سواء حياته فى الحقل أو فى المسكن، ومن هذه العوامل النيل وفيضانه الذى تفاوت مقداره من عام لآخر لذلك حدد النيل للفلاح نظام العمل فى الحقل وحياته فى المسكن^(٣)، وكذلك حدد النيل مكان مسكنه، حيث كان الفلاح يسكن القرى والكفور بجوار عمله، ومما يجدر ذكره أن المزارعين فى قرى إقليم قفط بلغوا من العدد سبعين

(١) جروهمان : أوراق البردى، ج ١، ص ١٤٦ .

(٢) جروهمان : المصدر السابق والجزء ١، ص ٨١ .

(٣) محمد أحمد محمد : الميا فى العصر الإسلامى ، ص ١٩٢ .

ألف مزارع ، بينما بلغ عددهم فى الوجه البحرى خمسين ألف مزارع^(١)، وكان ذلك فى بداية عهد الطولونيين^(٢)، وكانت الجسور والمراكب هى وسائل الانتقال بين أهالى القرى زمن الفيضان^(٣).

وأما عن مساكن القرية ، فكانت غالبية مساكن الفلاحين فى مدينة قفط كغيرها من قرى مصر فكانت تتكون من طابق واحد يضع فيها مواشيه ومحصوله^(٤) وكان مسكن الفلاح مبنياً بالطوب، أما مساكن المدينة فى قفط فكانت على العكس من ذلك ، إذ كانت من المباني المبنية بالحجر، ويصف ابن جبير مدينة قفط بأنها من المدن المذكورة فى الصعيد حسناً، ونظافة بنيان، وإتقان وضع^(٥)، وكانت القرى والمدن فى إقليم قفط مليئة بالمنشآت والمرافق^(٦).

وقد تميزت الحياة العامة فى القرية بمظاهر خاصة تجلت فى أمور عديدة، منها ما جاء فى أوراق البردى العربية التى ترجع إلى القرنين الثالث والرابع الهجريين ما يكشف لنا عن أثاث الفلاح فى المنزل من أواني الشرب والطهى، والكراسي والأسرة، والصناديق الخشبية التى كان يحفظ فيها أشياءه الخاصة^(٧)، كانت غالبية أثاث الفلاح من أشياء بسيطة مصنوعة مما توافر له فى البيئة الزراعية^(٨)، وكان مأكّل الفلاح بسيطاً، فهو لا يأكل إلا الجبن،

(١) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٠٠

(٢) المقرئى : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٤٣

(٤) محمد محمود أحمد أدریس : الحياة الزراعية فى مصر فى العصر الفاطمى - رسالة ماجستير - جامعة القاهرة - أغسطس ١٩٧٦ م ، ص ٢٦٦ .

(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص ٦٤ .

(٦) الادفوى : الطالع السعيد ، ص ١٢ .

(٧) جروهمان : أوراق البردى العربية ، ج ٦ ، ص ١٩ .

(٨) محمد محمود أدریس : الحياة الزراعية فى مصر ، ص ٢٦٦ .

والبصل والشعير^(١)، وكان فى روح التعاون بين الفلاحين عاملاً من عوامل المشاركة والعزاء.

الأعياد والمواسم :

أحتفل المسلمون والنصارى فى إقليم فقط بأعيادهم الخاصة فى صور شتى ومظاهر متنوعة، ففي عيد الفطر كانت الجموع من سكان القرى والمدن تحتشد بالمساجد لأداء صلاة العيد، وبعد انتهاء الصلاة يعودون إلى منازلهم فى صحبة أمام المسجد يكبرون طول الطريق^(٢).

وجرت العادة فى مدينة فقط إذا حل يوم عيد الفطر أن يرتدى الفلاحون ثياباً جديدة واعتاد أهل المدينة أن يهرعوا إلى القرافات ، ومعهم نساؤهم وأولادهم، وكان أهالى مدينة فقط يقصدون نهر النيل حيث يستأجرون المراكب للنزهة^(٣)، وكان المسلمون يزكون بأموالهم إلى الفقراء، كما أمرهم الله تعالى^(٤).

واهتم المسلمون أيضاً - بالاحتفال بعيد الأضحى فى منطقة فقط وذلك كسائر المناطق الأخرى من الديار المصرية، فيضحى بعضهم بالذبائح وتوزع على المحتاجين من المسلمين^(٥)، وكان الكبار يتصدقون بآلاف الدنانير ومئات الأرباب من الغلال^(٦).

(١) محمد أحمد محمد : المنيا فى العصر الإسلامى - ص ١٩٩

(٢) ابن الحاج : المدخل ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .

(٣) المقرئى : السلوك ، ج ٣ ، ص ٦٧٢ .

(٤) التنويرى : نهاية الأرب ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

(٥) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٤٩٢ .

(٦) الأدلوى : الطالع ، ص ٢٤٠ ، ٤٨١ ، ٦٩٦ .

كما كان من عاداتهم الإقبال على تجهيز بيوت الفقهاء بلوازم الضيافة^(١) فى تلك المناسبات الدينية حيث كان يميلون إلى عقد ما يشبه الندوات العلمية ، كذلك حلقات الذكر التى كانت تقام ليلاً فى مثل هذه المناسبات^(٢).

وكان عامة الناس يحتفلون بعيد الأضحى بالذهاب إلى النيل والقسرافات، وتتزين النساء بغاية الزينة^(٣)، وتخرج جماعة منهن إلى الطرقات، ويأخذن فى الغناء ، ويطفن بالأسواق والحوانيت والبيوت لجمع ما يجود به الناس عليهن^(٤)، ويزورون بعضهن بعضاً، ويذهبن إلى مساجد قراهن ، لتأدية فريضة الصلاة^(٥).

وكان شهر رمضان من أهم المواسم الدينية التى عنى بها أهالى مدينة قفط فكثرت اجتماعاتهم وزيارتهم فى شهر رمضان، وعمد كثير من الأهالى إلى إحياء رمضان فى الجوامع والمساجد بالذكر والصلاة وإقامة الشعائر الدينية ويصومون نهاره، وقد كان الاحتفال بهذا الشهر على درجة كبيرة من الاهتمام والتجلى والخشوع^(٦)، فكان المسلمون يتوافدون على المساجد طوال هذا الشهر، لصلاة التسابيح فى الأيام الأخيرة من هذا الشهر المبارك^(٧)، وكانت فى هذا الشهر تضاء المساجد والشوارع بالأنوار ابتهاجاً

(١) الأذلوى : الطالع السعيد، ص ٤٨١ .

(٢) نعمة على مرسى : مصر العليا من الفتح العربى حتى سقوط الدولة الفاطمية ، ص ٢٧٤ .

(٣) ابن الحاج : المدخل ، ج ١ ، ص ٢٨٦ .

(٤) ابن الحاج : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٥) محمد أحمد محمد : المنيا فى العصر الاسلامى ، ص ٢٠٢ .

(٦) وكان المسلمون إذا أتى العيد أقاموا الاحتفالات والمهرجانات بقدم العيد . وقد ألفوا موكبا دينيا فى القرية يجوب بكل خشوع بين عزف الطبول وأصوات الأدوات .

محمد ادريس : الحياة الزراعية فى العصر الفاطمى ، ص ١٤٣ .

(٧) ومن عادة الخلفاء الفاطميين فى هذه الأعياد إقامة الأسمطة فى القصر . يحضرها الخليفة بنفسه ، وقد بلغ طول أحد تلك الأسمطة ثلاثمائة ذراع فى سبعة أذرع فكان إذا صلى الخليفة صلاة العيد جلس وملك الناس من ذلك السماط الممدود . * آدم متر : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

بحلوله ^(١)، ويسهر الفلاحون في أماكن يجتمعون فيها لسرد القصص الدينية والاستمتاع بالوعظ والإرشاد من فقهاء الإسلام ، كما كانوا يتناولون طعامهم جماعياً ، كما جرت العادة في مثل المناسبات ^(٢).

ومن عادة المسلمين في هذا الشهر ، تقديم الزكاة وإطعام الفقير ، والمحتاج ابتهاجا بهذا الشهر الكريم ، وطلباً لمغفرة من الله عز وجل ^(٣)، وكان الأثرياء في ليالي رمضان في مدينة قفط يتصدقون في وجوه البر والإحسان وكان المشايخ من علماء المسلمين يستقبلون الفقراء ويقيمون على رعايتهم من حيث المأكل والمشرب والملبس ، وكان الخطيب الأموي في مدينة قفط وهو أبو الحسن علي بن أحمد بن جعفر بن عبد الباقي الأموي العثماني - مؤثلاً لاجتماع الفقراء المتجربين في شهر رمضان من كل سنة ^(٤).

وكان التسحير في رمضان يتم بالطواف على بيوت القرية ، وهم يضربون بالطبلة ، أو بالدق على الأبواب " وينادون عليهم قوموا كلوا " ^(٥) ومن المواسم التي اهتم بها الأهالي في مدينة قفط وبالغوا في إحيائها "موسم عاشوراء" حيث أشد إقبال العامة على الطعام والحلوى وتجمهروا في أماكن مخصوصة في المساجد ، واشتدت رغبة الكبار من الرجال في الجود والعطاء ^(٦).

(١) آدم متر : الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٩٨، ٢٩٧

(٢) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص ٢٩ ، آدم متر : المرجع السابق والمفحة والجزء .

(٣) أبو صالح الأرميني : كنائس وأديرة مصر ، ص ١٢٩ ، محمد ادريس : الحياة الزراعية في مصر في العصر الفاطمي ، ص ١٤٢ .

(٤) الزركلي : الأعلام (بيروت سنة ١٩٦٩) ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ .

(٥) ابن الحاج : المدخل ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .

(٦) وما قيل عن هذا الجود والعطاء أن القاضي إبراهيم بن عرفات ابن صالح القنوي كان يتصدق في كل سنة في يوم عاشوراء من أهل بلده بصعيد مصر بألف دينار - الادلوي : الطالع السعيد ، ص ٥٦

وكانت الأسواق في منطقة قُقط في ليلة النصف من شهري رجب وشعبان مزينة بأبهى معالم الزينة وكان يعرض فيها الحيوانات أمثال الخيول والسباع والقطط وغيرها مثل سائر أعمال مصر وصعيدها^(١)، وكانت هذه الأنواع في متناول الأغنياء والفقراء على السواء، وفي ذلك يذكر المقرئزي^(٢)، " فلا يبق جليل ولا حقير حتى يبتاع منها لأهله وأولاده".

ومما تجدر ملاحظته أن مطابخ ومعاصر السكر انتشرت في مدينة قُقط الأمر الذي ساعد الأهالي على عمل صناعة الحلوى^(٣)، وحرص كثير من الأهالي على إحياء هذه المواسم بالصيام ، وبزيادة وقود القناديل والشموع بالجوامع والاجتماع بها للذكر والقراءة والخروج إلى المقابر^(٤).

وكان للاحتفال بليلة مولد النبي - صلى الله عليه وسلم شأن كبير في مدينة قُقط وقد حافظ أهالي هذه المدينة على العادات التي ورثوها عن العصور السابقة حتى رسخت وتأصلت في النفوس إلى وقتنا الحاضر ، ومن المظاهر الدينية المألوفة في هذا العيد قراءة القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة في المساجد ، وصنع الحلوى ، ويقبل الأهالي على شرائها ، ويحتفلون بذلك احتفالاً كبيراً^(٥)، وكان الاحتفال بمولد النبي - صلى الله عليه وسلم في العصر الفاطمي له شأن عظيم وذلك تكريماً لهذا اليوم العظيم وكانوا يحتفلون به احتفالاً باهراً يليق بمكانة الرسول صلى الله عليه وسلم لما

(١) المقرئزي : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٠٠

(٢) المقرئزي : المرجع السابق والجزء والمفحة .

(٣) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص ٣٩ .

(٤) محمد أحمد محمد : مظاهر الحضارة في مصر العليا في عصر سلاطين الدولتين الأيوبية والمملوكية ،

ص ٢٣٣ ، (الطبعة الأولى ، مطبعة الأمانة ١٤٠٨ هـ - ١٩٢٨ م) ص ٢٣٣ .

(٥) محمد جمال الدين مرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ١٦٦ .

له من أثر فى نفوس المسلمين ، وكان يحتفل به منذ بداية القرن الرابع الهجرى^(١).

أما عن أعياد الأقباط فى مدينة ققط ، فقد تنوعت بين الأعياد العامة التى يحتفل بها فى سائر الديار المصرية ، والأعياد الخاصة التى يحتفل بها داخل الأديرة، ومن الأعياد العامة التى تعددت فى منطقة إقليم ققط، أربعة عشر عيداً منها، سبعة أعياد تسمى الأعياد الكبار والسبعة الأخرى تسمى الأعياد الصغار^(٢).

وتشير المصادر التاريخية إلى أن المسلمين قد أبقوا على احتفال القبط بأعيادهم، بل أنهم شاركوا فيها ، وكانت غالبية تلك الاحتفالات تقام فى مناطق الريف والمنتزهات التى تشغلها أراضيها ، والمحيطه به والأديرة العامرة بزهورها ومناطق اللهب بها^(٣).

أما عن أول الأعياد الكبار فهو عيد البشارة ، واحتفل القبط فى مدينة ققط كسائر الديار المصرية - بهذا العيد ، فى اليوم التاسع والعشرون من برمهات من شهورهم^(٤) ومرجع الاحتفال بهذا اليوم أساسه أن السيدة مريم العذراء ، بشرت بمولودها فى هذا اليوم^(٥).

وثانى هذه الأعياد الكبار عيد الزيتون، احتفل به القبط احتفالاً كبيراً، ويعرف هذا العيد بعيد الشعانيين، ومعناه التسبيح، وقيل أنه ذكرى اليوم الذى دخل فيه السيد المسيح مدينة القدس، وكان قبط مصر يحتفلون به فى اليوم

(١) وكان ذلك بدعه فى نظر المتمسكين بالعادات الإسلامية الأولى. آدم متر: الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٢٩٢.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤١٥.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٦٣، ١٦٤، المقرئ: الخطط، ج ١، ص ٦٨-٦٩، العمري: مسالك الأبصار، ص ٣٦١، الشافعي: الديارات، (تحقيق كوركيس عواد، (بغداد ١٩٦٦م) ص ٢٨٤، ٢٩٩.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤١٥.

(٥) النويري: نهاية الأرب، ج ١، ص ١٩١.

الثاني والأربعين من الصوم^(١)، وفي هذا لعيد تزيين الكنائس بمصر وسائر البلاد بأغصان الزيتون، وقلوب النحيز^(٢)، ويورع منها على الناس على سبيل التبرك^(٣).

ولم يقتصر احتفال الأقباط بهذا العيد في مدينة قفط، بل كان يحتفل به أيضاً في مدينة أخميم من شمال مدينة قفط، حيث كان يخرج القساوسة الشماسة بالمباخر والصلبان والأنجيل والشموع^(٤).

ويقفوا على باب القاضى، ويبخروا، ويقرأوا فصلاً من الإنجيل، يمدحونه، ثم يكررون ذلك المشهد على أبواب أعيان المسلمين، وقد بالغ الأهالى في تنفيذ هذه العادة^(٥).

وأحتفل الأقباط في مدينة قفط بعيد الفصح، وهو العيد الكبير عندهم وقيل أن سبب الإحتفال به أن المسيح قام بصد الصلبوت بثلاثة أيام^(٦)، فأصبح يوم قيامته عيداً لديهم، وهذا اليوم خروج موسى عليه السلام، وقومه من طغيان فرعون مصر^(٧).

ومن أعياد الأقباط في إقليم قفط، ليلة الميلاد، وهى الليلة التاسعة والعشرون من كيهك، وهو اليوم الذى ولد فيه السيد المسيح عليه السلام، فقبل أنه ولد فى يوم الاثنين، فيجعلون عشية لأحد ليلة الميلاد عيداً لهم، ويوقدون المصابيح بالكنائس ويزينونها^(٨)، وفى هذا العيد تباع الشموع

(١) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ج ١، ص ٩١.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤١٥.

(٣) آدم متر: الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٢٨٥.

(٤) المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٥١٧.

(٥) على سارك: الخطط التوفيقية، ج ٨، ص ٣٨.

(٦) البويرى: نهاية الأرب، ج ١، ص ١٩١.

(٧) نعمة على مرسى: مصر العليا من الفتح العربى حتى سقوط الدولة الفاطمية، ص ٢٧٧.

(٨) البويرى: نفس المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٢.

الملونة بالأصباغ والتماثيل الصغيرة ، ولا يبقى أحد منهم ، الا ويشتري لأولاده وأهله منها ، ويطلقون عليها اسم الفوانيس ، كما كان القبط يذهبون إلى كنائسهم ، ويصلون بها ويدعون الله ، ويقىمون النيران ويلعبون بالجوز فى هذه الليلة (١) .

واحتفل أهالى قفط من القبط بعيد خميس العهد ، وهو يوافق اليوم السادس والعشرون من بشنس من شهور القبط (٢) ، وقيل أن سبب اتخاذهم هذا العيد أن روح القدس حلت بتلاميذ المسيح ، فتعرفت عليهم السنة الأمم فتكلموا بجميع الأسنة ، وتوجه كل واحد منهم إلى بلد يتكلم بنفس لغته ليدعوهم إلى دين المسيح (٣) .

كذلك احتفل الأقباط فى منطقة قفط بعيد خميس الأربعين ، وهو اليوم من إفتارهم ، كانوا يمكثون أربعين يوماً صائمين وهى الأيام التى قيل أن المسيح عليه السلام أقام فيها فى الأرض بعد صلبه، وفى هذا اليوم خرج وصعد المسيح إلى السماء بعد القيام فكان الأقباط يحتفلون فى هذا اليوم بصعود المسيح إلى السماوات، ويرتدون أبهى ملابسهم، ويزينون كنائسهم، بشرى وبهجة وإكراماً لهذا اليوم (٤) .

وقد شارك الفاطميون الأقباط فى مصر فى الاحتفال بهذا العيد، فكانوا يوزعون الطعام والحلوى على كبار الموظفين فى ذلك اليوم (٥) ، وقد امتدت المشاركة بهذا العيد إلى إقليم قفط فقد ذكر أبو صالح الأرمنى (٦) ، أن فى ليلة عيد الميلاد المقدس من كل سنة، يوقد المسلمون والنصارى شموعاً،

(١) آدم متر: الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٢٨٢ .

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤١٦ .

(٣) النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج ١، ص ١٩١ .

(٤) القلقشندي: المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٥) سيدة الكاشف: مصر فى عصر الأخشيديين، ص ٢٥٢ .

(٦) تاريخ الشيخ أبو صالح الأرمنى، ص ١٢٩ .

ومصابيح وإحطاب بجملة كبيرة"، ابتهاجا بهذا العيد ومشاركة من المسلمين للأقباط فى هذه المدينة التى كان أقباط مدينة فقط يشاركون فيها الاحتفال بأفراح المسلمين وأعيادهم، ولم يقتصر ذلك الاحتفال على مدينة فقط بل امتد بلدة إسنا وهى جنوب مدينة قفط وقد جرت العادة هناك إلى مشاركة المسلمين فى أعراسهم ، فكانوا يسرون بعض الأقباط أمام موكب العريس ، ينشدون ويغنون فى الشوارع والأسواق^(١).

ومن الأعياد الكبار لدى الأقباط عيد الغطاس ويكون فى اليوم الحادي عشر من طوبة^(٢) وسبب اتخاذهم لهذا العيد ما يزعمون من أن يوحنا المعمدانى غسل المسيح عليه السلام فى بحيرة الأردن فى هذا اليوم^(٣) لذا كان قبط مصر يغطسون فى ماء النيل، ويزعمون أن هذا يشفى من الأمراض كما اعتاد المصريون الاحتفال بهذا العيد فى العصر الإسلامى وكان من أعيادهم العظيمة ويروى المسعودى تفاصيل الاحتفال بهذا العيد كما شاهدها بنفسه سنة ٣٣٠هـ / ٩٤١م وكان على رأس الاحتفال محمد بن طفح الإخشيدى الذى خرج مع حاشيته وكبار رجال دولته بالموكب إلى داره المعروفة بالمختار بالجزيرة فى وسط النيل وقد أمر رجاله فأشعلوا على ضفتى النيل ألف مشعل غير ما أضاءه أهل مصر من المشاعل والشموع وقد احتشد الآلاف من أهل مصر على ضفتى النهر واجتمع الكثيرون فى الزوارق النيلية^(٤).

(١) أبو صالح الأرمنى : تاريخ الشيخ أبو صالح الأرمينى، ص ١٢٩ ، قاسم عبده قاسم : أهل الدمة فى مصر العصور الوسطى (القاهرة ١٩٧٢ م) ص ١٦٠ ، ١٧١ .

(٢) القلقشندي : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٣) النويرى : نهاية الأرب ، ج ١ ، ص ١٩٢ .

(٤) المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢٩١ ، الأنطاكي : تاريخه ، ص ١٩٦ .

وكان الخلفاء الفاطميون يعنون بهذا العيد ، فيقوم صاحب الشرطة بمدينة الفسطاط ونواب عنه فى باقى أقاليم مصر ومنها إقليم قفط بالركوب فى موكب كبير ، حيث توقد الشموع بين يديه ، فى تلك الليلة ، ويطوف به شوارع المدينة، وينادى فى الناس ، ألا يختلط المسلمون بالأقباط وألا يكذبوا عليهم عيدهم^(١)، فقد كان لليلة الغطاس شأناً كبيراً لدى القبط إذ لا ينام فيها أحد منهم حتى الصباح^(٢) فهى أحسن الليالي سروراً وبهجة ، ولا تغلق فيها الدروب^(٣) ويذهبون إلى الشواطئ على النيل ، ويحضرون معهم ما يمكنهم إحضاره من طيب المأكّل والمشرب ، ويلبسون الملبوسات الزاهية ويتزينون بالجمال والمجوهرات^(٤)، وفى خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي أمر بمنع الاحتفال بهذا العيد لما كان يحدث فيه من اللهو والمجون بين الأقباط^(٥).

كذلك احتفل أقباط مدينة قفط بعيد حد الحدود وعيد التجلي وعيد الصليب^(٦) ومن الأعياد الخاصة بالأقباط عيد النيروز، والنيروز عيد فارسي الأصل ، ويعمل فى اليوم الأول من السنة القبطية^(٧) وفى هذا اليوم يظهر الأقباط من الفرح والسرور، وإيقاد النيران وصب المياه فى الطرقات الشيء الكثير^(٨) وقد أمر الخليفة المعز لدين الله الفاطمي بمنع هذا العبث عندما بالغ فيه العامة فى سنة ٣٦٣ هـ - سنة ٣٦٤ هـ^(٩).

(١) آدم متر: الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٢) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٢٦٤.

(٣) المقرئى: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٤) المسعودى: مروج الذهب، ج ١، ص ٢٩١.

(٥) المقرئى: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦٤.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤١٨.

(٧) سيدة الكاشف: مصر فى العصر الأخشيدين، ص ٢٥٣.

(٨) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤١٩.

(٩) سيدة الكاشف: المرجع السابق والصفحة.

ومن الأعياد الخاصة في إقليم مدينة قفط وفاء النيل ، وقد كان الاحتفال يأخذ طابعاً قومياً، حيث يحتفل المسلمون والأقباط معاً^(١).

وقد شارك أهالي مدينة قفط في العصر الإسلامي في كل هذه الاحتفالات الدينية والاجتماعية وحرصوا على المساهمة فيها ، فالمسلمون كانوا يحتفلون بأعيادهم ومناسبتهم وكذلك كان الأقباط ، وكانوا يشاركون بعضهم البعض في هذه الأعياد ، ويحتفلون بالعديد منها معاً .

حفل الختان :

كان من أهم مظاهر العادات والتقاليد عند العرب الذين عاشوا على أرض منطقة قفط هو حفل ختان أطفالهم، فكانت الفرحة تعم القبيلة كلها، حيث يقام حفل سعيد يحضره جميع أفراد القبيلة، وكان للختان في مدينة قفط صورتين وهما الختان الفرعوني ، والختان السني ، فالختان الفرعوني هو طريقة قديمة منذ أقدم العصور ، أما الختان السني فهو الذي عرفه أهل الإسلام^(٢)، وكان الاحتفال بهذه المناسبة أثناء الليل ، فتسمى ليالي فرح الختان تكريماً لأولادهم^(٣).

وقد جرت العادة بأن تحتفل القبيلة في مدينة قفط بيوم ختان الولد وتقام له الأفراح وتدعو القبيلة جيرانها للاحتفال بهذا اليوم^(٤).

(١) النويري : نهاية الأرب، ج ١، ص ٢٦٢،

* وعيد وفاء النيل يتم عند بلوغ فيضان النيل منه عشر ذراعا، وهو الحد اللازم لرى معظم الأراضي، المصرية، بينما كان الحد اللازم لرى الأراضي الزراعية في منطقة الصعيد الأعلى عند بلوغ النين وعشرين ذراعا. آدم متر: الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٢٣٦.

(٢) محمد عوض محمد: السودان الشمالي، ص ٤٢.

(٣) ممدوح عبد الرحمن الريطى: دور القبائل في صعيد مصر، ص ٢٢٦.

(٤) عبد الرحمن حسب الله الحاج: العلاقات بين بلاد العرب وشرق السودان منذ ظهور الإسلام حتى ظهور الفونج - رسالة ماجستير، ص ٢٢٩.

وكان القبط في سائر قرى ومدن مصر يحتفلون بعيد الختان وهو من أهم الأعياد العائلية عند الأقباط^(١) حيث يختنون أولادهم بخلاف غيرهم^(٢)، وكانوا يحتفلون به في السادس من شهر بؤونه ، ويعتقدون أن المسيح ختن في هذا العيد ، وهو الثامن من الميلاد^(٣).

الماكل والملبس

تفاوت العرب في تلك المظاهر بتفاوت مراتبهم الاجتماعية وليس بتفاوت قبائلهم وبطونهم^(٤)، كذلك فقد تفاوت صورة تلك المظاهر في القرنين الأول والثاني عنها في القرنين الثالث والرابع، عند الفتح كان طعامهم "المرق من اللحم" ولباسهم الأكسية^(٥) والبرود^(٦) ولقد فرض عمرو على الروم لكل رجل من أصحابه ديناراً وجبه وبرنسا وعمامة وخفين^(٧).

ويبدو أن الصورة لم تختلف كثيراً في القرنين الأول والثاني الهجري، ويحكى أن عبد الله ابن عبد الرحمن بن حجير الخولاني كان قاضياً لمصر زاره صديق بعد انتهائه من غذائه فأمر جاريته بأن تعد الغذاء للصديق "فأنت بعدس بارد على طبق خوص وكعك وماء فقال أبلل وكل"^(٨).

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج ٢، ص ٢٨٦.

(٢) آدم متز: المرجع السابق والجزء والصفحة.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٢٧.

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٧٤.

(٥) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص ٦٠.

(٦) الكندي: الولاة والقضاة، ص ٣٢٧.

(٧) الكندي: المصدر السابق، ص ٤٢٣، ٤٦٩.

(٨) أحسن التقاسيم، ص ١٨٣ - ١٩٦، ومن أخصر مأكول أهل مدينة قفط "البسار" مكوّنه من الفول والملوخيا الجافة، وهو "غالب مأكولهم خصوصاً في رمضان وقت الفطور والسحور"، مجدي عبد الرشيد بحر: القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ م) ص ٢٣٤.

وقدم لنا المقدسى^(١) وصفاً شيقاً لملابس ومأكل أهالي مدينة قفط قائلاً: "يلبسون كساءً واحداً بلا سراويل ولهن الأفرنة، وللقريائتين الطوابين، تنور في الأرض صغير، فقد فرش بالحصى فيوقد الزيل حوله وفوقه، فإذا احمر طرحت الأرغفة على الحصى وبه طبخون للعدس والبیسار، ويقلون الفول المنبوت بالزيت ويملحون الترمس، ويكثرون أكله، ويصنعون زلابيه في الشتاء من العجين، ويأكلون لحم النيس، ويقدون سقف البيت وبنیانهم من طين".

وأشارت أوراق البردى العربية إلى الملابس المستخدمة في إقليم قفط، وأثمانها يومئذ ومنها جبه صوف، بأربعة دراهم^(٢) وتوب وثياب^(٣)، كما جاء فيها أيضاً رداء^(٤) وسروال وسراويل^(٥)، وشقه^(٦)، ومنديل للرأس وشاش وعمامة^(٧)، ومما يؤكد ذلك ما ذكره البلاذرى، عند حديثه عن شروط الصلح بين المسلمين وأهل مصر وأن على الآخرين "جبه صوف وبرنسا أو عمامة وسراويل وخفين أو عدل الجبة الصوف ثوباً قبطياً^(٨) وكان أكثر الملابس الشائعة عندهم من القطن، وأن العلماء منهم كانوا يرتدون الملابس القطنية، وتميز العالم والشيخ بلبس جبه قطنية^(٩) وعرف أهل مدينة قفط بلبس العمائم والطیالس القطنية^(١٠).

(١) جروهمان: أوراق البردى، ج ٦، ص ١٠٦.

(٢) عبد المنعم عبد الحميد سلطان: الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي (دار الثقافة العلمية - الإسكندرية، ١٩٩٩) ص ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٤.

(٣) عبد المنعم عبد الحديد سلطان: الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، ص ٢٠٢.

(٤) جروهمان: أوراق البردى، ج ٥، رقم ٣٤٩، ص ١٥٤، ج ٢، ص ١٠٨.

(٥) الشقة: هي ثوب من نصفين مخيطين، المصدر السابق، ج ٥، رقم ٣٨٩، ٣٩٠، ص ١٧، رقم ٣٩٢ ص ٨١-٨٦.

(٦) عبد المنعم سلطان: المرجع السابق، ص ٢٠٣.

(٧) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ٢٥٢.

(٨) الادفوى: الطالع العيد، ص ٦٥٨.

(٩) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ٢٢٢.

وكانت المرأة من العامة ترتدى فوق ثيابها ملاءة واسعة فضفاضة تخفى كل جسدها^(١) بالإضافة إلى النقاب الذى يحجب وجه المرأة أثناء وجودها خارج دارها^(٢) وكان من وظيفة المحتسب منع النساء من ارتداء الملابس الخليعة والتي لا تلتزم ستر جسدهن وعدم إبراز مفاتهن^(٣).

أما ملابس رجال العامة فكان التجار وخاصة أصحاب الحوانيت منهم يرتدون ملابساً لا تختلف كثيراً عما يرتديه الفقهاء ورجال الدين فكانت ملابسهم تتكون من ثياب واسعة وعمائم مدورة وطيلالس سابلة^(٤)، أما أرباب الحرف والصناعات فكانوا يرتدون غطاء الرأس الذى يعرف بالقلنسوة^(٥) والتي تصنع من الحرير أو الكتان^(٦) وأحياناً يرتدون العمام المجدولة^(٧) وكانوا يسترون أجسادهم بالسراويل والقمصان التي تتميز بسعة أكمامها^(٨).

(١) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ١٠٨ .

(٢) ياقوت معجم الادباء ، ج ٤ ، ص ٥٩ ، عبد المنعم سلطان ، الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى ، ص ٣٠٣ .

(٣) ابن الأخوة : معالم القرية فى أحكام الحسبة ، ص ٢٤٣ .

(٤) الطليسان : يبدو أنه كان نوع من الأغذية التي توضع على الرأس والكتاف أو يقال طرحة ، وتكنى أعتقد أنه نوع بسيط من الحمار الذى يطرح على الرأس والكتفين أو يلتقى على الكتفين فقط وهو خاص بالقراء أو اساتذه الفقه والشرية ، ويبدو أن هذا شبه بما يعرف اليوم بالشال . عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية ص ٢٨٤ ، هامش (٤) ، وفى مدينة قفط الآن يختلف الشال الذى يلبسه العامة عن الذى يرتديه المشايخ والمقرئين على الرأس مثل العمامة ، وهى ما يلات على الرأس تكويراً .

عبد المنعم سلطان : المرجع السابق ص ٣٠٣ هامش (٦) .

(٥) القلنسوة والقلنسيه جمعها قلانس وقلانيس وقلنس يلبس على الرأس مثل العمامة . وهى ما يلات على الرأس تكويراً . عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية ، ص ٣٠٣ هامش (٦) .

(٦) الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص ٦٨ .

(٧) زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص ١٦٢ .

(٨) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٥٤ ، ويروى المقرئى فى حوادث ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م ، أن عبد الله بن طاهر الحسينى دخل على جوهر فى مجلسه وبرفته القضاء والعلماء والشهود وكان يرتدى طليساناً كحلياً فاستاء جوهر من لبسه هذا اللون ومد يده فشق الطليسان ، فغضب بن طاهر وتكلم محتجاً فامر جوهر غلمان به بتمزيق الطليسان وهو يضحك ثم أمر بإحضار عمامه خضراء ورداء أخضر وقام بنفسه والبس ابن طاهر وعمه . المقرئى : اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ١١٩ ، ص ١٢٢ . عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى ، ص ٢٨٤ .

الماتمة (الجنائز) :

ومن العادات المتبعة في منطقة مدينة قفط عند دفن الموتى قبل الإسلام خروج النساء من منازلهن عقب الوفاة مباشرة ويقمن بالضرب على صدورهن ويلطخن وجوهن بالطين ، ويتركن الميت في الدار ويجلن في المدينة لأطمات ، كاشفات صدورهن ، ومعهن كل أقاربهن^(١) فلم يكن يتم دفن الميت قبل أن " تفعل الأمور الكفريات التي ترتكبها النساء من أعمال الجاهلية من اللطم على الخدود وشق الجيوب والنياحة، ودعوى الجاهلية "، لذلك تخصصت بعض النساء لفعل هذا العمل وتنظيمه، وربما استعانوا في عمله بالدفوف^(٢) ومن عادة الرجال كانوا يطلقون شعر الرأس والحية^(٣).

وعندما جاء الإسلام بتعاليمه السمحة، نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلك الأفعال بقوله: "وليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعى بدعوة الجاهلية". وبعد الانتهاء من الدفن ينصب أهله الخيام التي يتلقون فيها العزاء من جميع الجيران وأهل البلاد المجاورة^(٤).

كان لسكان مدينة قفط عدة طرق في دفن موتاهم ، فكانت مظاهر الحزن على الميت وإعداده للدفن لا يختلف كثيراً عما هو معروف في العصور الإسلامية، وكان الميت يغسل طبقاً للتقاليد المتبعة في هذا الشأن، ومنها ما هو متبع ومعروف لدى المسلمين والأقباط بمنطقة الصعيد الأعلى، فكانوا يضعون الميت في قبر تحت الأرض وهناك طريقة أخرى، وهي أن

(١) الصيرلى : ابناء الهصر بأبناء العصر، تحقيق حسن حبشى ، دار الفكر العربى (القاهرة ١٩٧٠) ص ١٢٤

ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٧٦ .

(٢) هيرودوت : هيرودت يتحدث عن مصر ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٣) هيرودوت : المرجع السابق ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٤) على مبارك : الخطط التوليفية ، ج ١٧ ص ٦ ، ج ١٢ ، ص ١٠٠ .

يخفوا الميت في الأرض ثم يهيلوا عليه التراب^(١)، واختلفت قبيلة العباددة في مدينة قفط في دفن موتاهم فقد كانت لهم طريقة وهي أن يضعوا الميت في حفرة ، ثم يغطوها بالحجارة تماماً ، وظلت هذه الطريقة تمارس عند العباددة حتى الآن^(٢)، وكان الكفن تتناسب قيمته و ثراء الميت ومكانته الاجتماعية، وكانت الدولة الفاطمية تتكفل بسد نفقات كفن الموتى من الفقراء، وتخصص لذلك الأوقاف للإنفاق منها على هذا الغرض^(٣).

وكانت من عادة الناس الخروج خلف الجناز لتشييع الميت إلى مثواه الأخير وهم مرتجلون. وكانت الملابس السوداء اللون تعبر عن الحزن قبل العصر الفاطمي ، أما ملابس الحداد في العصر الفاطمي فكانت غالباً من اللون الأخضر الذي لا يشاركه لون آخر، ويبدو أن اتخاذ هذا اللون كان راجعاً لكره الفاطميين استخدام اللون الأسود شعار الدولة العباسية. وكانت قراءة القرآن من مظاهر الترحم على الميت، فتتلى الآيات القرآنية أثناء غسل الميت وإعداده للدفن، كما كانت تلاوة القرآن تستمر على قبر الميت لمدة شهر^(٤).

المرأة في إقليم قفط وأثرها في الحياة الاجتماعية :

منح الإسلام المرأة حقها في الحرية ، والتعليم، كما منحها الحياة الكريمة الفاضلة، وقد ظهرت كثيرات من النساء الفضليات في العصر الإسلامي الأول وصلن إلى مكانة ممتازة في العلم والأخلاق ، ومنذ العصر الأموي ، فرض عليهن الحجاب فقد أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك بلبس الحجاب^(٥).

(١) المقرئى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٤٨ .

(٢) المقرئى : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٣) عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٤) عبد المنعم سلطان : المرجع السابق ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(٥) المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢٩١ .

كما اشتركت المرأة في ميدان الحرب على أرض إقليم قفط ، فمنهن "نعم" من قبيلة العلويين بالصعيد الأعلى وهي أم الثائر العلوي "ابن الصوفي العلوي" وشاركت بنفسها في المعارك التي دارت على أرض الإقليم ضد جيوش الدولة العباسية^(١) كما أوضحنا من قبل، وكانت نعم زوجة دحية بن مصعب الذي دعا لنفسه بالخلافة في عهد الخليفة العباسي المهدي^(٢) واشتركت "نعم" في هذه الحرب حتى أنشد فيها شعراً^(٣).

ومن الجدير بالذكر عن وضع المرأة في منطقة مدينة قفط ، فقد كانت محجبة بحيث لا يظهر منها إلا العينان فقط ، وكانت نساء شمال مدينة قفط خاصة لا يظهرن على المارة أو في الطرقات ، فقد ذكر ابن جبير قائلاً: " إن من محاسن قنا^(٤) المأثورة صون نساء أهلها والتزامهن البيوت فلا تظهر في زقاق من أزقتها امرأة البتة صحت بذلك الأخبار عنهن ، وكذلك نساء دشنا^(٥)، ولا شك أن ما ذكره ابن جبير عن نساء مدينتي قنا ودشنا ينطبق في العادات على نساء مدينة قفط ، وكان للرجال الدور الأساسي في صون نسائهن ، فكان لطبيعة البيئة في إقليم قفط والتنشئة دورها في ذلك ، فقد كانت النساء لا تخرجن في الأسواق ولكن الرجل هو الذي يتولى قضاء

(١) ممدوح عبد الرحمن الريطي : دور القبائل في صعيد مصر ، ص ٢٢٣ .

(٢) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٦٠ ، سيدة الكاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٣)

تعود جيوش الظالمين وتجنب	فلا ترجى يانعم عن جيش ظالم
إيسنا بالمنايا الكافرين يقرب	وكرى بسناطروا على سابع
بساو ويوم فسي يويط عصب	كيوم لنا لازلت أذكر يومنا
على فسة الفضل بن صالح تغلب	ويوم بأعلى الدير كانت نحوسه

ممدوح عبد الرحمن الريطي : دور القبائل العربية في صعيد مصر ، ص ١٣٨ - ١٣٩

(٤) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٣٦ - ٤٠ .

(٥) قنا : مدينة لطيفة بصعيد مصر بينها وبين قوص يوم واحد وهي في ضفة النيل الشرقية (القاموس

الجنراي ، ق ٢ ، ج ٤ ، ص ١٧٨ .

المصالح الخارجية مثل التسوق والاستسقاء إما بنفسه أو يرسل خادمة إذا كان من الأثرياء ، ومن العادات الخاصة بالنساء أن المرأة بإقليم فقط إذا أرادت زيارة أهلها لا تخرج إلا في صحبة زوجها^(١).

أما نساء مدينة فقط المثقات منهن فكن يجلسن في مجالس العلم ، ويتفقهن في أمور الدين ، والثقافة الدنيوية ، وقد أشار الأديب إلى بعض أسمائهن مثل تاج النساء ابنة عيسى ابن علي بن وهب^(٢) والتي كانت فقيهة في علوم الدين والقراءة^(٣).

وقد سيطر المحتسب على مجالس العلم التي يحضرها النساء ، فكان المحتسب يتفقد مجالس الوعاظ ولا يدع الرجال يختلطون بالنساء ، ويجعل بينهم ستاراً ، فإذا انقضى المجلس خرج الرجال ، وذهبوا في طريق ، ثم تخرج النساء ويذهبن في طريق آخر^(٤).

وتشير ورق البردي العربية إلى امتلاك بعض النساء من عليه القوم للجواري وحققها في عتق جواريهما، وورد في أوراق البردي أن "أسطورة هيوه بنت سرجه بن ابليدة في صحة عقلها وبدنها، وجواز أمرها، طابعة غير مكره ولا مجيرة طيبة بذلك نفسها، صحيحة البدن، كاملة العقل، اعتقت صغراه بالعربية، واسمها بالقبطية وحاشية جارية، عتاقة العبيد من مواليتهم^(٥). كذلك كن للنساء الحق في قبض صداقهن ممن يرغبن، الزواج بهن كما شهدن الكثيرات من النساء مقابر فخمة عند موتهن، ويدل على ذلك

(١) دشنا : بلد بصعيد مصر ، بشرق النيل ذات بساتين ومعاصر للقصص (رمزي : المرجع السابق والجزء ص ١٦٨ ، ١٦٩) .

(٢) علي مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ٨ ، ص ٨٥ .

(٣) الأديب : الطالع السعيد ، ص ٥٠٠ .

(٤) الشيرازي : نهاية الرتبة ، ص ١١٠ .

(٥) جروهمان : أوراق البردي ، ج ١ ، ص ٦٢ ، ٦٨ .

شواهد القبور التي كشفت ، مثل شاهد مؤرخ سنة ٤٠٦ هـ باسم "عائشة
ابنه حسين بن حسين بن جدير الزيات"^(١).

أما النساء في قرى ومدن منطقة فقط ، فكن يساعدن أزواجهن في
أعمال الحقل ويقمن بتنظيف المنزل ، وإعداد الطعام لأزواجهن ، ومساعدة
أزواجهن في المعيشة اليومية ، بغزل الصوف لإرساله إلى مناسج القرى
اليدوية لكي ينتج منه ما يلزمهن من أغذية وأكسية كذلك كن يبعن الزائد عن
حاجتهن في سوق القرية، وكن يقمن بتربية بعض الطيور الأليفة في بيوتهن،
وبيعها في الأسواق ، لمساعدة أزواجهن على الحياة اليومية^(٢)، وكانت
القواعد الاجتماعية ترمي إلى المحافظة على المرأة ومنع تعرضهن
للمضايقات في حياتهن العامة والخاصة ، فكان من المحظور أن يختلي رجل
بامرأة ليست له بمحرم في طريق و غيره ، وكان أعوان المحتسب
يراقبون الآداب العامة ويتفقد المواضع التي يكثر ازحام النساء فيها مثل
الحمامات وسوق الغزل والكتان^(٣)، ويمنع الشباب من الانفراد بالنساء إلا في
عمل يتعلق بالبيع والشراء " فكثير من الشبان المفسدين يقفون في هذه
المواضع وليس لهم حاجة غير التلاعب على النسوان"^(٤).

(١) Wiet : Steles Funeraires Catalogue du Mussee Arabe , Tom , p. 43 .

(٢) آدم منز : الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٥١ .

(٣) عبد المنعم سلطان : الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي ، ص ١١٢ .

(٤) الشيرازي : نهاية الرتبة ، ص ١٠٩ ، ١١٠ ، محمد عبدالستار عثمان : المدينة الإسلامية ، ص ٣٦٢
وببدو في العصر الفاطمي أن بعض النساء قد أسان استخدام الحرية التي يتمتعن بها ، وكن يخرجن ليلاً
ويختلطن بالرجال ، ولم يستجبن لزجر أزواجهن أو من يعولهن لمتعهن من ذلك وغلب النساء أزواجهن
على الخروج مما دعا الخليفة الحاكم إلى إصدار قرار في سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م بمنع النساء من
الخروج من دورهن بعد العشاء عبد المنعم سلطان : المرجع السابق ، ص ١١٥ .

المجالس الاجتماعية :

كانت المجالس القبلية فى إقليم فقط عبارة عن مجالس قضاء حيث كان يسود فيها العرف ، وتجتمع من أجل الفصل فى بعض الخصومات التى تحدث بين أفراد القبيلة أو فيما بين القبائل العربية ومن المعروف أن القبائل العربية عموماً أنهم يحيون العدالة ، ويقسمون الحق والواجب^(١) ومما تجدر الإشارة إليه إذا وجد فى مدينة فقط بينهم من يرتكب جرائم مخلة بالشرف أو يقوم بشهادة الزور ، فإن أول عقاب له أن يمتنعوا عن تزويجه من بناتهم^(٢)، ومن الأمور التى تدعوا إلى الإعجاب أن هذه المجالس " أو العرف السائد " كانت تفصل فى الخصومات بين القبائل بصورة مذهشة ، فقد كانت تلك المجالس لها قوة القانون ، فإذا قضى مجلس القبيلة بأمر لا ينبغى لأحد أن يخالفه وخاصة أن القبائل المتنازعة كانت تعلم أن الحكم الصادر كان مستمداً من أحكام الشريعة^(٣).

كذلك كان على قاضى القرية أن يعقد عقود الزواج ، وإثبات وتوثيق عقود البيع والإيجار وهى ما عرفت باسم "سجلات الأراضى"^(٤)، وعليه أيضاً إثبات رؤية الهلال بشهادة عدول، وكذلك كتابة المحاضر على من ارتد عن الإسلام، أو من تعدى على الدين الإسلامى بالسب أو ما شابه ذلك^(٥)، ومن أهم أعمال قضاء منطقة إقليم فقط عامة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتبليغ أوامر الحاكم إلى الأهالى^(٦)، هذا فضلاً عن أن الأوقاف والصدقات

(١) نادية بدوى : حلايب ، ص ٦٢ .

(٢) رفعت الجوهري : شريعة الصحراء عادات وتقاليد ، ص ١٦٢ ، (القاهرة ١٩٦١ م)

(٣) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ١٩٤

(٤) ابن حجر : أبناء النمر ، ج ٤ ، ص ٥٧ ، ٥٨ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ١٤٤ .

(٥) النويرى : نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ٢٥٤ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٢٨٦ .

(٦) ابن بطوطة : الرحلة ، ص ٤٠ ، ٤١ ، مجدى عبد الرشيد بحر : القرية المصرية ، ص ٦٤ .

والتبرعات أرصدة بتلك المنطقة لأبناء السبيل وعمل الخير كانت بأيدى هؤلاء القضاة^(١).

ومما لا شك فيه أنه كان للقاضى سجنًا يعرف باسم "سجن القاضى أو سجن الحاكم" يتم فيه تنفيذ الأحكام ، ولكن قد لا يوجد فى كل قرية سجن ينفذ فيه حكم القضاء، لذلك فإن الأحكام التى كانت تقضى بالسجن كانت تنفذ فى سجن القاضى، أو فى سجون الفسطاط ولا سيما أن القضايا الكبرى التى كانت تحتاج إلى إفتاء وإصدار الحكم بالعقوبات الشديدة أو القصاص ، كانت ترفع إلى قاضى الولاية وقد ترفع إلى قاضى القضاة فى العاصمة^(٢).

وهكذا كانت المجالس الاجتماعية وغيرها مما عرفت مدينة قفط من المظاهر الاجتماعية والاحتفالات بالأعياد والمناسبات المختلفة التى سادت الإقليم، وهى لا تختلف كثيراً عما ساد فى سائر الديار المصرية الأخرى خلال العصر الإسلامى.

^(١) مجدى عبد الرشيد بحر : القرية المصرية، ص ٦٤ .

^(٢) مجدى عبد الرشيد بحر : المرجع السابق والصفحة .

الفصل الرابع

**النهضة الثقافية في مدينة قفط منذ الفتح العربى
حتى نهاية القرن الخامس الهجرى**

أولاً : عوامل النهضة الثقافية بمدينة قفط .

ثانياً : مراكز الثقافة فى مدينة قفط

المساجد

الكنائس والاديرة

ثالثاً : العلوم النقلية فى مدينة قفط

*** علم القراءات**

*** علم التفسير**

*** علم الحديث**

*** علم الفقه**

*** علوم اللغة والأدب**

*** التاريخ**

*** ظهور آراء الصوفية فى مدينة قفط**

النهضة الثقافية في مدينة قفط :

أولاً : عوامل النهضة الثقافية في مدينة قفط :-

تعددت العوامل التي أدت إلى ازدهار الحركة العلمية بمدينة قفط حتى تقدمت شتى ألوان الفكر والمعرفة ، حيث كان لموقعها على طريق الرحلة بين الفسطاط والبحر الأحمر أعظم الأثر في تنشيط الحركة العلمية إذ أصبحت محطة للهجرات القادمة من الجزيرة وشرق آسيا عبر البحر الأحمر إلى مصر العليا (صعيد مصر) ، كما كان لانتشار القبائل العربية في أعقاب الفتح الإسلامي أثر كبير في تعريب المصريين ^(١) .

هذا وقد استمرت موجات الداخلين في الإسلام من القبط تتابع في أعقاب الفتح حتى أواخر عصر الولاة أيضاً ، وكان للصحابة الدور المؤثر في نشر الإسلام والنهضة في مدينة قفط ، والتي اصطبغت بالصبغة الإسلامية في أعقاب توافد العلماء والشعراء والأدباء الذين اختطوا المسجد الجامع وأطلق عليه جامع قفط ^(٢) .

وكذلك كان للتجار وطلاب العلم نور هام في مدينة قفط ، حيث كانوا يسافرون في رحلاتهم للتجارة وطلب العلم ولأداء مناسك الحج ، وفي أثناء عودتهم يعرجون على مدينة قفط لتلقى العلم وشتى أنواع المعرفة ^(٣) ، حتى غدت مركزاً علمياً هاماً في فجر الإسلام فكان يفد إليها طلاب العلم خاصة من قرى ومدن الصعيد الأعلى ^(٤) .

(١) بترل: فتح العرب لمصر ، ص ٢٥ .

(٢) الإدريسي: الطالع السعيد ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٨ .

(٣) الإدريسي: المرجع السابق والمفحة .

(٤) ابن حوقل: صورة الأرض ، ص ٥١ ، ٥٢ .

وقد كان لهؤلاء الفقهاء جهوداً عظيمة في نشر الإسلام ، حيث كانت الدراسات في سنى الإسلام الأولى دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد وتوضح أسسه وأحكامه وأهدافه^(١) ، وشجعهم على ذلك حرص الحكام المسلمون على العناية بنشر الدين الجديد فنرى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يبعث بعضاً من كبار الصحابة والمتفقيين في الدين إلى الأمصار الإسلامية ليقوموا بتعليم أهالي تلك الأمصار القرآن الكريم وأصوله ، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شديد الحرص على نشر العلم وتشجيع العلماء على نشره وحث الرعية على الأخذ عنهم^(٢) .

ولقد شهد عصر الولاة انتشاراً واسعاً للإسلام في مصر ، ووضح ذلك جلياً في إمارة أحمد بن طولون على مصر سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م حيث كان الغالبية من أقباط مصر قد اعتنقوا الإسلام ، وصار المسلمون يمثلون الأغلبية العظمى بين سكان مصر وصار أهل النمة أقلية قليلة ، ومن ثم سادت الصبغة الإسلامية في العادات والتقاليد بل في الحياة الفكرية بصفة عامة^(٣) .

كما كان لتوطن القبائل العربية في منطقة قفط واختلاطهم بالمصريين الأثر الكبير في امتزاج العرب بالأقباط مما أدى إلى انتشار الثقافة العربية بهذه المدينة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، ولم يقتصر الأمر على ذلك

(١) أحمد أمين : فجر الإسلام ، (القاهرة ١٩٤١ م) ص ١٨٩ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج ٤ ، ص ٦١ .

* عن سالم بن عبد الله قال : كنا مع ابن عمر يوم مات زيد بن ثابت فقلت مات عالم الناس اليوم . فقال ابن عمر يرحمه الله ، فقد كان عالم الناس وجبرها . مزلهم عمر في البلدان . ابن سعد : المصدر السابق والجزء والصفحة

(٣) حسن أحمد محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ، ص ٥٤٠

Zaki Hassan : Les Tulinides , p. 216

فحسب بل سادت عناصر الثقافة العربية في منطقة الصعيد على وجه العموم^(١).

على أن أهم عوامل النهضة العلمية في مدينة قفط توافد هؤلاء الأجناد العربية الذين أسقطت أعطياتهم بداية من منتصف القرن الثالث الهجري، في عهد الخليفة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ)^(٢) وانصهر المصريون والعرب وتصاهروا معاً^(٣)، و ترتب على ذلك تزاوج المسلمون من الأقباط^(٤).

كذلك كانت هناك علاقات ثقافية بين الحواضر الإسلامية الأخرى في ذلك الوقت مثل القسطنطينية، والبصرة وبغداد، والمدينة المنورة ببلاد الحجاز، الأمر الذي أدى إلى ازدهار الحركة العلمية والدينية بها في تلك الآونة^(٥).
ومن أهم عوامل النهضة العلمية أيضاً هو تشجيع ولاة مصر المسلمين للفقهاء وطلاب العلم آنذاك، فالأمويون فتحوا أبوابهم للشعراء والخطباء، وبذل حكام الدولة الأموية لهم الأموال، إما بالنسبة للعلوم الفلسفية فقد جرى الاهتمام بها في عهد الدولة العباسية، بسبب تشجيع خلفائها منذ خلافة المأمون الذي كان شغوفاً بالعلوم العقلية، والذي يرجع إليه تشجيع حركة الترجمة إلى اللسان العربي^(٦).

(١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢١٨،

ياقوت الحموي: معجم الأدياء، ج ٤، ص ٤١٣.

(٢) Mac Micheal : A history of The Arabs in The Sudan , pp- 109 – 132 .

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢٢٢،

سيده الكاشف: مصر في فجر الإسلام، ص ٣٨٢.

(٤) Mac Micheal : Op – cit , pp- 109 – 132 .

(٥) ابن جبير: الرحلة، ص ٦١.

(٦) هويدا عبد العظيم رمضان: المجتمع في مصر الإسلامية، ج ٢، ص ١٢١.

كما استمر أمراء الدولة الطولونية والإخشيدية أيضاً في تشجيع الحركة العلمية والعلماء ، ليس فقط عن طريق الهبات وإنما أيضاً عن طريق تقريب العلماء والأدباء ومجالستهم لهم ^(١) .

وكان لهؤلاء المحدثين في الفسطاط عظيم الأثر في إثراء الحركة الفكرية بالمدينة حيث تتلمذ على أيديهم طائفة من طلاب العلم الذين رحلوا إلى حاضرة الديار المصرية ثم عادوا إلى المسجد الجامع بمدينة قفط لعقد حلقات العلم والدرس به وخاصة في مجالس العلوم النقلية ، وكان من أبرز هؤلاء أحمد ابن أبي بكر أبو جعفر القفطي، وكان راوياً للحديث وعالماً في علوم القرآن الكريم ، كما أسس علم القراءات بالصعيد والتي نقلت عن القارى الشهير ورث ^(٢) .

وشارك بعض أهل النمة في مجالس الأدب والعلم في بلاط الطولونيين وفي مقدمتهم أحمد بن طولون الذي كان مولعاً بمعرفة علوم المصريين وآثارهم وتاريخ مصر وجغرافيتها. فاستدعى إلى دار الإمارة أحد أقباط الصعيد الأعلى ، وكان يدين بالمذهب اليعقوبى، ومشهوراً بالعلم وبدراسة المذاهب الفلسفية والملل والنحل المختلفة ، عالماً بأخبار البلاد والملوك وبالفلك والنجوم وغير ذلك من العلوم. وقد استفسر منه الأمير ابن طولون عن كثير من أخبار مصر وجغرافيتها. ^(٣)

وكان أحمد بن طولون يدعو العالم القبطى إلى مجلسه بالقصر فى القطائع لعقد المناظرات بينه وبين العلماء والمسلمين أو بين القبط واليهود.

(١) هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع فى مصر الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٢٢ .

(٢) سيده كاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٢٢٨-٢٢٩ ، أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ج ١ ، ص ١٦٩-١٧٠ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٢٤٧-٢٥٣ .

وقد سأله ابن طولون عن مذهبه ودين النصرانية^(١)، وكان من بين الحاضرين طبيب الأمير سعيد بن تغيل ، فاستأن ابن طولون في منزلة هذا القبطى الذى أخذ يحط من شأن اليهود^(٢)، وقد أكرمه ابن طولون وقربه إليه، ثم مالبت أن عاد مكرماً إلى الصعيد الأعلى.^(٣) ومن المرجح أن هذا القبطى من مدينة فقط حيث كانت مركزاً علمياً هاماً بالإقليم آنذاك.

وقد نشطت الحركة العلمية فى الصعيد الأعلى فى العصر الإخشيدى، الذى كان أهم ما يميزه نشاط الفقهاء والعلماء والأدباء حيث برز عدد كبير من الفقهاء والمحدثين ، نذكر منهم أبوبكر بن حداد وتلميذه محمد بن موسى، والنحوى الشهير ابن ولاد ، وأبوجعفر النحاس الذين كانوا لهم نشاط ملحوظ فى البحث والتأليف فى مجال العلوم النقلية لاسيما فى علوم اللغة والأدب^(٤). ولعل أهم ما يميز هذه الفترة آنذاك هو انتشار كتب هؤلاء الفقهاء والعلماء والأدباء فى مدينة فقط والصعيد الأعلى.

ولاشك أن من أهم العوامل التى لا يمكن إغفال دورها فى النهضة العلمية فى مدينة فقط حركة الترجمة والنقل من التراث الفارسى واليونانى والهندي إلى الثقافة العربية ، أهم الطرق لانتشار الثقافات الأجنبية إلى الثقافة

(١) أجاب القبطى عن سؤال ابن طولون قائلاً دليلى على صحتها متناقضة ، فلما سأله الأمير عن التضاد الذى فيها قال : وهل يدرك أو يعلم غايته منها قولهم بأن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد ووضعهم الأتانيم والجوهر، وهل الثالث، وهل الأتانيم فى أنفسها قادرة عالمة أم لا ؟ وفى اتخاذ ربهم القديم بالإنسان المحدث وما جرى فى ولادته... ووصف للأمير ما حدث فى صلبه. المسعودى : المرجع السابق والجزء ، ص ٢٥٣-٢٥٤ .

(٢) المسعودى : المصدر السابق والجزء ، ص ٣٥٤-٣٥٥ .

(٣) المسعودى : المصدر السابق والجزء ، ص ٣٥٥-٣٥٦ .

(٤) وفى عهد كافور الإخشيد رحل الشاعر المشهور أبو الطيب المتنبى إلى مصر ومدحه بعدة قصائد ، وكان يعتقد حلقاته الأدبية فى مسجد ابن عمرو حيث يجتمع لديه الأدباء والشعراء .

ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٤٣١ ، السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية فى مصر الفاطمية ، ص ١٩ ، Lane-poole : A history of Egypt , P.90

العربية^(١) حيث ترجمت العديد من كتب الطب^(٢) والفلسفة والرياضيات وغيرها ، كان لها أثرها الواضح في تقدم الدراسات في مجال العلوم العقلية في مصر في ذلك العصر. كما كان لانتشار اللغة العربية في بداية القرن الرابع الهجري وقبيل مجيء الفاطميين للبلاد^(٣)، وانتشار صناعة الورق في الفسطاط وغيرها من المدن المصرية وشيوع استخدامه^(٤) من الأسباب القوية التي أدت إلى انتشار الحركة الفكرية في مدينة فقط ودفعها قدماً إلى الأمام. كما ساعد على ازدهار النهضة العلمية في مدينة فقط توفر البيئة العلمية حولها، حيث ظهر كثير من أهل العلم والأدب بمدينة إيفو^(٥) المجاورة لها، كما ذاع صيت أسر، مثل بنى نوقل وغيرهم ومجموعة من علمائها الذين اشتهروا بالورع والتقوى^(٦).

ولعل ذلك يصدق في قول الإنفوى في وصفه للنهضة العلمية بالإقليم وبها ثمانية وعشرون موضعاً لتعليم العلوم والأدب وقد عبر عن ذلك في قصيدة له قائلاً^(٧):

بلاد بها أهل المكارم والنهى وللعلم فيها طارق وتليد

(١) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٥٣ .

(٢) اهتم الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٨٥هـ) بالطب لعمل على تشجيع حركة النقل والترجمة ، ولما أصيب المنصور بمرض في معدته أخذ يهتم بالطب وترجمة كتبه ، فاستدعى جورجios بن بختشوع رئيس أطباء جند يسابور وكان يعرف اليونانية والفارسية والعربية فتنقل له عدد من الكتب الطبية إلى العربية . ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ١٨٣-١٨٥ .

(٣) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢٥ .

(٤) وهناك سوق للوراقين بالفسطاط وما كانت تدور بها من المسجلات العلمية والأدبية مما يدل على شيوع استخدام الورق ونشاط الحركة العلمية والأدبية ، وكان الوراقون في ذلك الوقت يشتغلون بعمل الورق وتجارته والنسخ والتجليد وبيع الأقلام والحبر وخلافه . السيد طه أبوسديرة : الحركة العلمية في مصر الفاطمية ، ص ٢٢ .

(٥) ابن دلقاق : الانتصار ، ج ٥ ، ص ٢٩ .

(٦) الإدريسي : الطالع السعيد ، ص ٤٥ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٢٩ .

صعيد علا فوق الإقليم قدره به العيش حلو والمقام حميد
به من الآداب وعلم وسؤدد صعيد ومن للمكرمات مفيد
كما نقل الإدفعوى عن أبى إسحاق البيهقى فى وصفه لإقليم فقط قوله:
"والغالب على إقليمه العلم والفهم والدين ... "(١).
مراكز الثقافة فى مدينة قفط :-

أصبحت قفط تضم العديد من مراكز العلم والثقافة كالمساجد الجامعة
وغيرها من مجالس العلم ، وما كان يجرى فى الكنائس والأديرة قبل ظهور
الإسلام، من أوجه النشاط فى مجال التعليم ونشر العلوم والمعارف والنّى
عرفت بعلوم الأوائل كالطب وغيره من العلوم العقلية والأدبية.
فقد أشارت أوراق البردى التى تم العثور عليها إلى أن كلا من
الأدب اليونانى، والأدب اللاتينى كان لايزال رائجين، وأن الرهبان ورجال
الدين فى القرن السادس الميلادى كانت لهم مؤلفات كثيرة^(٢).
كذلك كان العلماء والفقهاء فى مدينة قفط كغيرهم فى الأمصار
الإسلامية يعتمدون فى كتاباتهم على ورق البردى "وهى القراطيس أو
الطوامير ... التى يكون طول الواحد منها ثلاثين ذراعاً أو أكثر فى عرض
شبر"^(٣).

(١) الإدفعوى : الطالع السعيد، ص ٤٥ .

** وإذا قارنا ما حدث فى مصر بما حدث فى غيرها من البلاد المفتوحة نجد أن فتح العرب لا يزال مثلاً
والهند لم يقض على لغتها القومية ولم يقض على العقائد الدينية التى وجدت فيها عند الفتح قضاء تاماً ، ولم
يمنع اعتناق الأتراك الدين الإسلامى من احتفاظهم بلغتهم القومية. والأندلس التى كانت تزدهر فى
الحضارة الإسلامية بعد فتح العرب لها تغلب على أمرها فى أواخر العصور الوسطى وتعود ثانية دولة مسيحية
الدين بعيدة عن اللغة العربية . سيدة كشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٢٦٠ .

(٢) كانت أشعار الرومان تدرس فى إقليم قفط ومنها أشعار جوفينال أو يونانيس ، كانت تدرس فى القرن
السادس الميلادى فى الكنائس والأديرة فى مصر.

أيدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٣) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٩٢ ، آدم متر : الحصار الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، ج ٢ ،
ص ٣٥٩ ** أما فى القرن الرابع الهجرى فنجد " كواشيد سمرقند " عطلت قراطيس مصر والجلود التى كان
الأوائل يكتبون عليها لأنها أحسن وأنعم وأرفق وأوفق ولا تكون إلا بسمرقند ، والصين ، ويقول كراباتشيك =

١- المساجد :

ولكننا نبدأ بالحديث عن المساجد^(١) التي حرص قادة الفتوح على إنشائها في أعقاب فتوحاتهم للأقاليم، وذلك بقصد العبادة وأداء الصلوات، ثم لعقد مجالس العلم والتفقه في الدين، وقد كان المسلمون يحرصون على بناء المساجد الجامعة عند إنشائهم المدن في الأقاليم المفتوحة وكان المسجد هو أبرز صورة للتعبير عن سيادة الدين الإسلامي، وأبلغ رمز للتعبير عن وحدة المسلمين في تلك الأمصار^(٢).

كما كان الفاتحون العرب يحرصون بادئ ذي بدء على بناء المسجد فور فتحهم للبلدان ليكون إحدى دور العبادة ومركزاً ثقافياً للتفقه في الدين، وعلوم القرآن وفي هذا استشرقت مدينة قفط عصراً زاهراً بعد فتح العرب لمصر وأصبح " جامع قفط من الجوامع الشهيرة في الإقليم.

وكان لجلوس المحدثين والفقهاء في المساجد الجامعة دوراً هاماً في عقد حلقات العلم والدرس والتصدي للفتيا، فعلى كل واحد منهم أن يتصدى لما ليس له بأهل " فيضل به المستهدى ويزل به المسترشد^(٣) وكان ذلك منذ

Kerabacek= أنه من المرجح أن صناعة تجهير ورق البردي بمصر للكتابة قد أصبحت منتهية والأحمال حوالي منتصف القرن العاشر الميلادي الرابع الهجري . وذلك أن الورق البردي المؤرخ ينتهي (٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م) انتهاء تاماً على حين أن الوثائق المكتوبة على الكاغد الذي نقلت صناعته من الصين يبدأ تاريخها منذ ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م .

آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري . ج ٢ . ص ٢٦٠ .

(١) المسجد : جمع مساجد كل مكان يسجد فيها ويتعبد فهو من الألفاظ الإسلامية لم تعرفها الجاهلية . وللمسجد نوعان واحد لاتقام فيه صلاة الجمعة ، يسما تجرى في الآخر " المسجد الجامع ، أو الجامع . أو الجامع الكبير ، أو مسجد الجمعة ، أو المساجد الجامعة " وحدها تزود بالمنابر وعددها يرقى قليلاً في المدن مهما اتسعت وكثر سكانها ، وغالباً مايكون للمدينة مسجداً جامعاً واحداً .

عبد الرحيم غالب : موسوعة العمارة الإسلامية ، وسبرس ، الطبعة الأولى يروت ١٩٨٨ م ، ص ٣٨١ .

(٢) على حسنى الخربوطلى : الحضارة العربية الإسلامية ، ص ١٥٠ .

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٨٨ .

• وقد بلغ من أهمية هذه الحلقات التي كانت تعقد في المساجد ، أن صارت موضع إهتمام الفقهاء الذين استوجبوا على الدولة ، مع الناس في الجوامع والمساجد من إستطراق خلق الفقهاء والقراء صيانة لحرمتها،

عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس بالمسجد النبوي بالمدينة، ويلتف حوله المسلمون يستمعون إليه ويثقلون عنه مبادئ الإسلام وتعاليمه وفي ذلك قال ابن الأثير: ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه مكان المائدة بين القوم حلقه دون حلقه يقبل إلى هؤلاء مرة فيحدثهم وإلى هؤلاء مرة فيحدثهم^(١) ويبدو أن طريقة التدريس ونظام التعليم في جامع قفط كانت تسير على هذه الطريقة، فقد كان يتحلق طلاب العلم حول الفقيه أو المحدث لتلقى العلم عنه، كذلك تعلم به كثير من رجال العلم والأدب، اشتهر منهم ابن غازي العنزي الأنماطي (المتوفى في أواخر القرن الثالث الهجري) حيث كان يجلس للدرس والإفادة بالجامع ولتدريس علوم اللغة والأدب التي ذاع صيته فيها^(٢)، وكانت مواد الدراسة في معظمها تدور حول العلوم النقلية، أما العلوم العقلية كالطب والرياضيات والمنطق فلم تحظى حلقات المساجد إلا بالقليل منها^(٣).

لم تقتصر أهمية جامع قفط على أداء الشعائر الدينية فحسب، بل كان كغيره من المساجد الجامعة في الفسطاط وغيرها من المدن المصرية فكان دار عبادة وإدارة وقضاء فقد نقل الطبري عن الرواة: "أن ولاية الخلفاء الراشدين اتخذوا من المساجد أماكن مختارة يصرفون فيها شئون الحكم ويحفظون فيها أموال المسلمين" ومكاناً لعقد حلقات العلم والأدب على اختلافها^(٤).

فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: لا حمى إلا في ثلاث ثلث البئر، وطول الفرس، وحلقه القوم. فام الله البئر فهي منتهى حريمها - وأما الفرس فهو ما دار فيه بمقوده إذا كان مربوطاً، وأما حلقه القوم فهو استدارتهم في الجلوس للتشاور والحديث.

الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ١٨٨ - ١٨٩.

(١) ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٤، ص ٤٧٦.

(٢) ابن القفطي: انباه الرواة على أبناء النحاة، (طبعة القاهرة ١٩٥٠ م) ج ٢، ص ٨٤.

(٣) السيد طه أبو سديرة: الحركة العلمية في مصر الفاطمية، ص ٨١.

وقد جمع هذا المسجد حلقات العلم والفقهاء الذين صار لهم أكبر الأثر في الاجتهاد والاستباط، وهم الذين أظهروا للناس كافة فقه الأئمة المجتهدين على اختلاف مذاهبهم^(١). كما تعددت الحلقات العلمية بمسجد قفط مثل غيره من المساجد الجامعة في المدن المصرية الأخرى حيث كانت حلقات العلم والدرس التي تعقد في المساجد هي الطريقة السائدة في التعليم خلال العصر الإسلامي الأول^(٢).

وكان من الفقهاء من يحافظ على المذهب السني في قفط والمنطقة المجاورة، ومنهم صالح بن عادي (المتوفي في أواخر القرن الرابع الهجري) الفقيه يقوم بإلقاء دروسه فيه ما بين الظهر والعصر وقد انتفع ببركته وعلمه كل من صجبه^(٣). وأيضاً الفقيه النحوي شيث بن الحاج القفطي فكانت له حلقة وتلاميذ يحافظون على مذهب أهل السنة^(٤)، وكان له أخاً عالماً بعلوم القرآن، مفيداً للناس، له حلقة للدرس وكانت توجد جارة مفردة له ولأهله تعرف بحارة ابن الحاج وكان بها مجموعة من المساجد التي تقوم بتعليم الأهالي العلوم الدينية وغيرها^(٥) كما كانت له حلقات أخرى للدرس وتعليم للصبيان بمساجد القرى المجاورة مثل دير البلاص بالقرب من قفط^(٦).

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ١٩١، على حنى الخربوطلي: الحضارة العربية الإسلامية، ص ١٥٥

(٢) الكندي: الولاية والقضاء، ص ٤٤٢، على مبارك: الخطط التوليفية، ج ٤، ص ٧.

(٣) الكندي: المصدر السابق والصفحة.

(٤) الادلوي: الطالع السعيد، ص ٢٦٥، ٢٦٨.

(٥) ابن القفطي: أبناء الرواه، ج ٢، ص ٥٣ * وقد قام شيث الفقيه بتصنيف العديد من المصنفات منها المختصر والمقتصر من المختصر في علم النحو، لم يأت أحد بمثله في بابيه.

ابن القفطي: المصدر السابق والجزء والصفحة، ص ٧٣، يالوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٨٣.

(٦) ابن القفطي: المصدر السابق والجزء، ص ٧٣.

(٧) ابن القفطي: أخبار العلماء، ص ١١٧. ** ذكر ابن القفطي لما توجه إلى هذه الناحية وهو دير البلاص قاصداً أحمد المشتغلين بعلم الفلك وأحكام النجوم، نزل هناك بمسجد فيه رجل مغربي يعلم الصبيان المصدر السابق والصفحة.

وكانت حلقات الدرس تشمل العلوم الدينية وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأحاديثه وبعض القصائد الدينية ، أما طلاب العلم الكبار فكانوا يدرسون تفسير القرآن والقراءات وعلم الحديث والفقه والكلام والنحو واللغة والأدب . بينما كان الصغار يتعلمون فيها القراءة والكتابة، وقد تعددت حلقات الدرس بجامع قفط مثل غيره من الجوامع في الأمصار الإسلامية^(١).

ومما تجدر إليه الإشارة أن هؤلاء الفقهاء والعلماء في جامع قفط ، لم يتقاضوا أجراً كغيرهم من العلماء والفقهاء في الأمصار الإسلامية ، حيث رأت طائفة كبيرة منهم كالأحنف وابن حنبل وسفيان الثوري وغيرهم أنه لا يجوز أن يأخذ المعلم أجراً عن تعليم القرآن والحديث^(٢). ذلك لأن إقامة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإرساء قواعد الإسلام وإرشاد عباد الله إلى الحق . قد استوجب على القائمين بأمر التدريس أن يكون تعليمهم العلوم الدينية ابتغاء وجه الله تعالى والقيام بتعليم تلك العلوم تطوعاً^(٣)، وخير دليل على ذلك هو ما أشار إليه ابن خلدون " من أن القائمين بأمور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والإمامة والخطابة والأذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب"^(٤).

وتعوزنا المصادر لإلقاء الضوء على هؤلاء الفقهاء الذين كانوا يلقون دروسهم في جامع قفط وعن روايتهم ، ومن المرجح أن جزء من روايتهم

(١) صفى على محمد : الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربى إلى نهاية الدولة الأخشيدية ،

ص ٦٥ ، هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٢٦ .

(٢) آدم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .

(٣) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ، ج ١ ، ص ٣٣ .

فحين فرض سعد بن أبى وقاص إبان ولاياته على العراق (١٤-٢٠هـ) عمن يقرأ القرآن في الفين ألفين

..... كتب إليه عمر بن الخطاب ألا يعطى على القرآن أحد . البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٥٥٨ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ، الفصل السابع ، ص ٣٩٣ .

كان يحصلون عليه من طلاب العلم أما الجزء الآخر فكان من تلك الهبات والعطايا التي تغدق الدولة بها عليهم قياساً بما فعله الخليفة العزيز بالله الفاطمي بالجامع الأزهر^(١).

ولعل الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس هو أول من فكر في اتخاذ الأزهر معهداً للدراسة المنتظمة، في سنة (٣٧٨هـ) أشار على الخليفة العزيز بتحويل الجامع الأزهر إلى جامعة فاطمية^(٢)، واستأنن العزيز في أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس. يحضرون مجلسه ويلزمونهم، ويعقدون مجالسهم بالأزهر في كل يوم جمعة بعد الصلاة حتى العصر فأذن له وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيهاً. كما أنشأ لهم داراً للسكنى بجوار الأزهر، وخلع عليهم في يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات شريفاً لهم، كما أجرى عليهم ابن كلس أرزاقاً من ماله الخاص^(٣).

وكذلك كان لازدهار الحياة الثقافية في مساجد المدن المجاورة أثراً كبيراً في تبادل العلماء ومد الحركة الفكرية بالثراء العلمي بين هذه المدن ومنها مدينة إسناء التي لعبت مساجدها دوراً كبيراً منذ الفتح الإسلامي حتى بداية العصر الفاطمي، وقد انفردت أسر بأكملها في هذا المجال، فكان بنو السعيد من أرباب العلم وتولى المناصب الدينية وبنو الخطيب لهم شهرة في الاشتغال بالعلوم^(٤)، كما كان بنو النضر من أجل العلماء الذين ذاع صيتهم فقاموا ببناء جامع الخطبة^(٥) وكان من أشهر علمائهم علي بن النضر فقد نبغ

(١) وفي مصر كان أول من عرف من أقامة درس من قبل السلطان بمعلوم جار لطائفة من الناس بديار مصر في خلافة العزيز بالله. نزار بن المعز في وزارة يعقوب ابن كلس. فعمل ذلك بالجامع الأزهر. المقرئ: الخطط، ج ٢، ص ٣٦٣.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ٣٦٢.

(٣) السيد طه أبوسديرة: الحركة العلمية في مصر الفاطمية، ص ١٩-٢٠.

(٤) الادلوي: الطالع السعيد، ص ٣٢.

(٥) الادلوي: المصدر السابق، ص ٣٨.

فى علوم عصره، وكان له القدح المعلى فى العلوم العقلية ، ومن الأفاضل المشاهير فى علوم الدين واللغة والأدب^(١).

كذلك أنشأ الفاطميون المساجد بإقليم قفط لنشر المذهب الشيعى فقد بنى الوزير بدر الجمالى مسجداً بإسنا أطلق عليه مسجد النصر^(٢)، وكان يطلق عليه الجامع العتيق أو الجامع العمرى^(٣)، ونجح الفاطميون إلى حد كبير فى نشر مذهبهم بمدن الصعيد الأعلى كلها ، وأصبحت مدينة قفط تموج بتيارات علمية وفكرية متباينة بين الشيعة وأنصار المذاهب السنية^(٤) .

وهكذا كانت مساجد إقليم قفط كغيرها من المساجد الجامعة فى صعيد مصر تعقد بها حلقات العلم والدرس حيث أصبحت من مراكز العلم والثقافة الهامة فى العصر الإسلامى .

****ب - الكنائس والأديرة :**

عرف العالم نظام الديرية من صعيد مصر ومن إقليم قفط على وجه التحديد ، وهو نظام يختلف عن الرهبنة الإنطوانية ، وقد أسس هذا النظام كما تذكر المصادر باخوميوس من بلدة كنيوبوسكيون Kenoboskion ويقال أن مكانها الحالى بلدة قصر الصياد بالقرب من قفط^(٥).

(١) ابن القفطى : أخبار العلماء ، ص ١٥٩ ، السيد طه أبوسديرة : الحركة العلمية فى مصر الفاطمية ، ص ٨٦ .

(٢) السيد طه أبوسديرة : المرجع السابق والصفحة .

(٣) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، ج ١ ، ص ٦٤-٦٥ ،

Quatremere : Memores Sur L'Egypt , T,11 , p . 87 .

(٤) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ١٠٩

Garein : Un Centre Musulman , p . 19

Quatremere : Op - Cit , p 87 .

(٥) عبد الحفيظ محمد على : الحركة الديرية فى مصر وأثرها على بلدان البحر المتوسط فى القرنين الخامس والسادس الميلاديين ، بحث ضمن مجموعة مقالات فى كتاب مصر وعالم البحر المتوسط ، دار الفكر العربى الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٨٦ م ، ص ١١٢، ١١٣ .

وتشير المصادر إلى أن دراسة الأدب اليوناني كانت تتم في تلك الأديرة بالقرب من قفط وخاصة داخل كل بيوت الرهبان الذين كانوا يتحدثون اللغة اليونانية ، فقد كان النظام الداخلي لأديرة باخوميوس تحكمه قاعدة وذلك لضبط السلوك وفرض النظام كالنظام العسكري تماماً ، حيث كانت تلك الأديرة تضم بيوتاً عديدة منفصلة لهؤلاء الرهبان كل منها يحتوى على ثلاثين أو أربعين راهباً وله مشرف وخازن وبعض العاملين ، وكانت تقام كثير من الشعائر الدينية في هذه البيوت للرهبان (١).

وقد كانت عملية تنظيم بيوت الرهبان تتم على أساس الحرفة التي يجيدها الراهب ، فكان للخبازين بيت وللنجارين بيت ، ولصانعي الفخار بيت ، وللنساجين بيت ، ولصانعي الأحذية بيت ، وكان من أهم البيوتات ذلك البيت المخصص لهؤلاء الرهبان الذين يتحدثون اللغة اليونانية فلاغرو إن بذلوا جهدهم في سبيل دراسة أشعار اليونانيين أو الرومان خلال القرن السادس كما أشارت إلى ذلك أوراق البردي (٢).

وتضم مدينة قفط العديد من الكنائس والأديرة مثل كنيسة قفط ودير العذراء ، وكذلك شيدت ثلاث كنائس باسم السيدة العذراء والملاك ميخائيل ، بالإضافة إلى ذلك وجدت كنائس وأديرة أخرى مثل يوحنا المعمدان ودير الشهداء بإسنا (٣) ودير البلاص (٤) ، وضمت هذه الأديرة وغيرها مكتبات عظيمة تحتوى على الكتب الدينية بصفة خاصة ، إلى جانب مؤلفات في الطب والفلسفة والتاريخ وغيرها من العلوم وكان الرهبان يقومون بترجمة الكتب

(١) هـ - أيدريس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي ، ص ١٨٨ ، ١٨٩

(٢) عبد الحفيظ محمد على : الحركة الديرية في مصر ، ص ١١٥ ، ١١٣ ، مراد كامل : حضارة مصر في

العصر القبطي ، مطبعة دار العالم العربي ، القاهرة ، ص ١٢٢ ، ١٢٦ .

(٣) أبو المكارم : الكنائس والأديرة ، ج ١ ، ص ٩ .

(٤) نعمة على موسى : مصر العليا ، ص ٢٦٤ .

اليونانية إلى القبطية إلى جانب كتابتهم فى التاريخ وجغرافية بلادهم والأدوية الطبية وسير القديسين والبطاركة ومؤسسى المذاهب الدينية والقواعد الديرية وغيرها من نواحي النشاط الفكرى^(١)، وخاصة فى ميادين الفلسفة والعلوم الدينية والفلك والأدب وغيرها من العلوم^(٢).

كما كان كل دير من الأديرة المنتشرة فى مدينة قفط يضم عدداً من الرهبان المثقفين الذين يقومون بنسخ الكتب القديمة ، قد اشتهر بعض الرهبان بجودة الخط^(٣).

كان بيزنطيوس أسقف مدينة قفط يهتم باقتناء الكتب والمخطوطات القديمة لا سيما المتصلة بعلوم النصرانية وقد خلف ثروة كبيرة من هذه المخطوطات وأوصى بها وهو على فراش الموت بكل ما عنده من الكتب إلى صديقة موسى الذى خلفه وكتب ترجمة حياته^(٤).

كما شيبت الكنائس والأديرة فى قرى ومدن إقليم قفط مثل دير باسم بطرس وآخر باسم القديس ميخائيل بأرمنت^(٥)، كذلك شيبت ثلاث كنائس باسم السيدة العذراء مريم، والملاك ميخائيل، ويوحنا المعمدانى، ودير الشهداء بإسنا^(٦) ومما يجدر ذكره أن نصارى مدينة إسنا كان من عاداتهم زيارة هذا الدير والتبرك به^(٧).

(١) Munier : L' Egypte Byzantine , p. 87 - 89

(٢) Munier : Op - cit , p . 89 .

(٣) أبو المكارم : المصدر السابق والجزء ، ص ٩ - ١٠ ، * دير السيدة العذراء بقفط يمتاز هذا الدير بحسن البناء وباللون الأبيض الذى اشتهر به ، وتلحق به أبنية واسعة ، ويشرق الدير على حقول واسعة مزروعة يحيط بها اشجار النخيل . أبو المكارم : المصدر السابق والجزء والصفحة .

(٤) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٦٦ .

(٥) أبو المكارم : تاريخ الكنائس والأديرة ، ج ١ ، ص ١٦ - ١٩ .

(٦) نعمة على مرسى : مصر العليا ، ص ٢٦٤ .

(٧) على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ٨ ، ص ٦١ .

كذلك كان من بين العلوم التى يهتم بها الرهبان داخل الأديرة الطب، ولم يواجه القبط أى اعتراض على العمل فى هذه الميادين طوال تاريخ مصر الإسلامية ومع ذلك لم يصل إلينا من كتابات القبط فى هذا الشأن إلا قدراً قليلاً ، وكانت النصوص الطبية تتكون من فقرات يختص كل منها بمرض أو ألم معين مع الإشارة إلى نوع العقاقير المناسبة لعلاجها ثم تحتوى هذه الكتابات على بعض الكلمات المبهمة بعضها أسماء ملائكة والبعض الآخر ليس إلا خطوطاً على هيئة حروف بغرض الإبهام^(١)، كما كانت الأديرة العديدة المنتشرة فى أطراف مدينة قفط وضواحيها مجالاً روحياً لنشاط الشعراء، الذين كثيراً ما كانوا يرتادونها للاستمتاع بمناظرها الخلابة.

وقد كان لطبيعة هذه الأديرة كأماكن للهدوء والخلوة وما يكتنفها من مناظر بديعة تثير النفوس الزاخرة إلى التجديد والتمتع بتلك الميزات. مما كان له أثره فى إنكاء قريحة الكتاب والشعراء والأدباء الذين كانوا كثيراً ما يرتادونها بكثرة فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ويفتخرون بجمال ما يحيط بها من مناظر وجنان^(٢).

= ومن الملاحظ انتشار الأديرة فى منطقة قفط التى لجأ إليها الكثيرون للرهبنة ، ولما كان الراهب لا يملك شيئاً ، لذا لم تفرض عليه أى ضريبة فى العصر الرومانى. وقد حافظ العرب المسلمون على هذا التقليد ووجد كثير من الأقباط فى ذلك فرصة للهروب من دفع الضرائب فلجأوا لهذه الأديرة.

Munier : L, Egypt Byzantine, P. 77

(١) فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الدمة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى، ج ٢، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) The Coptic Encyclopedia . Aziz . S. Atiya . v. 7. art (Qift)

أما رجال الدين المسيحي ودورهم الدينى فى المدينة فأنا سنجدهم مرتين فى السلك الكهنوتى إلى درجات أولهم " الأسقف " وهو نائب البطريك ، لذا يبدو أنه كان يشرف على مجموعة من المدن أو على إقليم كامل ، وكان من مهامه عمل " الرقاع " وهى كشوف بأسماء جوالى المسيحيين الرواتب والطوارى ومن بلغ منهم الحلم ومن مات ومن أسلم . ويقدمها إلى البطريك الذى يقدمها للجهات المختصة ، ثم " المطران " وهو بمثابة قاضى المسيحيين يقضى فى المنازعات التى تنشأ بينهم خاصة دون أن يكون أحد طرفيها مسلماً . ثم " القسيس " الذى يقرأ للمسيحيين الأناجيل والنزامير . وهو المسئول عن عقود الزواج بمساعدة الشماس وهو بمثابة قيم (أى خادم) الكنيسة .

** العلوم العقلية فى مدينة قفط :

تركزت الجهود فى العصر الإسلامى الأول فى سائر الأمصار، على دراسة العلوم الإسلامية الخالصة حيث كان أكثر العلماء الذين برزوا حينذاك من طائفة المحدثين والفقهاء من أرباب اللغة العربية والعلوم الشرعية الخالصة كال تفسير والقراءات والحديث والفقہ تستوجب على دارسيها وقوفهم على العلوم المساعدة وهى علوم اللغة والنحو وغيرها^(١).

١ - علم القراءات :

نزل القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين فى مدة تزيد على العشرين عاما وكان على الصحابة رضى الله عنهم وغيرهم من المسلمين حفظ كلام الله بما دونه كتاب الوحي حيث كان هؤلاء الكتاب يكتبون السور والآيات على المواد للمتوفرة مثل العسب^(٢) والرقاع^(٣) والقراطيس^(٤) وقطع الأليم^(٥) والأقتاب^(٦).

= النويرى : نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٤ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٤٧٢ - ٤٧٤ .

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٣٥ - ٤٣٦

كما ازدهرت بالكنائس والأديرة مجموعة من العلوم العقلية " علم الطب والنجوم والهندسة والحساب والفلسفة " ، وكان نصيب مدينة قفط من مجموعة العلوم العقلية ضئيل القيمة إذا ما قورن بالعلوم العقلية التى استأثرت بجل مظاهر النشاط الثقافى ليس فى مدينة قفط وحدها بل فى الأمصار الإسلامية الأخرى وقد تأثر طلاب العلم بمدرسة الاسكندرية وعلومها قبل دخول الإسلام ، وكان يدرس فيها الطب والفلسفة بصورة مدرسية واضحة ، فقد كان التلاميذ يجتمعون فى كل يوم على قراءة إمام من أئمة الكتب ، وكانت تلك المدارس ملحقة بالأديرة وكانت غالبيتها لاهوتية دينية يسمح فى الكثير منها بدراسة العلوم الديونية كالنحو والبيان فى تلك المدارس يقوم على أيدي الكهنة " رجال الدين " ، ويبدو أن مدينة قفط تأثرت بعلوم مدرسة الإسكندرية العقلية .

ابن خلدون : المصدر السابق فى العلوم العقلية وأصنافها ، ص ٤٧٨ ، ٢٦٨ ، ٤٧٩ ،

صفى على محمد : الحركة العلمية والأدبية فى القسطنطينية ، ص ٥٩٥ .

(٢) العسب : جمع العسيب وهو جريد النخل .

(٣) الرقاع : جمع رقعة وهى من جلد أورك

(٤) القراطيس : جمع قرطاس وما كان يعمل من سيقان البردى وقد اشتهرت مصر بإنتاج أوراق البردى أو

هذه القراطيس .

(٥) الأليم : هو الجلد

(٦) الأقتاب : جمع قتب وهو الرجل أو الخشب الذى يوضع على ظهر البعير .

ومما تجدر إليه الإشارة أن الجمع الأول للقرآن بعد الرسول صلى الله عليه وسلم كان في حياة أبي بكر الصديق ، حيث تم تدوين ما حفظ في صدور الرجال وما تم تدوينه بمعرفة كتاب الوحي ، وقد عهد الصديق إلى زيد بن ثابت كاتب الوحي بذلك^(١). أما جمع القرآن النهائي فقد تم في عهد الخليفة عثمان بن عفان^(٢) .

ومن المعروف أن جيش عمرو الفاتح قد ضم عدداً كبيراً من هؤلاء الصحابة وغيرهم من الحفاظ والقراء لكلام الله العزيز ... وقد نزلوا بالفسطاط واختطوا بها الدور والمنازل^(٣)، وكان جل اهتمامهم آنذاك هو نسخ المصاحف وحفظها ، بحيث كان الصحابي لا يخرج من داره صباحاً إلا وقد نظر في المصحف الشريف^(٤).

وقد حث الإسلام المسلمين على تعلم القرآن وتعليمه للناس ، وكما يذكر ابن عبد الحكم فإن عمر بن الخطاب خطب في الناس فأوصاهم بالقرآن وقراءته على الناس، وأن يكونوا أشد الإخلاص في ذلك ، وألا يريدون به الدنيا، وأنهى خطبته هذه قائلاً لهم: "ألا فاريدوا الله بأعمالكم وأريدوه بقراءتكم"^(٥).

= وللمزيد من الدراسة راجع الدكتور السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص في عصر الولاة (٢١ هـ - ٢٥٤ هـ) (دار الفكر العربي القاهرة ١٩٩٠ م) ص ٩٥ .

(١) السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص ، ص ٢٢

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، حوادث سنة ٣٠ هـ

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٤١ - ١٤٥ .

(٤) السيد طه أبو سديرة : المرجع السابق والصفحة .

(٥) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

كما كان للقراءة شأنًا عظيمًا في فجر الإسلام لقلة الذين كانوا يقرأون يومئذ، فكان الذين يحفظون القرآن هم القراء ، تميزاً لهم عن سائر الصحابة لأنهم كانوا أميين ^(١).

كذلك كان لطبيعة الخط العربي وخصائصه للرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها ، ترتب على ذلك ظهور أكثر من قراءة للقرآن الكريم في آن واحد ^(٢).

ولعل السبب في ظهور القراءات المختلفة للقرآن لم يكن راجعاً إلى اختلاف لهجات العرب أو قِيَمًا-ب من خلاف بين جند الشام وبين أهل العراق ، وإنما كان مرجعه إلى طبيعة الخط كما ذكرنا آنفاً ، كما أن عدم وجود الحركات النحوية وفقدان الشكل في العربي قد يجعل للكلمة حالات مختلفة من حيث موقعها من الأعراب وبالتالي من حيث قراءاتها في ذلك الوقت المبكر من تاريخ الإسلام ^(٣).

وهكذا كان منشأ القراءات المتنوعة وقد عبر ابن خلدون عن تلك القراءات واختلافها بقوله:

"وهو متواتر بين الأئمة إلا أن الصحابة رَوَوْه عن رسول الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها" ^(٤)،

(١) وفي ذلك يقول ابن خلدون " القراء الذين يقرأون الكتاب وليسوا أميين لأن الأمية صفة عامة في الصحابة، بما كانوا عرباً ، فقليل لحملة القرآن يومئذ قراء ... إشارة إلى هذا فهم قراء لكتاب الله والسنة ، والمأثور عن الله لأنهم لم يعرفوا الأحكام الشرعية إلا منه ومن الحديث " . : المقدمة ، الفصل الخامس والثلاثون ، ص ٤٥٣ ، عن أنس بن مالك قال : مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة :

" أبي الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي زيد " . الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج ٨ ، ص ٢٢ .

(٢) طاش كبرى زادة : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، تحقيق كامل بكري ، عبد الوهاب أبو النور ، (القاهرة دار الكتب الحديثة - مطبعة الاستقلال الكبرى ، ج ١ ، ص ١٤٧ .

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي ، ج ١ ، ص ٥٣٨ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ، الفصل الخامس ، ص ٤٣٧ ، جرجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ج ٣ ، ص ٦٦ ، ٦٨ .

وكان من أشهر هؤلاء الصحابة القراء الذين يحفظون كتاب الله ويعلمونه
للآخرين، أبو ذر الغفاري الذي وفد على مصر وأختط بها بعد الفتح^(١) وعبد
الرحمن بن ملجم المرادي (ت ٤٠ هـ)^(٢).

وقد كانت قراءة القرآن الكريم تتال عناية خاصة منذ الصدر الاول
وقد اهتم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اهتماماً خاصاً بإرسال القراء الى
الأمصار الإسلامية المفتوحة لتعليم أهلها القرآن وتلقيهم في أمور الدين^(٣)،
ومما يدل على رغبة أمير المؤمنين الصادقة في نشر الدين الاسلامي وحفظ
القرآن أنه كان يعود فيبعث بمن يمتحن الناس^(٤) وأشارت المصادر إلى أن
كل القراءات في مصر رواية عن نافع بن نعيم فقيه أهل المدينة الذي احتلت
قراءته مركز الصدارة في المدينة^(٥)، وقد حضر نافع إلى مصر أثناء خلافة
عمر بن عبد العزيز فقد بعثه الخليفة إلى مصر ليعلم أهلها السنن^(٦).

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص ١٥٣. * اختط بالفسطاط تلك الدار التي ذكر اسمها ابن عبد
الحكم وهي دار العمدة ذات الحمام. المصدر السابق والصفحة.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٢٣.

(٣) صفر على محمد: الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط، ص ١٨٥.

(٤) حرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي، ج ٣، ص ٣٨.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٥١، الذهبي: طبقات القراء، ص ٣١-٣٢، ياقوت الحموي:
معجم الأدباء، ج ١٢، ص ١١٧-١١٨.

نافع: هو ابن عبد الرحمن بن أبي نعيم أحد القراء السبعة، كان ممن غنى من القراء الأوائل بمعرفة الوقف
والابتداء في القرآن أي معرفة المواضع من الآيات التي يحسن بالقارئ الوقوف منها ثم يبدى بما بعدها،
وكان نافع قد قرأ على أبي ميمون مولى: أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، ثم لم يلبث أن ذاع صيته
بعد أن استمع الناس الى قراءته فاعجبوا بها وابلوا عليها يتعلمونها، وهكذا تجاوزت المدينة إلى سائر الأمصار
حيث انتهت إليه رئاسة القراء آنذاك عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١٦٨-١٦٩.

(٦) السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١، ص ١٦٢، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ١، ص ١٢.

ظهور قراءة ورش المصرى فى مدينة قفط :-

كان عثمان بن سعيد المعروف بورش من الموالى المصريين الذين أسلموا فهو مولى آل الزبير بن العوام^(١)، ونبغ فى قراءة القرآن بعد أن رحل إلى المدينة وأخذ عن نافع طريقته فى القراءة وهو الذى لقب بورش لشدة بياضه ، ثم لم يلبث أن عاد إلى مصر وأشتغل بالإقراء فى جامع عمرو، وقد ذاعت شهرته حيث أنهت إليه رياسته الإقراء يومئذ^(٢).

وكان نتيجة لتعمقه فى الدراسات النحوية واللغوية، أن يختار له طريقة تختلف عن القراءة التى تلقاها عن شيخه نافع، وذلك من حيث مخالفته فى بعض الأصول العامة وفى قراءة بعض الحروف المنتشرة فى القرآن، وقد توفى سنة ١٩٧هـ^(٣) بعد أن حمل قراءته كثير من تلاميذه الذين صاروا فيما بعد من أئمة القراءات حيث عملوا على تعليم قراءة ورش فى فقط وخارجها، كان منهم ورش أحمد بن صالح، ويونس بن عبد الأعلى، وداود بن هارون وكثير من أئمة القراءات الذين أخذوا عن ورش، ونقلوا مدرسته إلى المغرب والأندلس^(٤) وكانت من أهم آثاره كتاب التقريب والفرش

(١) الورش : شىء يصنع اللبن لقب به لبيضة وقيل هو طائر ولقب به عثمان بن سعيد لأنه كان على قصره يلبس ثياباً قصيرة إذا مشى بدت رجلاه مع اختلاف ألوانه ثم خفف قليل ورش .

ياقوت الحموى : معجم الأدباء ، ج ١٢ ، ص ١١٢ ، سيدة كاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٣٢٨ .

السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية فى جامع عمرو بن العاص فى عصر الولاة ، ص ٧٢ .

(٢) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ، ج ١٢ ، ص ١١٦ - ١١٧ ، الذهبى : طبقات القراء ، ص ٤٧ - ٤٨ .

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٥٥ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

(٣) الذهبى : طبقات القراء ، ص ٤٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٥٥ ، السيوطى : حسن

المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ، ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر ، ج ١ ، ص ١١١ ، قرشى عباس دندراوى : تاريخ تراث المعهد الأعلى ، ص ٣٦ .

(٤) ياقوت الحموى : المصدر السابق والجزء والصفحة ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ،

السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

المتضمن لقراءات قانون ورش^(١) وكتاب الاختلاف بين يعقوب في رواية رويس وروح عنه وبين نافع في رواية ورش عنه^(٢)، بالإضافة إلى كتابه فتح المعطى وغنيه المقرئ في شرح مقدمة ورش المصري، وتوجد رسالة مشتملة على مسائل لحمزة وهشام وورش^(٣)، رسالة أخرى في ذكر ما بين قانون وورش من الخلاف^(٤)، الكشف في شرح رواية ورش من طريق أبي يعقوب الأزرق يوسف بن عمر بن يسار ٢٤٠ هـ متن رسالة ورش بشرحها المسمى هداية المريد إلى رواية أبي سعيد المعروف بورش عن طريق قصيد نظم رسالة ورش^(٥)، ونقلت مؤلفاته عن طريق تلاميذه إلى مدينة قفط التي كان لها الأثر الأكبر في حلقات الدرس في جامع قفط، وكان أنبغ تلاميذه أبو علي الفحام الأسواني (٣١٨ هـ)^(٦)، وقد سمع من يونس بن عبد الأعلى، وبحر بن نصر، وقد سمع منه علي بن جعفر الرازي^(٧) وانتشرت كتب ورش في كافة جوامع قفط والكور المجاورة لها في كافة الإقليم، وكانت قراءات ورش موضع اهتمام الولاة والقضاء خلال عصر الولاة، كما كان وقف المصاحف على المساجد تقرباً إلى الله ومصدراً هاماً من مصادر حصول جامع قفط على حاجاته المتزايدة من المصاحف^(٨).

ومن الجدير بالذكر أنه حتى أوائل القرن الثالث الهجري لم تكن هناك تصانيف في القراءات وذلك على الرغم من كثرة عدد القراء في

(١) قرشي عباس دندراوى : تاريخ تراث الصعيد الأعلى ، ص ٣٢ .

(٢) فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربى ، ص ٢٢ .

(٣) فؤاد سزكين : المرجع السابق والجزء والمفحة .

(٤) قرشي عباس دندراوى : تاريخ تراث الصعيد الأعلى ، ص ٣٢ .

(٥) فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربى ، ج ١ ، ص ٢٢ .

(٦) هو الحسن الحسين بن يوسف بن يعقوب أبو علي الفحام الأسواني . الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٢١٩ .

(٧) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٢١٩ .

(٨) أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ج ٢ ، ص ٥٠ - ٥٢ .

الأمصار واختلاف القراءات ، جعلها بعضهم سبع قراءات ، وأصبح يعرف أصحابها بأصحاب القراءات ، وهى لنافع من المدينة ، وابن كثير من مكة ، وابن عامر من الشام ، وأبى عمر من البصرة ، وعاصم (ت ١٢٧ هـ) وحمزة (ت ١٥٦ هـ) والكسائى (ت ١٨٩ هـ) من الكوفة واعتبر نافع أهمهم بسبب أن مالك بن أنس مؤسس المذهب المالكى كان يقرأ على نافع ، الذى قرأ عليه معظم القراء المصريين حتى ورش الققطى التى شاع ذكرها فى ذلك الوقت بين المصريين^(١).

وهكذا حفلت مدينة ققط فى العصر الإسلامى الأول بطائفة من أشهر القراء والعلماء وذلك بفضل سياسة الخلفاء والولاة الذين كانوا يشجعون أمثال هؤلاء العلماء ، والعمل على اجتذابهم من خارج البلاد ، حتى أصبحت ققط من أهم المراكز العلمية فى علم القراءات .

علم التفسير :

كان تفسير القرآن الكريم أحد فروع العلوم الدينية الإسلامية التى ساهم فيها علماء المدرسة الدينية بمدينة ققط.^(٢)

كان القرآن الكريم هو المصدر الأول للأحكام ، ولذا لابد من فهم آياته ليكون فهمها منهجاً لاستنباط تلك الأحكام وكان هذا الفهم هو الخطوة الأولى للتفسير^(٣) وللسيوطى قول طريف فى ذلك: "أن تفسير القرآن فى كل عصر من العصور يتأثر بالحركة العلمية فيه، ويكون صورة منعكسة لما فى

(١) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية (الطبعة الثانية) ص ١٦٨ .

(٢) والتفسير فى كلمة موجزة " يعنى فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه " الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ، (الطبعة الأولى ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٢ م) ، ج ١ ، ص ١٢ .

(٣) أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ٢٢٩ .

لقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى أساليب العرب فى كلامهم فالفاظه عربية إلا ألفاظاً قليلة عربت وأخذت من اللغات الأخرى ولكن هضمها العرب ، وأجريت عليها قوانين العربية وأساليب القرآن هى أساليب العرب فى كلامهم لفهم الحقيقة ، فيه المجاز ، وفيه الكفاية ... الخ ، على نمط العرب فى حقيقتهم ومجازهم ، وهذا طبعى لأنه يدعوا العرب أولاً إلى الإسلام فلا بد من أن يكون بلغة يفهمونها .
أحمد أمين لمرجع السابق والمفحة .

هذا العصر أو ذلك من آراء ونظريات عامية أو مذهبية ، فيمتلى بألفاظها ومصطلحاتها^(١) فالنحوى يملأ تفسيره بمسائل النحو وأوجه الأعراب والأخبارى يكثر فيه من القصص والأخبار عن سلف سواء كانت صحيحة أو باطلة والفقهاء يسود فيه أبواب الفقه والميراث وصاحب العلوم العقلية يغمره بأقوال الحكماء والفلاسفة^(٢).

كما أن مدينة قفط تزخر بهؤلاء الأئمة المجتهدين الذين كانوا يتعرضون لتفسير بعض الآيات القرآنية أثناء مجالسهم العلمية، وكانت التفسيرات عبارة عن روايات متناثرة تداولتها كتب التراجم والسير، وإن اقتقرت إلى تدوين تفسيري منظم وكانت التفسيرات الأولى كلها بالمأثور المرفوع إلى الرسول ﷺ ، وغالباً ما كان تفسير القرآن بالقرآن^(٣).

فقد بلغ التفسير مبلغاً عظيماً خلال العصر الإسلامى الأول وكان للتفسير شأناً عظيماً فى مصر على يد أئمة فى الفسطاط وبصفة خاصة فى جامع عمرو بن العاص ورحل أبناء قفط إليه لتلقى العلم على يد شيوخهم فى حلقات المسجد الجامع ونقلوه بعد عودتهم إلى مدينتهم نذكر من هؤلاء أحمد بن معاوية بن عبد الله (ت ٢٧١ هـ)^(٤)، ومحمد بن سليمان داود المتوفى فى

(١) السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن (القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٢) السيوطى : الاتقان فى علوم القرآن ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

(٣) ابن تيمية : مقدمه فى أصول التفسير ، ص ٦٩ .

وأهم مصادر التفسير الخاصة بالقرآن الكريم والتي يوجزها السيوطى عن الزركشى فى كتاب البرهان بقوله : " للناظر فى القرآن الكريم لطلب التفسير وما أخذ كثيره أمهاتها أربعة : الأول النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم ... والثانى الأخذ بقول الصحابى فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ... والثالث الأخذ بمطلق اللغة فإن القرآن نزل بلسان عربى والرابع التفسير بالمقتضى من معنى الكلام ، والمقتضب من قوة الشرع ... " السيوطى : المصدر السابق ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٤) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ١٤٥ .

أوائل القرن الثالث الهجرى ^(١)، ومن النحاة المفسرين بإقليم الصعيد الأعلى أحمد بن إبراهيم القفطى (ت ٣٦٢ هـ) ^(٢) .

لاشك أن جامع قفط كانت تعقد فيه حلقات العلم ^(٣) ، وإذا اعتبرنا جامع قفط بمثابة صدى لجامع عمرو بن العاص ، فكان يأتى إليه الأئمة وهم فى طريقهم إلى الحج وكثير منهم قطن بالمدينة ومن هؤلاء صالح بن عادى القفطى المتوفى فى أواخر القرن الثالث الهجرى ^(٤)، ومحمد بن على بن أحمد (ت ٣٨٨ هـ) ^(٥) الذى كان يعقد دروسه فى جامع قفط ، وكان ملماً بالعلوم الدينية فى عصره والتى صار لها أبلغ الأثر فى تفسيره ، فقد سمع الحديث من سعيد بن السكك وكان سيد عصره ^(٦) وقد برع فى علوم القرآن الكريم ، حيث أعتاد تلاميذه مجالسته ، فأخذ عنه جماعه وله كتاب فى تفسير القرآن فى مائه وعشرون مجلداً، ومنه نسخة بمصر ^(٧).

وهكذا ازدهر علم التفسير فى إقليم قفط والمشتغلين بعلوم القرآن الذين استطاعوا أن يجتذبوا علماء التفسير من الأقطار الإسلامية الأخرى نذكر من هؤلاء عبد الرحمن بن مروان الأنصارى القرطبى، وأبو يوسف القرينى شيخ المعتزلة ^(٨).

(١) الادفوى : الطالع السعيد ، ص ٥٢٢

(٢) الادفوى : المصدر السابق ، ص ٧٣

(٣) الادفوى : الطالع السعيد ، ص ١٢ ، ابن دقماق : الانتصار ، ص ٢٣ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

(٤) الادفوى : المصدر السابق ، ص ٢٦٨ .

(٥) محمد بن على بن أحمد الإمام أبى بكر الأدفوى المصرى المقرئى النحوى المفسر الذى صحب أبا جعفر النحاس ولازمه السيوطى : طبقات المفسرين (طبعة ليدن ١٨٣٩ م) ص ٢٨ ، الإدفوى : المصدر السابق ، ص ٥٥٢ .

(٦) السيوطى : المصدر السابق والصفحة .

(٧) السيوطى : المصدر السابق والصفحة .

(٨) أبو العمد الحنبلى : شذرات الذهب ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .

علم الحديث^(١)؛

بدأت رواية الحديث في جامع عمرو بن العاص في أعقاب تشييده سنة ٢١ هـ على يد هؤلاء الصحابة الذين حرصوا على العلم والتعلم من الرسول صلى الله عليه وسلم على الرغم من كبر سن بعضهم^(٢)، حيث شاركوا في جيش عمرو، ولم يكن مضى على مفارقتهم الرسول إلا زمن يسير، وذلك بعد أن سمعوا قوله عليه الصلاة والسلام وشاهدوا عمله بينهم، ومن ثم بدأوا يحدثون بما رأوا وما سمعوه لغيرهم من النازحين إلى مصر والتابعين^(٣).

كما ذاعت شهرت عبد الله بن عمرو يومئذ برخصة الرسول بالكتابة عنه في صحيفته التي أسماها "الصادقة" والتي نقلها معه إلى مصر^(٤)، وكان حديثه أو ما يحدث به أغلب الظن منها، ولعل ذلك جعل أهل مصر يتبعون في الأكثر فتاويه وتوفى بمصر عام ٦٥ هـ / ٦٨٤ م^(٥).

اهتم الولاية في العصر الأموي بما جرى في جامع قفط من حفظ الحديث وروايته، كما شجع هؤلاء حفاظ الحديث وغيرهم من طلاب العلم ولاغزو فأمراء الأمصار أو الولاية هم الخطباء في نفس الوقت والأئمة المحدثون الذين أسندت إليهم الخلافة ولاية الصلاة والحرب في هذه الأمصار^(٦).

(١) هو ما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل وحكم أصدره في موضوع عرض عليه، ويتألف من قسمين: الأول هو سلسلة رواة الحديث على التوالي ويسمى الإسناد والسنة، لأنه يثبت صحة الخبر، والقسم الثاني للحديث لمتن أو محتويات الحديث. ابن خلدون: المقدمة، ص ٤٤١.

(٢) السيد طه أبو سديرة: الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص، ص ٤٧.

(٣) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٢٠٨.

(٤) سيدة كاشف: مصادر التاريخ الإسلامي، ص ٢٢.

(٥) السيد طه أبو سديرة: المرجع السابق والصفحة

(٦) محمد عبده الحجاجي: الأقصر في العصر الإسلامي، (دراسة تاريخية - المكتبة الثقافية، العدد ٣٤٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٦٢)، ص ٨٢-٩٠.

وقد سارع أهل قفط إلى حفظ الحديث والانتفاع به حتى يساعدهم على فهم النصوص القرآنية وذلك بغية الاستفادة منها في استنباط الأحكام الشرعية، وعلى نحو يعينهم على تدبير شؤون الحياة التي وجدوها في مصر والتشريع لها، وهكذا أصبح عليهم أن يجمعوا الأحاديث ويحفظوها ، كما أصبح كل حديث من أحاديث الرسول كنزاً لا يقدر بثمن^(١).

كما يأتي الحديث في الأهمية بعد القرآن الكريم كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي اتضحت ملامحة في مصر ، واستمر نشاط الحفاظ والرواية وتدوين الحديث على يد الطبقة الثالثة^(٢) ، حتى انتشرت في أنحاء شتى الديار المصرية نشاط عدد كبير من الرواة الذين قطنوا مدينة قفط نذكر منهم عبد الرحمن بن حاتم المرادي القفطي (ت ٢٩٤ هـ)^(٣) وكان يعقد حلقات درسه في جامع قفط ، وأحمد بن إبراهيم بن بكر الملقب بأبي جعفر القفطي (ت ٣٦٢ هـ)^(٤).

ومن هؤلاء المحدثين الفقهاء المشهورون في جامع قفط نذكر منهم محمد بن إبراهيم بن خالد الأسواني (ت ٣١٥ هـ)^(٥)، لؤلؤ بن عبد الله (المتوفى في أوائل القرن الثالث الهجري)^(٦) ، فقير بن موسى أبا الحسن الأسواني (ت ٣٢١ هـ)^(٧).

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٢٨٧، ٢٤٩ ، عاش عمرو بن العاص بمصر قائداً أو معلماً ومحققاً للهدف الأسمى الذي رسمه الخليفة أمير المسلمين عمر بن الخطاب لعامله على الأقاليم المفتوحة وهو نشر تعاليم الدين الإسلامي ، فقد أكرعته أنه قال : " إلا أني إنما أبعث عمالي ليعلموكم دينكم ويعلموكم سنتكم ، ولا أبعثهم ليضربوا ظهوركم ، ولا يأخذوا أموالكم " - الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٣٠ .

(٢) كان يزيد بن حبيب من أوائل المحدثين بمصر بن وهب تلميذ بن لهيعة من أوائل جامعي الحديث أخذ عنه أكثر مادة كتابه الجامع في الحديث . السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية في مصر الفاطمية ، ص ١٣٧ هامش (٣) .

(٣) ابن شاذان التتبي : فوات الوفيات ، ج ٣ ، ص ١١٧ .

(٤) الأدلوي : الطالع السعيد ، ص ٧٣ .

(٥) الأدلوي : المصدر السابق ص ٤٧٩ .

(٦) الأدلوي : المصدر السابق والمفحة .

(٧) الأدلوي : المصدر السابق ، ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

وكذلك محمد بن هارون الأسواني (المتوفى فى منتصف القرن الثالث الهجرى)^(١) فكان من شيوخ علم الحديث وكان ينتقل بين مدن الإقليم وقام بالرحلة إلى مدينة قفط ويعقد حلقات دروسه فى جامع قفط ، وسمع الحديث من ابن سليمان البزاز ، وابن حلف بن قديد والإمام الطحاوى ، كما قرأ على ابن عبد الله الباهلى وهم من علماء الحديث المشهورين فى العصر الفاطمى الأول^(٢) وهكذا تقدمت الحركة العلمية التى اصطبغت بالصبغة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى وكان أبرز دليل على ذلك أن تقدم علم الحديث حيث تم وضع الكتب الستة المشهورة فيه ، والتى زار أصحابها مصر الإسلامية^(٣) وبهذا استقل علم الحديث بعد أن كان مختلطاً بالفقه^(٤).

علم الفقه :^(٥)

فقد بلغ مبلغاً عظيماً خلال فترة البحث حيث تعددت المذاهب الفقهية فى مصر وزحرت الفسطاط وغيرها من المدن المصرية بالعديد من العلماء والفقهاء، وخاصة فى النصف الأول من القرن الثانى الهجرى، وبلغت أوج ازدهارها فى عصر الدولة العباسية ، حيث أخذ الفقه يكتسب لنفسه ملامح

(١) الادلوى : الطالع السعيد ، ص ٦٣٦ .

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٦٢ ، السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية فى مصر الفاطمية ، ص ١٤٣

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، الفصل السادس ، ص ٢٤٢ ، بدأ التدوين المنظم للحديث فى القرن الثالث الهجرى ،

حيث ظهرت ، مجموعات من كتب الحديث كان أهمها صحيح البخارى (٢٥٦هـ / ٨٧٠م) وصحيح مسلم (٢٦١

هـ / ٨٢٥ م) وسنن الترمذى (٢٧٩هـ / ٨٩٢م) والنسائى (٣٠٣هـ / ٩١٥م) وسنن ابن ماجه (٢٧٢هـ / ٨٨٦م)

ابن خلدون : المصدر السابق والصفحة .

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٤٤٤ .

(٥) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٤٤

وكان مقترناً بظهور الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة المذهب الحنفى الذى ينتسب إلى

الإمام أبى حنيفة النعمان (ت ١٥٠هـ) . المذهب المالكى نسبة إلى الإمام مالك بن أنس الأصبحى

(ت ١٧٩هـ) . المذهب الشافعى الذى أسسه الإمام محمد بن إدريس الشافعى (ت ٢٠٤هـ) بمصر .

المذهب الحنبلى نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل الشيبات (ت ٢٤١هـ) . جرحى زيدان : تاريخ التمدن

الإسلامى (القاهرة دار اليعاقبة ١٩٥٨م) ، ج ٣ ، ص ٧٩ . سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ، ص ٣٢٢ .

جديدة متميزة ، فأصبح مذهب أبي حنيفة هو مذهب الدولة الرسمي بينما مذهب مالك هو مذهب أهل الحجاز^(١)، وقد عبر ابن خلدون عن ذلك في قوله "لما عظمت أمصار الإسلام وذهبت الأمية من العرب بممارسة الكتاب... وكمل الفقه وأصبح صناعة وعلماً..... وانقسم الفقه فيهم إلى طريقتين ، طريقة أهل الرأي والقياس وهم أهل العراق ، وطريقة الحديث وهم أهل الحجاز^(٢)، ولاشك أن إقليم قفط تأثر بمذاهب أهل السنة والجماعة التي انتشرت في مصر بصفة خاصة^(٣).

وكان من ثمار ذلك أن انتشر مذهب أبي حنيفة^(٤) حيث أصبح له أتباعه في مصر في جامع عمرو هذا في الوقت الذي اتجه أبناء قفط إلى الفسطاط وتأثروا به بعد عودتهم وعملوا على نشره في مدينتهم ، نذكر من مشاهير هؤلاء التلاميذ أحمد بن إبراهيم القفطي (ت ٣٦٢هـ) وعبد الرحمن بن حاتم المرادي القفطي (المتوفى في أواخر القرن الرابع الهجري)^(٥)، محمد الإسناوي الذي طاب له المقام بها حتى مات^(٦).

(١) أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٣٥١ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٨٠ .

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق ، الفصل التاسع ، ص ٤٦ .

(٣) حسن أحمد محمود : مصر في عهد الطولونيين ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(٤) الإمام أبي حنيفة : اسمه النعمان بن ثابت التيمي مولاهم الكوفي فقيه العراق واحد أئمة الإسلام ، واحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتنوعة ، وهو ألدتهم ولاة ، لأنه أدرك عصر الصحابة ورأى التابعين ، وقد تلقى الفقه على يد أبي اسماعيل حماد بن سليمان ، ولم يدون أبي حنيفة مذهبه في كتاب وإنما دونه من بعده تلميذه أبو يوسف يعقوب بن محمد القاضي (١١٢-١٨٢هـ) ومحمد بن الحسن (١٢٣-١٨٩هـ) توفي أبي حنيفة سنة ١٥٠هـ في بغداد ، وكان عمره سبعون سنة ، وقد ترك عدة كتب منها ، كتاب الفقه الأكبر ، وكتاب رسالة إلى السبتي وكتاب العلم والمتعلم الرد على القدرية ، وكتاب العلم برأ وبجراً وشرقاً وغرباً . ابن النديم الفهرست ، ص ٢٠٢ ، عطية مشرفة : القضاء في الإسلام ، ص ٥٧ .

(٥) الإدريسي : الطالع السعيد : ص ٧٣ .

(٦) الإدريسي : المصدر السابق ، ص ٢٨٦ .

على أن مذهب مالك^(١) وإن كان لم يقدر له الذيوع والانتشار الواسع في مدينة قفط مثل مذهب أبي حنيفة إلا أن المصادر حفظت لنا الكثير ومن أشهر هؤلاء العلماء معاوية بن هبة الله (ت ٢١٨ هـ)^(٢)، ووليد بن بلال الأسواني (ت ٢٤٣ هـ)^(٣)، وهارون بن محمد بن هارون (ت ٣٢٧ هـ)^(٤)، وهارون بن يوسف (ت ٣٣١ هـ)^(٥).

كما نذكر من فقهاء مالك في قفط الذي كانت له حلقة في جامع قفط الفقيه أحمد بن محمد بن هارون بن موسى (ت ٣٧٤ هـ)^(٦) الشهير أبو جعفر الفقيه المالكي الصواف ، ولا يفوتنا في هذا الصدد أن نشير إلى محمد بن يوسف بن بلال المالكي (ت ٣٧٦ هـ)^(٧)، وسعيد بن بكار القوصي (ت ٣٥٨ هـ)^(٨) لعل هؤلاء العلماء الذين تصدروا لتدريس مذهب مالك في جامع قفط عملوا على نقل هذا المذهب إلى بلدانهم في إقليم قفط^(٩).

(١) هو الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن عمرو بن الحارث بن غيلان بن حشد بن عمرو بن الحارث ، وهو ذو الأصبع الحميري ، أبو عبد الله المدني إمام دار الهجرة في زمانه روى مالك عن غير واحد من التابعين وحدث عنه خلق من الأئمة ولد بالمدينة المنورة سنة ٩٣ هـ وقيل ٩٥ هـ وتوفي بها سنة ١٧٨ هـ ، وقيل سنة ١٧٩ هـ ، تعلم بها وأصبح حجة في الحديث ، وكما كان يعتمد على الحديث الشريف أكثر من أبي حنيفة ، فلما كثرت البدع ، كلفه الخليفة المنصور العباسي برد مترياتهم ، فكتب المؤطا في الحديث ، وكان معظم من رحلوا إليه وتعلموا عليه من المغاربة ، وأهل شمال إفريقيا ، والأندلس وقد أخذ القراءة عرضاً عن نافع بن أبي نعيم وسمع الزهري ، وتألفاً مولى ابن عمر بن الخطاب وروى عن الأوزاعي ويحيى بن سعيد الانطاكي ، وأخذ عن ربيعة الراي . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ١٣٥ ، عطية مشرفة : القضاء في الإسلام ، ص ٥٨ .

(٢) الادلوي : الطالع السعيد ، ص ٦٤٣ .

(٣) الادلوي : المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٤) الادلوي : المصدر السابق ، ص ٦٨٦ .

(٥) الادلوي : المصدر السابق ، ص ٦٨٩ .

(٦) الادلوي : الطالع السعيد ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٧) الادلوي : المصدر السابق ، ص ٦٤٣ .

(٨) Wiet : Steles Funer aires Catalogue de Mussee Arab , Tom 10 , p 29

(٩) Garcin : Un Centre Musulman , p . 171 .

وثالث المذاهب الفقهية التي انتشرت بصورة واضحة في إقليم قفط المذهب الشافعي^(١) واعتنقه كثير من علماء الإقليم ، حيث انتشر مذهبه في القرى والمدن ، ولعل كان من بين العوامل التي أدت إلى انتشار هذا المذهب أن الإمام الشافعي من آل البيت وينتمي إلى آل البيت ، ويقطن في كثير من هذا الإقليم كثير من الحسينيين ، وحفظت لنا المصادر العديد من اتباع المذهب الشافعي، نذكر منهم قحزم بن عبد الله أبو حنيف (ت ٢٧١ هـ)^(٢)، ومحمد بن أحمد أبو رجاء الإسواني (ت ٣٣٥ هـ)^(٣)، ومحمد بن أحمد ابن الربيع بن سليمان ابن أبي مريم (المتوفى في أواخر القرن الرابع الهجري)^(٤)، ولا يفوتنا ذكر عبد الرحيم بن الحسن الأرمني (المتوفى في أواخر القرن الرابع الهجري)، الذي كان له طول باع في المذهب الشافعي وكانت له حلقة في جامع قفط بصفة الأدفوي: "وهو من بيت علم وحلم ورياسة" سكن مدينة قفط وتوفى بها^(٥).

(١) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أدريس الشافعي ولد سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٢ م بغزة أو بعقلا أو اليمن أو منى ، ونشأ بمكة وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وتلقه على مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة وأذن في الإفتاء وعمره خمس عشرة سنة ، ثم لازم مالكاً بالمدينة ولدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة ، فاجتمع عليه علماءها وأخذوا عنه ، وأقام بها حولين وصنف بها كتابه القديم ثم عاد إلى مكة ، ثم خرج إلى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة فأقام بها شهراً ، ثم خرج إلى مصر وصنف بها كتبه الجديدة كالام والأمالى الكبرى والاملاء الصغير ومختصر البيهقي ومختصر المزني ومختصر الربيع والرسالة والسنين ومات بمصر سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ١٦٣ وقد ذاع مذهب الشافعي في مصر ، وجرى في تدوين مذهبه على الجمع بين طريقتي أهل الحديث الحجازيين ، وأهل الرأي ، والقياس العرفيين وله من الكتب كتاب " المسوط في الفقه " يحتوي على عدة كتب فيه كتاب في الصلوات والزكاة والصيام . ابن النديم الفهرست ، ص ٢١٠ .

السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص ، ص ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ .

(٦) الأدفوي : الطالع السعيد ، ص ٤٦٩ .

(٧) الأدفوي : المصدر السابق ، ص ٤٨٥ .

(٨) الأدفوي : المصدر السابق والصفحة .

(٩) الأدفوي : المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

أما المذهب الحنبلي^(١) فلم يقدّر له الانتشار بمقارنة المذاهب السابقة ، وكان من الطبيعي أن تنوّه إلى المذهب الشيعي الذي انتشر في عصر الدولة الفاطمية ، وكانت قفط واحدة من مراكز الدعوة لهذا المذهب مما حدا بالادريسي أن يصف أهلها بالتشيع حين قال بأن "أهلها كانوا من الشيعة"^(٢). استمرت حلقات تدريس الفقه في جامع قفط وغيره من المساجد الجامعة في العصر الفاطمي الأول على مذاهب أهل السنة سواء مذهب الإمام مالك ، أو مذهب الشافعي ، وذلك على الرغم من انتشار الثقافة المذهبية الخاصة بالدعوة الفاطمية ، حيث كان علماء المذهب يناظرون للفقهاء السنيين المصريين ويقارعونهم بالحجة بالحجة ، ولا غرو فقد كان الفاطميون يختارون دعائهم من الفقهاء النابهيين ، ومن هم على علم وافي بمذاهب الفرق الإسلامية كلها^(٣).

على أن هذه المذاهب لم تجد جدلاً واسعاً من اتباعها بعضهم وبعض، وظلت هذه المذاهب تسير جنباً إلى جنب كالنمير الهادي غايتها رسالتها الدينية^(٤).

(١) هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ، ولد ببغداد سنة ١٩٤ م وتوفي بها سنة ٢٤١ هـ ، أخذ الفقه عن الإمام الشافعي مده أقامته ببغداد ، وكان إمام من أئمة السنة بالعراق ، وأخذ الحديث عن أبي حنبل محمد بن إسماعيل البخاري ، ومسلم بن الحجاج النيسابوري .
صمام الدين عبد السعوف : الحواضر الإسلامية ، ص ٥٨ . عطية مشرقة : القضاء في الإسلام ، ص ٥٩ .

(٢) الأدرسي : صفة المغرب وارض السودان والأندلس ، ص ٤٨-٤٩ ، والحميري : الروض المعطار ، ص ٤٧٢ .

(٣) يقول المؤيد في الدين داعي الدعاة ولباسوف المذهب في عهد المستنصر :

فما أبو حنيفة والشافعي حيثهم قد نفوا بنافع

ويقول مرة أخرى :

ونزيل ابن الشافعي ومالي بيان زين العابدين وجعفر

وقياس قياس محمد متبرجا بالاعتزال وتزهات المجبر

محمد كامل حسنين : في أدب مصر الفاطمية - دار الفكر العربي (القاهرة ١٩٦٣ م) ص ١٠٢-١٠٣ .

(٤) الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢١٠-٢١١ .

السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٤٨٠ .

علوم اللغة والأدب :

لم تقتصر حلقات العلم والدرس بجامع قفط على رواية الحديث والعمل على تدوينه بعد ذلك ، أو قراءة القرآن ودراسة الفقه والفرائض، كما عقد كثير من الصحابة مجالس الأدب وإنشاد الأشعار، ولابن خلدون قول طريف فى ذلك: "وجعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطبهم واصلاً يرجعون إليه فى الكثير من علومهم"^(١).

ومن نافلة القول تطور الشعر فأصبح وسيلة التعبير القوية عن حوادث الفتح وأعمال الجهاد فى سبيل الله حينذاك ، وقد كان عمرو بن العاص، يجيد الشعر كما أشتهر بالفصاحة^(٢) وقد انشد لمعاوية بيتاً من الشعر حين ولاه مصر حين قال :

فإن تعطينى مصر فأربح بصفقه أخذت بها شيخاً يضر وينفع^(٣)
ولما استحرى القتال وكثر البلاء والجهاد بين العرب الفاتحين وأهل النوبة، عبر الشاعر كذلك كما نقل الكندى حينما قال^(٤):

والخيل تعدو بالدروع المثقلة لم تر عيني مثل يوم دمقلة
وهكذا تطورت أغراض الشعر، فبعد أن كانت قاصرة على المباهاة والتمدح بالعصبية من نسب وحسب، أو الهجاء والمراثى والوصف والتشبيب صارت سجلاً صادقاً لأحداث الفتح وسائر الوقائع التى وقعت بين العرب والمسلمين أنفسهم، ومرآة تعكس سائر الاتجاهات الدينية والمذهبية المختلفة^(٥).

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٥١٦ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٧٢ .

(٣) صفى على محمد : الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط ، ص ٣٥٧ .

(٤) الكندى : الولاة والتضاة ، ص ١٢ .

(٥) السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية فى جامع عمرو بن العاص ، ص ١٠٤ .

كما شجع الولاة العباسيون أهل العلم والأدب كما اجزلوا العطاء للشعراء الوافدين عليهم من بغداد وغيرها من حواضر الإسلام ، وكان من هؤلاء الشاعر المشهور أبو نواس، قُدم إلى مصر على الخصيب بن محمد ، وكان صاحب الخراج يومئذ من قبل الخليفة هارون الرشيد ، وقد استأذن الخصيب في إنشاده بعض قصائده وأذن له ، ومما يذكر أنه لما شغب أهل مصر على الخصيب لزيادة في أسعارهم حينذاك ، طلب الشاعر أبو نواس أن يأذن له في الخروج إليهم ، فكان أن خرج حتى وافى المسجد الجامع ، وقد تواعدوا أن يجتمعوا فيه فخطب فيهم وأنشد بعض الأبيات ، قيل أنه ارتجلها على المنبر ، فلما سمعها من اجتمع من الناس تفرقوا فلم يبق أحد منهم^(١)، ثم رحل إلى بغداد حيث توفي بها سنة ١٩٥ هـ^(٢).

وكانت مجالس الأدب تعقد في جامع قفط ، فقد كان لهؤلاء الأدباء من أهل البلاغة والبيان أسلوبهم في التعبير عن آراءهم حول تلك القصائد الشعرية وأصحابها من الشعراء المبتدئين لا سيما بعد أن وضعت القواعد والأوزان وعرفت تلك البحور، وهو ما عرف أيضاً بعلم العروض ، فضلاً عما قام به الأدباء في ذلك الوقت من جمع الأشعار وتدوينها بعد أن كانت تنشد في مجالس الأدب وجامع قفط وغيره من المساجد^(٣).

(١) السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص ، ص ١٠٦ .

(٢) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٥٥٩ .

(٣) وضع الخليل ابن أحمد عالم النحو والعروض في البصرة (ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) بحور الشعر التي تعطى له موازين محددة ، وقد حصرها في خمسة عشر بحراً ، وإن زاد عليها الأخفش الأوسط (ت ٢١٥ وقيل ٢٢١ هـ) بحراً واحداً وهو ما عرف بعلم العروض . ابن النديم : الفهرست . ص ٦٣ - ٦٤ ، ٧٧ - ٧٨ ، والسيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية في جامع عمرو ، ص ١٤٣ ، هامش (٤) .

ونعتقد من هؤلاء الألباء الذين شاركوا في مجالس الأديب بجامع قفط
الشاعر على بن الحسن الذي قال شعراً أثناء الاحتفال بعيد الفطر المبارك
يهنىء فيه بن حسان بالعيد وفي الوقت نفسه يمدحه^(١).

عيد يعود بأجزال النعماء	في كل عام زائد بصفاء
يبقى جلالك كل يوم عندنا	عيد وحق مكنون الأشياء
أن المجمال لكل عيد وافد	لازلت محفوفاً بكل هناء
يا نجل حسان الموفق عزمه	فيما يحاوله من الأعباء
فقت الكرام من الأوائل في العطا	حتى لقد عدوا من النجلاء ^(٢)

كما نعتقد أن الشاعر أحمد بن محمد الأسواني كان من شعراء جامع
قفط البارزين الذي مدح بني الكنز ونظم قصيده شعرية في مدحهم منها :

هل المجد إلا ما افتنته الصوارم	أو الجد إلا ما بنته المكارم
أو العز إلا ما أشاد ومناده	وقائع يبقى ذكرها وملاحم
أو الفخر إلا ما المتوج لابس	حلاه وراق في علاه وراقم ^(٣)

ومن الشعراء المجيدين إبراهيم بن محمد الأسواني (ت ٤٧٢ هـ)^(٤)
الذي كان حاكماً لقفط حينذاك وهو الذي رثاه ابن النضر بقصيدته
المشهورة^(٥)، وعلى بن إبراهيم ابن الزبير (المتوفى في أواخر القرن الرابع
الهجري) ومن شعره:

يا سألني عما لقيت من الأسى	لفراقكم ما الشوق مما يوصف
حتى متى يتجلد القلق الحشا	وإلى متى يستكلف المستكلف
أحبابنا والله ما لي حيله	في البعد إلا أننى أنشوق

(١) الأذفوى : الطالع العيد، ص ٢٨٢.

(٢) الأذفوى : الطالع العيد، ص ٢٨٢ - ٢٨٤.

(٣) الأذفوى : المصدر السابق، ص ١٣٠.

(٤) الأذفوى : المصدر نفسه، ص ٦٢.

(٥) الأذفوى : المصدر نفسه والصفحة.

أنا من عرفتم لا أميل عن الهوى عمن عرفت به لمن لا أعرف
لتطب نفوسكم الغداة فإن لي نفسا تفيض مع الدموع وتذرف
قالوا بكيت دماً فقلت وهمتم ما كنت إلا من جفوني أرغها
لو لم يكن قلبي قتل هواكم لم تمسن أجفاني جراحاً تنزف^(١)

كذلك كان من أبرز علوم اللسان العربي في النحو واللغة التي ازدهرت بمدينة قفط، والنحو من أهم العلوم اللسانية لأنه طبيعي على لسان كل متكلم، لأن الإنسان يتكلمه وهو يتعلم النطق إذ بدونه لا يحسن التعبير عن أفكار^(٢).

وكان القرآن الكريم هو المنبع الذي استقلت منه الدراسات اللغوية والنحوية، فهو والحديث يحملان إلى ناحيتها الدينية ناحية أخرى لغوية وبلاغية^(٣)، ومنذ البداية كانت قراءات القرآن الكريم هي الأساس في تتبع المواد اللغوية، وكان أئمة القراءات يجيدون النحو والعربية، فقد كان نافع بن أبي نعيم (ت ١٦٩ هـ) قارئ أهل المدينة وأحد القراء السبعة يجيد النحو والعربية^(٤)، وكان أبرزهم في العربية والنحو ورش القفطي (ت ٩٧ م)^(٥). كذلك برع كثير من أبناء قفط في اللغة العربية والنحو، ففي خلال القرون الأولى للهجرة ظهر كثير من أبنائها ومنهم أحمد بن إبراهيم القفطي (ت ٣٦٢ هـ)^(٦)، كما ظهر كثير من العلماء في العلماء في مدينة قفط من المناطق المجاورة لها لأنها على طريق الحج وحاضرة الإقليم وقبلة العلماء

(١) الأدفي: الطالع السعيد، ص ٣٦٤.

(٢) جرجي زيدان: تاريخ أدب اللغة العربية (القاهرة ١٩٣٧ م)، ج ٢، ص ١٤٨.

(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ص ١١، ١٢.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١، ص ١٦٦.

ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ج ١، ص ١١٢، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ١، ص ١٧٠.

(٥) ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ٢، ص ١١٨، الذهبي: طبقات القراء، ج ١، ص ٥٢.

السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١، ص ٢٧٧.

(٦) الأدفي: المصدر السابق، ص ٧٢.

كما أوضحنا آنفاً فظهر بها العالم عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر الأموي الأسنوي (المتوفى في أوائل القرن الرابع الهجري) حيث كان نحويًا وأصوليًا وأديبًا وعالمًا في اللغة العربية وفروعها^(١)، وكذلك ظهر أيضا بمدينة ققط أبو بكر الأنفوي (ت ٣٨٨ هـ)^(٢) وكان تلميذاً لأبي جعفر النحاس، وذاع صيت أبي بكر في علم النحو ، وعلوم القرآن الكريم، وألف كتابا في علوم القرآن بلغ مائة وعشرين مجلداً^(٣).

كذلك تعلم المصريون اللغة العربية في ققط وتفاهموا بها ، وكتبوا مؤلفاتهم خلال القرن الرابع بها ، ومن ذلك تجد إثناسيوس أسقف المدينة قد كتب النحو القبطي باللغة العربية حتى يتسنى لهم قراءته ودراسته ، لأن اللغة العربية أصبحت لغة ألسنتهم حديثاً ، وكتابة وقراءة^(٤).

التاريخ :

حظى علم التاريخ بمكانة مرموقة عند العرب^(٥) حيث أخذت حركة التدوين في مصر تتحرر من الحديث تدريجياً حتى نهاية القرن الثالث

(١) السيوطي : بنية الوعاة في طبقات النحويين والفناء ، ص ٣٠٤-٣٠٥ .

(٢) أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ .

(٣) أحمد أمين : المرجع السابق والجزء والصفحة .

(٤) يقول آدم متر Metz : أن معارف العلماء المتقدمين كانت مفككة لا رباط فيها . إذ كانوا يضعون معارفهم بعضها إلى جانب بعض وكان اهتمامهم ينصب على الجزئيات على حادثة واحدة أو صورة من صور التعبير واحدة أو كلمة واحدة ومثال ذلك ما يوجد في كتاب المبرد (ت ٢٨٥ هـ / ٣٩٨ م) . وفي القرن الرابع الهجري تطورت الدراسات اللغوية والنحوية فقد شعر أئمة اللغة بضرورة وضع منهج يسيرون عليه وإلى تناول مادة بحثهم على طريقة منظمة وأكبر ما تم على أيدي علماء اللغة هو تحديد معاني الكلمات وعمل المعاجم .

آدم متر : الحضارة الإسلامية في القرن الهجري ، ج ١ ، ص ٤١٦ ، ٤١٧ .

(٥) حيث كثرت حجرات النسخ التي انتشرت في الأديرة والكنائس في المراكز الرئيسية حينذاك ، وفي بعض الأحيان كان الرهبان والقساوسة يستأجرون النساخين والفنانين المحترفين لنسخ المخطوطات وتوحيثها بالرسوم التوضيحية ، لكنهم غالباً ما كانوا يقيمون بهذه الأعمال بأنفسهم ، ونتيجة لانهصار التعليم في الأواسط المنسية قل الإقبال على الكتب .

بيريل سمالي : المؤرخون في العصور الوسطى ، ترجمة الدكتور قاسم عبده قاسم ، ص ١٥ ، ١٦ .

الهجرى^(١)، وعندئذ أخذ التاريخ يستقل بنفسه واتخذ المؤرخون له منهجاً خاصاً ، حيث نبغ عدد منهم فى إقليم فقط ومنهم تلاميذ المؤرخ أبو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس(ت ٣٤٧هـ) الذين جاءوا من الفسطاط وعملوا على نشر كتبه فى جامع فقط ومنها "المفيد فى تاريخ الصعيد"^(٢).

وأهتم المصريون بتاريخهم فى مدينة فقط ويظهر ذلك جلياً فى رسالة عثر عليها فى إقليم فقط ورد فيها إسم قبلى من طيبة "الأقصر حالياً" ويدعى الشماس حنا مرقص كانت وجهتها إلى بعض المسلمين من أهالى الإقليم، وهى خاصة بالمعتقدات الدينية داخل الكنائس والأديرة بالإقليم^(٣)، وترتب على هذه الرسالة عناية المصريين والأقباط وخاصة الرهبان منهم فى الأديرة كما أوضحنا من قبل ، حيث قاموا بنسخ المخطوطات والكتب وزخرفتها والعمل على تجليدها ، وكان اهتمامهم بتجليد الكتب ، شأنها شأن عنايتهم بنسخ الأنجيل والكتب الدينية إلى اللغة العربية^(٤) .

كما حظى علم التاريخ بمكانة مرموقة بمدينة فقط منذ فجر الإسلام ويتجلى ذلك من رسالة الراهب القبطى بشندى Picendi ، ومما يدل على وجود بعض من تصدوا للكتابة التاريخية فى كنائس فقط وأديرتها تلك الرسالة التى كتبها بطريك فقط إبان الفتح الإسلامى للديار المصرية فقد ذكر فيها عدة حوادث وقعت بمصر من جانب الفاتحين المسلمين ، ولعل يوحنا النقيوسى صاحب كتاب تاريخ مصر قد أفاد منها عند كتابته لكتابه هذا ، كما تضمنت رسالة أسقف فقط ما قام به العرب من استيلائهم على النقود المرسومة عليها صورة الصليب وصورة السيد المسيح ، والذى أشار أيضاً

(١) عطية القوصى: الحضارة الإسلامية، ص ١٨١ ، السيد طه أبو سديرة: الحركة العلمية فى مصر الفاطمية، ص ٢٠٣ .

(٢) ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج ٣، ص ١١٧، ١١٨ .

(٣) بتلر: فتح العرب لمصر، ص ٤٢٦ .

(٤) زكى محمد حسن: بعض التأثيرات القبطية، ص ١٧ .

إلى أنه سيعمدون إلى إزالة تلك الصورة واستبدالها باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، بالإضافة إلى ذكر اسم الخليفة ويقصد به بطبيعة الحال اسم أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب^(١).

وقد شجع على نشاط الرواية التاريخية في المسجد الجامع وعلى التأليف توافد بعض المؤرخين المشاهير آنذاك إلى مصر، نذكر منهم عبدالملك بن هشام بن أيوب المعافري^(٢) كان مولدة بالبصرة حيث تلقى تعليمه فيها ، ثم رحل إلى مصر وأقام بها وكان إماماً في اللغة والنحو والعربية، وكان عالماً بالأنساب العربية^(٣)، وقد اشتهر ابن هشام بتأليفه لكتاب السيرة النبوية الشهير، فإن إقامته بمصر كان لها أثرها في نشاط الحركة العلمية في الأمصار الإسلامية وبصفة خاصة في مجال اللغة والأدب والتاريخ^(٤).

وقد نهج أحمد بن طولون على منوال الخليفة معاوية بن أبي سفيان الذي اهتم بمعرفة أخبار البلاد والملوك، ومما يدل على ذلك عندما استدعى أحد المهتمين بأخبار الأمم والبلاد السابقة^(٥)، وهو العالم القبطي الذي تم

(١) Quatrmere : Memoires geographiques, P.343

سيدة الكاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٢٠ ،

سعاد ماهر : مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه ، ص ١٦٢ .

(٢) نسبة إلى المعافر وهي قبيلة يمانية كبيرة ينسب إليها خلق كثير بعضهم باليمن وكان معظمهم بمصر أيام أن وفد بن هشام عليهم بمصر ، ومن المعروف أن المعافر كانت من قبائل الفتح التي اختطت بالفسطاط وظلت حتى أواخر القرن الثالث الهجري .

ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٣ .

(٣) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ٥٣١ .

(٤) روى عنه عبد الله بن عبد الحكم ، وابنه عبد الرحمن وغيرهما من المؤرخين المصريين .

وأكبر الظن أن هذا الصيت العلمي والأدبي بصعيد مصر هو الذي دفع الشيخ أبي حيان الغرناطي الإمام، لأن يطلب من تلميذه الكمال الإدقوي أن يسجل هذه النهضة العلمية في كتاب فكا " الطالع السعيد .

الإدقوي : الطالع السعيد ، ص ٥١ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٣٤٩-٣٥٣

استدعائه من إقليم قفط حيث سبقت الإشارة إليه من قبل. فكان يحدث الأمير أحمد بن طولون بما لديه بمعرفة بأخبار البلاد والملوك كما ذكر المسعودي^(١).

وهكذا نرى أن الكتابة التاريخية صارت جنباً إلى جنب مع حركة التدوين والتأليف في مجال الحديث والفقه وغيرهما من العلوم الإسلامية، مما يدل على نشاط الرواية وإملائها على طلاب العلم والدرس في جامع قفط من جهة، وعلى ازدهار الحركة العلمية في مدينة قفط في أواخر عصر الولاة من جهة أخرى .

ظهور آراء الصوفية في مدينة قفط :-

حفلت حلقات المسجد الجامع بمدينة قفط بالكثير من العلماء ومن الرهاد والصالحين ، كما حفلت كتب الطبقات بأسماء العديد من هؤلاء الزهاد والصوفية^(٢)، الذين عاشوا بها منذ فجر الإسلام، ويرجع ظهور الصوفية. واختصاصهم بهذا الاسم إلى ظهور الفرق الإسلامية وانحسار موجه الزهد في الإسلام ، ولقد عبر ابن خلدون عن ذلك في قوله: " ... بعد ظهور البدع وحصول التداعى بين الفرق فكل طريق أدعوا فيهم زهاداً . فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله الحافظين قلوبهم عن أوراق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة"^(٣).

(١) المسعودي : مروج الذهب، ج ١ ، ص ٥٢-٥٦ .

(٢) التصوف : اختلفت الآراء حول اشتقاق كلمة صوفى ومعناها فقد قيل أنه لقب مشتق من الصفاء والوفاء ، ومن حيث الحقائق التى أوجبت اللفظ فهو أحد أربعة أشياء، من الصوفية وهى بغلة وغباء قصيرة أو من صوفة القفا وهى الشعر النابت فى متأخرة أو من الصوف المعروف على ظهور الضأن . ولكن الأرجح أن اشتقاق كلمة صوفى هو من الصوف لأن الصوفيين فى الغالب مختصون بلبسه كما كانوا عليه من مخالفة الناس فى لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف . صفى على محمد : الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط . ص ٢٧٤-٢٧٥ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، الفصل الحادى عشر ، فى علم التصوف ، ص ٤٦٧ .

لم تلبث الحياة الصوفية أن تطورت في مدينة قفط وإقليمها متبلورة في حركة تصوف أصبح لها نظامها وتعاليمها وتقاليدها الخاصة بها ومعالمها الواضحة على يد أحد الزهاد من مدينة اخميم التي تقع إلى الشمال من مدينة قفط، وهو ذو النون المصري الأخميمي^(١) قد ساه في البلدان المختلفة فطاف ببلاد الشام والحجاز ثم بلاد إفريقية حيث التقى بأهل العلم والزهد والصلاح وتوطدت صلته بالزاهد العالم القيرواني شقران بن علي الفرضي ، وأخذ عنه بعض مواعظه^(٢)، ومن أقواله لذي النون "يا ذا النون من توكل استغنى، ومن لم يبق تعب ، ومن شكر كوفي، ومن رضى صوفى ، والنظر إلى الظلمة آفة التحقيق والهجر أول الطريق، يا فتى سح في الأرض ، واستغن بأكل العشب على أداء الفريضة"^(٣).

كذلك كان ذو النون يحث على طلب العلم والزهد في الدنيا في حلقاته بالمسجد الجامع فمن مواعظه قوله: "كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا بالدنيا وتركاً لها ، واليوم يزداد الرجل بعلمه حباً للدنيا ولها طلب"^(٤). وممن شاركوا في مجالس الأدب وانتشاد الشعر الشاعر ذي النون الأخميمي المصري، فكان أو حدوقته علما وورعاً ، وظهر ذلك في شعره في

(١) ذو النون الأخميمي : نسبة إلى بلدة أخميم ولد بها من صعيد مصر ، وكان مولده سنة ١٥٥ هـ ، من أب نوبى الأصل من موالى قبيلة قريش التي أقامت ببلاد إخميم (ت ٢٥٤ هـ)

أحمد أمين : ظهر الإسلام ، ج ٢ ، ص ٦٧ - ٦٨ ، وكان أبوه من بلدة الأدواء النوبية واسمها الآن جبل عده التابعة لبلاد النوبة. ممدوح عبد الرحمن الريطى : دور القبائل العربية في صعيد مصر ، ص ٢٦٥ .

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف : تاريخ الفكر الإسلامى ، دار الفكر العربى القاهرة ١٩٩٨ م ، ص ١٩ - ٢٠ ، السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص في عصر الولاة ، ص ١٧٥ .

(٣) ممدوح عبد الرحمن الريطى : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ .

(٤) السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص ، ص ١٧٦ ، وقيل أن فقهاء إخميم في صعيد مصر حرقوا عليه وتعصبوا ضده فركبوا نهر النيل إلى القسطنطينية منه لدى والى مصر آن ذاك ، فلما استقلوا الزورق بهم تفرقوا والناس ينظرون وغرق معهم رئيس المركب فقبل له : وما بال الرئيس قال : حملهم .

الشعرانى : الطبقات الكبرى ، ج ١ ، ص ١٣ .

مختلف أبواب التصوف الإسلامى ومراحله ، فنظم شعراً انتشر فى كافة
أنحاء الإقليم وحفظها الأهالى وقد كان شعره فى دروب التصوف وأولها فى
المعرفة فقال له منه :

لها من طيوف غزم سرت به وتهتك بالأفكار ما داخل الحجب
سرى سرها بين الحبيب وبينها فاضحى مصوناً عن سوى القربى بالقرب^(١)
كذلك قال شعراً فى العشق الألهى :

منى المنى أنت لى كل المنى وأنت الغنى كل الغنى عند افتقارى
تحمل قلبى فيك ما لا يطيقه وإن طال سقى فيك أوطان اضراى^(٢)
وذاعت أشعار ذو النون الإخمى فى مدينة فقط ، وذكر أنه ابرز ما
يميز تلك الأشعار شيئان هما : المعرفة والمحبة ، ونظم شعراً فى المعرفة
فقال :

مجال قلوب العارفين بروضة سماوية من دونها حجب الرب
فبالقلوب قربت فتقرب لدى العرش مما زين الملك بالقرب^(٣)
ومن أقواله الشعرية فى المحبة :

لم تشكنى ألم البلاء وأنت تستحل المحبة
أن المحب هو الصبور على البلاء لم أحبه^(٤)

(١) محمد مصطفى الماحى : شعراء مصر ، ص ٧٦ .

(٢) ممدوح عبد الرحمن الريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٣) الأصبهانى : حلية الأولياء ، (طبعة دار الكتاب العربى بيروت) ج ١٠ ، ص ٣ .

(٤) محمد مصطفى الماحى وآخرون : شعراء مصر منذ الفتح حتى الدولة الفاطمية ، ص ٧٥ ، ٧٦ ، وذكر ذو النون
شعراً عن امرأة صوفية من تلامذته فقالت :

أحبك حسين حب الهوى وحسب لأنك أهل لداك
فأما الذى صاحب الهوى مذكر شغلت به عمن سواك

ممدوح عبد الرحمن الريطى : دور القبائل العربية فى صعيد مصر ، ص ٢٦٢ .

وكانت وفاته سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٦ م ، وسار تلامذه التصوف على طريقه ذى النون الأخميمي فى إقليم ققط ونذكر منهم ابراهيم بن موسى (ت ٢٥٠ هـ)^(١) ، ابراهيم بن أحمد (ت ٤١٠ هـ)^(٢) ، أحمد بن عبد الوارث الأسوانى (ت ٤٢١ هـ)^(٣) وازدهرت الحياة الروحية فى الإقليم من بعدهم^(٤).

كما كان لهم دوراً إيجابياً فعالاً فى خلق المرید الصالح الذى عرف طريقه إلى الله فى جلاء ووضوح وتمسك وتمسكاً تاماً بالفضيلة ومكارم الأخلاق على أيديهم^(٥)، وهكذا كانت لآراء ذى النون فى ميدان التصوف وحديثه عن أحوال الصوفية ومقاماتهم قد شغل أذهان الكثير من العلماء والمفكرين فى عصره ومن بعده ، كما عملت على اجتذاب كثير من المريدين الذين التفوا حوله وأخذوا عنه بعد أن وفدوا على الفسطاط للقاءه من جهات قاصبة ، وعملوا على نشرها فى الأمصار الإسلامية ومنها مدينة ققط .

وهكذا حفلت مدينة ققط فى العصر الإسلامى الأول بطائفة من أشهر القراء والعلماء ، وذلك بفضل سياسة الخلفاء والولاة الذين كانوا يشجعون مثل هؤلاء العلماء والعمل على اجتذابهم من خارج البلاد ، حتى أصبحت مدينة ققط من أهم المراكز العلمية ، وازدهر بها فى شتى فروعها ولم يقتصر فى ذلك تدريس العلوم على جامع ققط بل تعدت المراكز الثقافية فى داخل المدينة وخارجها ولعل تلاقي الآراء وامتزاج الثقافات مهد لنهضة فكرية ظلت بها ، وامتد أثرها إلى كل ربوع الصعيد الأعلى .

(١) الأدفوى : الطالع السعيد ، ص ٦٨ .

(٢) الأدفوى : المصدر السابق ، ص ٤٨ .

(٣) الأدفوى : المصدر السابق ، ص ٩٤ .

(٤) ونذكر منهم الشيخ عبد الرحيم القتالى ، والفقير يوسف بن أحمد النجم بن يوسف أبوالحجاج . الأدفوى :

المصدر السابق ، ص ٢٩٢ ، ٢٢٢ .

(٥) محمد عبده الحجاجى : الاقتصار فى العصر الإسلامى ، ص ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ .

الملاحق والخرائط

ملحق رقم (١)

معاهدة مع أهل مصر^(١)

لما نزل عمرو بن العاص على القوم بعين شمس ، وكان الملك بين القبط والنوب ناهدوه فقاتلهم وارثى الزبير بن العوام سورها ونزل عليهم عنوة، فاعتقدوا بعد ما أشرفوا على الهلكة فأجروا ما أخذوا عنوة مجرى ما صالح عليه ، فصاروا ذمة وكان صلحهم :

بسم الله الرحمن الرحيم

" هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم و ملتهم و كنائسهم و صلبهم و برهم و بحرهم "

لا يدخل عليهم شيء من ذلك و لا ينتقص و لا يساكنهم النوب .

وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح و انتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف . و ما عليهم ما جنى لصوتهم . فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم . و ذمتنا ممن أبى بريئة .

وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك .

و ممن دخل في صلحهم من الروم و النوب فله مثل ما لهم . وعليه مثل ما عليهم . ومن أبى واختار الذهب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا . عليهم ما عليهم أثلاثا في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم . على ما في هذا الكتاب عهد الله و نعمته و نمة رسوله و نمة الخليفة أمير المؤمنين و نعم المؤمنين . عليهم ما عليهم أثلاثا في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم .

(١) محمد حميد الحيدر آبادي : مجموعة الوثائق السياسية من العهد النبوي والخلافة الراشدة ، ص ٢٧٥-٢٧٦

على ما فى هذا الكتاب عهد الله و نمة و نمة رسوله و نمة الخليفة
أمير المؤمنين و ذمم المؤمنين .

وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا و كذا رأسا و كذا و كذا
فرسا . على أن لا يغزوا و لا يمنعوا من تجارة صادرة و لا واردة .
شهد الزبير و عبد الله و محمد ابنه و كتب وردان و حضر .

ملحق رقم (٢)

معاهدة مع أهل النوبة^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد من الأمير عبد الله سعد بن أبى سرح لعظيم النوبة ولجميع أهل
مملكته عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض أسوان إلى
حد أرض علوة .

إن عبد الله بن سعد جعل لهم أمانا وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين
ممن جاورهم من أهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين وأهل النمة .
إنكم ، معاشر النوبة ، آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبى
صلى الله عليه وسلم أن لا نحاربكم ولا ننصب لكم حربا ولا نغزوكم ما
أقمتم على الشرائط التى بيننا وبينكم على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير
مقيمين فيه وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه .

وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج
عنكم وأن عليكم رد كل آبق خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه إلى

(١) محمد حميد الله الحيدر آبادى : مجموعة الوثائق السياسية من العهد النبوى والخلافة الراشدة . ص ٢٧٨ -

أرض الإسلام ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه ولا تتعرضوا لمسلم قصده
وحاوره إلى أن ينصرف عنه .

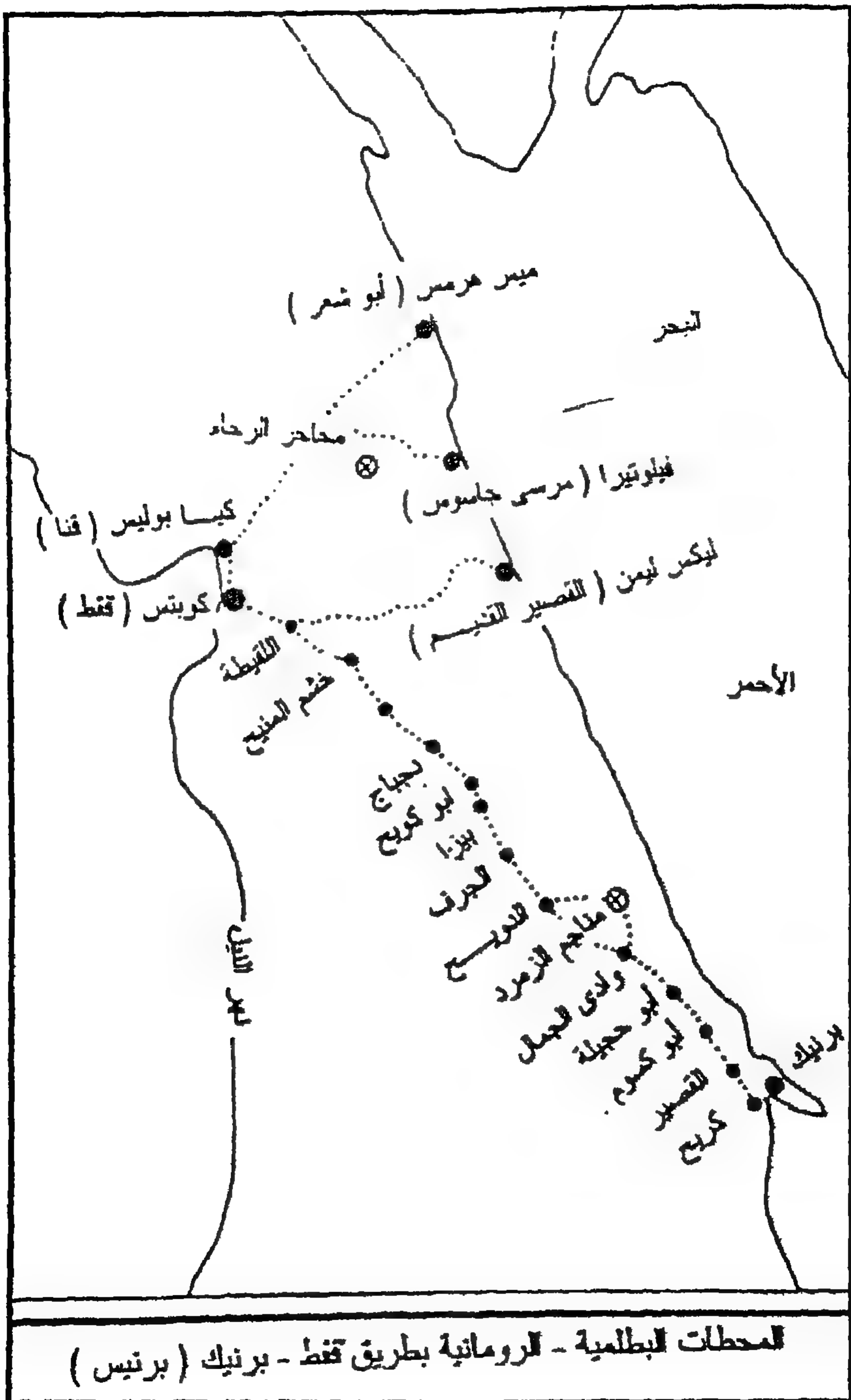
وعليكم حفظ المسجد الذي إبتناه المسلمون بفناء مدينتكم . ولا تمنعوا
منه مصليا . وعليكم كنسه وإسراجه وتكرمته .

وعليكم فى كل سنة ثلاثمائة وستون رأسا تدفعونها إلى امام المسلمين
من أوسط رقيق بلادكم غير المعيب يكون فيها ذكران وإناث ليس فيها شيخ
هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم تدفعون ذلك إلى والى أسوان .

فإن أنتم أويتم عبدا لمسلم أو قتلتم مسلماً أو معاهدا أو تعرضتم
للمسجد الذى أبتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم أو منعتم شيئا من الثلاثمائة
رأس والستين رأسا فقد برأت منكم هذه الهدنة والأمان .

ونحن وأنتم على سواء حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .
علينا بذلك عهد الله وميثاقه وئتمته وئمه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .
ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدينون به من نمة المسيح ونمة الحواريين وئمه
من تعظمونه من أهل دينكم وملتكم . الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك .

كتبه عمرو بن شرحبيل فى رمضان سنة إحدى وثلاثين



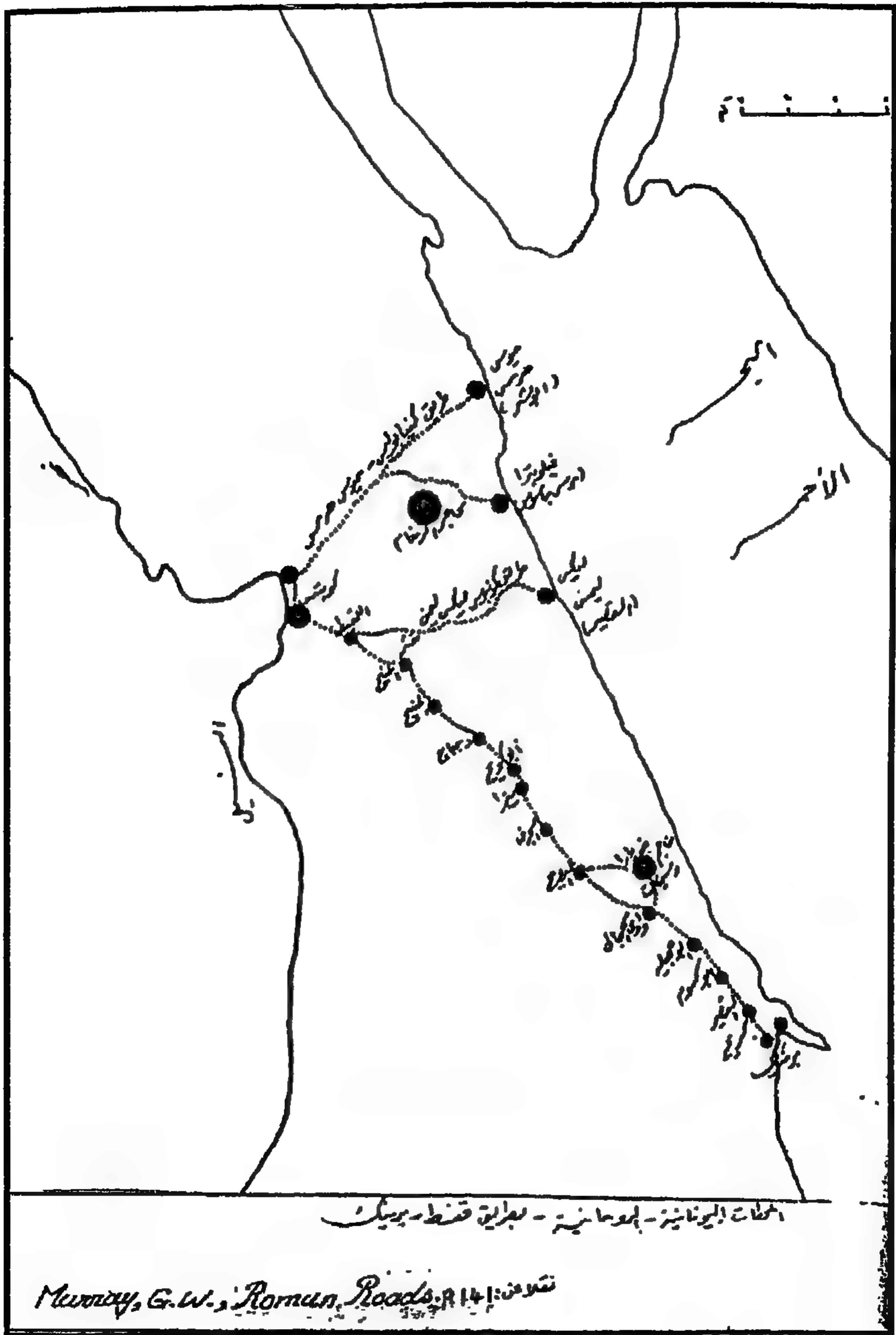


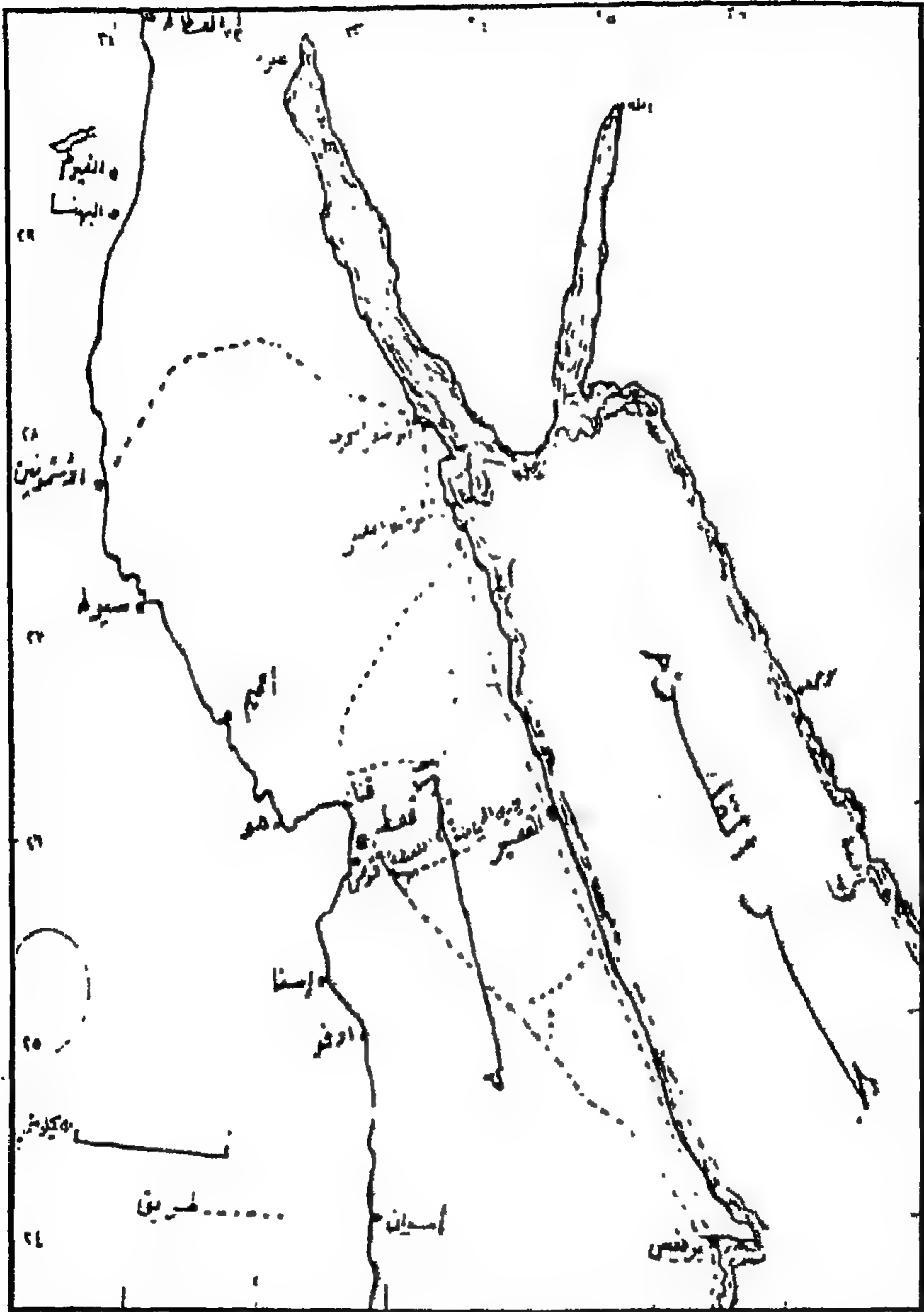
نِسْبَةُ ١ : ١٠٠٠

مِصْرُ : خَلِيجُ الْاَحْمَرِ فِي سِيَا ق - زَبَارَا

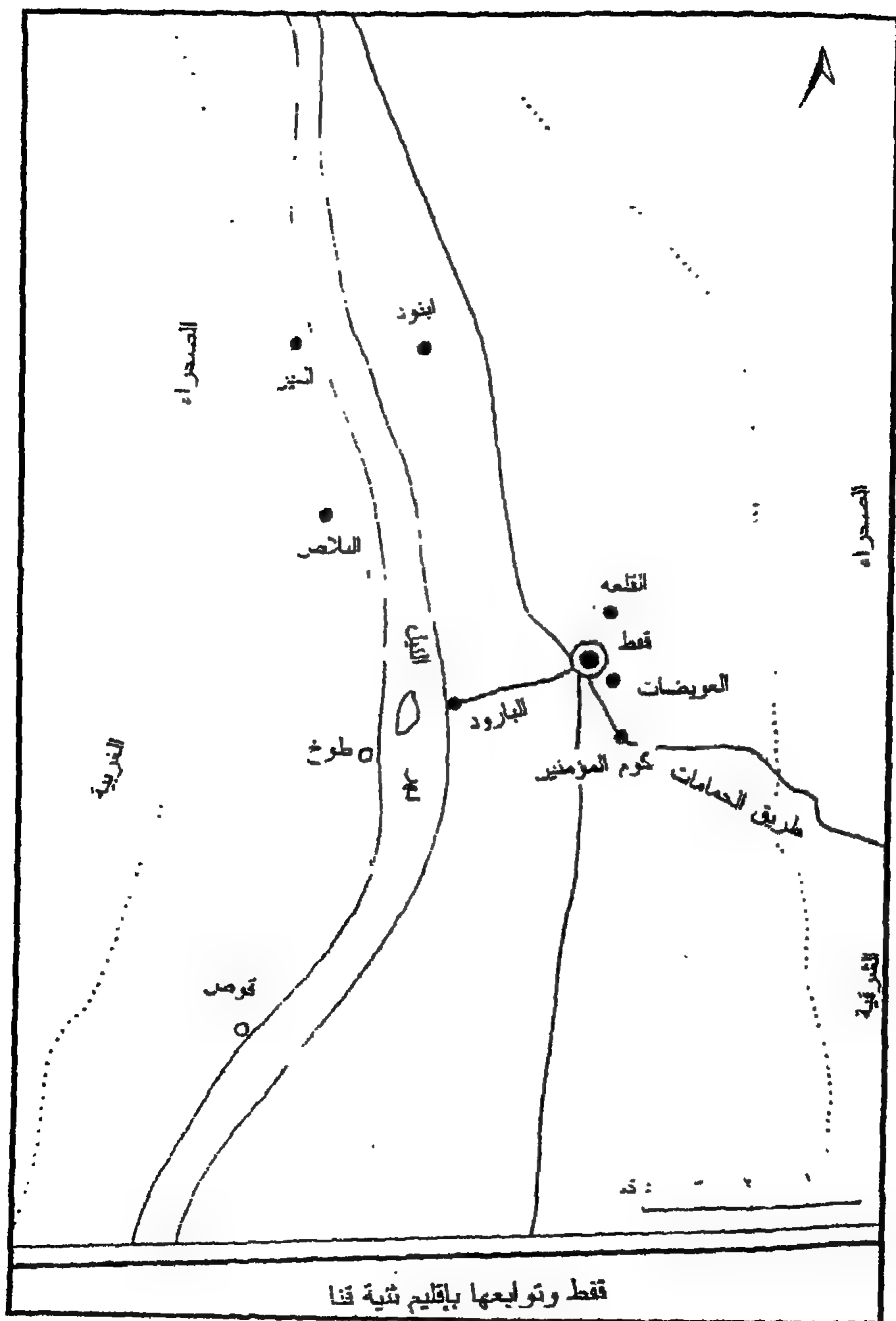
Merced Mining Egypt. p. 18.

نُكَاوْن : جِدَا لِمَتَا ج وَحَسْبِي





مدينة فقط في العصر الإسلامي



المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية

أ - الكتب الدينية

”القرآن الكريم”

ب - المخطوطات

ابن الحنبلى :

رضى الدين محمود ابن ابراهيم بن يوسف الحنفى،
المعروف بن الحنبلى (ت ٨٢٥ هـ / ١١٤٢ م) :
الآثار الرفيعة فى مآثر بنى ربيعة. مخطوط بدار
الكتب المصرية تحت رقم ١٩٠٧، ميكروفيلم
٥٠٣٧٨ (ح) .

العيني :

بدر الدين محمود (ت ٤٥٤ / ١٠٦٢ م) :
عيون المعارف وفنون أخبار الخلفاء - مخطوط
بدار الكتب المصرية رقم ١٧٧٩ تاريخ .
ركن الدولة المنصورى المصرى (ت ٧٢٥ هـ) :
زبدة الفكر فى تاريخ الهجرة مخطوطة مصورة
بمكتبة جامعة القاهرة تحت أرقام
٢٤٠٢٦ ، ٢٤٠٢٧ ، ٢٤٠٢٨ .

سبط ابن الجوزى :

يوسف قيزوغلى (ت ٦٥٤ هـ) :
مراة الزمان فى تاريخ الأعيان ، مخطوطة بدار
الكتب المصرية رقم ٩٢٧٦ (ح) .

عبد الغفار بن نوح

الأقصرى :

الوحيد فى سلوك أهل التوحيد ، مخطوط بدار الكتب
المصرية رقم ٢٢٦ تصوف ، الجزء الثانى .

محمد بن حامد المراغى

الجزاوى :

(توفى ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م) :
شذا العرب فى تراجم علماء بنى عدى . مخطوط

بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٠١ ، ميكرو فيلم
١٦٥٦

مؤلف مجهول : تاريخ ملوك السودان وأقاليمه ، مخطوط بدار الكتب
المصرية رقم ٢٥٤٧ تاريخ .

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة

ابن الأثير : على بن أحمد بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ /
١٢٣٨ م) :

" الكامل في التاريخ " طبعة بيروت سنة ١٩٧٩ م
" أسد الغابة في معرفة الصحابة " تحقيق وتعليق
محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ، محمود
عبد الوهاب فايد ، ج٢ ج٣ طبعة الشعب .

ابن الأخوة : محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت ٦٤٨ هـ /
١٢٥٠ م) :

" معالم القرية في أحكام الحسبة " تحقيق الدكتور /
محمد محمود شعبان وآخرون ، الهيئة المصرية
العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٦ م .

الأريسي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٥٤٨ هـ /
١١٥٤ م) :

" كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " مكتبة الثقافة
الدينية القاهرة ١٩٩٤ م

" صفة المغرب وأرض السودان ومصر " مأخوذ من
كتاب نزهة المشتاق (طبعة ليدن ١٨٦٦) .

الأدفي : أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعي
(٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) :

" الطائع السعيد الجامع لنجباء الصعيد " تحقيق سعد

محمد حسن ، الدار المصرية للتأليف والترجمة
١٩٩٦م .

الارمنى : أبو صالح الارمنى (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) :
"كنائس وأديرة مصر " (اكسفورد ١٨٩٤) " تاريخ
الشيخ أبو صالح الارمنى " (اكسفورد ١٨٩٥م)
" تهذيب الرحلة " لأحمد العوامرى بك (القاهرة
١٩٦٤م)

الاصطخرى : أبو اسحاق ابراهيم محمد الفارس الاصطخرى
المعروف بالكركى ، (المتوفى فى النصف الأول من
القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى) :
" المسالك والممالك " تحقيق محمد جابر عبد العال
الحينى وزارة الثقافة والإرشاد، دار القلم، (القاهرة،
١٩٦١م).

ابن أبى أصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرى
(ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩م) " عيون الأنباء فى طبقات
الأطباء " شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا،
منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

الأنطاكى : يحيى بن سعيد الأنطاكى (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م) :
تاريخ الأنطاكى المعروف بصلة تاريخ او تيخا، حققه
عمر عبد السلام تدمرى، جروس برس، طرابلس
١٩٩٠ .

ابن إياس : أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) :
بدائع الزهور فى وقائع الدهور " حققها محمد
مصطفى، الهيئة العامة للكتاب (القاهرة، ١٩٨٢م).

ابن بطوطه : أبو عبد الله بن سعد بن حسن بن إبراهيم اللواتي
الطنجي (ت ٧٩٧ هـ / ١٣٧٧)

" تحفة النظر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار

المعروف برحلة ابن بطوطه " (القاهرة ١٩٦٤ م) :

ابن بعبره : منصور الذهبي الكامل (المتوفى في النصف الاول

من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي)

" كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية "

تحقيق عبد الرحمن فهمي محمد، طبعة سنة

(١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م) .

البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ -

٨٩٣ م) :

" كتاب فتوح البلدان " (بيروت ١٤٠٧ هـ /

١٩٨٧ م)

البلوي : أبو عبد الله بن محمد المديني (المتوفى في القرن

الرابع الهجري)

" سيرة أحمد بن طولون " تحقيق محمد كرد علي

(دمشق ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م) .

ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن بن يوسف (ت ٨٧٤ هـ /

١٤٧٠ م)

" النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " طبعة

دار الكتب المصرية .

ابن تيمية : أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم :

مقدمة في أصول التفسير - دمشق مطبعة الترقى

التيفاشي : أبو العباس أحمد بن يوسف (ت ٦٥١ هـ / ١٢٥٢ م) :

أزهار الافكار في جواهر الأحجار " تحقيق محمد

حسن ، ومحمود بسيوني (القاهرة ١٩٧٧ م)

- الجـــــــــــــــــاحظ : ابن عثمان عمر بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٩م) :
 "كتاب التبصر بالتجارة" (القاهرة ١٩٣٥م)
- ابن جبير : أبو الحسن محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) :
 "رحلة ابن جبير" تحقيق الدكتور حسين نصار .
 القاهرة ١٩٥٥م .
- ابن الجزري : شمس الدين محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م) :
 النشر في القراءات العشر ، دمشق ١٣٤٥ هـ
 غاية النهاية في طبقات القراء - نشر برحبشتراسر ،
 القاهرة ١٩٣٣ م .
- ابن الجيعان : شمس الدين يحيى بن مقر (ت ٨٥٨هـ / ١٤٨٠م) :
 "التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية" القاهرة
 ١٨٩٨م .
- ابن الحاج : أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري (٧٣٧هـ /
 ١٣٣٦م) :
- المدخل : مدخل الشرع الشريف على المذاهب ،
 ٤ أجزاء ، دار الحديث القاهر ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- حاجي خليفة : (ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٧م)
 "كشف الظنون عن أساس الكتب والفنون" ٣ أجزاء ،
 استنبول ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١م .
- الذهبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد عثمان (ت ٧٤٨ هـ) :
 تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، القاهرة
 ٣٦٧ هـ .
- ابن حبيب : الحسن بن عمر (ت ٧٩٩ هـ / ١٣٧٧م) :
 مختلف القبائل ومؤلفه تحقيق إبراهيم الإبياري
 (القاهرة بدون تاريخ)

- ابن حزم : أبو محمد علي بن سعيد الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ / ١٦٠٣ م) :
 " جمهرة أنساب العرب " تحقيق عبد السلام هارون
 القاهرة ١٩٨٢ م .
- ابن حوقل : أبو القاسم محمد البغدادي النصيبى (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) :
 " المسالك والممالك " دى جويه ١٨٧٠ م .
 " صورة الأرض " طبعة بيروت .
- ابن خردادبه : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) :
 " المسالك والممالك " مكتبة الثقافة الدينية القاهرة
 (بدون تاريخ) .
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد المغربي (ت ٨٠٨ / ١٤٠٥ هـ / ١٤٠٦ م) :
 " المقدمة " القاهرة - المكتبة التجارية .
 " العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم
 والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ،
 طبعة القاهرة ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .
- ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس ابراهيم أحمد بن ابراهيم
 (٦٨١ هـ / ١٢٨١ م) :
 " وفيات الأعيان وأنباء الزمان " تحقيق محمد محي
 الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى ، مطبعة عيسى
 البابى الحلبي مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨ م .
- ابن الدايم : أبو جعفر أحمد بن يوسف (ت ٣٤٠ هـ / ٩٤١ م) :
 " المكافاة وحسن العقبى " صححه وضبطه الأستاذ

- أحمد أمين بك وعلى الجارم بك الطبعة الأولى
للقاهرة المطبعة الأميرية بولاق سنة ١٩٤١م
- ابن دقماق : إبراهيم بن محمد المصري (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٧م) :
"الانتصار لواسطة عقد الأمصار ج ٤ ، ج ٥
(بيروت بدون تاريخ)
- الديلمي نوري : أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ / ٨٨٥م) :
"الأخبار الطوال " تحقيق عبد المنعم عامر ، مراجعة
جمال الدين الشيال ، طبعة وزارة الثقافة بالقاهرة سنة
١٩٥٩م .
- ابن رسته : أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق (ت ٢٩٥هـ /
١٩٩م) :
"الأعلاق النفسية " ليدن ١٨٩٢م .
- الزهرى : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (المتوفى فى القرن
السادس الهجرى / الثانى عشر الميلاد) :
"كتاب الجغرافية ، تحقيق محمد جاد صادق
(بيروت بدون تاريخ) .
- ابن الزيات : أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الأنصارى (٨١٤هـ /
١٢٤١م)
"الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة ، طبعة بغداد
(المتوفى فى أواخر القرن الرابع الهجرى) :
- ساويرس بن المقفع : تاريخ الأبناء البطارقة ، تعليق الراهب صمويل
السريانى (القاهرة ١٩٨٤م)
- ابن سعد : محمد بن سعد بن منبغ الزهرى (ت ٢٣٠هـ) :
الطبقات الكبرى أعد فهارسها رياض عبد الله عبد
الهادى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت لبنان ،
الطبعة الأولى ١٩٩٦م .

- السويدى : محمد أمين البغدادي :
 "سانك الذهب في معرفة قبائل العرب" ، القاهرة ،
 طبعة المكتبة التجارية الكبرى .
- السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر محمد
 (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) :
 "الإتقان فى علوم القرآن" القاهرة ٣٥٤ هـ /
 ١٩٣٥ م .
- "حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة"
 "المطبعة الشرقية - بالقاهرة ١٣٢٧ هـ / جزءان)
 "طبقات الحفاظ" تحقيق على محمد عمر - القاهرة
 الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) :
 "بعية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة - القاهرة
 ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م)
- الشابستنى : أبو الحسن على بن محمد (ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م):
 الديارات ، عنى بتحقيق ونشره كوركيس عواد ،
 طبعة المعارف سنة ١٩٥١ م .
- ابن شاكركاكتبى : فخر الدين محمد بن أحمد (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) :
 "فوات الوفيات والذيل عليها" ، تحقيق احسان عباس
 "طبعة دار الثقافة بيروت - لبنان ١٩٧٣ م .
- الشعرانى : (عبد الوهاب بن أحمد (ت ٩٨٣ هـ / ١٥٧٥ م)
 :
 كتاب الطبقات الكبرى المسماه "بلوائح الأنوار فى
 طبقات الأخيار .
 أو طبقات الشعرانى - المطبعة الشرقية - القاهرة
 ١٢٩٦ هـ .

الشرزى : عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله (ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) :

" نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز
العرينى ، طبعة دار الثقافة بيروت - لبنان
أحمد بن مصطفى (:

مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات
العلوم ، ٣ أجزاء مراجعة وتحقيق كامل بكرى -
عبد الوهاب أبو النور القاهرة - دار الكتب الحديثة -
مطبعة الاستقلال الكبرى .

ابن طباطبا : محمد بن على المعروف بابن الطقطقى (ولد سنة
٦٦٠ هـ / ١٣٦١ م) وأتم كتابته سنة (٧٠١ هـ /
١٤٠١ م) :

الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ،
عنى بنشره يوسف توما البستان مطبعة الرحمانية
بمصر سنة ١٣٤٠ هـ

الطبرى : أبو جعفر محمد بن جرير ، المتوفى (٣١٠ هـ /
٩٢٢ م) :

تاريخ الأمم والملوك ١١ جزءاً ، القاهرة ١٩٣٩ م .
كمال الدين محمد بن نجم الدين أمين بن أبى بكر
القرشى (ت ٩٦٠ هـ / ١٥٥٢ م) :

الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق
مصطفى السقى ، وكامل المهندس طبعة القاهرة سنة
١٩٦٩ م .

ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشى (ت
٢٥٧ هـ / ٨٧٠ - ٨٧١ م) :

"فتوح مصر والمغرب" تحقيق عبد المنعم عامر ،
لجنة البيان العربى القاهرة ١٩٦١ م.

"فتوح مصر وأخبارها - المعهد العلمى الفرنسى ،
القاهرة ١٩١٤ .

أحمد بن محمد الأندلسى (ت ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م) :
العقد الفريد ، ج ٣ و ج ٥ ، تحقيق محمد سعيد
الريان طبعة لبنان سنة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م .

عبد الحى بن أحمد بن محمد الصالحى (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م) :
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج ١ ، ج ٢ ،
ج ٣ ، طبعة القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ ، عن نسخة
دار الكتب المصرية.

إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)
المختصر فى أخبار البشر ، ج ١ ، ج ٢ ، ج ٣ ، الطبعة
الأولى استانبول سنة ١٩٣٨ م.

أبو الحسن على بن أبى القاسم بن زيد البيهقى
الشهير بابن فندق (ت ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م) :

لباب الأنساب والألقاب والأعقاب ، تحقيق السيد
مهدي الرجائى وأشرف السيد محمود المرعشى
(بيروت بدون تاريخ)

أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى (ت
٣٢٠ هـ) :

"نبد من كتاب الخراج وصناعة الكتابة" ملحق بكتاب
المسالك والممالك لابن خرداذية .

أبو المحاسن : جمال الدين يوسف بن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) :

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، ١٦ جزءا،
نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة
المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٣ م .
مجموعة الوثائق للسياسة من العهد النبوى والخلافة
الراشدة .

المسبحى : محمد بن عبد الله (ت ٤٥٩ هـ / ١٠١٠ م) :
أخبار مصر فى سنتين (٤١٤ - ٤١٥ هـ) تحقيق
وليم ح . ملىورد، الهيئة العامة للكتاب القاهرة
١٩٨٠ م .

المسعودى : أبو الحسن على بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م) :
"مروج الذهب ومعادن الجوهر" (القاهرة ١٩٦٦ -
١٩٦٧) .

" التنبية والأشراف " دار الصاوى القاهرة بدون
تاريخ .

ابن مسكويه : (ت ٤٢١) :
كتاب العيون والحدائق فى اخبار الحقائق الجزء
الثالث (نشر دى جوية لين ١٨٦٩ م) .

المقريزى : تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) :
"المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف
بالخطط المقرئية " جزءان (القاهرة ١٩٩٠ م) .
" اغاثة الأمة بكشف الغمة " تحقيق محمد مصطفى
زيادة ، جمال الدين الشيال (القاهرة ١٩٥٦ م) .
" اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلف "

تحقيق الجزء الأول جمال الدين الشيال والجزء
الثاني والثالث محمد حلمي أحمد ، القاهرة ، المجلس
الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٣ م .

" البيان والإعراب بأرض مصر من الأعراب مع
دراسات في تاريخ العروبة وادي النيل " تحقيق عبد
المجيد عابدين (القاهرة ١٩٦٨ م)

" السلوك لمعرفة دول الملوك " تحقيق محمد
مصطفى زيادة (القاهرة ١٩٥٦ م)

" المقفى الكبير " تحقيق محمد اليعلاوى (بيروت
١٩٩١ م) .

النقود الإسلامية ، (القسطنطينية ، ١٢٩٨ هـ) .

أبو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود (ت فى

القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى) :

تاريخ الكنائس والأديرة إعداد وتعليق الراهب

صمويل السريانى القاهرة ١٩٨٤ م

اعتماد أعلى نسخة باريس ، نشر الراهب صمويل

هذا للكتاب اعتماداً على صورة المخطوط ، الجزء

الثانى تحقيق B.T.A.E.Vets لندن ١٨٩٥ م .

أسعد بن مهنّب بن مينا (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) :

قوانين السدواوين ، تحقيق عزيز سريال عطيه،

الطبعة الاولى القاهرة ١٩٤٣ م

ناصر خسرو : علوى فارسى ، زار مصر فى عهد الخليفة

المستنصر بالله الفاطمى (ت ٤٦٦ هـ / ١٠٨٣ م) :

سفر نامه ، تحقيق يحيى الخشاب ، الطبعة الاولى

القاهرة ١٣٦٤ هـ / سنة ١٩٤٥ م .

- ابن السنديم : محمد بن اسحق (ت ٣٨٣ هـ / ٩٢٢ م) .
الفهرست - مطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر ،
بيروت ١٩٧٨ م .
- نشوان الحميري : نشوان بن سعيد (ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م)
" ملوك حمير وأفيال اليمن " تحقيق اسماعيل بن
أحمد الجرافي وعلى ابن اسماعيل المؤيد، بيروت
١٩٧٨ م .
- النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ /
١٣٣١ - ١٣٣٢ م) :
نهاية الأرب في فنون الألب ٨ أجزاء مصورين عن
طبعة دار الكتب المصرية .
- الهمدانسي : أبو محمد الحسين بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤
هـ / ٩٤٥ م) :
" الإكليل " المطبعة السلفية القاهرة ١٣٦٨ هـ / ج
٨، ٢، ١ ، تحقيق الأكوع ، ج ١٠ ، مطبعة السنة
المحمدية .
- " صفة جزيرة العرب " تحقيق محمد بن علي الأكوع
بيروت ١٩٨٣ م .
- الواقدي : (ت ٢٠٧ هـ / سنة ٨٢٢ م) :
فتوح الشام ، ج ٢ ، طبعة دار الجبل بيروت
فتوح مصر والإسكندرية (بيروت ١٩٦٠ م) .
- ابن السوردي : سراج الدين عمر بن مظفر بن حفص (ت ٧٤٩
هـ / ١٣٤٩)
كتاب فريدة العجائب وفريدة الغرائب ، القاهرة
١٢٨٠ هـ .

- ياقوت الحموى : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى بن عبد الله الرومى (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩ م) :
 " معجم البلدان " ٨ أجزاء القاهرة ١٩٣٦ م .
 " معجم الأنبياء " القاهرة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م
 اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) :
 " كتاب البلدان " ملحق بكتاب الأعلام النفيسة، ليدن " تاريخ اليعقوبى ١٨٩١ ، بيروت ١٩٦٠ م .
 يوحنا النقيوسى : تاريخ مصر - ترجمة د . عمر صبر عبد الجليل الطبعة الأولى القاهرة سنة ٢٠٠٠ م .

ثالثاً : المراجع العربية الحديثة :

- إبراهيم أحمد العدوى : مصر درع العروبة ورباط الإسلام ، (مطبعة الآثار المصرية ، ١٩٩٢ م) .
 إبراهيم دسوقي محمود : الطرق التجارية القديمة وآثارها الحضارى ، المنيا ٢٠٠٠ م .
 إبراهيم على طرخان : النظم الإقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى دار الكتاب العربى للطباعة والنشر القاهرة ، ١٩٦٨ م .
 إبراهيم نصحي : تاريخ مصر فى عصر البطالمة، جزءان ، مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الثانية . ١٩٦٠ م .
 تاريخ الحضارة المصرية ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة (بدون تاريخ)
 أحمد الحسنة : تاريخ الزراعة المصرية ، دار المعارف ١٩٥٠ م .
 أحمد أمين بك : فجر الإسلام ، ج ١ ، القاهرة ١٩٤١ م .

- صحى الإسلام ، ح ٢ ، الطبعة الأولى . لجنة التأليف
والترجمة والنشر . القاهرة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥ م .
- احمد جاب الله شلبي :
الحصار الإسلامية خلال الأربعة عشر قرنا
الماضية ، من كتاب دراسات فى الحضارة الإسلامية
بمناسبة القرن الخامس الهجرى ، الهيئة العامة
للكتاب ١٩٨٥ م .
- احمد نطفى السيد :
قبائل العرب فى مصر ، دار الكتب المصرية
١٩٣٦ م .
- السيد الباز العرينى :
مصر البيزنطية ، القاهرة ١٩٦١ م .
- انسب طه أبو سديرة :
القبائل اليمنية فى مصر ، القاهرة ١٩٨٨ م .
- الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية من الفتح
العربى حتى نهاية العصر الفاطمى ، الهيئة المصرية
العامة للكتاب ١٩٩١ م .
- الهلالية فى صعيد مصر خلال العصر الفاطمى
الأول ١٩٩٣ م .
- الحركة العلمية فى جامع عمرو بن العاص فى
عصر الولاة (٢١ هـ - ٢٥٤ هـ) القاهرة ،
١٩٩٠ م .
- السيد عبد العزيز سالم :
تاريخ العرب قبل الإسلام ، مؤسسه شباب الجامعة
الإسكندرية (بدون تاريخ) .
- تاريخ الدولة العربية الإسكندرية ١٩٧٦ م .
- الشاطر بصيلى عبدالجليل :
معالم تاريخ وادى النيل ١٩٥٥ م .
- أيمن فولاد سيد :
الدولة الفاطمية فى مصر ، دار المصرية اللبنانية .
الطبعة الأولى ١٩٩٢ م .

- جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية ، جزءان ، دار المعارف ٢٠٠٠ م .
- جمال حمدان : شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان ، دار الهلال ، القاهرة ١٩٨١ م .
- جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام، طبعة بغداد ، ١٩٥٣م.
- جورجى زيسدان : العرب قبل الإسلام (القاهرة بدون تاريخ)
- تاريخ التمدن الإسلامي ، ج ٣ ، القاهرة دار الهلال ١٩٥٨ م .
- تاريخ آداب اللغة العربية ، الأجزاء من ١ - ٣ القاهرة ١٩٣٧ م .
- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ٣ اجزاء (الطبعة السادسة مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٤م).
- انتشار الإسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى بشرق القارة الأفريقية وغربها، القاهرة ١٩٥٩م.
- حسن أحمد محمود : تاريخ عمرو بن العاص (مكتبة مدبولى ١٩٩٩م).
- حضارة مصر الإسلامية فى العصر الطولونى، ١٩٦٠ م .
- مصر فى عصر الطولونيين، الإسلام والثقافة، ج ١، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٣م، حضارة مصر الإسلامية فى العصر الطولونى، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ١٩٦٠م).
- الفنون الإسلامية فى العصر والوظائف الآثار العربية ، القاهرة ثلاثة أجزاء ، دار النهضة العربية بدون تاريخ .
- حسن الباشا حسن:

- حسن خضيرى أحمد : علاقات الفاطميين فى مصر بدول المغرب ، الطبعة الأولى مديولى ١٩٩٦ م .
- حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية فى مصر ، ج ١ ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٤٦م .
- حسين محمد نصارى : الثورات الشعبية فى مصر الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٩م .
- خير ندين الزركلى : الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ٨ أجزاء ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٤ .
- راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨ م .
- رفعت الجوهري : شريعة الصحراء عادات وتقاليد (القاهرة ١٩٦١م) فنون الإسلام ، القاهرة ١٩٤٨م .
- ركى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، القاهرة ١٩٨١ م .
- الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٤٥م .
- سعاد ماهر محمد : مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه (القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م) محافظات الجمهورية العربية المتحدة وأثارها الباقية فى العصر الإسلامى ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٦م .
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ج ٥ ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة (بدون تاريخ) .
- مسعد الخادم : الصناعات الشعبية فى مصر الإسلامية . القاهرة ١٩٥٧ م .

- سعد زغلول عبد الحميد: محاضرة فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بيروت العربية، الإسكندرية (بدون تاريخ)
- سليم حـزين : حضارة مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة (بدون تاريخ) .
- سليم حسن : أقسام مصر الجغرافية فى العصر الفرعونى ، القاهرة ١٩٤٤ م .
- سمير محمد خواسك : مصر القديمة ، مطبعة الكوثر بمصر بدون تاريخ .
- سمير يحيى الجمل: فى بلاد العبادنة ، (القاهرة ١٩٨٣ م) .
- سيدة إسماعيل الكاشف: تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، الجزء الثالث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ م .
- شكرى فيصل : مصر فى فجر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ م .
- شوقي الجمل: مصر فى عصر الولاة (الهيئة المصرية العامة للكتاب بدون تاريخ .
- صفاء حافظ عبدالفتاح : مصر فى عصر الأخشيدين (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩ م) .
- صفى محمد عبد الله: المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول، القاهرة ١٩٥٢ م .
- شوقي الجمل: تاريخ السودان ووادى النيل وحضارته ، القاهرة ١٩٨٦ م .
- صفاء حافظ عبدالفتاح : الموانى والسغور المصرية من الفتح العربى حتى سقوط الدولة الفاطمية (القاهرة ١٩٨٦ م) .
- مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى منذ الفتح العربى حتى نهاية الدولة الفاطمية ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ م .

- صلاح أحمد هريدى : دور الصعيد فى مصر العثمانية ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٤ م
- عاصم محمد رزق : مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية (الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٩ م .
- عبد الحكيم العفيفى: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية ، الدار العربية للكتاب الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م .
- عبد الحميد يونس: الهلالية فى التاريخ والأدب ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٦ م .
- عبدالرحيم أحمد عبدالرحيم الريف المصرى فى القرن الثامن عشر، مطبة عين شمس القاهرة ١٩٧٤ م .
- عبدالرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية ، الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٨ م.
- عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، القاهرة ١٩٦٢ م .
- عبد الفتاح الغنيمى: عروبة مصر قبل الاسلام ، القاهرة ١٩٩٣ م .
- عبد الله خورشيد البرى: القبائل العربية فى مصر خلال القرون الأولى للهجرة القاهرة ١٩٩٢ م .
- القرآن وعلومه فى مصر من ٢٠ هـ إلى ٣٥٨ هـ، القاهرة ، دار المعارف .
- عبد المجيد عابدين : البيان والإعراب ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- بين الحبشية والعرب (القاهرة بدون تاريخ) دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل، الإسكندرية ١٩٨٩ م.
- عبد المنعم عبدالحميد : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى ، دار الثقافة العلمية الإسكندرية ١٩٩٩ م.

- عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم ، ج ١ ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة سنة ١٩٥٣ م
- عصام الدين عبدالرؤوف الفقى : تاريخ الحضارة الإسلامية ، الطبعة الثانية القاهرة الحواضر الإسلامية الكبرى ، دار الفكر العربى بدون تاريخ ، القاهرة ، ١٩٧٦ .
- عطية القوصى : تاريخ الفكر الإسلامى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٧ .
- تاريخ دولة الكنوز الإسلامية دار المعارف القاهرة ١٩٨١ م .
- تجارة مصر فى البحر الأحمر ، القاهرة ١٩٧٠ م .
- الحضارة الإسلامية ، الناشر دار الثقافة العربية ، القاهرة ١٩٨٥ م .
- عطية مشرفة : نظم الحكم فى مصر فى عصر الفاطميين ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٤٨ م .
- المدارس فى العصر الأيوبي - مقال فى ندوة المدارس فى مصر الإسلامية - الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٢ م .
- على إبراهيم حسن : تاريخ جوهر الصقلى ، القاهرة ١٩٦٣ م .
- على الخطيب : القبطى حياته وأدبه ، طبعة أولى ، القاهرة ١٩٨٣ م .
- على حسنى الخربوطلى : مصر العربية الإسلامية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٨ م .
- الحضارة العربية الإسلامية (الهيئة العامة للكتاب ١٩٦٢ م) .
- القضاء فى الإسلام ، شركة الشرق الأوسط ، الطبعة الثانية ١٩٦٦ م .

مصر فى العصور الوسطى ، الطبعة الرابعة ،
للقاهرة ١٩٥٤ م .

على مبارك :
الخطط التوفيقية ، ٢٠ جزء ، طبعة مصورة الهيئة
العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٠ م

عمر رضا كحالة :
فاطمة مصطفى عامر :
معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت ١٩٩١ م.
تاريخ أهل النمة فى مصر الإسلامية من الفتح
العربى إلى نهاية العصر الفاطمى، جزءان ، الهيئة
المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠ م) .

فريد الشافعى :
العمارة العربية فى عصر الولاة ، الهيئة العامة
للكتاب القاهرة ١٩٧٠ م .

قاسم عبده قاسم :
النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين
المماليك ، الطبعة الأولى دار المعارف، القاهرة
١٩٧٧ م .

قرشى عباس نندرواي :
تاريخ تراث الصعيد الأعلى . الجزء الأول منذ الفتح
العربى حتى سنة ٨٢٧ هـ . الناشر مكتبة الآداب
القاهرة ١٩٩٧ م .

كوثر عبد الرسول :
العبادة دراسة فى الاستقرار البدوى فى الصعيد
والنوبة محاضرة ألقى بالجمعية المصرية يوم
الأربعاء (٢٥ / ٤ / ١٩٦٢) .

مجدى عبد الرشيد :
القرية المصرية فى عصر سلاطين المماليك . الهيئة
العامة للكتاب ١٩٩٩ م .

محمد أمين صالح :
مظاهر الحضارة فى مصر العليا فى عصر سلاطين
الدولتين الأيوبية والمملوكية ، القاهرة ١٩٨٧ م .
تاريخ الجيزة فى العصر الإسلامى، الناشر مكتبة
نهضة الشرق، جامعة القاهرة ١٩٩١ م.

أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى ، القاهرة
١٩٧٧ م .

محمد جمال الدين سرور :
الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ، دار
الفكر العربي ، القاهرة بدون تاريخ .

تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ
الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري
(القاهرة ١٩٦٧ م) .

الدولة الفاطمية في مصر القاهرة ١٩٧٩ م .
سياسة الفاطميين الخارجية (طبعة دار الفكر العربي
١٩٦٧ م) .

الحركة العلمية في مصر الفاطمية سوهاج ١٩٨٨ م .
الحضارة العربية الإسلامية، مطبعة الساهر بقنا،
١٩٩٨ م .

محمد حمدي المناوي :
نهر النيل في المكتبة العربية . القاهرة ١٩٦٦ م .
محمد رمزي :
القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، مطبعة دار
الكتب المصرية ، القسم الثاني .

محمد صبرى محسوب :
جغرافية الصحاري المصرية ، الصحراء الشرقية ،
القاهرة ١٩٩٠ م .

محمد عبد الستار عثمان :
المدينة الإسلامية ، دار الآفاق العربية ، الطبعة
الأولى ١٩٩٩ م .

محمد عبد العزيز مرزوق :
الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر قبل
الطولونيون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة
١٩٧٤ م .

محمد عبده الحجاجي :
الاقصر في العصر الإسلامي ، الطبعة الثانية ،
الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٨ م

- محمد عزة دروزة : عروبة مصر قبل الإسلام وبعده، القاهرة ١٩٦٣ م.
- محمد عوض محمد : السودان الشمالي وسكانه وقبائله (القاهرة ١٩٥١ م)
- محمد كامل حسين : الشعوب والسلالات الإفريقية ، القاهرة ١٩٦٥ م.
- محمد مجدى : فى أدب مصر الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٠
- محمد مجدى : طائفة الإسماعيلية ، القاهرة ، بدون تاريخ
- محمد مجدى : أدبنا العربى فى عصر الولاة - القاهرة ١٩٦١ م .
- محمد مجدى : رحلة مجدى ، المسماة ثمانية يوم بصعيد مصر ١٣٦٠هـ ، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٠ م .
- محمد محمود أبو زيد: النيل ومصر ، دار الهدايا ١٩٨٧ م .
- محمد مصطفى الماحى وآخرون: الريف المصرى فى العصر الإسلامى ، دراسة اقتصادية اجتماعية من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى ، مكتبة الإيمان ، المنصورة الطبعة الأولى القاهرة ١٩٩٨ م
- محمد مصطفى الماحى وآخرون: شعراء مصر منذ الفتح حتى الدولة الفاطمية (القاهرة بدون تاريخ) .
- محمد توفيق الحفناوى : مصر والعرب عبر العصور ، دار الفكر العربى ، القاهرة بدون تاريخ .
- محمد محمد الحويرى : أسوان فى العصور الوسطى ، دار عين ١٩٩٦ م .
- محمد مراد كامل : من دقلديانوس إلى دخول العرب فى تاريخ الحضارة المصرية
- محمد مصطفى العبادى : حضارة مصر فى العصر القبطى ، مطبعة دار العالم العربى ، القاهرة بدون تاريخ
- محمد مصطفى العبادى : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٢ م.

مصطفى محمد مسعد : الإسلام والسنوبة فى العصور الوسطى ، بحث فى تاريخ السودان وحضارته حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادى، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٠ م.

مكى شبيكة : السودان عبر القرون ، بيروت ١٩٦٥ م .

ممدوح عبد الرحمن : دور القبائل العربية فى صعيد مصر منذ الفتح الاسلامى حتى قيام الدولة الفاطمية وأثارها فى عبدالرحيم الريطى:

النواحي السياسية ، اقتصادية والاجتماعية والثقافية (٢١٣٥٨هـ/٦٤١-٩٦٩م)، مكتبة مدبولى ١٩٩٦م.

نادية بدوى : يوميات باحثة مصرية من حلايب (القاهرة ١٩٩٣م).

ناصر الأنصارى : المجمل فى تاريخ مصر النظم السياسية والإدارية ،

دار الشروق ، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٩م.

نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، القاهرة ١٩٥٦م.

نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، ٣ أجزاء، القاهرة .

نعيم زكى فهم : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب،

القاهرة ١٩٧٣ م .

هويدا عبدالعظيم رمضان: المجتمع فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى

العصر الفاطمى ، جزءان الهيئة

المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ م.

يسرى الجوهري : السلالات البشرية ، القاهرة ١٩٦٦ م .

رابعاً : المراجع الأجنبية المترجمة

آدم ميتنـــــز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ،

جزءان، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة الطبعة

الثالثة (القاهرة ١٩٥٧ م).

- استرابون فى مصر ، ترجمة من اليونانية د/ وهيب
كامل القاهرة ١٩٥٣ م .
- بئـــــــر : فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد ،
للقاهرة ١٩٩٣ م .
- برســـــــتد : تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسى ،
ترجمة د/ حسين كمال ، القاهرة ١٩٢٩ م .
- بل (هـ - ايدرس) : مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ،
تعريب الدكتور عبد اللطيف أحمد على القاهرة
١٩٥٤ م .
- بوركهارت : رحلات بوركهارت فى بلاد النوبة والسودان ،
ترجمة فؤاد اندراوس (القاهرة ١٩٥٩ م) .
- بيريل ســــمالي : المؤرخون فى العصور الوسطى ، ترجمة الدكتور
عبد قاسم (بدون تاريخ) .
- جروهمان ادولف : أوراق البرى العربية فى دار الكتب المصرية ،
الأجزاء من الأول إلى الرابع ، ترجمة الدكتور /
حسن إبراهيم حسن ، دار الكتب ١٩٣٦ - ١٩٦٧ م ،
الجزء الخامس ، ترجمة وتعليق د/ محمد مهدى علام ،
دار الكتب ١٩٦٨ م ، الجزء السادس ، ترجمة وتعليق
الدكتور عبد العزيز الدالى ، دار الكتب ١٩٧٤ م .
- دانـــــــيل داينـــــــيت : الجزية والإسلام ، ترجمة فوزى فهم جاد الله ،
بيروت ١٩٦٠ م .
- دى بوايمية (علماء الحملة
الفرنـــــــسية : وصف مصر ، ترجمة زهير الشايب (القاهرة
١٩٧٦ م)
- فـــــــؤاد ســـــــزكين : تاريخ التراث العربى ، جزءان ، نقلة إلى العربية
محمود فهمى حجازى ، فهمى أبو الفضل ، الهيئة
المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨ م .

- المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨ م.
- ماكمايكل : دخول العرب في السودان ، محاضرة ألقاها المستر ماكمايكل السكرتير الملكي لحكومة السودان في الجمعية الملكية الآسيوية، تعريب منصور على حسيب (القاهرة بدون تاريخ) .
- هيردوت : هيردوت يتحدث عن مصر ، ترجمة محمد صقر خفاجة ، دار القلم القاهرة ١٩٦٦ م
- يولس فلهوزن : تاريخ الدولة العربية ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ١٩٥٨ م .
- خامساً : الدوريات :
- أحمد عزت عبد الكريم : الأرض والفلاح بحث في كتاب الأرض والفلاح في مصر على مر العصور، للجمعية التاريخية المصرية ١٩٧٤ م .
- حسن خضيرى أحمد : * مدينة فقط وتطورها السياسى ، مجلة كلية الآداب بفتا، جامعة جنوب الوادى، العدد الرابع ١٩٩٥م
- * الدعوة الزيدية في مصر، من (منتصف القرن الثانى الهجرى الثامن للميلادى) إلى منتصف القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى (مجلة المؤرخ العربى ، المجلد الأول، العدد الرابع مارس ١٩٩٦ .
- راضى دغفوس : مراحل تاريخ الهلالية فى المشرق ، مسار قبائل بنى هلال وبين سليم من الحجاز ونجد إلى إفريقيا والمغرب ، مجلة المؤرخ العربى ، العدد الحادى عشر ١٩٧٩م .
- زكى محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية فى الفنون الإسلامية ، نشر جمعية محبى الفن القبطى ، طبعة المعهد العلمى الفرنسى ١٩٤٧ م .

- سعيد عبد الفتاح عاشور: الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الحادى عشر ، العدد الأول الكويت يونيو ١٩٨٠ م .
- سيدة اسماعيل كاشف : دراسات فى النقود الإسلامية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث عشر ١٩٦٤ م .
- عبد المنعم سلطان : مصر بين عهدين ، سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ، مجلة كلية الآداب بسوهاج ، جامعة أسيوط ، ١٩٨٧م .
- محمد أبو الفرج العش : مصر والقاهرة على النقود العربية الإسلامية، أبحاث السندوة الدولية لألفية القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٧١ ، ٩٠٥ - ٩٩٥ .
- محمد أحمد محمد : قبائل اليونانية فى ولاية عمرو بن العاص الأولى، مجلة كلية الآداب بسوهاج ، العدد الثامن لسنة ١٩٨٩ م .
- محمد بيومى مهران : دراسة حول العرب وعلاقاتهم بالدولة فى العصور القديمة ، مجلة اللغة العربية، جامع الأمام بالسعودية، العدد السادس لسنة ١٩٧٦ م .
- محمد رياض : العباددة محاضرات ألقىت فى الموسم الثقافى بالجمعية الجغرافية المصرية فى تاريخ ١٩٦١/٤/٢٦ يوسف فضل حسن (دكتور) : المعالم الرئيسية فى الهجرة العربية إلى السودان ، بحث بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد السادس ، ١٩٦٧ م .
- محمد عبده الحجاجى : عالم وكتاب ، مجلة الأمة ، قطر - العدد السادس عشر ، عام ١٩٨٢ م .
- مصطفى محمد مسعد : السبجة والعرب فى العصور الوسطى ، بحث بمجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد الحادى

والعشرون ، الجزء الثانى ، ديسمبر ١٩٥٩ م .
الحركة الفكرية فى مدينة قفط فى القرن السابع
الهجرى/ الثالث الميلادى ، بحث بمجلة كلية الآداب،
جامعة جنوب الوادى ١٩٩٨ م .

ممدوح عبد الرحمن
عبدالرحيم الریطى :

سادساً : الرسائل العلمية :

أحمد حسين حستين النمكى:
صحراء مصر الشرقية فى العصر الفاطمى ، رسالة
ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب بسوهاج جامعة
جنوب الوادى ١٩٩٥ م .

إسماعيل عبد الفتاح محمد:
طريق قفط القصير عبر العصور القديمة ، رسالة
ماجستير عبر منشورة ، المعهد العالى حضارات
الشرق الأدنى ، جامعة الزقازيق ١٩٩٣ م .

أمین عبد الله :
دراسة ديموجرافية لمديرية فنا ، رسالة ماجستير
غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٥٨م .

بدر عبد الرحمن محمد :
النشاط التجارى فى العصر الفاطمى الأول، رسالة
ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة القاهرة
١٩٧٧ م .

حورية عبده سلام :
الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مدينة الفسطاط فى
العصر الفاطمى، رسالة ماجستير غير منشورة ،
كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧١ م .

رضوان الجنانسى :
القبائل العربية فى مصر خلال القرنين الثالث
والرابع الهجرى ، رسالة ماجستير غير منشورة ،
كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٦ م .

عبد الباسط محمد حسين:
دور القبائل الحجازية فى الفتوحات الإسلامية ،
رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب بسوهاج
جامعة أسيوط ١٩٨٤ م .

- عبد الرحمن حسب الله الحاج:
- العلاقات بين بلاد العرب وشرق السودان منذ ظهور الإسلام حتى ظهور الفونج ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٦ م .
- عبد العال الشامي :
- مصر عند الجغرافيين العرب فيما بين القرنين الثالث والتاسع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٦٥ م .
- فوزى حامد عباس :
- الحالة الاقتصادية في مصر العليا في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٨٦ م .
- محمد أحمد محمد أحمد:
- المنيا في العصر الإسلامي ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب جامعة المنيا ١٩٧٨ م .
- محمد حسن عبد الكريم :
- التجارة وطرقها في الجزيرة العربية بعد الإسلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٨٤ م .
- محمد خليل أحمد هميمي:
- إقليم قوص من الفتح العربي حتى نهاية عصر المماليك ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات الإسلامية ١٩٩٢ م .
- محمد محمود أحمد إدريس:
- الحياة الزراعية في مصر في العصر الفاطمي ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٦ م .
- ممدوح عبد الرحمن الريطي:
- أسواق الفسطاط والقاهرة في العصر الفاطمي ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب بسوهاج جامعة أسيوط ١٩٩٢ م .
- نعمة علي مرسى :
- مصر العليا منذ الفتح حتى سقوط الدولة الفاطمية ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب بسوهاج جامعة أسيوط ١٩٨٠ م .

هيام عبد الرحمن سليم : العوامل الجغرافية وأثرها على تجارة مصر الخارجية في العصور الوسطى، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٧٧ م .

سابعاً : المراجع الأجنبية :

- 1- ABD AL-RAHMAN Steles Islamiques de la Necropole
ABD AL-TAWAB : d'Assouan, revision et annotation de
Solange Ory, 3 vol , (The Cairo 1977 ,
1982 , 1986) .
- 2- Amelineau : Un Eveque de Qept au viii
siecle Asiatique, swptien eserie Tx 17
(1979) .
- 3- Arkell (a-j) : A history of the Sudan from the earliest
time to 1821 (London 1955) .
- 4- Briggs (L .Y) : Tribes of the Sahara (London , 1960) .
- 5- Dimitri Meeks Et Egypte libaire hachette (Paris 1971) .
Autres :
- 6- Zaki Mohamed Les Tulundies , Etude de l'Egypte
Hassan : Musulmane ala fin du IXe Siecle ,
Paris , 1933 .
- 7- Gacian (J-C) : Un Centre musulman de la Haute Egypte
Medievale Qus .(Le Cairo 1976) .
- 8- Gaston Wiet : Catalogue general du musee Arab du
Cair . Steles Funeraires . vol ii , (1936)
v (1937) ; vii (1940) .
- 9- Goitein : Documents on the trade to India South
Arabia , and east Africa from the

- eleventh .
- 10- Golenischeff:** Excursion dans Le Qua'd : Hammamat text ruse Saint , pete'r sbourg 1988 .
- 11- Goiten :** Bankers and account from the eleventh cementury journal of the economic and social the history of the orient vol , Lx part November 1990 .
- 12- Hardy :** Christian Egypt Church sandd people , New Yourk , 1955 .
- 13- Hassan (Y-F) :** The Arabs and the Sudan from the serenth to Early Sixteen the century (Eclnlurg) .
- 14- H-Gauthier :** Dictionnaire des names geographiques contents dans hes textes , T.V .laCair 1928 .
- 15-Hudud Al Alam:** (The Region of the world persain Geography 312 A- 982-AD Translated and explaind by V.minorsky E.JW.Gibb Memor alseriesx; London 1937) .
- 16- Johnson West :** Byzantine in Egypt Economic studies (Prinston 1949).
- 17- . Littman :** Nubatacen in dciptions from Egypt (London , 1960) .
- 18- Munier ; Henri :** L'Egyptt Byzantine . (Precised l'hist . d'Egypt . Vol ii ,1932) .

- 19- . Murray : The Roman roads and stations
Eastern desert of Egypt in the Journal
of Egyption Archoelogy
- 20- Notices et extrait Demanuserits Coph,
AlBadgia , AlNouba ,Oala Nobie .
- 21- Quetemere : Memoired geograohiques et Histori
quesur L'Egypt E.L (Paris , 1811) .
- 22- . Saleh , (A.H) : Le Smigrations bedoiunes
Egyptou Magen Age . Istituto
orintal di Napoli volume 42
(Napoli 1981) .
- 23- Sauraive : journal Asiatique septienesire T.X.17
,.(1879).
- 24- Stanlylane pool: A History of Egypt in the Middle Ages
,(London , 1910) .
- 25- T . Atergenza : The Red Sea Mountains of Egypt
London , (New Yourk ,1995) .
- 26- The Coptic Encyclopedia Aziz , S ,
Atiya New Yourk ,V,7,art(Qift).
- 27- The Encyclobeadia of Islam .
- 28- W.M.
Finderspetre Koptos (London , 1896) .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١١
دراسة تحليلية لأهم المصادر والمراجع	١٧
تمهيد	٣١
الفصل الأول	
الأحداث السياسية في مدينة قفط منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجرى	٥٥
أولاً : الفتح العربى الإسلامى لمدينة قفط	٥٧
مراحل الفتح العربى الإسلامى لمدينة قفط	٥٧
مدينة قفط ودورها فى محاولة فتح بلاد النوبة	٦٩
انتشار الإسلام فى منطقة الصعيد الأعلى بعد الفتح الإسلامى	٧٣
ثانياً : الأحداث السياسية فى عصر الولاة الأمويين والعباسيين	٧٨
ثالثاً : الأحداث السياسية فى عصر الطولونيين والإخشيديين	١٠٧
رابعاً : الأحداث السياسية فى العصر الفاطمى	١١٦
موقف أهالى قفط من ثورة أبى ركة فى عهد الحاكم بأمر الله	١٢٤
دور أهالى قفط فى القبض على كنز الدولة فى عهد المستنصر بالله الفاطمى	١٢٩
الفصل الثانى	
الحياة الاقتصادية فى مدينة قفط منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية القرن الخامس الهجرى	١٣١
أولاً : الثروة الزراعية	١٣٣

الموضوع	الصفحة
نظم الري والزراعة	١٣٣
أهم المحاصيل الزراعية	١٤١
ملكية الأراضي	١٥٧
ثانياً : الثروة الحيوانية	١٦٠
ثالثاً: الحرف والصناعات	١٦٦
رابعاً : النشاط التجاري	٢٠٠
خامساً : المعاملات التجارية والمالية	٢١٧
الفصل الثالث	
الحياة الاجتماعية لمدينة فقط منذ الفتح الإسلامي حتي	
نهاية القرن الخامس الهجري	٢٢٧
أولاً : القبائل العربية وفروعها	٢٢٩
القبائل العدنانية	٢٣١
القبائل القحطانية	٢٥٠
عناصر سكانية أخرى	٢٥٥
ثانياً : المؤثرات العربية على المصريين	٢٦٦
ثالثاً : المظاهر الاجتماعية في فقط في العصر الإسلامي	٢٧٨
الأخلاق والعادات والكرم	٢٧٨
الحياة العامة	٢٨١
الأعياد والمواسم	٢٨٣
حفل الختان	٢٩٢
المأكل والملبس	٢٩٣
المأتم والجنائز	٢٩٦
دور المرأة في المجتمع القفطي	٢٩٧
المجالس الاجتماعية	٣٠١

الفصل الرابع

النهضة الثقافية في مدينة فقط منذ الفتح الإسلامي حتى

٣٠٣

نهاية القرن الخامس الهجري

٣٠٥

أولاً : عوامل النهضة الثقافية في المدينة

٣١١

مراكز الثقافة في المدينة

٣١٢

المساجد

٣١٧

الكنائس والأديرة

٣٢١

ثانياً : العلوم النقلية بالمدينة

٣٢١

علم القراءات

٣٢٧

علم التفسير

٣٣٠

علم الحديث

٣٣٢

علم الفقه

٣٣٧

علوم اللغة والأدب

٣٤١

التاريخ

٣٤٤

ظهور آراء الصوفية بالمدينة

٣٤٩

الملاحق والخرائط

٣٦٣

المصادر والمراجع

نحمد الله


مع تحيات

دارالوفاء للنشر والطباعة والنشر

تليفاكس : ٥٢٧٤٤٣٨ - الإسكندرية

Inv: 460000376

Date: 9/4/2015

 Bibliotheca Alexandrina



1240440